الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

مشروع دكتوراه "العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصر الوسيط"

أخبار الدولة العامرية

لابن حيان القرطبي

جمع ودراسة وتحقيق

أطروحة دكتوراه ل.م.د في تاريخ المغرب الاسلامي

مشروع العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصور الوسطى

إعداد الطالبة

هاجر بوبلية

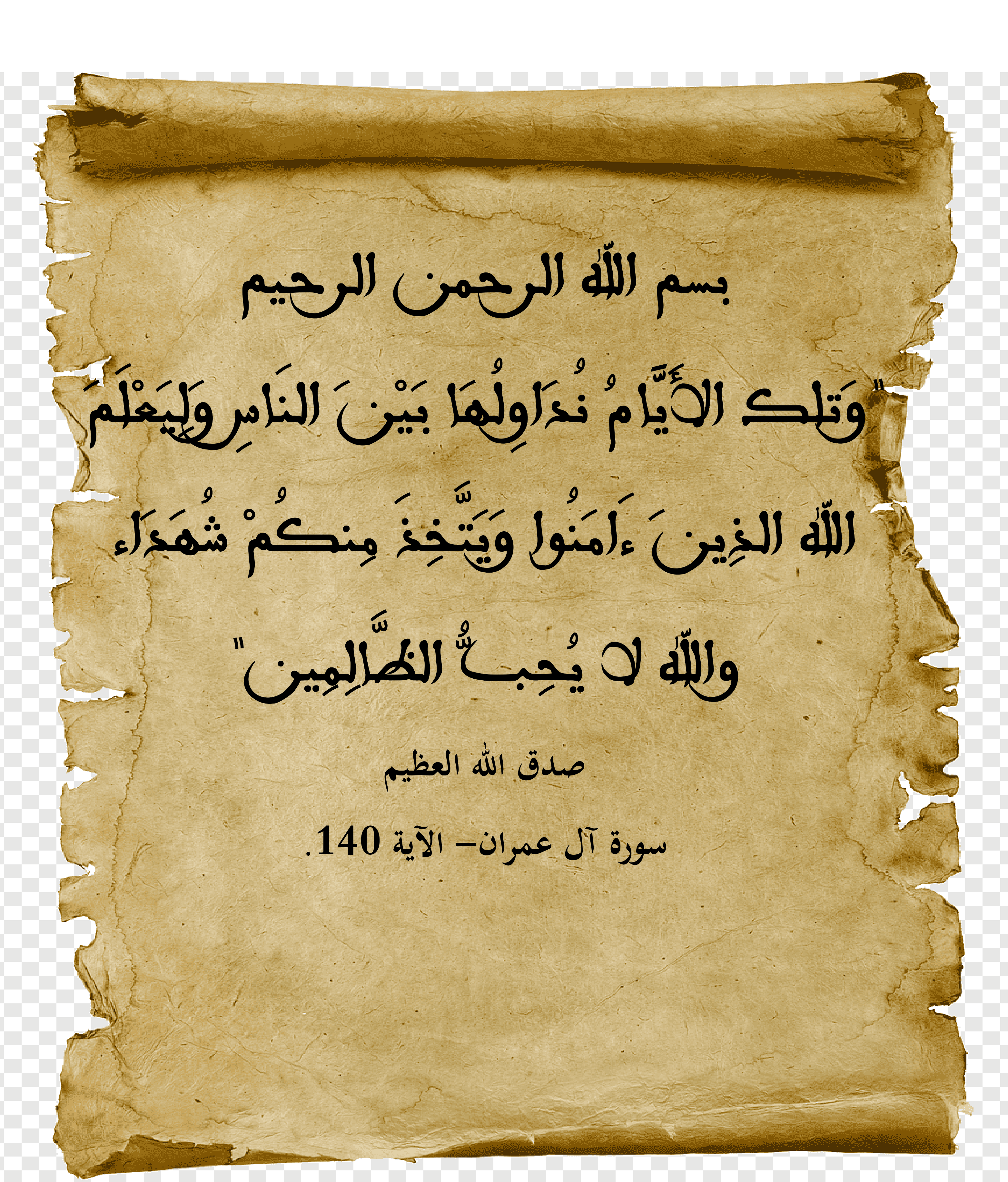
تحت إشراف الدكتورة

تواتية بودالية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	مؤسسة الإنتماء	الصفة
أ. بن عمر حمدادو	جامعة وهران1	رئيسا
دة. تواتية بودالية	جامعة معسكر	مقررا ومشرفا
أة جهيدة بوجمعة	جامعة وهران1	ممتحنا
د. قادة سبع	جامعة وهران1	ممتحنا
أ. السعدي شخوم	جامعة سيدي بلعباس	ممتحنا
أ. مصطفى مغزاوي	جامعة الشلف	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441هـ/ 2019- 2020م


بسم الله الرحمن الرحيم
"وَتلك الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَاسِ وَليَعْلَمَ
الله الذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء
والله لا يُحِبُّ الظَّالِمِين"
صدق الله العظيم
سورة آل عمران– الآية 140.

كلمة شكر وعرفان

أتقدّم بالشكر لله سبحانه وتعالى على أن وفقنا لإنجاز هذا العمل الذي نحتسبه لوجهه تعالى.

ثم الشكر للأستاذة الدكتورة فاطمة بلهواري التي قبلت الإشراف على الأطروحة في بدايتها، وإلى الدكتورة تواتية بودالية التي تابعت الإشراف على هذه الأطروحة لما قدمته من ملاحظات منهجية ساهمت في تصويب محتواها.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ عبد القادر بوباية الذي سخر لي مكتبته الأندلسية، وتابع العمل من بدايته إلى نهايته، وأفادني بخبرته في التحقيق من أجل إخراج الكتاب المراد تحقيقه في أقرب صورة ممكنة إلى ما كتبه ابن حيان القرطبي.

والشكر موصول إلى كل الأساتذة- الأحياء منهم والأموات- الذين درست عليهم في كل مراحل التعليم العالي (ليسانس- ماستر- دكتوراه)، وأسأل الله تعالى أن يجازيهم عنا خير الجزاء.

إهداء

*إلى من وقفت بجانبي وساندتني في كل مراحل حياتي،وضحت براحتها من أجلي، وشجعتني على إتمام الأطروحة: أمي الغالية.

*إلى من كان ولا يزال قدوتي في البحث، وأحسن مثال لي في الصبر على صعوباته، بخاصة في ميدان التحقيق: والدي العزيز.

*إلى من ساندني وشجعني على مواصلة البحث العلمي، وصبر على تقصيري في الواجبات الأسرية: زوجي العزيز.

*إلى أولادي وقرّة عيني: مريم الضاوية ومحمد أنس، حفظهما الله تعالى، وأطال عمريهما.

*إلى إخوتي الأعزاء: محمد- عبد الرحمن- عبد الكريم حفظهم الله تعالى جميعا.

*إلى كل أفراد الأسرة الكريمة، وبخاصة الأجداد حفظهم الله تعالى وأطال أعمارهم، ومتعهم بالصحة والعافية.

*إلى أختي التي لم تلدها أمي، ومن قاسمتني أفراحي وأحزاني صديقتي الغالية سعدية جلولي.

مقدمة

مقدمة: شهد القرنان الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين)- أي عصري الخلافة وملوك الطوائف- وصول الحضارة الأندلسية إلى أوّج ازدهارها في شتى المجالات، ومنها العلمية حيث شهدت حواضر الأندلس، مثل قرطبة على عهد الخلافة والدولة العامرية، وإشبيلية ومالقة وطليطلة والمرية على عهد ملوك الطوائف بروز العديد من العلماء، وبخاصة في علم التاريخ، ويأتي على صدارة هؤلاء المؤرخين ابن حيان القرطبي الذي يعدّه الكثير من الذين ترجموه أعظم مؤرخي الأندلس، ويعتبرونه حامل لواء التاريخ في الأندلس.

ألف ابن حيان عدة كتب خصّصها لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى تاريخ وفاته، وغطت هذه المؤلفات خمسة قرون من الأحداث التي عاشها المسلمون في هذه البلاد، وأغلب هذه المؤلفات تعد في عداد المصادر المفقودة إذا استثنيا بعض الأجزاء من كتاب المقتبس، ويعود الفضل في بقاء الكتب المفقودة إلى المؤرخين والكتاب الذي نقلوا مادتها، وبالتالي حفظوها لنا من الاندثار، ومنها كتاب "أخبار الدولة العامرية" الذي أفرده ابن حيان لتأريخ ثلاثة حجاب ينتمون إلى أسرة العامريين؛ الذين حجبوا الخليفة الرسمي هشام المؤيد بالله، وحكموا الأندلس طيلة الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، أي من سنة 366 إلى 399هـ/976- 1008م.

ونظرا لوجود مادة هذا الكتاب مبثوثة في العديد من المصادر؛ قررنا القيام بعملية جمع شتاته ودراسة وتحقيق محتوياته بهدف إعادة إحياء هذا المؤلف، وتسهيل مهمة الباحثين في الاستفادة من محتوياته.

أهمية الموضوع: يكتسي هذا المؤلف قيمة كبيرة نظرا لما يحويه من أخبار هامة عن الدولة العامرية، حيث تضمّن الكتاب الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم، وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبي عامر المنصور ثاني أبناء الحاجب العامري سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس وظهور ما عُرف بممالك الطوائف.

انفراد ابن حيان بمجموعة هامة من الأخبار التي لم ترد عند غيره، ومنها غزوات المنصور ابن أبي عامر التي لم تورد بقية المصادر الأخرى إلا القليل منها، ومنها كتاب "ترصيع الأخبار" للعذري،

حيث قام ابن حيان في كتابه بذكر اسم كل غزوة وتاريخها ووجهتها ونتائجها، كما أنه ذكر قائمة الحاضرين في بيعة هشام المؤيد بالله، إضافة إلى نصوص تاريخية أخرى هامة سيرد ذكرها في النص.

- تنوع وأهمية المصادر التي استقى منها ابن حيان معلوماته سواء كانت روايات شفهية نقلها عن والده أو موظفي الدولة العامرية على سبيل المثال، أو المؤرخين المعاصرين له؛ كما اعتمد كذلك على تسجيل ما شاهده مباشرة من الأحداث التي عاصرها.

الإشكالية: تتمثل في جمع نصوص كتاب "أخبار الدولة العامرية" من مختلف المصادر التي احتوت عليها، والقيام بدراسة محتوياته وتحقيق نصوصه، وإبراز قيمته العلمية.

وتندرج تحتها مجموعة من التساؤلات أهمها: من هو ابن حيان، وبمَ اتسمت حياته؟ وما هي العوامل التي ساهمت في تكوينه؟ وما هي أهم الأحداث التي شهدها عصره؟ وكيف كان تأثيرها عليه؟ وكيف سارت حياته العلمية؟ وما هو التراث التاريخي الذي خلفه، وبخاصة المفقود منه؟ وما هو محتوى كتاب "أخبار الدولة العامرية"؟ وما هو منهجه في تأليفه؟ وما هي قيمته العلمية؟

وتعود أسباب اختيارنا لجمع ودراسة وتحقيق كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي إلى مجموعة من الدوافع هي:

- أهمية الكتاب وقيمته التاريخية إذ يحوي أخبارا هامة تخص تاريخ الأندلس، وبخاصة أخبار الدولة العامرية التي حكمت الأندلس طيلة الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

- تزويد المكتبات الجامعية خاصة والعمومية عامة بكتاب يعدّ من أبرز مؤلفات ابن حيان المفقودة، وتيسير استعماله من طرف الباحثين بعد جمع مادته المبثوثة في مصادر شتى.

- تشجيع والدي الأستاذ عبد القادر بوباية على اختيار هذا الموضوع، والخوض في غماره وتحدي صعابه.

- تجربتي المتواضعة في ميدان التحقيق، من خلال مساعدة الوالد في تحقيقه لمجموعة من المخطوطات التي حققها ونشرها، ومنها "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" لابن الكردبوس التوزري، و"تاريخ الأندلس" لمؤلف مجهول، و"الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لابن سماك العاملي.

ومن أجل القيام بهذا العمل وضعنا خطة بحث قسّمناها إلى ثلاثة أقسام:

بدأنا دراستنا بمقدمة جاءت كمدخل للموضوع عرضنا فيها الإطار الزماني والمكاني، والدوافع التي دفعتنا لخوض غمار هذا البحث؛ والإشكالية؛ وأهمية الموضوع؛ بالإضافة إلى عرض ونقد أهم المصادر التي اعتمدنا عليها، وختمناها بالصعوبات التي واجهتنا.

أما القسم الأول فجاء عبارة عن مقدمة للتحقيق تضمنت في المبحث الأول: **حياة ابن حيان وآثاره العلمية،** حيث قمنا بالتعريف بابن حيان ومولده ونسبه ونشأته؛ بالإضافة إلى تكوينه العلمي، والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم، وتلامذته الذين تلقوا تعليمهم عنه، ثم عرّجنا على عصره؛ وأهم الأحداث التي ميزت العدوة الأندلسية، ثم علاقة ابن حيان بالبلاط السياسي والوظائف التي تقلّدها في ظل الدولة الجهورية، وعرضنا أيضا مؤلفاته وآثاره العلمية، وأوردنا ثناء وأقوال العلماء فيه والإشادة بمكانته العلمية الكبيرة وأخيرا وفاته.

أما المبحث الثاني: فخصّصناه **لدراسة كتاب "أخبار الدولة العامرية" من حيث المحتوى والمنهج**؛ بدأناه بالحديث عن أسس ومبادئ الكتابة التاريخية عند ابن حيان، ثم انتقلنا إلى دراسة كتاب الدولة العامرية، وفصّلنا في أقوال المؤرخين حول أصل تسميته، واختلافهم حول ما إذا كان كتابا مستقلا عن كتاب المتين لابن حيان القرطبي أو جزءا منه، وقمنا بعرض محتويات كتاب الدولة العامرية، ثم المصادر التي اعتمدها ابن حيان في كتابه سواء كانت مكتوبة أو شفهية، والمنهج الذي سار عليه في تأليفه، وختمنا العنصر بذكر القيمة العلمية للكتاب من الناحية الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا: منهجية التحقيق: وذكرنا فيها المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع النصوص التي تأكدنا على أنها جزء من الكتاب من خلال ذكر مؤلفيها لعبارات تدل على اقتباسهم من ابن حيان مثل: قال ابن وحيان، وذكر ابن حيان، وقال في أخبار الدولة العامرية، وقال حيان بن خلف وغيرها من العبارات التي تدل على الاقتباس من هذا المؤلف، وأبرزنا القيمة العلمية التي تكتسيها هذه النصوص، وأوضحنا المنهج الذي اعتمدناه من أجل إنجاز هذا التحقيق.

أما القسم الثاني فتضمّن كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي؛ قمُنا من خلاله بجمع النصوص المختلفة التي تعود إلى هذا الكتاب، ثم عملنا على ترتيبها تاريخيا، وضبطنا النصوص من خلال المقارنة بينها سواء بالاعتماد على مختلف المصادر التي ذكرت نفس النصوص أو

من خلال مقارنتها ببقية المصادر التاريخية التي تناولت نفس الأحداث، كما قمنا بتحقيق الأعلام البشرية والجغرافية الواردة في هذه النصوص، وصحّحنا الأخطاء الواردة فيها، وأشرنا إلى ذلك في هوامش التحقيق.

خاتمة: وذكرنا فيها أبرز النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها.

الدراسات السابقة: لم يحظ كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان بجمع ودراسة وتحقيق من قبل الباحثين إذا استثنينا أطروحة الدكتوراه التي أنجزها الباحث طارق وراد الموسومة بـ: "أبو مروان بن حيان القرطبي مؤرخا والمجموع المستدرك من تواريخه"، والتي قام فيها بجمع نصوص مؤلفات ابن حيان الضائعة، والمتمثلة في المقتبس والمتين وأخبار الدولة العامرية والبطشة الكبرى، وما يُعاب على هذا العمل أنه كان عبارة عن جمع لنصوص دون تحقيقها في غالب الأحيان، إضافة إلى أنّه ألحق نصوصا تعود للمقتبس بأخبار الدولة العامرية، ومن ذلك على سبيل المثال "ذكر وفود فقيه أهل مصر أحمد بن أبي عبد الرحمن الزهري سنة 343هـ"، وهو عهد عبد الرحمن الناصر، إضافة إلى عدم التقيد بالتسلسل الزمني للأحداث مثل ذكره خبر غزاة العلّة سنة 398هـ/1007م، ثم وفاة ابن الجزيري سنة 394هـ/1003م، ثم خبر بيعة عبد الرحمن شنجول سنة 399هـ/1008م، كما أنه لم يُدرج الكثير من نصوص أخبار الدولة العامرية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر النص الطويل الذي ورد في كتاب مفاخر البربر، ولم يطلع عليه الباحث، وغيرها من النصوص التي سنذكرها في مقدمة الدراسة.

عرض ونقد المصادر:

1- تاريخ علماء الأندلس: لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المشهور بابن الفرضي (ت سنة 403هـ/1012م).

يعتبر من أهم كتب التراجم حيث ساهم في دراسة كثير من جوانب التاريخ العلمي والثقافي للأندلس على عهد الأمويين، حيث تضمن الكتاب 1649 ترجمة لأعلام من مختلف مدن الأندلس بدءًا من الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري(10م)، ورتب تراجمهم هجائيا، واستعان ابن حيان في بعض مادته التاريخية بابن الفرضي، وقد أفادنا هذا التأليف في ترجمة العديد من الأعلام الوارد ذكرهم في النص.

2- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك: لأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ /1085م).

لم يصلنا من هذا المؤلف سوى بعض النصوص المتعلقة بالأندلس، ويعتبر من أهم المصادر الجغرافية حيث سدّ ثغرات كبيرة في جغرافية الأندلس وتاريخها حتى عصر المؤلف، ويتميز العذري بوصفه الجغرافي المسهب، والذي نهج فيه منهجا سليما، حيث قسم كتابه إلى ما يشبه الفصول، وكل فصل منه حوى كورة من كور الأندلس معتمدا على ما اقتبسه من أحمد الرازي، وأضاف من نفسه ممّا دل على قوة اطِّلاعه ومعرفته ومشاهدته.

وأفادنا العذري بذكر عدد كبير من الصوائف والشواتي التي قادها المنصور ابن أبي عامر مع إيراد السنوات التي تمت فيها، حيث جاءت كإضافة قيمة لما أورده ابن حيان في كتابه.

3- عيون الإمامة ونواظر السياسة: لأبي طالب المرواني، وهو أبو طالب عبد الجبّار بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ القرشي المرواني القرطبي (ت سنة 516هـ/1122م).

جمع أبو طالب المرواني كتابًا حافلا في التاريخ سمّاه "عيون الإمامة ونواظر السياسة"، وتتضمن القطعة التي وُجدت من هذا الكتاب ثلاثا وستين ترجمة، وتضمنت هذه التراجم معلومات لا توجد إلا في هذا المؤلف، وقد أكثر المؤلف النقل من أمهات الكتب المُصنّفة مما لم يصل إلينا تماما أو وصلنا مبتورا، ولا سيما تلك النقول النفيسة التي اقتبسها من كتب مؤرخ الأندلس أبي مروان حيان بن خلف، حيث كان هو مصدره في الأغلب الأعم، ولو لم يكن في هذه القطعة إلا هذه النقول لكانت وحدها كافية لتستحق الاعتناء بها ونشرها.

وعليه فقد أفادنا هذا المؤلف من خلال النصوص العديدة والنادرة التي اقتبسها من ابن حيان، والتي تعتبر من عناصر كتاب "أخبار الدولة العامرية".

4- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت سنة 542هـ/1147م).

صنف ابن بسام كتابه هذا سنة 502هـ/1109م بمدينة إشبيلية، وعرض فيه تاريخ الملوك والوزراء والأمراء، بالإضافة إلى تطرقه لآثارهم الأدبية، وقد قسّم مؤلّفه إلى أربعة أقسام: خصص القسم الأول منه لأهل حضرة قرطبة، وما صاقبها من بلاد موسطة الأندلس، واشتمل على أربع

وثلاثين ترجمة لرؤساء ووزراء وكتاب وأدباء، أما القسم الثاني فخصصه لأهل الجانب الغربي من الأندلس، وذكر أهل حضرة إشبيلية، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء جملة موفورة، وضم ستا وأربعين ترجمة لرؤساء وقضاة ووزراء وأدباء وكتاب.

أما القسم الثالث فتعرض فيه "لأهل الجانب الشرقي من الأندلس، ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى إلى منتهى كلمة الإسلام هنالك"، وبلغ عدد المترجم لهم فيه ثلاثا وثلاثين ترجمة، والقسم الرابع الذي يقول فيه ابن بسام: "أفردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من أديب شاعر، وأوى إلى ظلها من كاتب ماهر واتسع فيها مجاله، وحفظت في ملوكها أقواله، ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهور أهل تلك الآفاق".

يعتبر الكتاب موسوعة أدبية تاريخية تضمنت تراث القرن الخامس الهجري (11م)، وهي الفترة العلمية المزدهرة التي جمعت بين عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف، ولما كان ابن بسام أديبا وليس مؤرخا فقد اعتمد في الجزء التاريخي من مؤلفه على ما كتبه المؤرخ القرطبي أبو مروان ابن حيان في كتابي "المتين" و"أخبار الدولة العامرية" المفقودين، وبذلك فقد حفظ لنا الشيء الكثير من هذين المصدرين الضائعين، وقد أفادنا هذا التأليف في مواضع كثيرة في دراستنا، وبخاصة في مقدمة التحقيق ومنها العناصر المتعلقة بحياة ابن حيان، كما استقينا منه المادة التاريخية الخاصة بكتاب "أخبار الدولة العامرية" حيث انفرد بالكثير من نصوص ابن حيان، وجعلناه أصلا لها في العديد من المرات نظرا لما تميز به من استيفاء هذه النصوص مقارنة بما ورد في المصادر الأخرى التي أوردت نفس الاقتباسات، إضافة إلى أنه كان يشير إلى نهايتها، وهذا ما يسّر علينا كثيرا تمييز المادة الخاصة بكتاب "أخبار الدولة العامرية" عن غيرها.

5- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك:** لمؤلفه أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي القاضي؛ المتوفى سنة 544هـ/1149م.

يبتدئ الكتاب بمدخل موضوعي، وتأتي بعده ترجمة الإمام مالك ثم ترجمة طبقات المالكية حيث يبدأ بالفقهاء من أصحاب مالك ثم تراجم أتباعهم مرتبة زمنيا وجغرافيا إلى عصر المؤلف، وقد بلغ عدد من ترجم لهم ألف اسم ممن عرف اسمه وصحّت روايته وشهرت صحبته.

يورد القاضي عياض معلومات غزيرة عن عدد كبير من فقهاء المالكية من بلاد المغرب والأندلس، ولذلك فالكتاب مصدر لا يمكن الاستغناء عنه لدراسة نشأة وتطور المذهب المالكي في هذا الجزء من العالم الإسلامي؛ إضافة إلى أهميته في التأريخ للحركة العلمية والفكرية به.

أفادنا الكتاب من خلال النصوص التي اقتبسها من كتاب ابن حيان موضوع التحقيق، كما استعنا به في تحقيق الأعلام البشرية؛ ومنهم الفقهاء الوارد ذكرهم في هذا المؤلف.

6- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف أبي عبد الله الإدريسي (ت حوالي سنة 558هـ/1163م) يشرح المؤلف في مقدمة كتابه منهجه في وصف جهات الدنيا التي كانت معروفة في عصره، فيذكر أنه يصف أحوال البلاد والأرض في خلقها وبنائها وأماكنها وبحارها وجبالها ومسافاتها وعملها، وأجناس نباتها، والاستعمالات التي تستعمل بها، والصناعات التي تتقن بها، والتجارات التي تجلب منها، والعجائب التي تذكر عنها، مع ذكر أحوال أهلها، وهيئتهم ومللهم ومذاهبهم، وزيّهم ولباسهم ولغتهم.

وقد أعاننا هذا المؤلف في التعريف بالكثير من الأعلام الجغرافية التي وردت في النص؛ كما زودنا بنصوص تعود إلى الكتاب الذي نحن بصدد جمعه وتحقيقه.

7- كتاب الصلة: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود بن بشكوال الأنصاري (ت سنة 578هـ /1183م).

يكتسي هذا الكتاب أهمية كبيرة، ولا يمكن أن يستغني عنه الدارسون لتاريخ الأندلس، حيث تضمن 1544 ترجمة لعلماء أندلسيين وطارئين، وقد رتبها المؤلف ترتيبا أبجديا زمنيا، أي من الأقدم وفاة إلى الأحدث، وقد اعتمدنا عليه في الجزء المخصص لمقدمة التحقيق، وأعاننا في ترجمة الكثير من الأعلام البشرية التي وردت في سياق التحقيق، كما زودنا بنسب ابن حيان الكامل الذي نقله مكتوبا بخطه، كما أفادنا ببعض النصوص المقتبسة من كتاب "أخبار الدولة العامرية".

8- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت سنة 599هـ/ 1202م).

يعد هذا المصدر ذيلا على كتاب جذوة المقتبس للحميدي، حيث نقل الضبي عنه ما يقارب الخمسة والعشرين وثمانمائة ترجمة كما هي، وخمسة عشر ترجمة مختصرة، وسبعة تراجم أضاف

إليها روايات شخصية، وتجاهل مائة وأربعين ترجمة، وأضاف سبعمائة وخمسين ترجمة غير موجودة في الجذوة أصلا.

بدأ كتابه بمقدمة موجزة ضمّنها ترجمة للحكام الذين تعاقبوا على الحكم في العدوة الأندلسية، وتناول بعدها رواة الحديث وأهل الفقه والأدب والشعر، وذكر بلدانهم ووفياتهم، ثم تعرّض للمشهورين بالعلم والفضل ممّن دخلوا الأندلس أو خرجوا منها من زمن الفتح إلى عصر المؤلف، وقد أفادنا هذا الكتاب كثيرا في ترجمة العديد من الأعلام الذين ورد ذكرهم في سياق التحقيق.

9- إعتاب الكتاب: لابن الأبّار، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبّار، المتوفى بتونس عام 658هـ/1260م.

ألف ابن الأبّار كتابه هذا وأهداه إلى السلطان الحفصي في حياة ولده أبي عبد الله، وقد قام بتأليفه بين سنتي 638 و646هـ/1240-1248م، والكتاب عبارة عن تراجم مقتضبة لهؤلاء الكُتّاب وأخطائهم، وعفو أسيادهم عنها، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول تضمن المقدمة، واستعرض فيه الكاتب موضوعه ودوافع تأليفه، أما القسم الثاني فتضمن تراجم الكتاب، وعددها خمس وسبعون ترجمة، والقسم الثالث عرض فيه خاتمة المؤلف، وأنهاها بإيراد عدة قصائد في مديح السلطان وولي عهده.

يعتبر المؤلف مصدرا تاريخيا هاما،قدم لنا فيه ابن الأبّار معلومات لم ترد في غيره من المصادر، كما انه يكتسي قيمة أدبية كبيرة لما تضمنه من قصائد شعرية.

وقد أفادنا هذا المؤلف من خلال النصوص التي اقتبسها من ابن حيان، وكانت معينا لنا في جمع الكتاب.

10- التكملة لكتاب الصلة: لابن الأبار القضاعي سابق الذكر، وأتمّ به التراجم التي لم ترد أو وردت ناقصة في كتابي تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي والصلة لابن بشكوال.

يترجم ابن الأبار في كتابه أصالة للأندلسيين متبعا في ذلك الترتيب الأبجدي مع ذكر الأقدم وفاة فالأحدث؛ ويبدأ باسم أحمد فيترجم لكل من حمل هذا الاسم بالأندلس، ثم يتبعهم بالغرباء، وبلغ عدد الذين ترجمهم ابن الأبار في كتاب التكملة 3607 من أعلام العدوة الأندلسية ومن الغرباء الذي

حلوا بها، وقد أفادنا الكتاب من خلال النصوص التي اقتبسها من كتاب أخبار الدولة العامرية إضافة إلى الاستعانة به في تحقيق الأعلام البشرية الواردة في متن الكتاب.

11- الحلة السيراء: لابن الأبّار سالف الذكر.

جمع المؤلف في كتابه تراجم الخلفاء والأمراء والرؤساء والوزراء والكُتّاب الذين آثر عنهم شعرًا يُروى، وينفرد عن غيره من كتّاب التراجم في طريقة معالجة موضوعه حيث رتب معلوماته على أساس الترتيب الزمني بينما رتب الكتّاب الآخرون ذلك على أساس الحروف الأبجدية، وهو الأمر الذي يسهل مهمة الباحث، كما أن أهمية الكتاب تكمن أيضا في كون مؤلفه قد نقل كثيرا عن ابن حيان، وهو بذلك قد ساهم في حفظ جزء هام من تراث هذا الأخير.

عرض ابن الأبار في كتابه نخبًا من أشعار النابهين بالمشرق والمغرب من الأمراء والوزراء والكتاب والأعيان والعلماء، وتغطي تراجم هؤلاء الفترة الممتدة من المائة الهجرية الأولى إلى النصف الأول من المائة السابعة، ثم ذيّل كتابه بملحق للنابهين الذين لم يُعثر على أشعارهم، وبلغ عدد الذين ترجم لهم 216 فردا.

وأفادنا هذا المصدر في الجزء المخصّص لمقدمّة التحقيق، وبخاصة في مسألة إفراد ابن حيان العامريين بهذا الكتاب، كما أنه أورد نصوصا من كتاب "أخبار الدولة العامرية"، كما اعتمدنا عليه في تحقيق الأعلام البشرية الوارد ذكرها في الكتاب.

12- المُغرب في حُلَى المغرب: لأبي الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي الأندلسي (ت سنة 685هـ/1286م).

يعتبر كتاب المغرب في حُلى المغرب من مفاخر ابن سعيد ومحاسنه، وقد جمع فيه بين العلم والأدب، وبين الجدّ والهزل، إضافة إلى ما جاء فيه من علم ومعرفة بالأدب والشعر والتاريخ وغيره، ويمتاز الكتاب بسلاسة الأسلوب، ونصاعة البيان، وثراء اللغة، ودقة التعبير، وتحديد الأسماء، والتمييز بين الأوصاف والعبارات، وقد تضمن المؤلَّف تراجم للأعلام البارزين في العدوة الأندلسية خلال العهد الأموي وحتى نهاية الموحدين، لكن ما ميّز نقوله عن ابن حيان هو الاختصار الشديد فيها.

وقد أفادنا هذا الكتاب في تكملة النصوص الحيانية التي أوردها موجزة، والتي جاءت كإضافة لما ورد في النصوص الأصلية الكاملة التي جمعناها من بقية المصادر.

13- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذاري المراكشي (كان بقيد الحياة عام 712هـ/1312م): يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي لا يمكن أن يستغني عنه أي دارس لتاريخ المغرب والأندلس، حيث تضمن معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة، اقتبس أغلبها من مصادر مفقودة مثل كتاب الرقيق القيرواني والوراق وابن حيان وغيرهم مما جعله ينفرد بأخبار قيّمة لم ترد في مصادر أخرى.

الكتاب عبارة عن تاريخ عام للمغرب الإسلامي من الفتح إلى بداية عصر بني مرين بالمغرب الأقصى، ويتألف من ثلاثة أجزاء: تناول المؤلف في الجزء الأول منها تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري، أما الجزء الثاني فتناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الرابع الهجري أي إلى آخر ملوك الطوائف، وخصص الجزء الثالث لتاريخ المرابطين والموحدين.

وقد اعتمدنا على الجزء الثاني الخاص بتاريخ الأندلس، وكما سبق القول فإن المؤلف اعتمد على مؤلفات أصلية ضائعة منها كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي- موضوع دراستنا- حيث حفظ لنا هذا المؤلف العديد من نصوص ابن حيان، ولم ترد عند غيره، وبالخصوص فترة حجابة المظفر عبد الملك وأخيه عبد الرحمن شنجول؛ فأفادنا كثيرا في جمع النصوص الحيانية منه، وما يعاب عليه هو عدم التفريق بين النصوص المقتبسة وما يضيفه إليها من تحاليل وتعليقات، أو اقتباسات من مؤلفين آخرين.

14- مفاخر البربر: لأبي عبيد الله صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (كان بقيد الحياة سنة 712هـ/1312م).

سعى المؤلف من خلال كتابه إلى إبراز الصورة الحقيقية للبربر، بحيث أن المؤرخين الأندلسيين في نظره قاموا بتشويهها، وأورد أيضا معلومات انفرد بها عن باقي المصادر استمدها من الكتب الضائعة التي أثبت في كتابه شذرات منها، مثل "المقباس في أخبار الأندلس والمغرب وفاس" لمؤلفه عبد الملك بن موسى الورّاق، و"المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس" لابن حمادة السبتي، و"أنساب البربر وملوكهم" لمؤلفه عبد الله بن أبي المجد المغيلي، وكتاب "تاريخ إفريقية" لخالد بن

خراج، أو يستمدها من تحرياته الخاصة، ويدلنا على ذلك الإضافات الكثيرة التي يثري بها ما يقتبسه من مؤلفات الكتّاب السابقين له كابن حيان وابن حزم وابن بسام الشنتريني وغيرهم.

يعتبر كتاب "مفاخر البربر" وثيقة تاريخية في غاية الأهمية، وتخصّ بلاد المغرب الإسلامي، ويركز المؤلف في كتابه على أنساب البربر؛ فيورد أسماء أغلب القبائل البربرية، كما يذكر أبرز البيوتات البربرية بالعدوة الأندلسية، ويُفرد فصلا مطولا لذكر علمائهم حيث يترجم لاثنين وسبعين عالما من أصول بربرية، كما يتحدث فيه عن الثوار والرؤساء البربر الذين ثاروا بالعدوتين المغربية والأندلسية، أو ملكوا بهما خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الرابع والثامن الهجريين (العاشر والرابع عشر الميلاديين)، إضافة إلى فصول هامة عن الصراع الذي دار بين الأمويين والفاطميين ببلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وبخاصة على عهد الحكم المستنصر بالله والمنصور بن أبي عامر.

وقد أفادنا هذا الكتاب خلال جمع المادة الحيانية؛ حيث أورد لنا نصوصا بالغة الأهمية اقتبسها عن ابن حيان كذكره لأخبار المنصور ابن أبي عامر مع البربر.

15- الروض المعطار في خبر الأقطار: لأبي عبد المنعم الحميري (ت سنة 750هـ/1349م)

يعتبر كتاب الروض المعطار من أحسن الكتب الجغرافية التي ألفها المغاربة، حيث تطرق فيه مؤلفه لجميع المواضع الجغرافية الهامة التي توجد بالعدوتين المغربية والأندلسية، والتي يرد ذكرها في كتب المؤلفين الأندلسيين إضافة لإيراده لجملة من الأخبار التاريخية المتعلقة بهذه المدن، وبالتالي يمكن اعتباره كتابا تاريخيا جغرافيا في نفس الوقت.

أوضح الحميري في مؤلفه هذا المدن والقرى وما إليها في قارات الدنيا المعروفة في عصره، ووصفها على الترتيب الأبجدي؛ وبناء على ما ورد في مقدمته؛ فإنّ الكتاب قد اشتمل على فنّين هما: ذكر الأقطار والجهات والوقائع التاريخية التي تتصل بها، وقد حرص المؤلف في عرضه على الاختصار، ولذلك قام بحذف ذكر المسافات والمسالك.

أفادنا هذا المصدر في تعريف جملة من الأعلام الجغرافية التي وردت ضمن التحقيق.

16- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م).

ألف ابن الخطيب كتابه هذا بمناسبة بيعة سلطان مريني (أبو زيان محمد السعيد بن عيد العزيز) لم يبلغ الحلم، وأراد من خلال تأليفه التقرّب من العائلة المالكة، غير أنه تجاوز موضوعه للتأريخ لمن لم يبلغوا الحلم من سلاطين الإسلام، وأرخ للدول الإسلامية بالمشرق والمغرب،وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام: تناول في الأول بالدراسة تاريخ المشرق الإسلامي من عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى عصر دولة المماليك بمصر، وخصص القسم الثاني لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر المؤلف، وقد أضاف إليه مختصرا لتاريخ ممالك إسبانيا المسيحية مثل قشتالة وأراغون والبرتغال، وهو بهذا يعتبر أول تاريخ شامل لشبه جزيرة إيبيريا، أما القسم الثالث فتطرق فيه لتاريخ بلاد المغرب من برقة شرقا إلى البحر المحيط غربا حتى بداية عصر الموحدين.

ويعتبر هذا الكتاب من أحسن ما ألف في تاريخ بلاد الأندلس والمغرب، ولا يمكن الاستغناء عنه لكل من أراد دراسة تاريخ العدوتين الأندلسية والمغربية، وقد استفدت من هذا المصدر كثيرا كونه حفظ لنا نصوصا عديدة من مؤلفات ابن حيان، ومنها تاريخ الدولة العامرية، من ذلك على سبيل المثال انفراده بذكر قائمة الشهود الحاضرين لبيعة هشام المؤيد بالله، كما أنه المؤرخ الوحيد الذي ذكر العنوان الكامل لكتاب "أخبار الدولة العامرية".

17- تاريخ الأندلس: لمؤلف مجهول (عاش في نهاية القرن التاسع/15م)

يكتسي هذا الكتابة أهمية كبيرة، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ الأندلس الاستغناء عنه نظرا لما يحتويه من أخبار هامة ومعلومات قيّمة، حيث اعتمد مؤلفه على مصادر ضاعت، وهو بذلك حفظها لنا.

قسّم المؤلف كتابه إلى قسمين بارزين: تناول في الأول منهما وصف بلاد الأندلس واعتنى فيه عناية خاصة بالحديث عن جغرافية الأندلس ومدنها، وخصّص القسم الثاني من كتابه لتاريخ الأندلس من عهد الطوفان إلى سنة اثنين وعشرين وسبعمائة (1322م)، أي إلى وفاة محمد المخلوع، وهو الأمير محمد بن محمد ين يوسف بن نصر، وأفادنا هذا الكتاب من خلال النصوص التي اقتبسها من ابن حيان، ومنها الغزوات التي قادها المنصور، والتي ينفرد المؤلف بإيرادها كلها.

18- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد بن العباس بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد الشهير بالمقري التلمساني (ت سنة 1041هـ/1631م).

يعتبر الكتاب موسوعة للحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية بالأندلس من الفتح إلى سقوط آخر قلعة إسلامية بأيدي الإسبان سنة 897هـ/1492م، مع التفصيل في حياة وسيرة الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب الذي ألف موسوعته هذه من أجله لإعجابه الشديد به، بالإضافة لشغفه الكبير بالأندلس، وقسّم المقري كتابه إلى قسمين:

خصّص الأول لبلاد الأندلس، وفيه ثمانية أبواب: منها وصف جزيرة الأندلس وذكر قرطبة والتعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق، وذكر الوافدين على الأندلس من المشرق، أما القسم الثاني فأفرده لسيرة لسان الدين ابن الخطيب، واحتوى أيضا على ثمانية أبواب، تطرّق فيها لذكر أوليته وأسلافه ونشأته وترقيه ووزارته وذكر مشايخه ومخاطبة الملوك والأكابر لحضرته، وأورد جملة من نثره وذكر مصنفاته وبعض تلامذته وأولاده، وبذلك فقد صور لنا هذا المؤلف الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية للأندلس معتمدا في ذلك على أمهات المصادر وعلى رأسها الأندلسية، وبخاصة الضائعة منها، وبهذا فقد حفظها من الضياع، ومنها كتاب "أخبار الدولة العامرية" الذي اقتبس منه العديد من النصوص وانفرد بها عن غيره، وقد أفادنا هذا المصدر في جمع شذرات النصوص الحيانية الخاصة بالدولة العامرية، ولكن المقري على غرار ابن عذاري كان في الغالب لا يميز بين مختلف نقوله مما يصعب مهمة الباحث في إثبات أصحاب النصوص المقتبسة.

إضافة إلى المصادر سالفة الذكر، استعنا بعدد من الدراسات الحديثة التي اعتمدنا عليها في مقدمة الدراسة، كان أهمها على الإطلاق دراسة الأستاذ محمود علي مكي القيِّمة في سياق تحقيقه لكتاب "المقتبس" لابن حيان، حيث استعرض نشأة وشيوخ ابن حيان، وقيمة مؤلفاته التاريخية ومنهجه في كتابة التاريخ، كما اعتمدنا على العدد الخاص من مجلة "المناهل" الذي تضمّن أعمال الندوة العلمية الدولية التي عقدت بالرباط عام 1981م حول ابن حيان وآثاره التاريخية، وكتاب حامل لواء التاريخ في الأندلس ابن حيان القرطبي لأنور محمود زناتي الذي أوضح فيه كيفية تبوء

ابن حيان مكانة لائقة ومميزة بين مؤرخي عصره، وكيف أجمع الدارسون على اعتباره حامل لواء التاريخ في الأندلس.

كما اعتمدنا على بعض المقالات التي أنجزها الباحثون الإسبان، ومنها:

مقالة بعنوان "**بيعة هشام الثاني سنة 976م**"(Proclamacion (Bay'a) de Hisam II Ano 976 d.c) للباحثة ماريا لويزا آبيلا نبارو(Maria Luisa Avila Navarro)، وسلطت فيها الضوء على الشهود الذين حضروا البيعة، ونبهت على الأخطاء الواردة في القائمة التي أوردها ابن الخطيب في كتاب أعلام الأعلام نقلا عن ابن حيان

ومقالتين حول غزوات المنصور بن أبي عامر:

أولاهما بعنوان "**حول الحملات العسكرية للمنصور**"(Acerca de las Campanas Militares de Almanzor) للباحث لويس سيكو دي لوثينيا باريديس (Luis Seco de Lucena Paredes)، وتناول بالدراسة والتحليل غزوات المنصور، وركز على المواقع الجغرافية وتحديدها

ومقالة الباحث لويس إيميليو مولينا (Luis Emilio Molina) بعنوان "**حملات المنصور على ضوء نص جديد**"(Las Campanas de Al-Manzor a la luz de un nuevo texto)، وسلط فيها الضوء على طوبونيميا (أسماء) مواقع غزوات المنصور.

الصعوبات: واجهتنا مجموعة من الصعوبات خلال عملية جمع كتاب "أخبار الدولة العامرية" منها:

1- صعوبة التمييز بين كلام ابن حيان القرطبي من غيره في العديد من النصوص، وصعوبة تحديد نهاياتها في بعض المصادر، ومنها كتاب البيان المغرب لابن عذاري الذي كان ينقل عن ابن حيان دون الإشارة إلى مصدر اقتباسه في البداية وفي أغلب النقول لا يذكر نهاية النص المقتبس عن ابن حيان، ومن هنا فقد تحرّينا الدقة قدر المستطاع في التعامل معها؛ فبعضها تأكدنا أنها لابن حيان من خلال ورودها في مصادر أخرى ذكرت نقلها عنه.

2- عدم ذكر بعض المؤرخين نقلهم عن ابن حيان في بداية النص، بل في وسطه أو نهايته، وهذا ما يستدعي قراءة كل النصوص الخاصة بفترة الدولة العامرية من المصادر بغية العثور على اقتباسات جديدة، وهذا ما أخذ منّا حيزا كبيرا من الوقت.

3- صعوبة المقارنة بين النصوص الحيانية وما ورد عند المؤرخين الذين أرخوا نفس الفترة الزمنية، حيث أن مادة ابن حيان في كتاب "أخبار الدولة العامرية" كانت المصدر التاريخي الوحيد تقريبا، وكل من جاء بعده أخذ عنه.

مقدمة التحقيق

مقدمة التحقيق: فتح المسلمون بلاد الأندلس سنة 92هـ/711م، وبقوا فيها إلى أن أُخرجوا منها سنة 897هـ/1492م، وعاشت الأندلس خلال وجودهم تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية خلّدها المؤرخون من خلال تدوين مؤلفات رصدوا فيها كل الأحداث التي عاشتها العدوة الأندلسية خلال أزيد من ثمانية قرون، ومن أولئك الذين ساهموا في ذلك المجهود ابن حيان القرطبي الأندلسي الذي تبوأ المكانة الأولى بين مؤرخي الأندلس؛ ويؤكد ذلك ما دوّنه من تراث تاريخي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي عامة وتاريخ الأندلس بصفة خاصة، وهو بلا شك- كما يؤكد محمود علي مَكي-: "أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، بل والغرب كله: الإسلامي والمسيحى منه على السواء"[1]، وقد سبقه في ذلك المؤرخ ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) في مقدمته حيث قال إنه: "قَيَّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره؛ كما فعل ابن حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها"[2].

كما أشاد الكثير من المؤرخين المسلمين منهم والمستشرقين بصدق الرواية عند ابن حَيَّان، ومنهم على سبيل المثال من المسلمين: أحمد مختار العبادي الذي قال متحدثا عنه: "ويعتبر من أعظم مؤرخي إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط"[3]، ومن المستشرقين الهولندي رينهارت دوزي (Reinhart Dozy) (ت 1883م) الذي قال عنه: "ولا أتردد في القول أن كتبه لو بقيت لألقت على تاريخ الأندلس الغامضة ضياءً باهرًا، وصوّرته لنا أحسن تصوير"[4]؛ فمن هو ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس وعمدتهم؟

أولا: ابن حيان: حياته وأثاره العلمية:

1- التعريف بابن حيان: نسبه ومولده:

1- أبو مروان حيان بن أبي القاسم خلف بن حسين بن مروان بن حيان القرطبي- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ/1973م- مقدمة التحقيق- ص7.

2- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون- مقدمة ابن خلدون- ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني- دار الكتاب العربي- بيروت- 1425هـ/2004م- ص11.

3- أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- د.ت- ص319.

4- آنخل جنثالث بالنثيا- تاريخ الفكر الأندلسي- نقله عن الإسبانية حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط2- 1429هـ/2008م- ص248.

1- 1- نسبه: هو الإمام، المحدث، المؤرخ، النحوي، صاحب التصانيف، أبو مروان حيان بن أبي القاسم خلف بن حسين [بن مروان][1] بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان القرطبي الأندلسي الإخباري الأديب، شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس ومُسندها، الشهير بابن حيان، صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها، ويؤكد هذا النسب ابن بشكوال حيث يقول: "كذا قرأت نسبه وولاءه بخطّه"[2].

وهو ابن أسرة عُرفت بقربها من السلطة؛ فقد كان جده الكبير حيان مولى للأمير عبد الرحمن الداخل بن معاوية(138- 172هـ/756- 788م)[3] بن هشام بن عبد الملك بن مروان مؤسس الدولة الأموية في الأندلس صقر قريش"[4]، وكان أبوه خلف بن حيان كاتبًا لشؤون المال والإدارة لدى المنصور بن أبي عامر حاكم الأندلس(372- 392هـ/982- 1002م)[5]، وتوطدت علاقة الوالد

1- زيادة وردت عند ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1 1429هـ- 2008م- المجلد الثالث- ج1 ص203.

2- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود بن بشكوال الأنصاري- الصلة- ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1 1429هـ/2008م- المجلد الأول- ج1 ص137/ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- م3 ج1 ص203/أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- حقق أصوله وكتب هوامشه يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 1433هـ/2012م- م2 ص187/صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي- الوافي بالوفيات- دار الفكر- بيروت- ط1- 1425-1426هـ/2005م- ج9 ص210/شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- سير أعلام النبلاء- تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط1- 1417هـ/1997م- ج13 ص647.

3- عبد الرحمن بن معاوية: هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مؤسس الإمارة الأموية في الأندلس، والملقب بصقر قريش، بويع له سنة 138هـ/756م، وتوفي في ربيع الآخر سنة 172هـ/788م، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1427هـ/2006م- ج1 ص15-16/أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2005م- ص22-23/أبو عبد الله الحميدي- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1425هـ/2004م- ص23.

4- ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- م3- ج1 ص137.

5- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار القضاعي - إعتاب الكتاب- تحقيق صلاح الأشتر- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- 1380هـ/1961م- ص198.

بالمنصور فلازمه في غدواته وغزواته إلى الممالك النصرانية في الشمال، والذي يؤسف له أن المصادر لا تعطينا تفاصيل أكثر عن أولية أسرته، ولم تخصص له كتب التراجم تفاصيل أكبر رغم مكانته كأعظم مؤرخ للأندلس التي أشار إليها الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، وقد يكون سبب صمت المصادر عن ذكر أجداده كونهم من صغار العاملين في ظل الدولة الأموية بالأندلس (138-422هـ/756- 1031م).

1- 2- مولده ونشأته: ولد أبو مروان ابن حيان بمدينة قرطبة حاضرة الأندلس سنة 377هـ/987م، وتوفي سنة 469هـ/1076م، وبذلك فإنه عايش في مطلع شبابه وحدة الأندلس ومنعتها على عهد الدولة العامرية(372- 399هـ/982- 1008م)، ثم شهد قيام الفتنة الأندلسية التي شهدتها الأندلس عامة ومدينة قرطبة خاصة، والتي أعقبها الإعلان الرسمي عن نهاية الخلافة الأموية في العدوة الأندلسية (399- 422هـ/1008- 1031م)، وعلى إثر ذلك انقسمت الأندلس إلى أكثر من ثلاث وعشرين دويلة متحاربة فيما بينها، ومتحالفة مع ملوك النصارى عُرفت بدول ملوك الطوائف في الأندلس(422- 483هـ/1031- 1090م).

لم تذكر المصادر أن له أخا، وبهذا فقد كان وحيد والديه، وهو الأمر الذي جعل والده خلف يخصص له كل اهتمامه، ويوفر له منذ صباه أحسن المؤدبين، وكان حيان بطبيعته غلاما لماحا متوقد الذكاء[1]، والجدير بالذكر أن أبا مروان لم تكن تستهويه رحلات العلم، حيث لم يرحل كما فعل الكثير من أقرانه إلى أي بلاد من المشرق، والذي يؤكد ذلك أن المصادر التي ترجمت له لم تذكر له أي رحلة قام بها، ولا يعرف سبب امتناعه عن ذلك غير أنه يمكن أن يرجع سبب ذلك لميله للعلوم اللغوية والأدبية، والتي أغنته قرطبة عن قصد غيرها للنهل منها، بخاصة وأن حاضرة الأندلس كانت مقصدا للعلماء وطلبة العلم من كل أنحاء الأندلس، ومن بلاد المغرب والمشرق على حد سواء.

لم يغادر ابن حيان مدينة قرطبة أبدا أيام الفتنة إلى أي مدينة من قواعد ملوك الطوائف، ولا لأي بلد عكس العديد من العلماء الذين ترجم لهم ابن حيان نفسه، والذين لقوا مصرعهم فيها كما حدث لشيخه الذي وجد مقتولا في بيته سنة 403هـ/1012م، أو خرجوا من قرطبة وغيرها من المدن

1- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص19.

القريبة منها[1]، وقصدوا مدنا آمنة في الأندلس مثل الشاعر ابن درّاج القسطلي الذي عاصر فتنة القرن الخامس (الحادي عشر الميلادي)، وقد اضطرّه ذلك الوضع المتردّي إلى الارتحال عن قرطبة، ويعبر عن ذلك ابن حيان فيقول: "وكان ممّن طوّحت به تلك الفتنة الشنعاء واضْطرّته إلى النَّجْعة؛ فاسْتَقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيرة الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى، يهز كلا بمديحه ويستعينهم على نكبته"[2]، وانتهى به الترحال إلى سرقسطة؛ حيث أكرمه وآواه أميرها المنذر بن يحيى؛ فبقي عنده حتى توفي سنة 421هـ/1030م[3].

أو توجهوا إلى بلاد المغرب والمشرق مثل أبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللّغوي الذي أختار الهجرة إلى خارج الأندلس، حيث قصد عقب قيام الفتنة جزيرة صقلية التي مات بها سنة 417هـ/1026م[4].

أما ابن حيان القرطبي فقد ظلت مدينة قرطبة وطنه الذي لم يكف عن الاعتزاز به حتى النهاية، ولكن الفتنة لم تمنعه من تسجيل مشاهداته بقوة الدقة والملاحظة، والتعرض لكل تفاصيلها[5].

وبعد إعلان زوال الخلافة الأموية (422هـ/1031) كان سنه خمسا وأربعين سنة[6]، وقد اختار المقام في قرطبة في ظل الجهاورة[7]، ولعل هؤلاء كانوا أقل أمراء الطوائف سوءًا، وقد نالت عاصمة الخلافة القديمة على أيديهم من الاستقرار والأمن وصلاح الأحوال ما لم تنله أي إمارة أخرى من إمارات الطوائف[8]، وبهذا كانت خير بيئة يستطيع أن يلجأ إليها ابن حيان لتسجيل أحداث عصره.

1- نفسه- ص31.

2- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م- ق1 م1 ص60- 61.

3- أحمد أمين- ظهر الإسلام- دار الكتاب العربي- بيروت- د.ت- ص 130- 131.

4- ابن بشكوال- المصدر السابق - ج1 ص232- 233/الحميدي- المصدر السابق - ص214.

5- ابن حيان- المصدر نفسه- ص34.

6- نفسه- ص39.

7- الجهاورة: نسبة إلى جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة أبو الحزم الوزير، وهو الذي صار إليه تدبير قرطبة بعد خلع هشام بن محمد المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية في الأندلس، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر الحميدي- المصدر السابق- ص37-38/الضبي- المصدر السابق - صص36-38.

8- ابن حيان- المصدر نفسه- ص41.

تزوج عميد مؤرخي الأندلس، وولد له ولد سمّاه عمر، وكان من الذين رووا عنه، وقتل من طرف المأمون الفتح بن محمد بن عباد بالمدور سنة 474هـ/1081م[1].

2- **تكوينه العلمي:** حصل ابن حيان على نصيب وافر من المعارف في العلوم القرآنية واللغوية والأدبية، إذ كانت حاضرته قرطبة حافلة بمشايخ العلم، غنية بمراكز التلقي، كيف لا وقد اجتمع فيها صفوة العلماء والأدباء الأندلسيين، كما قصدها كبار علماء المغرب والمشرق، وقد أغناه ذلك عن قصد غيرها من حواضر الأندلس لطلب العلم والبحث عن مظانه، ويعود الفضل في ذلك إلى ما جمعه الحكم المستنصر بالله من الكتب ما لم يتوفر في أي مكتبة أخرى في المغرب الإسلامي؛ فمن هم أبرز الشيوخ الذي تلقى أبو مروان ابن حيان العلم عنهم؟ ومن هم أبرز التلاميذ الذين تتلمذوا على يده؟.

3- شيوخه وتلامذته:

3- 1- شيوخه: ذكره الحافظ أبو علي الغساني في شيوخه فقال: "كان عالي السن، قوي المعرفة مُسْتَبحرا في الآداب بارعا فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظما له، لزم الشيخ أبا عمر بن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي البغدادي، ولزم أبا العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، وأخذ عنه كتابه المسمى بالفصوص، وسمع الحديث على أبي حفص عمر بن حسين بن نابل وغيره"[2]؛ فمن هم أبرز شيوخ ابن حيان؟

- **أبو القاسم خلف بن حسين القرطبي**: هو أبو القاسم خلف بن حسين بن مروان بن حيان، من أهل قرطبة، والد أبي مروان حيان بن خلف صاحب التاريخ، قرأ القرآن على أبي الحسن الأنطاكي مع أبي مروان الجزيري الوزير وطبقته، وحُكي عنه أنه كان حسن الصوت، وكتب خلف هذا للمنصور محمد بن أبي عامر وصحبه في مغازيه، وكان ماهرا في الحساب بصيرا بالمساحة، محمود الطريقة، أخبر عنه ابنه أبو مروان بحكايات، وقال توفي سنة 427هـ/1035م، ودُفن في مقبرة أم

1- ابن بشكوال- المصدر السابق- م2- ج2 ص39.

2- نفسه- م1 ج1 ص137- 138.

سلمة، وصلى عليه القاضي يونس بن عبد الله، وشهده جمع كبير من الناس، وكانت سنه ثمانية وثمانين عاما، وكفّ بصره قبل وفاته بإحدى عشرة سنة لزم فيها بيته[1].

وقد أخذ ابن حيان العلم في بداياته على يد أبيه، واستفاد من وظيفته ليحصل على الأخبار المتعلقة بالتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأندلس، إضافة إلى اطلاعه على مختلف الوثائق الموجودة داخل البلاط العامري وغيره بعده، وكان أبو القاسم خلف المعلم الأول لولده في بدايته، حيث حفظ لنا ابن حيان بواسطة والده أخبارا عديدة، وتمكن من الحصول على العديد من الوثائق التي ساعدته على إثراء مكتبته، وهي وثائق يندر وجودها في مصادر أخرى، وتغطي مساحة مهمة من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأندلس، وقد استعان بالعديد منها بين ثنايا مؤلفاته[2]، وبالخصوص عن الدولة العامرية التي كان والده فيها كاتبا لمؤسسها ومرافقا لحاكمها في غزواته، وهذا ما جعله يكثر في صفحات مؤلفاته عبارة "حدثني أبي خلف بن حسين ..."[3]، "أخبرني والدي..."[4].

- **عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي القرطبي (ت411هـ/ 1020م)**: يكنى أبا حفص، من أهل قرطبة، الفقيه المحدث، سمع من قاسم بن أصبغ البياني وأبي عبد الملك بن أبي دليم ومحمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني وأبي بكر بن معاوية ومن أبيه حسين الذي كان له حظ من حفظ الرأي وعقد الشروط، وكان متصرفا في العربية والغريب والشعر والحديث، وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمري وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن مسعود من شيوخ أبي العباس العذري، وكان شيخا صالحا من بيت علم ودين، وسمع الناس منه كثيرا، قال ابن حيان: وتوفي في الوباء لثمان خلون من ذي القعدة سنة 401هـ/1010م، وكان ثقة صدوقا عفيفا موسرا[5].

1- ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- م3 ج1 ص203- 204.

2 - أنور زناتي- حامل لواء التاريخ في الأندلس ابن حيان القرطبي- مرايا للطباعة والنشر والتوزيع- دبي- 2017م- ص41- 42.

3 - ابن بسام- المصدر السابق - ج4 ص39.

4 - نفسه- ج4 ص47.

5- ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص33/الحميدي- المصدر السابق- ص292/الضبي- المصدر السابق- ص376/ ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص114.

ويذكر القاضي عياض أنه كان "مُسندا صدوقا، ثقة عفيفا، فاضلا ورعا، واشتهر بالحفظ الجيد، وقال ابن عفيف: كان ممن أنجب في العلم وتفقه، وشُهر بالحفظ الجيد، وقُدِّم إلى الشورى أيام القاضي ابن ذكوان، وقال ابن حيان: كان فقيها فاضلا خيرا ورعا، مُقتديًا بالسلف، وقلّده هشام المؤيد خطة الردّ بقرطبة"[1].

- **أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج المعروف بابن أبي الحباب القرطبي النحوي:** المتوفى سنة 400هـ/1009م)، من أهل قرطبة ونسبه في مصمودة من البرابرة[2]، روى عن أبي علي القالي البغدادي[3] المتوفى سنة 356هـ/966م، وأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي المتوفى بصقلية سنة 417هـ/1026م، وتتلمذ على يد شيخ محدثي الثغر ابن القاسم الثغري[4] المتوفى سنة 383هـ/993م قاضي قلعة أيوب، وعلى يد العالم أبي علي القالي، وكان ابن أبي الحباب أخصّ أصحاب القالي، وأكثرهم أخذا عنه.

روى عنه القاضي أبو عمر بن الحذاء[5] المتوفى سنة 416هـ/1025م، وقال: كان من جلة شيوخ الأدب، عالما باللغة والأخبار، حافظا ضابطا لها، صحيح الرواية، جيد الضبط لكتبه، وكان فيه

1- أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض المعروف بالقاضي عياض- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- ضبطه وصحّحه محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1418هـ/1998م- ج2 ص299-300.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص23.

3- هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عبدون- عيذون عند ابن خلكان والسيوطي- بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من أهل قالي قلا. لمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص76-77/ابن خلكان- المصدر السابق- م1 ص228-229/الضبي- المصدر السابق- صص211-214/الحميدي- المصدر السابق- صص163-166/جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط1-1426هـ/2005م- ج1 ص436-437.

4- ابن القاسم الثغري: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري؛ من أهل قلعة أيوب، رحل إلى المشرق سنة 350هـ/961م، ثم عاد إلى الأندلس؛ فاستقضاه الحكم المستنصر بالله بموضعه، ثم استعفاه فأعفاه، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 صص224-226/الحميدي- المصدر نفسه- ص310-311/الضبي- المصدر نفسه- ص244.

5- ابن الحذاء: العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي القرطبي المالكي، روى عن أحمد بن ثابت التغلبي وأبي عيسى الليثي وابن القوطية وابن عون الله، وحج سنة 372هـ/982م؛ فسمع

صلاح وخير، وكان ينسب إلى غفلة إلا أنه كان ثقة ضابطا، عهد إليه المنصور ابن أبي عامر بتأديب ابنه عبد الملك المظفر (392- 399هـ/1002- 1008م)، وتوفي ليلة الجمعة من سنة 400هـ/1009م، قال ابن حيان: ودفن في مقبرة الرصافة، وصلى عليه القاضي أحمد بن ذكوان، وقد قارب التسعين سنة[1].

- **صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي:** العالم اللغوي، قدم من المشرق إلى الأندلس في أيام هشام المؤيد بالله (366- 403هـ/976- 1012م)، وحاجبه المنصور سنة 380هـ/990م، وأصله من ديار الموصل، وانتظم في خدمة المنصور وأصبح من ندمائه ومادحيه، ثم بقي في خدمة ابنه عبد الملك المظفر حتى وقعت الفتنة[2]، وكان عالما باللغة والآداب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة وفكه المجالسة، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان والإفضال عليه[3].

وذكر ابن بشكوال نقلا عن ابن حيان أن أبا العلاء جمع للمنصور محمد ابن أبي عامر كتابا سماه "الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار"، وكان قد بدأ في تأليفه في ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة(995م)، وأكمله في شهر رمضان من العام نفسه، وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم، وأمره أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، واحتشد له من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة"[4]، إلا أن ابن خلكان ذكر أن أبا العلاء كان يتهم بالكذب في نقله، ولهذا رفض الناس كتابه، ولما تأكد المنصور صحّة كذبه في النقل وعدم

من محمد بن علي الأدفوي، وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري وعدة، وكان بصيرا بالفقه والحديث، وصحب أبا محمد الأصيلي. قال ولده أبو عمر أحمد بن الحذاء: كان لأبي علم بالحديث والفقه والتعبير، صنف كتاب "الإنباه عن أسماء الله"، وكتاب "الرؤيا"، وكتاب "سير الخطباء"، وكتاب "التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء والرجال"، ولي القضاء، ثم سار إلى سرقسطة، وبها مات في رمضان سنة 416هـ/1025م. ابن بشكوال- المصدر السابق- ج2 ص127-128/الضبي- المصدر السابق- ص137.

1- ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص19-20/الحميدي- المصدر السابق - ص123.

2- ابن حيان- المصدر السابق – مقدمة التحقيق- ص23.

3- ابن بشكوال- المصدر نفسه- ج1 ص210.

4- المصدر نفسه- ج1 ص210/ابن خلكان- المصدر السابق- م2 ص402.

تثبته، قام برمي كتابه "الفصوص" في النهر، لأنه قيل له أن جميع ما فيه لا صحة له"[1]، وتوفي صاعد بصقلية في سنة 417ھ/1026م[2].

قال ابن خير الإشبيلي متحدثا عن كتاب الفصوص في اللغات والأخبار: "حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب قال: أخبرني به الشيخ المؤرخ صاحب الشرطة أبو مروان حيان بن خلف بن حيان... عن أبي العلاء صاعد"[3].

- **أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي(ت 403ھ/1012م):** من أهل قرطبة، كان حافظا متقنا عالما ذا حظ وافر من الأدب، رحل إلى المشرق سنة 382ھ/992م؛ فحج وأخذ عن شيوخ عدة؛ فتوسع جدا وكان جمّاعا للكتب، جمع منها أكثر مما جمعه أحد من عظماء البلد، وتقلد قراءة الكتب بعهد العامرية، ثم رجع إلى قرطبة؛ فجمع علما كثيرا في فنون العلم، وألف كتابه "تاريخ علماء الأندلس"، وبلغ فيه النهاية والغاية من الاحتواء والإتقان[4].

ذكر ابن بشكوال أن ابن الفرضي كان ممن قتل يوم قرطبة سنة 403ھـ/1012م، وأنه لم ير مثله من سعة الرواية وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع...، قل ما كان يلحن في جميع كلامه من غير حواشيه مع حضور الشاهد والمثل[5].

قال ابن خاقان: كان حافظا عالما كلفا بالرواية، رحل في طلبها وتبحر في المعارف مع حظ من الأدب كثير، واختصاص بنظم منه ونثير[6].

- **أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد خالد بن خالد بن يزيد البسري الأزدي المصري**: المحدّث النسابة، حدث عنه أبو عمر ابن الحذاء وقال: كان رجلا أديبا، حافظا للحديث وأسماء

1- المصدر السابق- م2 ص403.

2- نفسه- م2 ص403/الحميدي- المصدر السابق- ص311- 312.

3- أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي- فهرسة ابن خير الإشبيلي- وضع حواشيه محمد فؤاد منصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419ھ/1998م- ص293.

4- ابن بشكوال- المصدر السابق- م1- ج1 ص224- 225/الحميدي- المصدر السابق- ص244- 246/الضبي- المصدر السابق- ص311- 312.

5- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1- ج1 ص 223-224.

6- الفتح بن محمد ابن خاقان- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس- دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة- دار عمار- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط1- 1403ھ/1983م- ص284.

الرجال والأخبار، وله أشعار حسان في كل فن، وذكره الخولاني فقال: لقيته وكان أديبا نبيلا ذكيا شاعرا مطبوعا، قدم إلى الأندلس من مصر سنة 394هـ/1004م، وسكن قرطبة إلى أن وقعت الفتنة فخرج عن الأندلس، قال ابن حيان: وتوفي بمصر سنة 410هـ/ 1020م[1].

والمرجح أن أخذ ابن حيان عن جميع هؤلاء الشيوخ ينبغي أن يكون قد تمّ في فترة مبكرة من حياته، أي في نحو العشرين سنة من عمره أو دون ذلك؛ فجميعهم توفوا ما بين سنتي 400هـ و403هـ/1009- 1012م، أو أخرجوا من قرطبة ولم يعودوا إليها عودة استقرار.

هؤلاء هم أبرز الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو مروان ابن حيان، والأكيد أن عددهم كان أكبر لأن مدينة قرطبة كانت تعج بالعلماء باعتبارها الحاضرة العلمية في العدوة الأندلسية بفضل الجهود التي بذلها خلفاء بني أمية خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وبخاصة الحكم المستنصر بالله الذي أنشأ فيها مكتبة عامرة جمع فيها أمهات الكتب من مختلف أصقاع العالم الإسلامي؛ كما أنه جلب إليها أكبر علماء المسلمين؛ وعلى رأسهم أبو علي القالي البغدادي الذي بث علمه في الأندلس.

ومن خلال تتبع سير شيوخ ابن حيان يمكننا تفسير اتجاهه لدراسة التاريخ وكتابته، ويعود ذلك حسب رأينا إلى الدور الرائد الذي قام به والده باعتباره كاتبا ومرافقا للمنصور بن أبي عامر في السلم والحرب، وبالتالي كان المُزَوِّد له بكل الأخبار المتعلقة بتاريخ الأندلس فضلا على تمكينه من الاطلاع على الوثائق الموجودة في خزائن الدولة العامرية التي عاش في كنفها، والذي نقل عنه الكثير من أخبار الدولة العامرية.

كما أن بقية الشيوخ- كل حسب اختصاصه- قد أثروا في شخصية ابن حيان، لذلك نجده يجمع في كتاباته بين التاريخ السياسي والعسكري، والتأريخ للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما أن تاريخه احتوى على الكثير من تراجم الأعلام الذين عاصرهم، وأورد لهم الكثير من نثرهم وشعرهم.

1- ابن بشكوال- المصدر السابق -م1- ج1 ص306-307.

3-2- تلاميذه:

- **أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن**: يكنى أبا محمد، من أهل قرطبة، هو آخر الشيوخ الجلّة بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية، روى عن أبيه وسمع منه معظم ما عنده، وهو كان المُمسك لكتب أبيه للقارئين عليه؛ فكثرت لذلك روايته عنه، وأجاز له جماعة من الشيوخ المتقدمين...، وأجاز له أبو مروان بن حيان المؤرخ كتاب الفصوص لصاعد عن مؤلفه صاعد، وكتب بخطه علما كثيرا في غير ما نوع من العلم، وجمع كتابا حافلا في الزهد والرقائق سمّاه "شفاء الصدور"، سمع الناس منه كثيرا، وكانت الرحلة في وقته إليه، ومدار أصحاب الحديث عليه لثقته وجلالته وعلو إسناده وصحة كتبه، وكثر أخذ الناس عنه وانتفاعهم به، توفي يوم السبت الرابع من جمادى الأولى من سنة 520هـ/1126م[1].

- **عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري**: أبو عبيد، من أهل شلطيش[2] وسكن قرطبة، روى عن أبي مروان بن حيان؛ وأبي بكر المصحفي؛ وأبي العباس العذري؛ سمع منه بالمرية، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيره، وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، مُتقِنا لما قيّده، ضابطا لما كتبه، جميل الكتب، وجمع كتابا في أعلام نبوة نبينا عليه السلام، أخذه عنه الناس؛ إلى غير ذلك من تآليفه، وتوفي في شوال سنة 487هـ/1094م[3].

- **أبو الوليد مالك بن عبد الله السهلي**: هو مالك بن عبد الله العتبي السهلي نسبة إلى سهلة المدور، من أهل قرطبة، روى عن القاضي سراج بن عبد الله؛ وأبي مروان الطبني؛ وأبي مروان بن حيان وغيرهم، كان من أهل المعرفة بالآداب واللغات والعربية ومعاني الشعر، مع حضور الشاهد والمثل مقدما في ذلك على جميع أصحابه، ثقة فيما رواه، ضابطا لما كتبه؛ حسن الخط جيد الضبط

1- ابن بشكوال- المصدر السابق - م1 ج1 ص302-303/الضبي- المصدر السابق - ص331/ابن خير- المصدر السابق - ص293.

2- شلطيش: بالأندلس بالقرب من لبلة، وهي جزيرة لا سور لها ولا حظيرة إنما هي بنيان متصل بعضه ببعض، وبها دار صناعة الحديد، وطول الجزيرة نحو ميل وأزيد، والمدينة منها في جهة الجنوب، ومنها إلى جزيرة قادس مائة ميل. محمد بن عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- حققه إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- الطبعة الثانية- 1984م- ص343-344/أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشريف الإدريسي- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1414هـ/ 1994م- م2 ص542.

3- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص252.

وكتب بخطه علما كثيرا وأتقنه وجوده أخذ الناس عنه، توفي 507هـ/1113م، من رواة كتاب الألفاظ لابن السكيت عن ابن حيان[1].

- **الحافظ أبو علي الغساني**(ت 498هـ / 1105م): هو أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجياني، إمام محدث حافظ عالم بالرجال، رئيس المحدثين بقرطبة، روى عن حكم بن محمد الجذامي؛ وأبي عمر بن عبد البر؛ وأبي عبد الله محمد بن عتاب؛ وأبي عمر ابن الحذاء وجماعة غيرهم، سمع منهم وكتب الحديث عنهم، وكان له بصر باللغة والإعراب؛ ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته، ورحل الناس إليه، وعولوا في الرواية عليه، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلتها، وله كتاب "تقييد المهمل وتمييز المشكل"، وهو كتاب مفيد[2].

ويؤكد ابن بشكوال تتلمذه على ابن حيان حيث قال في كتابه: "**ذكره أبو علي الغساني في شيوخه**، وقال: ..."[3]، وفي مكان آخر "قال أبو علي: سمعت أبا مروان بن حيان يقول: "التهنئة بعد ثلاث استخفافٌ بالمودة، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة"، وقال أيضا: "وتوفي ليلة الأحد لثلاث بقين... ومولده سنة 377هـ/987م، ذكر ذلك أبو علي الغساني، ووصفه بالصدق فيما حكاه في تاريخه"[4].

- **عمر بن حيان بن خلف بن حيان**: أبو القاسم، من أهل قرطبة، **روى عن أبيه**؛ وأبي محمد ابن حزم؛ ومحمد بن عتاب؛ وحاتم بن محمد وغيرهم، وكان من أهل النبل والذكاء والحفظ واليقظة والفصاحة الكاملة، قتله المأمون الفتح بن محمد بن عباد بالمدور ومثل به سنة 474هـ/1081م[5].

- **طاهر بن مفوز المعافري الشاطبي**(ت 484هـ/1091م): هو أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري، من أهل شاطبة، فقيه محدث أديب حافظ من أهل بيت جلالة، روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ، وسمع من أبي العباس العذري، وأبي الوليد الباجي، وسمع بقرطبة من أبي

1- ابن بشكوال- المصدر السابق - م2 ج2 ص229- 230/ابن خير الأموي- المصدر السابق - ص296.

2- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 صص128-130/الحميدي- المصدر السابق - ص243-244.

3- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص137.

4- نفسه- م1 ج1 ص138.

5- نفسه- م2 ج2 ص39/الضبي- المصدر السابق - ص377.

القاسم حاتم بن محمد؛ **وأبي مروان بن حيان** وغيرهما، وكان من أهل العلم مقدما في المعرفة والفهم، عني بالحديث العناية الكاملة، وشهر بحفظه وإتقانه، وكان منسوبا إلى فهمه ومعرفته، وكان حسن الخط جيد الضبط، كتب كثيرا، وله شعر حسن[1].

- **أحمد بن سليمان بن خلف الباجي**(493هـ/1099م): هو أبو القاسم أحمد بن سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي، أصله من قرطبة، روى عن أبيه معظم روايته وتآليفه، وخلف أباه في حلقته بعد وفاته، وأخذ عنه أصحاب أبيه بعده، وأخذ بقرطبة عن حاتم بن محمد والعقيلي؛ **وابن حيان**، وكان فاضلا دينا؛ من أفهم الناس وأعلمهم، وله تآليف حسان تدل على حذقه ونبله، ورحل إلى المشرق وحجّ، وتوفي بجدة بعد منصرفه من الحج[2].

- **عبد الله بن محمد بن دري التجيبي**(ت 513هـ/1119م): هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن دري التجيبي المعروف بالركلي، من أهل ركلة من عمل سرقسطة وسكن شاطبة، فقيه فاضل محدث، روى عن أبي الوليد الباجي؛ **وأبي مروان بن حيان**؛ وأبي زيد عبد الرحمن بن سهل بن محمد وغيرهم، وكان من أهل الأدب، سمع منه أصحابنا ووثقوه[3].

- **أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد**(ت 520هـ/1126م): من أهل قرطبة، فقيه أديب محدث، روى عن القاضي سراج بن عبد الله؛ وأبي عمر ابن القطان؛ وأبي عبد الله ابن عتاب؛ وأبي مروان بن مالك؛ وأبي مروان الطبني} **وأبي مروان بن حيان** وغيرهم، وأجاز له أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسي نزيل مصر مع أبيه وأبو عمر بن عبد البر، وكان أديبا نحويا لغويا، كاتبا بليغا، كثير السماع من الشيوخ والاختلاف إليهم والتكرر عليهم، وقد سمع منه جماعة من أصحابنا وبعض شيوخنا، واختلفت إليه كثيرا، وأجاز لي ما رواه غير مرة بخطه[4].

4- عصر ابن حيان السياسي والفكري: وُلد أبو مروان ابن حيان القرطبي سنة 377هـ/987م، وتوفي سنة 469هـ/ 1076م، وعليه فقد عاصر في مطلع شبابه وحدة الأندلس ومنعتها على عهد الدولة العامرية، ثم شهد قيام الفتنة وزوال الخلافة الأموية في قرطبة، ثم عايش عصر ملوك الطوائف في

1- ابن بشكوال المصدر السابق- م1 ج1 ص213/الحميدي- المصدر السابق - ص303.

2- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص64/الحميدي- المصدر نفسه- ص168.

3- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص255-256/الحميدي- المصدر نفسه- ص314.

4- ابن بشكوال - المصدر نفسه- م1 ج1 ص69-70/الحميدي- المصدر نفسه- ص173.

الأندلس، وقد آلمه كثيرًا ما آلت إليه حال الأندلس من تمزق وفرقة بعد أن نعمت بالوحدة والمنعة أيام الخلافة الأموية وضمنها الدولة العامرية، التي يسميها ابن حيان بأيام الجماعة، وفي خضم هذه التطورات المتلاحقة أخذ في تدوين تاريخ العدوة الأندلسية من لدن افتتاحها إلى أواخر الأيام التي عاصرها، ومما لا شك فيه أن جميع هذه الأحداث قد أثرت في خبرته التاريخية، وتركت آثارا واضحة في ثنايا أعماله.

4- 1- الأوضاع السياسية في الأندلس على عهد ابن حيان: بعد وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، خلفه ابنه هشام المؤيد بالله وسنه لم يتجاوز الإثنتي عشرة سنة؛ فسيطر عليه الحاجب المنصور ابن أبي عامر حتى لم يعد للخليفة هشام من الخلافة إلا الاسم، وبذلك انتقل الحكم الفعلي إلى العامريين، أو كما يسميها ابن حيان الدولة العامرية.

كان المنصور محمد بن أبي عامر "آية من آيات الله في الدهاء والمكر والسياسة، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر بن علي الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثم عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه، ثم انفرد بنفسه ينادي صروف الدهر، واستقام له أمره منفردا بسابقة لا يشاركه فيها غيره"[1].

نجح محمد بن أبي عامر بفضل مكره ودهائه في التخلص من كافة خصومه، وأصبح جرّاء ذلك سيد الأندلس بلا منازع، ومن أجل إضفاء نوع من الشرعية على حكمه "رتب الرتب وأظهر هيبة الخلافة، وقمع الشرك، وحضّ المسلمين عامة على الغزو"[2].

ولتنفيذ هذا البرنامج سعى المنصور إلى إيجاد قوة يستند إليها؛ فألغى النظام العسكري السائد بالأندلس، والمرتكز على الإقطاع القبلي، واستبدله بنظام آخر يجعل الجيش كله وحدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادته، ويضم هذا الجيش فرقا متعددة، تتألف كل فرقة من عناصر مختلفة كالعرب والبربر والصقالبة، وكل جندي فيه يتقاضى مرتبا شهريا تدفعه إليه الدولة حسب رتبته،

1- لسان الدين ابن الخطيب السلماني- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1426هـ/2006م- ص77/أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذاري ابن عبد الملك المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س. كولان- إ ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م- ج2 ص286.

2- عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- تحقيق أمين توفيق الطيبي- منشورات عكاظ- الرباط- 1995م- ص58.

وبفضل هذا النظام نجح الحاجب العامري في إزالة العصبية القبلية بين الفرق المختلفة المشكلة لقوة الأندلس العسكرية[1].

اعتمادا على هذا الجيش الذي تشكل عموده الفقري من البربر، غزا محمد بن أبي عامر الممالك المسيحية المتاخمة لحدود المسلمين الشمالية، وكانت له في كل عام غزوتان، وبلغ عددها في نهاية عهده نيفا وخمسين غزوة باشرها كلها بنفسه، ولم ينهزم في واحدة منها طوال حكمه الذي دام خمسا وعشرين سنة[2].

حارب المنصور في جبهات النصارى المتعددة، في قشتالة وليون ونابارة وقطلونيا، وأنزل بهذه البلاد خسائر فادحة، ووصل فيها إلى ما لم يصل إليه أحد من حكام الأندلس السابقين؛ فدانت له جميع بلاد الأندلس شمالها وجنوبها[3].

كان من نتائج هذه الحملات أن اكتسب المنصور شعبية كبيرة، وزادت هيبته وسيطرته في داخل دار الإسلام وخارجها، حيث "ملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس في ما يُجهّزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الروم"[4].

إضافة إلى جهاده ضد نصارى العدوة الأندلسية، اتبع المنصور بن أبي عامر سياسة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر؛ التي كانت تهدف إلى وضع العدوة المغربية تحت السيطرة الأندلسية لتكون خط دفاعها المتقدم في مواجهة الخطر الفاطمي، ونجح الحاجب في ذلك نجاحا

1- رينهارت دوزي- المسلمون في الأندلس- ترجمة حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1994م- ج2 ص114.

2- عبد القادر بوباية- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2011م- ص33-34.

3- أحمد مختار العبادي- في تاريخ المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- 1987م- ص231/أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري-تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- المغرب- 1985- ص123.

4- أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2006م- ص37.

كبيرا لم يبلغه من سبقه من حكام الأندلس، إذ خضعت له البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة جنوبا سنة 369هـ-980م، وإلى ولايتي تلمسان وتاهرت شرقا سنة 381هـ-991م[1].

لم يكتف حاجب هشام المؤيد بالنشاط العسكري فقط، بل كان له نصيب وافر في البناء والتشييد؛ إذ يعود إليه الفضل في بناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم الزاهرة، وبعد الانتهاء من تشييدها "انتقل إليها بأهله وولده وحواشيه"[2]، كما قام بتوسيع المسجد الجامع بقرطبة، إضافة إلى بناء القناطر على نهري الحضرة وإستجة[3].

كانت حياة محمد بن أبي عامر المنصور نشاطا متواصلا دام خمسا وعشرين سنة وأربعا وأربعين يوما[4]؛ قضاها كلها في جهاد النصارى، وفي البناء والتشييد، وقد ختم حياته بغزوة إلى بلاد جليقية سنة 392هـ/1002م، ورغم اشتداد المرض عليه إلاّ أنه استمر في قيادة جنده طيلة أربعة عشر يوما[5]، وكانت وفاته بمدينة سالم في 27 رمضان سنة 392هـ/11 أوت 1002م[6].

سار عبد الملك المظفر على سياسة والده المنصور في مجال الجهاد ضد ممالك النصارى في بلاد الأندلس حيث غزا بلادهم سبع غزوات[7]، وأوغل في أراضي برشلونة وقشتالة حتى أجبر حكّامها على الصلح والمهادنة؛ ولم يلبث هؤلاء الحكّام أن اعترفوا بسلطانه، واحتكموا إليه فيما نشب بينهم من خلاف[8].

1- أحمد مختار العبادي- المرجع السابق- ص234.

2- النويري- المصدر السابق - ص 123.

3- ابن الخطيب- المصدر السابق- القسم الثاني- ص76/أبو العباس أحمد بن محمد المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- دراسة وتحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- ج1 ص408- 409.

4- ابن عذاري- نفس المصدر- ج2 ص301.

5- ابن بسام- المصدر السابق - ق4 م 1 ص73- 74.

6 - E . Lévi- Provençal- Histoire de l'Espagne Musulmane- T.II Le Califat Umaiyade de Cordoue (912- 1031)- G.-P. Maisonneuve, Paris- E.J.Brill, Leiden- 1950- P. 254-255.

7- ابن عذاري- المصدر نفسه- ج3 ص3/ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص87، ويقول النويري: "إنه غزا الروم ثماني غزوات". المصدر السابق- ص125.

8- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص87.

كما واصل خليفة المنصور سياسة أبيه في تعمير البلاد التي يتم استرجاعها من العدو المتاخمة حدوده لأراضي المسلمين، ويؤكد ذلك ابن عذاري حين يقول: "وعهد الحاجب المظفر وقت الفتح إلى المسلمين ألاّ يحرقوا منزلا ولا يهدموا بناء لما ذهب إليه من إسكان المسلمين فيه"[1]، ولتأكيد نيته في ذلك الأمر "شرع للوقت في إصلاحه- أي الحصن الذي تم فتحه- ونادى في المسلمين من أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعل، وله مع ذلك المنزل والمحرث؛ فرغب في ذلك خلق عظيم، واستقروا به في حينهم"[2].

اتبع عبد الملك أيضا سياسة أبيه الحازمة في العدوة المغربية، وانعكس ذلك على زعماء زناتة الذين سارعوا إلى مبايعته، والدعاء له وللخليفة الأموي هشام المؤيد على المنابر[3].

لقد نجح المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك في البلوغ ببلاد الأندلس الإسلامية إلى أوج القوة والكمال من خلال ما قاما به من أعمال كانت على نسق ما قام به عبد الرحمن الناصر في مستهل هذا القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ ومع ذاك فقد بدأت بوادر الانتقاض والتمرد في الظهور بمجرّد وفاة المنصور سنة 392هـ-1002م، ذلك أن المظفر قد اضطر إلى معاقبة بعض الفتيان العاصين، وأخرج بعضهم إلى سبتة[4].

وبعد وفاة عبد الملك سنة 399هـ/1009م، خلفه أخوه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول الذي بدأ عهده بالتقرب إلى الخليفة هشام وملازمته؛ فلقبه بالمأمون وأصدر مرسوما بتوليته ولاية العهد[5]؛ فأنكر الناس ذلك إنكارا شديدا، وقامت قيامتهم لأن شنجول كان من الناحية الأخلاقية أبعد ما يكون عن أن يستحق الخلافة[6]؛ بحيث ساء تصرفه، وأنفق الأموال في غير وجهها، ونسب إليه أباطيل القول والفعل، واستعان بالجند للتحرر من نفوذ العامة[7]؛ فتولى الخلافة لمدة

1- ابن عذاري- المصدر السابق - ج3 ص7.

2- ابن عذاري- المصدر نفسه - ج3 ص7.

3- ابن الخطيب- المصدر السابق - ص84/المقري- المصدر السابق- ج1 ص423/أحمد مختار العبادي- المرجع السابق- ص249.

4- ابن بسام- المصدر السابق - ق4 م1 ص78.

5- المقري- المصدر نفسه- ج1 ص406.

6- حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار الرشاد- القاهرة- ط3- 1420هـ/1999م- ص406.

7- أنور زناتي- المرجع السابق- ص28.

أربعة أشهر ونصف، وقتل يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة 399هـ/1009م على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله[1].

جاء آخر أفراد البيت العامري ليوفر الذرائع لبني أمية كي يثوروا ضد الخليفة هشام المؤيد، ويستولوا على سدّة الخلافة بقرطبة، وذلك بسبب تهوّره وإقدامه على طلب ولاية العهد له من قبل الخليفة الأموي[2]، وهو الأمر الذي لم يتجرأ على طلبه لا المنصور ولا ابنه عبد الملك رغم ما قاما به من أعمال، وما حققوه من قوة وتطور للعدوة الأندلسية.

إن طلب ولاية العهد الذي أُجْبر الخليفة على منحه للحاجب عبد الرحمن شنجول سيكون بداية الانتقاض والثورة بقرطبة، وبالتالي دخول الأندلس في دوّامة الإقتتال والتدمير الذاتي الذي يطلق عليه بعض المؤرخين الأندلسيين اسم "الفتنة البربرية"، ومنهم أبو مروان ابن حيان.

وقد بدأ ابن حيان في كتابة تاريخه قبل وقوع الفتنة، أي وسنه نحو العشرين سنة ونيف، ويظهر هذا من خلال ما سجله عن نفسه في مقدمة تاريخه الكبير[3]، وقد شاهد في شبابه تغيرات سياسيّة خطيرة كان لها آثارها الخطيرة على الوجود الإسلامي في الأندلس، إذ انهارت الدولة العامرية المسيطرة على شؤون الحكم في الأندلس، وأعقبها ترنح الخلافة الأموية على مدار ثلاثة وعشرين عامًا، ثم سقطت لينفرط عقد بلاد الأندلس، وتقوم على أنقاضها دويلات عدة عرفت بدول الطوائف، وكان بعضها لا يزيد على كونه "مدينة ودولة"، فيما أخذت البقايا الإسبانية تعيد تنظيم قواتها وتبدأ في توجيه جيوشها صوب الأراضي الأندلسية.

لقد شرع ابن حيان في التأريخ لبلده الذي عاصر زمن قوته وسيطرته على معظم الأراضي الأندلسية على عهد المنصور وابنه عبد الملك، وقد آلمه كثيرًا ما آلت إليه حال الأندلس من تمزق وفرقة بعد أن نعمت بالوحدة والمنعة أيام الخلافة الأموية وضمنها الدولة العامرية، التي يسميها هذا المؤرخ بأيام الجماعة، وفي هذا الوقت العصيب أخذ في تدوين تاريخ عصره بعمقٍ وإسهاب.

1- مجهول- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2007م- ص236.

2- محمد المنوني وآخرون- التاريخ الأندلسي من خلال النصوص- شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء- ط1- 1412هـ/1991م- ص42.

3- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص28.

ابن حيان في ظل الفتنة الأندلسية: بدأت أحداث الفتنة الأندلسية[1] تتعاقب في سرعة مذهلة منذ ثورة محمد بن هشام على عبد الرحمن شنجول، ولم تلبث الحروب الأهلية كما وصفها محمود علي مكي أن تأتي في غضون سنوات قليلة على عمران قرطبة، والدليل على تدهور الأمور في عاصمة الخلافة، هو أن الثلاث والعشرين سنة التي انقضت بين ثورة محمد المهدي وإلغاء الخلافة المروانية بصفة نهائية في سنة 422هـ/1031م، شهدت ولاية تسعة من الخلفاء: ستة منهم من البيت المرواني، وثلاثة من البيت العلوي من بني حمود، وأكثر هؤلاء نصبوا على عرش الخلافة مرتين، وانتهوا كلهم إلى ميتة فاجعة مقتولين على أبشع صورة[2].

وتعود جذور هذا التفكك إلى بداية الفتنة حيث قام الصقالبة بإنشاء دويلات مستقلة خوفا من بطش البربر بعد أن تغلبوا على قرطبة سنة 403هـ/1013م، ويؤكد ذلك ابن عذاري حيث يقول: "ولما استولى البربر مع سليمان[3] على قرطبة خاف العبيد العامريين على أنفسهم فهربوا إلى شرق الأندلس، واستولوا على بلنسية وشاطبة ودانية وغيرهم"[1].

1- تختلف المصادر التاريخية في تحديد المسؤول المباشر عن إشعال نار فتنة القرن الخامس الهجري؛ فمنها من يحمل مسؤولية إشعال نارها إلى البربر، ويأتي على رأس قائمة المؤرخين الذين قالوا بذلك ابن حيان القرطبي الذي يسميها بـ"فتنة البرابر" و"الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثلة، المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية"، ومن المؤرخين الذين جاروه في قوله أبو الحسن النباهي الذي يقول: "ولما قامت فتنة البرابر"، وابن الخطيب الذي يسميها بـ"الفتنة البربرية"، ومنهم من ينسبها لابن عبد الجبار حيث يقول عنه ابن حزم: "وفي أيامه ابتدأ فساد بلاد الأندلس"، ويقول ابن الأبار القضاعي: "باعث الفتنة بالأندلس وموقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد"، وقال أيضا: "أول من أرّث نارها وأورث شنّارها"، وابن عذاري أكد هذا بقوله: "كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق"، وقال أيضا: "وهذا ما فعل السفيه ابن عبد الجبار، ورأيه سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى". ابن بسام- المصدر السابق - ج1 ص358/أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/ 2006م- ص103/أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ-2003م- ج1 ص14/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م- ج2 ص5-ص30/ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص50.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص31.

3- سليمان: هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الملقب بالمستعين بالله، تولى الخلافة مرتين الأولى من سنة 399 إلى 400هـ/1008-1009م، والثانية من سنة 403 إلى 407هـ/1012- 1016م. ينظر الحميدي- المصدر السابق - صص31-33/الضبي- المصدر السابق - صص31- 33.

وتأكد هذا التفكك عندما أقدم سليمان المستعين على تقسيم المناطق الجنوبية من بلاد الأندلس على رؤساء قبائل البربر وبعض العرب المُحالفين له، وكانت الخطوة التي أقدم علها المستعين البذرة الأولى لحالة التشرذم التي ستعيشها العدوة الأندلسية، والتي ستتأكد عقب إعلان بني جهور عن إنهاء الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، وبذلك تكونت في الأندلس مجموعة من الممالك المستقلة عن بعضها والمتحاربة فيما بينها[2].

كانت سائر العناصر التي تعاونت في إقامة وتدعيم النظام الذي أقامه المنصور تتربص ببعضها البعض، ويخشى كل منها على مركزه وسلطانه، وكانت ثمة معارك خفية تجري بين البربر وخصومهم من الصقالبة في القصر والحكومة، وكان بنو أمية يميلون إلى الصقالبة مواليهم القدماء، ويكرهون البربر؛ إذ كانوا السند الرئيس الذي اعتمد عليه المنصور من أجل سلب سلطانهم، كما كانت البطون العربية تكن العداوة للطرفين أي الصقالبة والبربر، ولكنها ترى أن المغاربة هم الخصم الأكبر لها.

وهكذا اجتمعت هذه العوامل لتحدث أثرها في الوقت الملائم، وعندما وقع الإنفجار وانهارت الدولة العامرية، ظهرت في الميدان ثلاث قوى متصارعة فيما بينها، وأصبح التحالف يتم في غالب الأحيان بين كل عناصر المجتمع الأندلسي ضد الطرف البربري، وتتمثل هذه القوى الثلاث الرئيسة في:

1- بني أمية الذين التفوا حول راية خلافتهم بالأندلس، وسعوا إلى إعادة إحياء تراث بيتهم المغصوب.

2- طوائف البربر التي تحاول الدفاع عن نفسها أمام هجمات العناصر الأندلسية الأخرى من جهة، والإحتفاظ بالرياسة والإمتيازات التي اكتسبتها خلال خدمتها للدولة الأندلسية، وبخاصة في عهد المنصور بن أبي عامر وأبنائه من جهة أخرى.

3- الأسر العربية التي اضطهدت وأبعدت عن الميدان، وبخاصة في عهد الناصر والمنصور، والتي تحاول استرجاع مكانتها وزعامتها القديمة في المجالين السياسي والعسكري.

1- ابن عذاري- المصدر السابق - ج3 ص115.

2- عبد القادر بوباية- المرجع السابق - ص471.

وإلى جانب هذه القوى الثلاث الرئيسة، لعبت طائفة الفتيان الصقالبة أو العامريين دورا هاما خلال الفتنة، وسعت إلى انتزاع نصيبها من أسلاب الدولة الأندلسية[1].

نتيجة للصراع الدائر بين هذه الأطراف الثلاثة المتمثلة في البربر والعرب والصقالبة انقسمت الأندلس إلى مجموعة من الممالك، حيث سيطر البربر على المثلث الجنوبي من العدوة الأندلسية، وبسطوا سلطانهم على معظم القواعد الواقعة جنوبي نهر الوادي الكبير، إضافة إلى بعض المناطق الشرقية والشمالية الغربية.

أما العرب فقد بسطوا سلطانهم على معظم القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وسرقسطة وغيرها، ونال الصقالبة نصيبهم من العدوة الأندلسية؛ فسيطروا على معظم المناطق الشرقية، وعلى المرية لفترة زمنية قصيرة[2].

لقد كانت الفتنة الأندلسية سببا في انقسام الأندلس الإسلامية إلى ممالك عديدة بلغت في مجموعها ستا وعشرين مملكة، وبذلك ضاعت جهود قرن كامل بذله الحكام السابقين في توحيد البلاد، وبخاصة من طرف عبد الرحمن الناصر، ونتيجة لذلك عادت الأوضاع السياسية إلى ما كانت عليه قبل توليه الحكم سنة 300هـ-912م[3]، وتكرّست هذه الوضعية السياسية من جرّاء السياسة التي انتهجها ملوك الطوائف، والقائمة على الصراع الدائر بينهم، ومواصلة الاستعانة بالنصارى ضد أعدائهم، وباستمرار هذه السياسة تمكن ملوك النصارى من التوسع على حساب العديد من المدن والحصون الهامة، والتي سيستخدمونها كقواعد لانطلاق عملية الاسترداد[4].

4- 2- ابن حيان في ظل بني جهور(422-462هـ/ 1031-1070م)**:** بعد إعلان نهاية خلافة بني مروان قامت دولة الجهاورة على أنقاض الخلافة الأموية بقرطبة، وكان رئيس هذا البيت أبو الحزم جهور

1- محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- دول الطوائف- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4- 1417هـ/1997م- صص12- 13.

2- محمد عبد الله عنان- المرجع السابق- ص 14/أحمد مختار العبادي- المرجع السابق - صص255- 257.

3- عبد القادر بوباية- المرجع السابق - ص470.

4- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص114- 117- 144/رجب محمد- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف- دار الكتب الإسلامية- دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني- القاهرة- بيروت- د. ت- ص272/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج2 ص29- 30/هنري بيريس- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف- ترجمة الطاهر أحمد مكي- دار المعارف- القاهرة- ط1- 1408هـ- 1988م- ص18.

الأموي[1]، الذي استقل بأمر قرطبة ونواحيها بعد أن كان من المشاركين الرئيسيين في إزالة ملك المروانية سنة 422هـ-1031م، وكان أبو الحزم قد ابتكر لأهل قرطبة نظاما جديدا للحكم ذهب محمود علي مكي لتشبيهه بالنظم الجمهورية، حيث أنه لم يستبد بالسلطة كغيره من ملوك الطوائف، وإنما كوّن مجلسا للحكم من شيوخ أهل قرطبة، وانتخب أمينا لهذا المجلس، وكان لا يصرف أمرا إلا بعد الرجوع إلى جماعة الشيوخ هؤلاء[2].

استمر هذا الحكم المستنير طوال أيام أبي الحزم جهور حتى وفاته سنة 435هـ/1043م، ثم خلفه ابنه الوليد محمد بن جهور؛ فاقتفى خطى أبيه في السياسة بعد أن بلغ من الكبر عتيّا، وبعده اشتدّ التنافس بين ولديه عبد الرحمن وعبد الملك؛ فعمد في أواخر أيامه إلى توزيع السلطة بينهما؛ فبدأ الفساد يدبّ إلى الدّولة الجهورية من الداخل، ومطامع جيرانها من ملوك الطوائف عليها من الخارج.

ويذكر ابن بسام أنّه لم يسلم من لسان ابن حيان إلّا أبا الحزم ابن جهور وابنه أبا الوليد؛ فلم يتطرّق لذكرهما إلا بخير، ومنحهما في تاريخه ما لم يمنحه لغيرهما من حسن الذكر والثناء[3]، ثم أفرد لهما مؤلفا خاصا نعى فيه انقراض دولتهما سمّاه "البطشة الكبرى" امتاز بقوته وبلاغته[4].

ولما فشل مشروع المأمون بن ذي النون في افتتاح قرطبة، واستولت عليها جنود ابن عباد، وتولى حكمها ولده سراج الدولة، وجّه ابن حيان إلى المعتمد رسالة تهنئة يقول فيها: "لو أن فتحا اعتلى عن تهنئة ممنوحة بارتفاع قدر، أو جلالة صنع، أو فرط انتقام مستأصل، أو تنزل حكم من الرحمن فاصل، لكان فتحه هذا لك، على عدو أسود الكيد، مظاهر البغي على الحسد، طالما استحييته لا

1- أبو الحزم ابن جهور: هو أبو حزم جهور بن محمد ابن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية، ومن وزراء الدولة العامرية، قديم الرياسة، موصوف بالدهاء والسياسة، ولي أمر قرطبة، فلم يغير أمرا توجبه المملكة حتى أنه بقي يؤذن على باب مسجده، كان حليما يلجأ إليه كل خائف مخلوع عن ملكه، توفي في صفر سنة 435هـ-1043م. ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب- وضع حواشيه خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1417هـ-1997م- ج1 ص60/ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق - ج1 ص245- ج2 صص30-34/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص118.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص39، ولمزيد من التفاصيل ينظر محمد عبد الله عنان- المرجع السابق - ص22.

3- ابن بسام- المصدر السابق- م1 ص373.

4- ابن بسام- المصدر نفسه- م1 ص381/ابن الخطيب- المصدر السابق- ص151.

من خجل، وتنكبته لا عن وهل، فأبى رأيه الفائل، وجده العاثر، وحينه المجلوب، وضربه المكبوب، إلا اكتساب العار، ومماتنة محصد الأقدار"[1]، ثم يحمل ابن حيان بعد ذلك على المأمون بن ذي النون، ويُنَوِّه بتوفيق ابن عبّاد ويمنه في هزيمته ورد مكيدته، وذلك في عبارات ملتهبة لاذعة[2].

وبصفة عامة يمكن القول أن ابن حيان اختار المقام في قرطبة في ظل الجهاورة لأنهم في نظره يمثلون خير بيئة يستطيع أن يسجل في ظلها أحداث عصره، وفيها استطاع أن يعبر عن سلبيات المجتمع الأندلسي خاصة بعد تمزق الأندلس على هذا النحو، وبهذا فإن الانتكاسات في حياة الشعوب ليست نقمة على طول الخط بل قد تسفر عن إيجابيات، لأنها غالبا ما تفضي إلى استنفار المؤرخين لاستقراء أسباب وعلل تلك الانتكاسات.

4- 3- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس على عهد ابن حيان: عاشت الأندلس على عهد الدولة العامرية، وبخاصة في ظل حكم المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر فترة من الازدهار والرخاء الاقتصادي؛ فقد كان من نتائج الحملات العسكرية التي جردها محمد بن أبي عامر على بلاد النصارى أن "ملأ الأندلس غنائما وسبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الروم"[3].

وكان عبد الملك بن محمد بن أبي عامر نسخة شبيهة بصورة أبيه في إدارة أمور الخلافة، حيث افتتح عهده بإسقاط سدس الجباية عن الرعية في كافة أنحاء البلاد، ونتيجة لذلك "أحبه الناس سرّا وعلانية، وانصب الإقبال والتأييد عليه انصبابا لم يسمع بمثله"، كما حرص على إظهار العدل، وحماية الشرع، ونصرة المظلوم، وقمع أعداء الدين، وفي عهده بلغت الأندلس "إلى نهاية الجمال والكمال وسعة الحال"[4].

1- لمزيد من التفاصيل ينظر ابن بسام- المصدر السابق- م1 ص360.

2- محمد عبد الله عنان- المرجع السابق- ص30.

3- عبد الواحد المراكشي- المصدر السابق- ص37.

4- ابن بسام- المصدر نفسه- ق4 م1 ص78/ابن الخطيب- المصدر السابق- ص84-85/ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص3/ النويري- المصدر السابق- ص125.

لقد نجح المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك في البلوغ ببلاد الأندلس الإسلامية إلى أوج القوة والكمال؛ من خلال ما قاما به من أعمال كانت على نسق ما قام به عبد الرحمن الناصر في مستهل هذا القرن الرابع الهجري.

لقد شهدت الأوضاع الاقتصادية في الدولة العامرية ازدهارا كبيرا بداية من عهد المنصور ابن أبي عامر، بفضل ما توفر لها من الأمن والاستقرار، واللذان يعتبران العامل الرئيس في ازدهار اقتصاد دولة ما، وكان ذلك أيضا نتيجة لكثرة غزواته وانتصاراته فيها، ورجوعه منها محملا بالغنائم والأموال والسبي، إضافة إلى عنايته بالزراعة والصناعة والتجارة، ولذلك توفر المال لدى عامة الناس وخاصتهم في الأندلس[1].

واستمر هذا الازدهار الاقتصادي إلى غاية نهاية عهد عبد الملك المظفر بن المنصور ابن أبي عامر، ثم انحسر وتقلص على عهد أخيه عبد الرحمن الذي زالت الدولة العامرية بمقتله[2].

ولكن الأمور انقلبت رأسا على عقب بعد قيام الفتنة، ذلك أن العامل الرئيس المؤدي إلى الرخاء الاقتصادي وارتفاع المستوى المعيشي وهو الأمن والاستقرار قد زال بفعل الحروب الطاحنة التي دارت بين المسلمين، وعوض توجيه السيوف والنبال والرماح إلى أعداء الملّة والدين، أصبحت توجّه نحو الإخوة في الدين، ولم يقتصر القتل على المتحاربين؛ بل تعدّاه إلى كافة الفئات الاجتماعية، ولم يستثن من ذلك لا الطفل ولا المرأة ولا الشيخ[3].

نتيجة لضعف الخلافة ثم سقوطها حدثت الانتكاسة وعمّ الكساد الاقتصادي وتدهور العمران، وحفل العصر بالأزمات إلى حدِّ المجاعة، وأفل نجم قُرْطُبَة عمرانيًا وبشريًا، وصوّر ابن حَيَّان الوضع قائلًا: "... وطمست أعلام قصر الزهراء، واقتلع نحاس الأبواب ورصاص القنيّ، وغير ذلك من الآلات؛ فطوي بخرابها بساط الدنيا، وتغيّر حسنها إذ كانت جنة الأرض؛ فعدا عليها قبل

1- علي أحمد عبد الله القحطاني- الدولة العامرية في الأندلس (دراسة سياسية وحضارية- 368-399هـ/978-1009م)- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية- 1401هـ/1981م- ص252-253.

2- المقري- المصدر السابق - ج3 ص85.

3- بوباية عبد القادر- المرجع السابق- ص489.

تمام المائة من كان أضعف قوة من فأرة المسك[1]، وأوهن بنية من بعوضة النمرود، والله يسلط جنوده على من يشاء، له العزة والجبروت"[2].

وكان التقسيم الفظيع للأندلس إلى دول طائفية نتائج خطيرة على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، ومنها التفاوت بين الدول الطائفية، وبالتالي عدم التشابه في الأوضاع التي طبعت الحياة الاجتماعية من دولة طائفية إلى أخرى؛ فعند النظر من الوجهة الاقتصادية إلى الحياة في إشبيلية مثلا، وخصوصا في المدينة التي تمتعت باستقرار وازدهار تجاري كبير[3]، نجد أنها تختلف عن الحياة في المدن الأندلسية الأخرى كقرطبة التي شهدت التخريب مرارا في القرن الخامس الهجري، والتي لم يرحل منها ابن حيان.

ويتضح أيضا هذا التناقض بين الدول الطائفية على مستويين[4]:

أولا: كانت الدول الطائفية مستقلة سياسيا، وهذا يعني أن مواطني كل دولة طائفية خضعوا لنظام سياسي خاص بهم؛ فمثلا تمتع سكان قرطبة تحت حكم بني جهور باللين، والذي كان ابن حيان ينضوي تحت لوائه، بدرجة أكبر من الحرية عن غيرها.

ثانيا: اختلفت الدول الطائفية عن بعضها من حيث حجم أراضيها ومواردها الطبيعية وطاقتها البشرية وقوتها الاقتصادية، كما اختلفت الضغوط الخارجية عليها في درجتها وشدتها.

وشهد المجتمع الأندلسي في ظل الخلافة والحجابة العامرية مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة ليحدث نوع من التجانس لم تشهده الأندلس من قبل، إلا أن السخائم العرقية والإقليمية عادت مرة أخرى لتؤثر سلبيًا في هذا التجانس، ولتمزق وحدة الأندلس من جديد بظهور النزعة العنصرية؛ ولذا لم يغب عن ابن حَيَّان أيضًا أن يعبر عن تلك النزعة في الأندلس في تلك الفترة ، وذلك من خلال حديثه عن اجتماع خازني بيت المال في عهد الأمير محمد وهما "عبد الله بن

1- فأرة المِسْك: وعاؤه الذي يجتمع فيه. مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ/2005م- ص670.

2- ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص272.

3- امحمد بن عبود- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري- مطابع الشويخ- تطوان- ط2- 1999م- ص13.

4- نفسه- ص13.

عثمان بن بسيل، ومحمد بن وليد بن غانم" واستدعى الأمر أن قال له:" والله لا أطبع كتابا تتقدمني أنت فيه، وأنا شامي وأنت بلدي"[1].

وقد كانت هناك طبقة الأمراء والحكام وذوو الثراء وأصحاب الوظائف الكبرى، وكانوا يمتلكون ثروات طائلة تمثلت في الضياع الواسعة، والقصور الخاصة، وتفننوا في صنوف من البذخ[2]، فيصف ابن حيان ثراء أبي الحزم ابن جهور قائلا: " فأعطى السلطان قسطه من النظر، ولم يخل مع ذلك من النظر لنفسه وترقيحه لمعيشته، حتى تضاعف ثراؤه، وصار لا تقع عينه على أغنى منه"[3].

وكانت هناك طبقة أخرى تعاني ألوان الظلم والتنكيل، ويطلق عليهم لقب العوام، وهم الفئة المُهمَّشة في التاريخ، ولا يأتي ذكرهم في الغالب إلا عند التأريخ للكوارث كالمجاعات والأوبئة، أو من خلال ذكر حركات المعارضة التي جرى تهميشها بالمثل ودمغها بأبشع التهم والنعوت[4]، وتتكون هذه الطبقة من الفلاحين في الريف والحرفيين والعمال في المدن[5]، وأغلبها من البربر أو المولدين أو الموالي، وكان على هذه الطبقة أن تتحمل أعباء ضرائب باهضة كانت تفرض عليها وكانت تقوم بينهم وبين الدولة هوة من سوء الظن وعدم الثقة[6]، وكان لهذا التدني أثره على ابن حيان في معارضته لهذه المظاهر في مؤلفاته.

ولكن بالرغم من اختلاف سكان الأندلس في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) في مستوى حياتهم ونظمهم السياسية والاقتصادية؛ إلا أنهم شكّلوا مجتمعا امتاز بالتحام ثقافي وتاريخي ولغوي، والذي كان يطبعه التكامل الاقتصادي على عدة مستويات[7].

1- ابن حيان- المصدر السابق- ص137.

2- أنور زناتي- المرجع السابق- ص35.

3- ابن بسام- المصدر السابق- ج1 ص374.

4- محمود إسماعيل- المُهمَّشون في التاريخ الإسلامي- دار رؤية- القاهرة- 2004م- ص14.

5- نفسه- ص53.

6- أنور زناتي- المرجع نفسه- ص36.

7- امحمد بن عبود- المرجع السابق- ص13.

ومن الثابت أن الحياة الاجتماعية لأي جماعة ما ترتبط إلى حدّ كبير بالوضعية الاقتصادية للبلد الذي يعيشون فيه؛ فكلما كان الأمن والرخاء الاقتصادي، كلما كان المستوى المعيشي جيد، والعكس يحدث في حالة انعدام الأمن والتدهور الاقتصادي.

4- 4- الأوضاع العلمية على عهد ابن حيان: استمر الازدهار والرقي العلمي على عهد العامريين، وبخاصة في مدينتي قرطبة والزاهرة اللتان استقطبتا العلماء والطلاب من جميع أصقاع الأندلس ومن مختلف بلاد المسلمين مغربها ومشرقها.

برز العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء على عهد الدولة العامرية، وكان للتشجيع والرعاية التي حظوا بها من قبل المنصور بن أبي عامر ومن بعده ابنه عبد الملك أكبر الأثر في إثراء الحياة العلمية في الأندلس في هذه الفترة[1].

ومن حسن الطالع أنّ المنصور ابن أبي عامر بنشأته وخلاله العلمية اللامعة، كان من أعظم رواد الحركة الفكرية، إذ كان عالما متمكنا من الشريعة والأدب، بارعا في النثر والنظم، وكان يعشق مجالس العلماء والأدباء، حتى أنه كان خلال الغزو يصطحب معه طائفة من الكتاب والشعراء، ينتظمون في مجلسه خلال السير.

وكان من أخصّ جلسائه الأدباء الكاتب البغدادي أبو العلاء صاعد بن الحسن، الذي وفد من المشرق على الأندلس سنة 380هـ/990م؛ فقرّبه المنصور وأغدق عليه بعطفه، وأذن له أن يجلس بجامع مدينة الزاهرة يُملي كتابه المسمى بـ"الفصوص" على أدباء قرطبة، وهو كتاب في الآداب والأخبار والأشعار[2].

وكان للمنصور، فضلا عن مجالس الأدب والأنس العابرة، مجلس أسبوعي يعقده للبحث والمناظرة، ويشهده كثير من العلماء والأدباء، وكان شغوفا بجمع الكتب، وكان أكابر المؤلفين يهدون إليه كتبهم[3].

1- علي أحمد عبد الله القحطاني- المرجع السابق- ص261-262.

2- محمد عبد الله عنان- المرجع السابق- القسم الثاني- ص579.

3- المرجع نفسه- ق2 ص580.

ونتيجة لذلك ازدهرت مختلف العلوم على عهد الدولة العامرية، وبرز العديد من العلماء في كافة أصناف العلوم، واستمر ذلك التطور العلمي الذي انطلق في عهد الأمراء والخلفاء الأمويين السابقين، وبخاصة منهم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله الذي أنشأ في مدينة قرطبة أكبر مكتبة في المغرب الإسلامي، وجلب إليها الحكم كبار العلماء والنُسّاخ لنسخ الكتب، كما كلف العلماء بتدوين الكتب في مختلف العلوم.

لقد مرّت الأندلس بفترة عصيبة من تاريخها تميزت بالاقتتال الدائر بين المسلمين، والتخريب والتدمير للكثير من المنشآت المعمارية التي كانت إلى وقت قريب مفخرة للإسلام والمسلمين بهذا الصقع من العالم الإسلامي، وكان من نتائج هذا كله أن تعطل النشاط الثقافي والعلمي، وبخاصة في مدينة قرطبة التي لم تكن العاصمة السياسية للأندلس فحسب؛ بل كانت أيضا "وطن أولي العلم والنهى، وينبوع متفجر العلوم، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها انتشئت التأليفات الرائعة، وصنّفت التصنيفات الفائقة"[1].

لقد تعطل النشاط الثقافي والعلمي بفعل هذه الفتنة المبيدة التي نتج عنها إغلاق المدارس التي كانت تزخر بها أرباض قرطبة، وانفضّت حلقات الدرس التي كانت تعجّ بها جَنَبات المساجد وما أكثرها، كما ترك الكثير من أهل العلم القرطاس والقلم، واستبدلوهما بالرمح والحسام، وانغمسوا مع الخائضين في حروب الفتنة، ونتج عن ذلك موت العديد منهم إبان المواجهات والوقائع التي جرت بينهم.

والمعلوم أنّ الحكم جمع من الكتب "ما لا يحدّ ولا يوصف كثرة ونفاسة؛ حتى قيل إنها كانت أربعمائة ألف مجلّد"[2]، فماذا كان مصيرها أثناء الفتنة؟

لم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها أثناء الحصار الذي فرضه البربر على المدينة، وقد أمر بذلك واضح حاجب هشام المؤيد من أجل توفير الأموال التي احتاج إليها هشام

1- ابن بسام الشنتريني- المصدر السابق - ق1م1 ص33.

2- المقري- المصدر السابق- ج1 ص395.

لمواجهة المحاصرين له، أما الكتب التي بقيت بعد عملية البيع هذه فقد نهبت عقب دخول البربر إلى مدينة قرطبة في 26 شوال 403هـ(9 ماي1013م)[1].

هكذا كان مصير هذه الخزانة الفريدة من نوعها، والتي بذل الحكم الأموال الطائلة من أجل جمعها، ومكنت المؤلفين من أمهات المصادر التي كانوا في حاجة إليها من أجل الدراسة والتأليف، ولذلك السبب كانت قرطبة كما ذكرنا سابقا قبلة لطلاب العلم والدارسين له، ومن المؤكد أن هذه الكتب لم تكن الوحيدة التي تعرضت إلى الضياع، بل لقد طالت الفتنة الكثير مما ألفه العلماء.

ومن المؤكد أن المئات بل الآلاف من الكتب والرسائل التي ألفها الأندلسيون قد ضاعت في غمرة هذا الإقتتال الدائر في دار الإسلام ببلاد الأندلس، وبالتالي فقد حرمت الأجيال اللاحقة من أمهات الأسفار التي ألفها العلماء والكتاب.

إلى جانب فقدان المكتبات العامرة وإتلاف المؤلفات، كانت الفتنة الأندلسية سببا في موت العديد من العلماء البارزين في الساحة الأندلسية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو عمر أحمد بن مطرّف بن هاني الجهني، "ذكره الخولاني وقال: كان... حافظا مجودا للقرآن، حسن اللفظ به"[2]، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الأديب المعروف بالتدميري؛ فُقِد في وقعة قنتيش سنة أربعمائة، "ذكره ابن حيان، وقال: كان... متفننا في العلوم، ذا حظ من الأدب والمعرفة"[3]، وأبو عثمان سعيد بن عثمان البربري النحوي، ويعرف بابن القزّاز، وقد فقد في وقعة قنتيش[4]، وأبو حفص عمر بن عثمان بن خطار بن بشير القرطبي، وهو إمام مسجد ياسر، وكان عالي الإسناد، توفي بقنتيش سنة 400هـ/1009م[5]، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن قند اللّغوي ويعرف بالطليطلي، وكان من أهل البراعة والمعرفة والنفاذ في الفقه والحديث، والافتنان في ضروب العلم والتحقيق، ومن بينها

1- ابن خلدون- المصدر السابق- ج1 ص1154/المقري- المصدر السابق- ج1 ص386.

2- ابن بشكوال- المصدر السابق- ج1 ص23.

3- المصدر نفسه- ج1 ص463.

4- المصدر نفسه- ج1 صص204- 206.

5- ابن بشكوال- المصدر نفسه- ج1 ص423.

علم الغريب وحفظ اللغة، وتوفي في الوقعة التي كانت بين سليمان بن الحكم والمهدي بعقبة البقر سنة أربعمائة، ذكره ابن حيان[1].

لقد كان للفتنة كما نلاحظ تأثيرها البالغ على الحياة الثقافية والعلمية، وبخاصة في المناطق التي شهدت أحداث النزاع الدموي الدائر بين الأطراف المتصارعة على سدة الحكم، ومع ذلك فإنها لم تقض على النشاط العلمي كلية، ذلك أن بقية من العلماء الأندلسيين الذين أدركوا ذلك الازدهار الكبير الذي شهدته الأندلس خلال فترة الخلافة أو انتفعوا بقوة الدفع التي أعطتها فترة الحجابة للرقي العلمي والثقافي، وبخاصة في عهد المنصور محمد بن أبي عامر، قد ساهموا في استمرار التطور الحضاري، ويدل على ذلك بروز عدد كبير من العلماء خلال فترة الفتنة أو ما بعدها، ومن أبرز هؤلاء أبو محمد بن حزم، وأبو مروان بن حيان، وأبو عمر بن دراج القسطلي.

يضاف إلى ذلك عامل آخر ساهم في استمرار النشاط العلمي والثقافي وازدهاره خلال زمن الفتنة، ويتمثل في قدوم العديد من أعلام المغرب والمشرق إلى بلاد الأندلس، ونشرهم لمعارفهم.

إضافة إلى هذين العاملين ساهم عامل آخر في استمرار النشاط العلمي والثقافي ببلاد الأندلس، ويتمثل في وجود الأمن والاستقرار في بعض الأقاليم الأندلسية البعيدة عن مراكز الفتنة، ومن أبرز هذه الأقاليم شرق الأندلس والمناطق الشمالية المتاخمة للممالك النصرانية، ونتيجة للأمن الذي نعمت به هذه الأقاليم قصدها علماء حاضرة الخلافة الأموية، كما استقر بها العلماء الوافدين من خارج بلاد الأندلس، وبفضل الرعاية التي أولاها حكام هذه الأقاليم للعلم والعلماء، ازدهرت العلوم ونشطت الحركة الثقافية بها، وبالتالي ساهمت هذه المناطق في إثراء الحضارة العربية الإسلامية.

باستثناء استمرار النشاط العلمي والثقافي في بعض الأقاليم الآمنة؛ فإن بلاد الأندلس في أغلب جهاتها قد عاشت فترة من أحلك الفترات التاريخية التي مرت بها في حياتها.

ويعد عصر الطوائف (5هـ/11م) بالأندلس من أزهى عصورها الثقافية والعلمية قاطبة، وذلك من خلال ما أفرزه هذا العصر من الأعداد الهائلة من العلماء والمفكرين والأدباء والكتاب الذين شاركوا في ميادين العلم المختلفة كعلوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات، والنحو واللغة وعلم

1- ابن بشكوال- نفسه- ج1 ص244.

الكلام والأدب، والجغرافية والتاريخ والأنساب، فضلا عن العلوم التطبيقية كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات وغيرها[1].

وهذا ما ذهب إليه خوان فيرنيه الذي وصف عصر الطوائف بالعصر الذهبي للعلوم في الأندلس حيث قال: "يسبق أوج الازدهار الحضاري لبلد ما عادة، بداية تدهوره السياسي، وهذا ما حدث في بلاد الأندلس فعلا، إذ عجز ملوك الطوائف محل الهيمنة السياسية والعسكرية لدى تجمع مسلمي شبه الجزيرة الإيبيرية في عشر أو اثنتي عشر دويلة وحصولهم على السلم لقاء دفع جزية سنوية لعجزهم عن ردّ هجمات النصارى في الشمال، بينما عاش حكامهم حياة مترفة، وانغمسوا في صراعاتهم الطائفية وملذّاتهم التي أدت بهم في بعض الأحيان إلى رعاية العلماء في شتى نواحي المعرفة"[2].

ويرجع هذا الازدهار العلمي والثقافي إلى عدة عوامل منها[3]:

*ما ورثه الأندلسيون من الإنتاج العلمي والتراكم المعرفي الذي اشتهر به القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في الأندلس زمن الخلافة الأموية والدولة العامرية.

*إن شعور الأندلسيين ببعدهم عن مركز الحضارة الإسلامية في المشرق، ومواجهتهم للعدو النصراني المتربص بهم، حتّم عليهم بناء شخصية مستقلة لمنافسة جيرانهم النصارى من جهة، والتفوق على إخوانهم في المشرق على الصعيد العلمي والحضاري من جهة أخرى.

*هجرة العلماء الأندلسيين ورحلاتهم لبلاد المشرق بالإضافة لهجرة عدد هام من العلماء ورجال الفكر المشارقة واستقرارهم بالأندلس.

*انقسام الأندلس إلى عدة ممالك أو إمارات مستقلة عن بعضها البعض خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أحدث تنافسا بين حكامها في تشجيع العلماء والأدباء والمفكرين

1- عبد الواحد عبد السلام شعيب- الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف- دار الأمان- الرباط- المغرب- ط1- 2014م- ص 245.

2- خوان فيرنية- العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس" ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- تحرير سلمى خضراء الجيوسي- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 1998- ج2 ص1301.

3- عبد الواحد عبد السلام شعيب- المرجع نفسه- ص245-246.

للإقامة في دولهم وبلاطاتهم، إذ أن التنافس السياسي بين ملوك الطوائف آنذاك قد صحبه تنافس على المستوى العلمي كذلك.

وقد كانت الحركة الثقافية والفكرية العامة في الأندلس خلال هذا القرن تشكل الأرضية والقوة المحركة والمنعشة لكل عالم، كما تميزت هذه الحركة العامة بمجموعة من الخصائص المختلفة، أبرزها[1]:

*تميزت بالشمولية بحيث كانت تضم مجالات مختلفة من العلوم الدينية والاجتماعية والطبيعية والتجريبية.

*يظهر الطابع العام والشعبي لهذه الحركة في تنوع الانتماء الاجتماعي لأعضائها.

*بروز تطور النقد الفكري والسياسي والتاريخي، والجدال الديني والمذهبي داخل هذه الحركة بوضوح.

*يتجلى الطابع الشمولي في المساهمة الواسعة والعالمية لمفكريها، مثل كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني.

*يظهر دور هذه الحركة بصفتها إطارا عاما ومؤسسة قائمة في وعي المثقفين الجماعي بالانتماء إليها.

*لقد أدى المستوى الثقافي لملوك الطوائف ومكانة الثقافة في السياسة إلى إنعاش هذه الحركة.

*تناقض الأنشطة الثقافية والفكرية في الأندلس في القرن الهجري الخامس مع الوضعية السياسية والاقتصادية المأساوية.

هذا وقد مجد الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي، أما العلماء فقلَّ من تجده متبحرًا في علم واحد أو علمين؛ بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين، ولم يقتصروا على العلوم النظرية بل كانت لهم دراسات في علوم عملية كالفيزياء وعلم العقاقير والصيدلة، والزراعة (علم الفلاحة)، والذي أبدعوا فيه وصنفوا التصانيف المشهورة، مسجلين ما توصلت إليه تجاربهم في النباتات والتربة.

1- امحمد بن عبود- المرجع السابق- صص137- 139.

وهذا التعدد المعرفي لعب دورًا مهمًا في إثراء فكر ابن حَيَّان خاصة، وأنه كان يكثر الإطلاع على تلك الكتب، وسهلت له تلك النهضة العلمية الإطلاع على تاريخ الممالك النصرانية أيضًا، مما يرجّح أنه كان يعرف عجمية الأندلس، وأن ما أورده ابن حَيَّان من أخبار عن إسبانيا النصرانية ينم عن معرفته الدقيقة بكل أحوالهما وأنساب حكامها.

5- ابن حيان وعلاقته بالبلاط السياسي: ارتبطت أسرة ابن حيان منذ القديم من حيث الولاء بالأسرة المروانية[1]، غير أن الأندلس عرفت أنواعا كثيرة من الولاء، لكننا لا نستطيع تحديد نوع الولاء الذي كان ينتمي إليه البيت الحياني، غير أن الغالب أنّه ولاء اصطناع، إذ أن ابن حيان كان من أسرة إسبانية قديمة من تلك الأسر التي قامت بتأييد الأمير الأموي صقر قريش؛ فاصطنعها هو وأبناؤه من بعده[2].

وكان بداية ظهور اسم آل حيان مع رجال الدولة بالأندلس مع ظهور المنصور ابن أبي عامر[3]، حيث كان والد ابن حيان كاتبا لمؤسس الدولة العامرية ومرافقا له في غزواته، وهو ما مكنه من التواجد في قلب الأحداث التاريخية التي عاشتها الأندلس، ومن ثَمَّ رواية هذه الأحداث لابنه ليستفيد منها في كتابة تواريخه.

وكان أبو مروان قد جمعته صداقة بأبي محمد ابن حزم وأبي عامر ابن شهيد، وكان كلاهما ممن استوزرهم عبد الرحمن بن هشام المستظهر بالله (16 رمضان- 3 ذي القعدة 414هـ/2 ديسمبر 1023م- 17 يناير 1024م) في خلافته القصيرة التي لم تتجاوز شهرا ونصف[4]، ولم تسعفنا المصادر التي ترجمته بعلاقته مع خلفاء الفتنة إلا أن الراجح أنه لم يوال أي منهم، ولم يتأثر بأحداث الفتنة كما حدث لصديقه ابن حزم الذي تعرّض إلى النفي إلى إحدى قرى لبلة بعد مقتل المستظهر بالله.

1- الحميدي- المصدر السابق- ص196/الضبي- المصدر السابق- ص253/ابن بشكوال- المصدر السابق - ج1 ص137/ابن خلكان- المصدر السابق- م2 ص187.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص9.

3- خالد حسن مطر القعايدة- ابن حيان القرطبي ودوره في كتابة التاريخ الأندلسي(377- 469هـ/987-1076م)- أطروحة دكتوراه- جامعة مؤتة- 2006-2007م- ص25.

4- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص35/بوباية عبد القادر- المرجع السابق- صص354- 356.

أفادنا ابن بسام في ذخيرته أن ابن حيان لم يبق معزولا تماما عن وظائف الدولة في ظل بني جهور، حيث قال نقلا عن ابن حيان: "وكنت ممّن جادته سماء هذا الرئيس أبي الوليد الثرَّة، وكَرُم فيَّ فعلُه ابتداء من غير مسألة؛ فأقحمني في زمرة العصابة المُبرَّزة الخَصْل مع كَلال الحدّ وضعف الآلة، واهتدى لمكان خلتي، وقد ارتشف الدهر بلالتي، بأن قلدني إملاء الذكر في ديوان السلطان، المطابق لصناعتي، اللائق بتحرفي، براتب واسع، لولا ما أخذ عليّ كتم ما أسداه لجهدت في وصفه، وإلى الله تعالى أفزع في إجمال المكافأة عني برحمته"[1].

إن ما ذكره أبو مروان ابن حيان لا يسمح لنا بتحديد طبيعة هذه الوظيفة التي سمّاها بـ"إملاء الذكر" بدقة لأننا لم نجد لها ذكرا في الوظائف السلطانية التي تقلدها الأندلسيون قبله، لكن المحتمل هو أن تكون مختصة بالكتابة لقوله بعدها مباشرة: "المُطابق لصناعتي" و"اللائق بتحرّفي"، والمتفق عليه بين كل المترجمين لمؤرخ الأندلس أن صنعته كانت التأريخ، وما يؤكد ما ذهبنا إليه الإشارة الهامة التي أوردها محمود علي مكي في مقدمة تحقيق كتاب المقتبس حيث جاء فيها أن العمل الذي صرّح به ابن حيان لا يمكن إلا أن يكون إملاء التاريخ، وأن هذه الخطة الجديدة الغريبة إنّما اخترعت اختراعا لان يتولّاها ابن حيان، إذ هي لأول مرة يسمع فيها عن مؤرخ يملي ما كتبه في ديوان السلطان براتب واسع[2].

ويذكر بعض المؤرخين أن ابن حيان تقلّد وظيفة "صاحب الشرطة"، حيث ورد عند ابن خير الإشبيلي: ذكر أبو محمد بن عتاب عن كتاب الفصوص قوله: "أخبرني به الشيخ المؤرخ صاحب الشرطة أبو مروان حيان بن خلف بن حيان، وكتب لي بذلك بخطه عن أبي العلاء صاعد مؤلفه"[3].

وأكّد المقري ذلك بقوله: "وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حيان صاحب الشرطة ..."[4]، لكن هذه الرواية ضعيفة لعدم وجود أي دليل في ثنايا الكتب التي ترجمت لابن حيان من المؤرخين المتقدمين، وكذلك كون هذه الخطة بعيدة كل البعد عن مجال ابن حيان، وإن صحّت فلا يمكن إلا أن تكون على النحو التشريفي، وهذا ما ذهب إليه محمود علي مكي؛ حين استدلّ بأن ذلك قد كان

1- ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص375.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص44-45.

3- ابن خير الإشبيلي- المصدر السابق- ص293.

4- المقري- المصدر السابق- ج2 ص126.

جاريا العمل به منذ عهد الحكم المستنصر بالله، واستمر طوال الدولة العامرية؛ كما وافقه على هذا التهامي الهشامي، ويمكن أنه استمر إلى دولة الجهاورة، وكان ممّن حملوا لقب "صاحب الشرطة التشريفي" اللغوي أحمد بن أبان بن سيد المتوفى سنة 382هـ/992م[1].

وعلى ما يبدو فإنه عمل بهذه الوظيفة في الفترة ما بين 435-462هـ/1043-1069م، وهي فترة حكم أبي الوليد بن جهور، وقد تقدّم به العمر "مع كَلال الحدّ وضعف الآلة، وقد ارتشف الدهر بلالتي"[2]، أي أنّه عمل بعد الثامنة والخمسين من عمره[3].

وكان ابن حيان على علاقة حسنة مع يحيى بن ذي النون ملك طليطلة (435-467هـ/1043-1074م)، إذ قدّم له نسخة من تاريخه الكبير هدية، وقال: "وكنت اعتقدت الاستئثار به لنفسي وخَبْأهُ لولدي، والضّن بفوائده الجمة على مَن تَنكّبَ إحمادي به إلى ذمّي ومنقصتي، طويتُ على ذلك كشحًا، وأوجبته عزما إلى أن رأيت زفافه إلى ذي خطبة سنية أتتني على بعد الدار، أكرم خاطب وأسني ذي همّة، الأمير المؤثّل الإمارة المأمون ذي المجدين، الكريم الطرفين، يحيى بن ذي النون"[4].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا أهدى كتابه إلى ملك طليطلة، ولم يهده إلى غيره من ملوك الطوائف، بخاصة إذا علمنا كره ابن حيان الشديد للبربر، وبنو ذي النون منهم؟ ولعلّ تفسير ذلك هو خلافه مع ابن الوليد ابن جهور ووولي عهده، والذي هم بإلحاق الأذى به لولا تدخل حاكم قرطبة، كما أنه لم يهده لأقوى ممالك الطوائف؛ ألا وهي مملكة بني عباد بإشبيلية بعد إقدامهم على إسقاط بني جهور، والقضاء على دولتهم التي خصّها بأحد مؤلفاته.

6- مؤلفات ابن حيان وآثاره العلمية: لم يذكر المؤرخون الذين ترجموا أبا مروان ابن حيان أسماء المؤلفات التي دوّنها هذا المؤرخ، واكتفوا بذكر النزر القليل منها، ومنهم ابن بسام الشنتريني الذي

1- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص43-44/التهامي الراجي الهاشمي- نظم إدارة بني أمية بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- ص405.

2- ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص375.

3- خالد حسن مطر القعايدة- المرجع السابق -ص60.

4- ابن بسام- المصدر السابق- م1 ص359.

اعتمد كثيرا على ابن حيان في ذخيرته؛ ومع ذلك لم يشر إلى مؤلفات ابن حيان باستثناء كتاب التاريخ الكبير[1] الذي كان مورده الأول في تأليفه.

وعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م) الذي انفرد بذكر كتاب "المآثر العامرية" عند تطرقه لغزوات المنصور ابن أبي عامر؛ حيث قال: "غزا في أيام مملكته نيفا وخمسين غزوة ذكرها أبو مروان ابن حيان كلها في كتابه الذي سمّاه المآثر العامرية"[2]، وسنعود لاحقا لهذا الكتاب وعنوانه.

وذكر ابن الأبار القضاعي(ت658هـ/1259م) عند نقله عن ابن حيان اسم "تاريخ" أو "تاريخه الكبير"[3]، وذكر في مكان آخر وهو يقتبس منه صاحب "تاريخ الأندلس"[4].

أما مؤلف كتاب "تاريخ الأندلس" فنجده عند ذكره خبر قيام المنصور بن أبي عامر بالملك باسم الحجابة نقلا عن ابن حيان يقول: "قال صاحب التاريخ رحمه الله"[5]، وذكر في مكان آخر من كتابه: "في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وُلد ابن حيان صاحب التاريخ"[6].

وقال ابن خلكان: "وله كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس في عشر مجلدات، وكتاب المتين في تاريخها أيضا في ستين مجلدا"[7].

وقال شمس الدين الذهبي: "من تصانيفه كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس عشرة أسفار، وكتاب المبين في تاريخ الأندلس مبسوطا في ستين مجلدا"[8].

وقال خليل بن أيبك الصفدي: "له كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس في عشر مجلدات، وكتاب المبين في تاريخ الأندلس أيضا ستون مجلدا"[9].

1 - ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص357.

2- عبد الواحد المراكشي- المصدر السابق - ص37

3- ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1 ص156/نفسه- ج1 ص278.

4- نفسه- ج1 ص36.

5- مجهول- تاريخ الأندلس- ص216.

6- نفسه- ص222.

7- قال المحقق في الهامش: في النسخة أ (الورقة 361)، والطبعة المصرية (ج1 ص457): "المبين". ابن خلكان- المصدر السابق- م2 ص187.

8- الذهبي- المصدر السابق- ج13 ص647.

9- الصفدي- المصدر السابق- ج9 ص210.

ومن المؤرخين المُحْدَثين عبد الرحمن علي الحجي الذي ذكر بأن ابن حيان ألف كتابا واحدا هو "المتين"، أما الكتب الأخرى فهي إما أقسام منه أو مختصرات، ثم ساق للبرهنة على ذلك مجموعة من الأدلة منها:

1- دلالة اسم المقتبس على أن ابن حيان اقتبسه من "المتين"، أي أنه مختصر منه.

2- ابن بسام لم يذكر "المقتبس" في ذخيرته.

3- ابن بسام عند نقله عن ابن حيان يقول بأنه: من "التاريخ الكبير" أو من "تاريخه"، ويقصد به المتين.

4- ضخامة كتاب "المتين" الذي احتوى على 60 مجلّدا، إذا فهو كتاب شامل لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى غاية وفاة ابن حيان بأعوام؛ فإذا لم يكن شاملا لحقبة كبيرة فعن ماذا سيكون[1]؟.

أما محمود علي مكي فذكر أن كثيرا من الباحثين قاموا بتعداد مؤلفات ابن حيان، وبالغوا فيها دون تحقيق ولا تمحيص[2]، كما ورد عند بونس بويجس الذي يقول عن ابن حيان إنه "نظم شعرا كثيرا، وألف كتبا كثيرة في علوم الدين ومباحث الكلام؛ وفي غير ذلك من المعارف، حتى أن ما ينسب إليه من كتب لا يقل عن خمسين"[3]، وهذا أمر مُبالغ فيه كثيرا حيث أن ابن حيان لم يعرف عنه كتابته للشعر، ولا اهتمامه بالكتب الدينية[4].

وقالت عائشة عبد الرحمن عن أقسام كتاب "التاريخ الكبير" لابن حيان: "إن المقتبس عنوان لتاريخ عصر سابق، عوّل فيه على ما اقتبس من مصنفات مَن قبله، والاقتباس يعفيه من استيعاب كتب سابقيه جميعا، ومن نقل كل ما في مصادره التي ارتضاها، ويعطيه حرية الاختيار لما يأخذ وما يدع"، ثم ذكرت فيما بعد أن المقتبس موصول به أخبار الدولة العامرية، يؤرخ للأندلس من الفتح

1- عبد الرحمن علي الحجي- ابن حيان القرطبي: مؤلفاته ومنهجيته- مجلة المناهل (عدد خاص بالمؤرخ ابن حيان القرطبي)- ص237-238.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص66.

3- Francisco Pons Boigues- Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo Espanoles- Biblioteca Nacional- Ollero y Ramos-Madrid- 1993- p.152.

4- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص66.

إلى الفتنة الحالقة سنة 399هـ/1009م، والمتين يؤرخ لما بعدها إلى سقوط الدولة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1031م[1].

وبين كتابي "المقتبس" و"المتين" لابن حيان فرق جوهري يتمثل فيما يلي:

- "المقتبس" عنوان لتاريخ عصر سابق، اقتبس منه ابن حيان أخباره من كتب سابقيه جميعا، ومن نقل كل ما في مصادره التي ارتضاها.

- "المتين" تاريخ لما أدرك من أحداث زمانه، وهو فيه شاهد رؤية وسماع، يملك من وسائل التلقي ما لم يكن متاحا له في "المقتبس"؛ فكان أن سمى تأريخه لما شهد وسمع "المتين" إشعارا باستيثاقه مما دوّن من مشاهداته، وتثبته مما تلقاه سماعا وكتابة من رواية شهود للأحداث، إذا فهو في "المقتبس" ناقل مُسنِد، وفي "المتين" شاهدٌ موثق[2]، وهو الرأي الذي نميل إليه، وسنثبته فيما سيأتي من هذه الدراسة.

وبهذا فإنّ ابن حيان كتب مؤلفات كثيرة إلا أننا نجهل عددها لأن من ترجمه من أقرانه أو ممّن جاءوا بعدهم لم يثبتوا عددها بالضبط في ثنايا مؤلفاتهم، ولم يبق من مؤلفاته إلاّ أجزاء يسيرة وصلت إلينا، وذكرها المؤرخون الذي أوردنا أقوالهم سابقا، وهذه الأجزاء التي وصلتنا هي:

أ- المقتبس: ذكره ابن الأبار القضاعي في كتاب الحلة السيراء حيث قال: "قال ابن حيان في تاريخه المقتبس من أنباء أهل الأندلس"[3]، كما ذكره بنفس العنوان في كتاب إعتاب الكتّاب حيث جاء فيه: "قال أبو مروان ابن حيان بن خلف بن حيان في كتابه "المقتبس من أنباء أهل الأندلس"[4]، في حين لا تحمل القطع المنشورة نفس العنوان؛ حيث جاء عنوان القطعة التي نشرها ملشور أنطونيا "المقتبس في تاريخ رجال الأندلس"، بينما حملت القطعة التي وُجدت في مكتبة ورثة سيدي حمودة

1- عائشة عبد الرحمن- أبو مروان ابن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس- قراءة جديدة- مجلة المناهل- ص34-35.

2- عائشة عبد الرحمن- المرجع السابق- ص36.

3- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص290.

4- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار القضاعي- إعتاب الكتاب- حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- ط1- 1380هـ/1961م- ص172.

بقسنطينة، والتي استنسخ منها المستشرق الإسباني فرانسيسكو كوديرا المخطوطة المحفوظة في مكتبة المجمع التاريخي بمدريد "المقتبس في أخبار بلد الأندلس"[1].

خصّص ابن حيان كتابه الرئيس والأكثر شهرة "المقتبس" لمعالجة تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يد طارق بن زياد الولهاصي النفزي إلى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله(350-366هـ/961- 976م)، ويقدم لنا فيه أوسع رواية عن تاريخ الأندلس في القرون الهجرية الأربعة التي يغطيها الكتاب بصورة لم تتكرر في كل ما وصلنا من كتب عن تاريخ الأندلس، رغم أنه لم تصلنا منه سوى أجزاء متفرقة منه، وقد اقتبس مادة كتابه من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه، ولا سيما أحمد بن محمد الرازي المتوفى سنة 344هـ/955م[2]، وابنه عيسى المتوفى سنة 379هـ/989م[3]، ومحمد بن يوسف الورّاق القيرواني المتوفى سنة 363هـ/973م[4]، وابن الجزار المتوفى

1- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص66- 67.

2- أحمد بن محمد الرازي: هو أحمد بن محمد بن موسى بن حماد بن لقيط الرازي الكناني، يكنى أبا بكر، وفد أبوه على الإمام محمد، كان كثير الرواية، حافظا للأخبار، وله مؤلفات كثيرة في أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها، توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب. ابن الفرضي- المصدر السابق- ص52/الحميدي- المصدر السابق- ص108/الضبي- المصدر السابق- ص142/ك. بويكا- المصادر التاريخية العربية في الأندلس- نقله إلى العربية نايف أبو كرم- منشورات دار علاء الدين- دمشق- ط1- 1999م- صص101- 107/بوشريط أمحمد- آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية في الأندلس- 250- 379هـ/864- 989م- مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي غير منشورة- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران- السنة الجامعية 1425هـ/2004م- صص30-35.

3- عيسى: هو عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الطناني الكاتب، يُعرف بالرازي، أخذ عن أبيه وغيره، وكان عالما بالآداب والأخبار، تاريخيا، ألف للحكم المستنصر بالله كتابا في التاريخ حافلا، وألف أيضا للمنصور بن أبي عامر كتابا في الوزراء والوزارة، وكتابا في الحُجّاب، توفي في شعبان. ابن الأبار القضاعي- التكملة- م5 ج3 ص130/ك. بويكا- المرجع نفسه- صص136- 139/بوشريط أمحمد- المرجع نفسه- صص35- 37.

4- الوراق القيرواني: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف التاريخي الورّاق القيرواني، ألف بالأندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما في مسالك إفريقية وممالكها، وألف في أخبار ملوكها وحروبهم والغالبين عليهم كتبا جمة، وألف أيضا في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تواليفا حسانا. الحميدي- المصدر نفسه- ص101/الضبي- المصدر نفسه- ص133/ك. بويكا- المرجع نفسه- صص108- 110.

سنة 369هـ/980م[1]، ومعظم كتابات هؤلاء مفقودة، ومن ثمّ فإن ما كتبه ابن حيان يكتسي أهمية خاصة لكونه قد حفظ لنا مادة تاريخية هامة لمؤلفين عاصروا تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، والأحداث التي مرّت بها؛ كما أن أهمية الكتاب تكمن أيضا في كون مؤلفه قد اطلع على الوثائق الرسمية المحفوظة في خزائن الدولة، وذلك عن طريق والده الذي كان من كتّاب المنصور محمد بن أبي عامر، يدلّ على ذلك الرسائل الكثيرة التي أورد نصوصها في مصنفاته[2].

والمقتبس من الكتب التي فاخر بها ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس حين قال: "ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس تأليف أبي مروان بن حيان، نحو عشرة أسفار، من أجلّ ما ألف في هذا المعنى"[3].

إضافة إلى ذكر أخبار الأندلس، يأتي المقتبس- وبدقة- على بعض أخبار نصارى شمال الأندلس، ولعلّ ابن حيان كان يعرف عجمية مستعربي الأندلس، أو أنه استمد أخباره من المستعربين بقرطبة الذين كانوا على اتصال بإخوانهم في الدين في شمال إسبانيا.

يتكون كتاب المقتبَس- نسبة إلى اقتباس مادة الكتاب من مؤلفات المؤرخين السابقين- أصلا من عشرة أجزاء، وصل إلينا منه خمس قطع منفصلة وهي:

- **القطعة الأولى**: كانت بخزانة القرويين، وتستوعب أيام الحكم الربضي كاملة (180-206هـ/796-821م) ومعظم أيام ابنه عبد الرحمن الثاني (206-232هـ/821- 846م)، وقد استعارها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال من خزانة القرويين لينشرها؛ فبقيت في حوزته إلى أن توفي سنة 1957م

1- ابن الجزار: هو أحمد بن إبراهيم بن خالد القيرواني، مؤلف كتاب مغازي إفريقية، وهو من مصادر البكري، ومن الكتب الضائعة. محمد المنوني- المصادر العربية لتاريخ المغرب- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- 1404هـ/1983م- ج1 ص18.

2- عبد العزيز فيلالي- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1982- ص21.

3- ابن حزم القرطبي- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م- ج2 ص184/المقري- المصدر السابق- ج4 ص153.

فانقطع خبرها، لتظهر من جديد سنة 2003م بعدما قام الأستاذ محمود علي مكي بتحقيقها في حوالي 700 صفحة[1].

- **القطعة الثانية**: كانت بنفس الخزانة، وتبدأ حيث تنتهي القطعة السابقة أي من سنة 232هـ/846م إلى سنة 273هـ/886م، وبذلك فهي تستوعب الأيام الأخيرة من إمارة عبد الرحمن الثاني، ثم معظم أيام ابنه محمد، وقد نشرها الأستاذ محمود علي مكي سنة 1971م[2].

- **القطعة الثالثة**: وتتناول أيام الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م)، وتضم جزءا من السفر الثالث، وهي أول ما ظهر من المقتبس حيث قام بنشرها المستشرق الإسباني الأب مليشور أنطونيا في باريس سنة 1937م، ثم أعاد الدكتور إسماعيل العربي نشرها سنة 1990م، كما قام بتحقيقها محمود علي مكي[3].

- **القطعة الرابعة**: وهي موجودة بالخزانة الملكية بالرباط، وتشتمل على السفر الخامس، وتبدأ أول عصر عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912-961م) بالحديث عن كرائمه، ثم بذكر المؤلف أولاده وتربيتهم، ثم فتنة ابن مسرة ليتحول بعدها إلى الكلام عن الأحداث التي وقعت على عهد هذا الخليفة، وتستوعب هذه القطعة إحدى وثلاثين سنة من أيام عبد الرحمن الناصر أي من سنة 300 إلى 330هـ/912- 941م، وقد نشر هذا الجزء من طرف بدرو شالميتا وآخرين سنة 1979م[4].

- **القطعة الخامسة**: توجد بالأكاديمية التاريخية بمدريد، وتعالج خمس سنوات ناقصة من أيام الحكم المستنصر بالله (360-364هـ/970-974م)، وقد نشرها الدكتور عبد الرحمن علي الحجي سنة

1- حيان بن خلف بن حيان القرطبي- السفر الثاني من كتاب المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- 1422هـ- 2002م/أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط2- 2008م- ص56.

2- ابن حيان القرطبي- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ-1973.

3- ابن حيان القرطبي- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس- نشر الأب ملشور أنطونية- بولس كوتنر الكتبي- باريس- 1937م/ابن حيان القرطبي- كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب- ط1- 1411هـ- 1990م/ابن حيان القرطبي- السفر الثالث من كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس- حققه وقدّم له وعلق عليه محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- 1430هـ/2009م.

4- ابن حيان- المقتبس- نشر ب. شالميطا وف. كورينطي وم. صبح- المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد- كلية الآداب- الرباط- مدريد- 1979م.

1965م، وألحق بها قطعة صغيرة من مخطوطة القرويين التي كانت بيد ليفي بروفنسال[1]، وتتضمن هذه القطعة بعض التفاصيل عن الحروب التي وقعت بين الحكم الثاني وبعض أمراء العدوة المغربية[2].

ب- كتاب "المتين": لابن حيان أيضًا كتاب "المتين"، وفيه تناول بالتفصيل أخبار الفتنة، وقيام ممالك الطوائف في الأندلس من 399هـ إلى 462هـ(1008- 1069م)، وضاع ضمن تراث الأندلس، تقول بعض الروايات التاريخية إنه يقع في 60 مجلدة، لم يصلنا منه إلا مقتطفات ونتفٍ أوردها ابن بسام الشنتريني في كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، كما احتفظ ببعض فقرات الكتاب المؤرخون الذين أتوا بعد ابن بسام كابن الأبار وابن عذاري وابن الخطيب وغيرهم.

إن الفقرات التاريخية في كتاب ابن بسام الأدبي الموسوعي، الذي أرخ فيه للأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مقتبسة في معظمها من كتاب "المتين" لابن حيان، يقول ابن بسام: "واعتمدت المائة الخامسة من الهجرة؛ فشرحت بعض محنها...، وأحصيت علل استيلاء طوائف الروم على هذا الإقليم الأندلس...، وعوّلت في معظم ذلك على تاريخ ابن مروان بن حيان...؛ فإذا أعوزني كلامه، وعزّني سرده ونظامه، عكفت على طللي البائد، وضربت في حديدي البارد"، ويقول في موضع آخر من "الذخيرة" إنه: يلخص أخبار ملوك جزيرة الأندلس اعتمادًا على ابن حيان "لأني إذا وجدت من كلامه فصلًا قد أحكمه أو خبرًا قد سرده ونظمه، عولت على ما وصف..؛ إقرارًا بالفرق، وإعفاءً لنفسي من معارضة من أحرز بأفقنا في وقته قصبات السبق"[3].

يقول ابن سعيد عنه: "وأما التواريخ فكتاب ابن حيان الكبير المعروف بالمتين في نحو ستين مجلدة"، ويضيف قائلا: "والمتين يذكر فيه أخبار عصره، ويمعن فيها مما شاهده، ومنه ينقل صاحب الذخيرة"[4].

1- ابن حيان- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- دار الثقافة- بيروت- 1983م/أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان الأندلسي- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ /2006م.

2- محمد المنوني- المرجع السابق- ج1 ص21-22.

3- ابن بسام الشنتريني- المصدر السابق- ج1 ص20.

4- المقري- المصدر السابق- ج3 ص181.

يبدأ التاريخ في كتاب المتين بأحداث الفتنة القائمة في العدوة الأندلسية سنة 399هـ/1008م، وينتهي قبل وفاة المؤلف بسنوات قليلة أي سنة 463هـ/1071م، ومعنى ذلك أنه يتناول تاريخ حوالي أربع وستين سنة من حياة الأندلس التي عاصرها ابن حيان، يتمثّل معظمها في سنوات الفتنة وفي عصر ملوك الطوائف[1]، وابن حيان في هذا الكتاب شاهد عيان عاصر أحداث الأندلس خلال هذه المدة، وسجل أحداثها الدامية- زمن الفتنة- وأوضاعها السياسية المأسوية- عصر ملوك الطوائف-، وبذلك فهو المصدر الأساسي لتاريخ الأندلس خلال هذه المدة الزمنية الطويلة.

ج- **"البطشة الكبرى"**: وهو عنوان يدعو للإثارة، وموضوعه هو بطش المعتمد بن عباد غدرا بعبد الملك بن جهور؛ فهذا الكتاب يعني التأريخ للنكبة التي أوقعها المعتمد ابن عباد[2] بالأسرة الجهورية، وهو آخر كتاب ألفه ابن حيان، ولما كان تاريخ استيلاء المعتمد على قرطبة سنة 462هـ/1069م فإن ابن حيان يكون قد ألف هذا الكتاب وهو في سن الخامسة والثمانين من عمره أي قبل وفاته بسبع سنين[3]، وفي ذلك يقول ابن بسام: "فصحّ عندي أنه وصف كيفية خلعهم وإخراجهم من قرطبة في جزء كبير سمّاه البطشة الكبرى في مجلد كبير لم يقع إلى وقت هذا التحرير"[4].

ويقول ابن الخطيب في وصف هذا الكتاب: "وقد أفرد أبو مروان ابن حيان لهذه النكبة الجهورية كتابا سمّاه البطشة الكبرى، وكلامه فيه من لباب بلاغته"[5]، والكتاب مصدر أساسي يؤرخ لواحدة من ممالك الطوائف وصراعها مع الطامعين في الاستيلاء على ممتلكاتها، وبخاصة منها عاصمة الإمارة ثم الخلافة الأموية إلى سنة 325هـ/936م تاريخ بناء مدينة الزهراء، وقد وقعت في النهاية في أيدي المعتمد بن عباد الذي بطش بحكامها ونفاهم من مدينتهم، والكتاب مفقود.

1- ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- ص69.

2- المعتمد ابن عباد: هو أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي الملقب بالمعتمد على الله، من أهل الأدب والفضل، والشجاعة والكرم، وله الشعر الرائق، آخر ملوك دولة بني عباد، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر مجهول- تاريخ الأندلس- صص262- 264.

3- مصطفى الشكعة- أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ- مجلة المناهل- عدد خاص- العدد 29- ص157.

4- ابن بسام- المصدر السابق- ج2 ص614.

5- ابن الخطيب- المصدر السابق - ص151.

د- كتاب القضاة: ويؤكد ذلك ابن سعيد حيث يقول في ترجمة أبي بكر بن ذكوان: "وذكره ابن حيان في كتاب القضاة"[1]، وقال في موضع آخر "من كتاب ابن حيان في القضاة"[2]، وقال أيضا: "قال ابن حيان في كتاب القضاة"[3].

هـ- كتاب أخبار الدولة العامرية: هو موضوع دراستنا، وسيأتي الحديث عنه لاحقا.

7- مكانة ابن حيان وثناء العلماء عليه: أجمع معظم الذين ترجموا ابن حيان القرطبي الأندلسي على أنه كان إمام المؤرخين في الأندلس؛ لما تميزت به كتاباته التاريخية من سعة ودقة وتفصيل وجودة وجمال وأسلوب، ولذا حَظِيَ بتقدير كبير من المؤرخين، وعموم الكُتّاب ببلده يعتمدونه في الأخبار، وينقلون عنه تراجم الرجال، ويعجبون بأدبه وأسلوبه البليغ.

ومما يؤكد مكانة ابن حيان في الأندلس الحادثة الذي وقعت له حيث قيل: إن ابن حيان "ثلبَ[4] أبا الحزم بن جهور؛ فتوعّده حفيده عبد الملك بن جهور، وحلف أن يسفك دمه؛ فأحضره أبوه أبو الوليد محمد وقال: والله، لئن طرأ على ابن حيّان أمر، لا آخذنّ أحدا فيه سواك، أتريد أن يضرب بنا المثل في سائر البلدان: بأنّا قتلنا شيخ الأدب والمؤرخين ببلدنا تحت كنفنا، مع أن ملوك البلاد القاصية تداريه وتهاديه؟ وأنشد له نَظمًا، وقال:

سُبْحَان مَن جَعَلَهُ إذا نَثَر في السماء وإذا نَظمَ تحت تُخوم المــاء"[5].

7-1- ثناء القدامى عليه: نظرا لمكانته العلمية الكبيرة أثنى عليه المؤرخون القدامى، ومنهم:

ابن حزم (ت 456هـ/1063م) الذي نوّه به في رسالته في فضل الأندلس وذِكر رجالها، بقوله: "ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس وملوكها تأليف أبي مروان بن حيان، نحو عشرة أسفار، من أجلّ كتاب ألّف في هذا المعنى، وهو في الحياة بعد، لم يتجاوز الاكتهال"[6].

1- ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص36.

2- المصدر نفسه- ج1 ص101.

3- المصدر نفسه- ج1 ص147.

4- ثلب: يقال ثلبَ فلانا أي عابَهُ وتَنَقَّصضه. المعجم الوسيط- ص98-99.

5- ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص72.

6- ابن حزم القرطبي- المصدر السابق- ج2 ص184/المقري- المصدر السابق- ج4 ص153.

ابن بسام(ت 452هـ/1060م) الذي لقّب أبا مروان بـ"شيخ الأدب"[1] لميله للجانب الأدبي واللغوي؛ رغم أننا لا نجد له مصنفا فيه؛ حيث لم يذكر له الذي ترجموه كتبا في هذا الفن، وقد اعتمد عليه في كتاب الذخيرة حيث قال: "لأني إذا وجدت من كلامه فصلًا قد أحكمه أو خبرًا قد سرده ونظمه، عولت على ما وصف، ووليته خطة ما سطر وصنف؛ إقرارًا بالفرق، وإعفاءً لنفسي من معارضة من أحرز بأفقنا في وقته قصبات السبق، وبرز في زمانه على جميع الخلق"[2].

وقال الحميدي المتوفى سنة 488هـ/1095م في جذوة المقتبس: "صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها، وله حظ وافر من العلم والبيان وصدق الإيراد، ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه، وأدركناه بزماننا"[3].

وقال فيه تلميذه أبو علي الغساني (ت 498هـ/1105م)، وهو من هو علما ودينا، وقد ذكره ضمن شيوخه: "كان عالي السن قوي المعرفة، مُسْتَبحِرًا في الآداب بارعا فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظمًا (أي تأليفًا) له"[4].

ونقل ابن بشكوال عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عون قوله: "كان أبو مروان بن حيان فصيحًا في كلامه، بليغا فيما يكتبه بيده، وكان لا يعتمد كذبا في ما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار"[5].

أما ابن الآبار (ت 658هـ/1260م) فيسِمُه بقوله: "ولم يكن ليغيب أيضا عن أبي مروان ابن حيان جُهَينة[6] أخبار المروانية، ومؤرخ آثارها السلطانية"[7].

كما نوّه به الشقندي (ت 1231/629م)[1] في رسالته المعروفة حيث قال: "وهل لكم في علم التاريخ كابن حيان صاحب المتين والمقتبس"[2].

1- ابن بسام- المصدر السابق- م1 ص357.

2- المصدر نفسه- ج1 ص20.

3- الحميدي- المصدر السابق- ص196- 197/الضبي- المصدر السابق- ص253.

4- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص137/ابن خلكان- المصدر السابق- م2 ص187.

5- ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص138/ابن خلكان- المصدر نفسه- م2 ص188.

6- جهينة: جهينة قبيلة من قضاعة ويقال: فلان جُهَيْنةُ الأخبار أي يَعرف يقينها. المعجم الوسيط- ص144.

7- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص210.

وقال أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م): "وقد ذكر التاريخي الحافظ الحافل أبو مروان حيان بن خلف بن حيان في كتابه المقتبس نمَّقه بحسن عبارته المعهود من كلام الرازي"[3].

وعدّه عبد الرحمن ابن خلدون(808هـ/1406م) مؤرخ الأندلس والدولة الأموية؛ حيث قال إنه: "قَيَّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره؛ كما فعل ابن حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها"[4].

وقال ابن العماد الحنبلي(1089هـ/1678م): "حيان بن خلف بن حسين بن حيان أبو مروان القرطبي الأديب، مؤرخ الأندلس ومُسندها، وله كتاب المبين- المتين في الأصل- في تاريخ الأندلس ستون مجلدا، وكتاب المقتبس في عشر مجلدات"[5].

ولا يستغرب من أهل الأندلس أن يحيطوا نابغة من نبغائهم بهذه الهالة من التقدير، وهم الذين عُرفوا بفرط الاعتزاز ببلدهم، والاعتداد برجالاتهم إلى حد التعصب، على أنه في الواقع شخصية فذّة لا جدال في قيمة ما قدمه إلينا من مادة تاريخية دسمة، تتوزع ماضي الأندلس من لدن الفتح العربي إلى زمنه، وحاضرها المعاصر له في كتابيه "المقتبس" و"المتين"، بمجلداتهما العديدة التي لم يصلنا منها إلا أقل القليل.

7- 2- ثناء المؤرخين المُحْدَثين عليه: نال ابن حيان ثناء المؤرخين المحدثين أيضا ومنهم:

قال محمود علي مكي محقق ثلاثة قطع من كتاب المقتبس لابن حيان: "وهو بغير شك أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس بل والغرب كله- الإسلامي والمسيحي منه على السواء- طوال العصور

1- الشقندي: هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي، نسبة إلى شقندة المدينة الواقعة جنوب قرطبة، له رسالة مشهورة يفضل فيها الأندلس على المغرب، توفي في إشبيلية سنة 629هـ/1231م. ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب- ج1 ص218/ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى- دار الكتب الإسلامية- دار الكتاب المصري- القاهرة- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط2- 1400هـ/1980م- ص138.

2- المقري- المصدر السابق- ج4 ص169.

3- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ابن عبد الملك المراكشي- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق محمد بن شريفة- دار الثقافة- بيروت- د. ت- السفر الأول- القسم الأول- ص158.

4- ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون- ص11.

5- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الكتب العلمية- بيروت- د.ت- م2 ص333.

الوسطى، ولا نستثني من هذا الحكم إلا فيلسوف التاريخ أبا زيد عبد الرحمن ابن خلدون..."[1]، ولا نتفق معه في هذا الاستثناء لأن ابن خلدون لم يطبق الآراء التي أوردها في مقدمته حول كتابة التاريخ فيما دَوَّنه من تأريخ للعالم.

ونُقل عن دوزي أنه قال: "إن كُتّاب العرب يمتدحون في كتب ابن حيان صدق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لغته ورنين عباراته، وأنا أؤيدهم في ذلك كل التأييد، ولا أتردد في القول بأن كتبه- لو بقيت- لألقت على تاريخ الأندلس الغامض ضياء باهرا، وصورته لنا أحسن تصوير، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغا يجعلنا نستغني بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور"[2].

يقول فرانسيسكو بونس بويجس متحدثا عن ابن حيان: "بتصويت بالإجماع لأولئك المؤرخين الذين شاركوا في دراسة التاريخ العربي الإسباني يحتل هذا الكاتب المثمر ذو الأصل الإسباني موقع التفضيل بين المؤرخين المسلمين لدينا"[3].

يقول أحمد مختار العبادي عنه: "يُعتبر من أعظم مؤرخي إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط؛ فهو بمنزلة الطبري بالمشرق، وقد امتازت رواياته بالدقة والعمق والنظرة التحليلية الصائبة، كما امتازت عباراته بالقوة والمرونة حتى صار أسلوبه معروفا بطابعه الخاص"[4].

يقول إبراهيم القادري بوتشيش: "غير أن أهم مؤرخ أندلسي عالج الفترة باقتدار هو ابن حيان في كتابه المقتبس، وتظهر أهمية هذا المصدر في أن مؤلفه اعتمد على جملة من المؤرخين المعاصرين للأحداث، لذلك جاء حافلا بمادة ثرية لم ترد عند غيره"[5].

وبالجملة فهو من كبار المؤرخين الذين ظهروا في مغرب الوطن العربي، وإن لم يكتب تاريخا عاما يشمل البلاد العربية والإسلامية؛ كما فعل ابن جرير الطبري وابن الأثير وابن كثير وأبو الفداء

1- ابن حيان القرطبي- المقتبس...- مقدمة التحقيق- ص7.

2- آنخل جنثالث بالنثيا- المرجع السابق- ص248.

3- "por voto unanime de los que se han ocupado en el estudio de la histografia arabigo-espanola este fecundo escritor de raza espanola ocupa el puesto de preferencia entre nuestros historiadores musulmanes". francisco pons boigues- Op.cit -p152.

4- أحمد مختار العبادي- المرجع السابق- ص319- 320.

5- إبراهيم القادري بوتشيش- أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250-316هـ)- منشورات عكاظ- الرباط- 1992م- ص13.

وابن خلدون وغيرهم من أئمة التاريخ العام، لكنه وقد قصر تاريخه على بلاده الأندلس، سدّ فراغا لولاه لم يسدّ، وعمل في دائرته الخاصة عملا متقنا؛ فلحق بركب المؤرخين المجيدين والمؤلفين المتميزين في هذا الشأن، ويبالغ بعض الكتاب في شأنه؛ فيجعلونه أعظم مؤرخ ظهر في الأندلس.

8- وفاة ابن حيان: توفي ابن حيان يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة 469هـ/30 أكتوبر 1076م، ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الربض[1]؛ وبهذا فقد عاش ما يقارب التسعين سنة؛ حيث عاصر عظمة الخلافة الأموية؛ كما عايش الأحداث الدامية التي أدت إلى سقوطها سنة 422هـ/1031م، ثم عاصر قسما كبيرا من عصر ملوك الطوائف(422- 469هـ/1076م، وبذلك كان شاهد عيان لحقبة طويلة من تاريخ العدوة الأندلسية (377-469هـ/987-1076م) أرّخها في مؤلفات فقد الكثير منها.

ثانيا: كتاب الدولة العامرية: دراسة في المحتوى والمنهج

1- الكتابة التاريخية عند ابن حيان:

أسسها ومبادؤها: كانت قرطبة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أحد أعظم مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي، وأضحت جامعتها الشهيرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إحدى أعظم جامعات الأندلس قاطبة؛ فاستفاد ابن حيان من هذا الجو العلمي سواء الذي وفره له والده، أو الكفاءات العلمية المتوافرة في قرطبة؛ فانكبّ على دراسة الحديث والأدب واللغة، وبرع في الأدب والرواية حتى غدا أحد أعلامها ومحققيها، وكانت نشأته في أسرة ميسورة الحال ترتبط بالأوساط العليا في قرطبة تتيح له الإطلاع على أفضل ما في مكتبات قرطبة، خصوصًا المكتبة الملحقة بقصر الخلافة، كبرى مكتبات العالم آنذاك، والتي لم تقارن إلا بمكتبتي بغداد والقاهرة.

والخلاصة أن الفكر التاريخي قد ازدهر إبان تلك الحقبة التي شهدت العصر الذهبي في تاريخ الفكر الإسلامي، وخير نموذج على ذلك هو ابن حَيَّان القرطبي حامل لواء التاريخ في الأندلس.

ذكر محمود علي مكي أن ابن حيان اختص عن بعض العلماء بالرواية دون غيره لمنزلة أبيه كوزير، ولم يكن هو الوحيد في بيوتات الشرف وأهل الخدمة ممن مال إلى اللغة والأدب؛ فقد شاركه غيره؛ ولم ينل ما ناله من تقديم في السماع، لذا يرجّح أن همّته هي التي قدمته على

---

1 - ابن خلكان- المصدر السابق - م2 ص188.

مشايخه، وتحول بعدها إلى مجال التاريخ، وحمل على كتفه أعباءه، كما قال في مقدمة تاريخه الكبير: "فإني أمرؤ يسرت لطلب هذا الخبر، واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده، وأقيد نافره، وأبيتُ بأبوابه، وأنصب لطلابه، فشُغِلت به دهرا، وفجرت منه نهرا، صيّرني تِربًا لعدنان، وزِماما على الحَدَثان، أقصُّ أنباءه، وأضرب أمثاله، وأحصي وقائعه، واحترز مواعظه"[1].

كما أن ابن حيان قد تخصّص في التأريخ لبلده وحضارتها وسير ملوكها ورجالاتها؛ حيث ارتكزت كتابات ابن حيان على الأندلس؛ وما مرّت به من أحداث منذ فتحها سنة91هـ/711م؛ وحتى عصر الطوائف، لذلك اعتبر أحد أكبر مؤرخي الأندلس، خصوصًا أن مؤرخي الأندلس اللاحقين لم ينسجوا على منواله، وينهجوا نهجه، واكتفوا بالكتب الإقليمية الضيقة؛ فلم يضطلع أحد منهم بكتابة موسوعة مثل موسوعته إذا استثنينا لسان الدين ابن الخطيب مؤلف كتابي الإحاطة في أخبار غرناطة وأعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام.

لقد شهدت تآليفه على نبوغه وتفوقه في الميدان التاريخي، وأكّد على هذا ابن خلدون في افتتاحية مقدمته الشهيرة، عندما ذكر المؤرخين الأوائل كابن إسحاق والطبري والواقدي والمسعودي حيث؛ قال: "وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد؛ فقيّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته ومصره، كما فعل ابن حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها"[2].

وذهب محمود علي مكي إلى أنه أخذ ميله للتأريخ عن أبيه خلف بن حسين[3]، وهذا في نظرنا أقرب للصواب لما له من تأثير على تكوينه في الجانب التأريخي، ومما يؤكد هذا أهمية النقول التاريخية الهامة التي أخذها عن والده؛ وبالخصوص عن الدولة العامرية كون والده كان كاتبا للمنصور ابن أبي عامر، وكاتم أسراره ومستودع أفكاره؛ حيث نجد في أكثر الصفحات التي كتبها أبو مروان عبارة "أخبرني أبي خلف بن حسين".

1- ابن بسام- المصدر السابق- ج1 ص358.

2- عبد الرحمن بن خلدون- المصدر السابق- ص4.

3- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص26.

كما ذهب هذا المذهب أيضا مصطفى الشكعة؛ الذي ذكر أن خلف بن حسين حرص على أن يورث لولده علما قد استقر في خاطره، وقد تقلد بعض المناصب، وعاين المحن التي يتعرض لها من هم قريبون من السلطان، وأن العالم أخلد في التاريخ من منصب الحاكم، بخاصة إذا كان العالم مبرزا في ميدانه؛ متفوقا على أقرانه[1].

كان لكثرة مطالعاته التاريخية أن تجنب الروايات الخرافية والأسطورية، ولم يوجد ذلك في كتاباته؛ مما كوّن وعيا تاريخيا ناقدا لديه، ومكّنه من أن يصور ما وُجد في البلاط الأندلسي من دسائس وفتن بين الحجاب والوزراء تصويرًا نقديًا لا يعتمد على القص فقط.

2- كتاب الدولة العامرية: يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات ابن حيان، وقد ورد ذكره عند المؤرخين القدامى والمحدثين؛ وإن كان هؤلاء قد أجمعوا على موضوعه؛ فإنهم اختلفوا في كونه قسما من التاريخ الكبير لابن حيان؛ أو أنه كتاب مستقل عنه.

يؤكد المؤرخون القدامى وجود هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن حيان إلا أنهم اختلفوا حول استقلاليته أو تبعيته لمؤلف آخر قائم بذاته، ومنهم:

ابن الأبار القضاعي الذي ذكر في الحلّة السيراء أن هذا الكتاب اختزال عن كتاب "التاريخ الكبير" لابن حيان، ويحتمل أن يكون مضموما إليه لا مختزلا[2]، ولقد اتفق من كتبوا عن ابن حيان على أن تاريخه الكبير يتألف من "المقتبس" و"المتين"[3]، واختلفوا حول نسبة كتاب "أخبار الدولة العامرية" لأي منهما، غير أن ابن الأبار وفّر علينا مؤونة البحث والاجتهاد، حيث أورد لنا إيضاحا عظيم القيمة فيه تفسير لهذا الاضطراب الواقع بين المؤرخين، إذ قال عند تعرّضه لغزوات المنصور ابن أبي عامر: "وغزواته في كل صائفة متصلة أزيد من خمسين، عدّها ابن حيان في كتابه الموضوع في أخبار الدولة العامرية، وجعله لمن شاء خزله عن تاريخه الكبير أو ضمّه إليه"[4] ، وما يزيدنا تأكيدا على أنه مستقل هو الخبر الذي أورده ابن الأبار في الحلّة السيراء عند تعرضه لترجمة زياد بن أفلح التي نقلها عن ابن حيان حيث قال: "ذكر ذلك ابن حيان في تاريخه الكبير، وذكر في الدولة العامرية

1- مصطفى الشعكة- المرجع السابق- ص151.

2- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص269.

3- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص77.

4- ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- ج1 ص269.

أنّه كان على المدينة"[1]، وهو ما يؤكد أن ابن حيان أفرد كتابا لذكر أخبار الدولة العامرية، وقد وهم المحقق عندما علّق على خبر هذا الكتاب بقوله: "إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية؛ وهو المعروف بالبطشة الكبرى[2].

وذكره أيضا في إعتاب الكتاب عند حديثه عن خلف بن حسين بن حيان فقال: "ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في أخبار الدولة العامرية من تأليفه"[3]، وهو تأكيد على تأليف ابن حيان لكتاب خاص بأخبار العامريين.

وذكره عبد الواحد المراكشي عند تعرضه لغزوات المنصور ابن أبي عامر؛ حيث قال: "غزا في أيام مملكته نيفا وخمسين غزوة، ذكرها أبو مروان ابن حيان كلها في كتابه الذي سمّاه المآثر العامرية"[4]، وهو إذ يوافق بقية المؤرخين في كونه كتابا خاصا بالمنصور بن أبي عامر وأبنائه إلا أنه يُخالفهم في عنوانه، ويبدو أنه خلط فيه بين كتاب "أخبار الدولة العامرية"، وكتابا آخر بهذا العنوان لحسين ابن عاصم[5]، وهو الكتاب الذي نوّه به ابن حزم ضمن رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها حيث قال: "وكتاب المآثر العامرية لحسين بن عاصم في سير ابن أبي عامر وأخباره"[6]، ولعلّه وهم من عبد الواحد المراكشي الذي ألف كتابه في المشرق بعيدا عن كتبه واعتمادا على ذاكرته كما قال محمود علي مكي[7].

وذكر لسان الدين ابن الخطيب هذا الكتاب مرتين، الأولى حين قال عند إيراد أسماء المُبايعين لهشام المؤيد بالله: "قال ابن حيان في الدولة العامرية"[8]، والثانية حين أكّد على وجود هذا الكتاب بقوله: "ذكر أبو مروان حيان بن خلف في كتابه الذي أنافت على المائة أسفاره المسمى بأخبار الدولة

1- المصدر السابق- ج1 ص278.

2- المصدر نفسه- ج1 ص278 الهامش 2.

3- ابن الأبار القضاعي- إعتاب الكتاب- ص198.

4- عبد الواحد المراكشي- المصدر السابق- ص37.

5- ينظر الحميدي- المصدر السابق- ص109/الضبي- المصدر السابق- ص245/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص127/ المقري- المصدر السابق- ج4 ص167.

6- ابن حزم- المصدر السابق- ج2 ص184.

7- ابن حيان- المقتبس- مقدمة التحقيق- ص77.

8- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص48.

العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة"[1]، والظاهر أنّ هذا هو العنوان الكامل للكتاب؛ فقد كان ابن حيان يميل إلى هذه العناوين الطويلة المفصلة كما يقول محقق كتاب المقتبس[2]، ومن جهتنا نميل كذلك إلى كون هذا العنوان هو العنوان التام للكتاب، وبأنه جامع ودال على كل محتوياته؛ والذي يُطابق تطور الأحداث التي يؤرخ لها ابن حيان.

وصف ابن الخطيب الكتاب بأنه يقع في مائة سفر، ويبدو أن ذلك يتوقف على مفهوم ابن الخطيب للفظ "سفر"، ولعلّه أراد أن يكتب مائة جزء فكتب مائة سفر، أو يكون للفظ "سفر" اصطلاح خاص عند ابن الخطيب، وقد يكون كراسة أو ملزمة[3].

ويؤكد أبو العباس المقري نسبة الكتاب إلى ابن حيان حيث يقول: "وأما المنصور فقد ذكره- ابن حيان- في كتابه المخصوص بالدولة العامرية"[4].

كما ذكر بونس بويغس أن لابن حيان كتابا بعنوان "أخبار الدولة العامرية"، وقد ذكره ابن الأبار والمقري، ويدور موضوعه حول تاريخ المنصور وأسرته، وذكر أيضا أن ابن عاصم ألف كتابا بنفس العنوان[5]، وإنْ خالفه آنخل بالنثيا حين قال: "أما كتب ابن حيان التي صحّت نسبتها إليه؛ فقد ضاع معظمها، ومن هذه الكتب "المآثر العامرية"[6]، والأكيد أنه اقتبس ذلك من كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

تقول ماريا لويزا آبيلا: "يمكن إدراج هذا المقطع- تقصد أخبار الدولة العامرية- ضمن الصفحات التي خصّصها ابن عذاري لابن أبي عامر، في مقابل تلك التي تتعلق منطقيا بهشام، ونعتقد أن هذا النص مأخوذ من كتاب أخبار الدولة العامرية لابن حيان، فرضية يؤكدها ذلك النص الذي أورده ابن الخطيب؛ واستنسخ نصّ هذه الفقرة تقريبا، وقدّم لها على النحو التالي: "يقول ابن حيان في الدولة العامرية"، ويبدو أن ذلك يشير إلى أن أحداث عهد هشام الثاني تمّ

1- المصدر نفسه- ص98.

2 - ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص77.

3- نفسه- مقدمة التحقيق- ص76-77.

4- المقري- المصدر السابق- ج1 ص382.

5- francisco pons boigues- Op.cit - p153.

6- آنخل جنثالث بالنثيا- المرجع السابق- ص245- 246.

تضمينها بداية من مراسم البيعة في العمل المكرّس للعامريين، وإذا قبلنا نظرية الأستاذ شالميطا التي تقول إن الأعمال التاريخية لابن حيان: المقتبس، أخبار الدولة العامرية، المتين والبطشة الكبرى تشكل كتابا واحدا مقسما إلى عدة أجزاء تحترم التسلسل الزمني؛ فإن أخبار الدولة العامرية ستشكل المجلدات الثامن والتاسع والعاشر، وليس فقط التاسع والعاشر كما يقول شالميطا[1].

3- محتويات كتاب "أخبار الدولة العامرية": بغض النظر عن كون كتاب أخبار الدولة العامرية كتابا مستقلا أو هو كتاب تابع للمتين الذي ألفه ابن حيان، واعتمد فيه على ما عايشه من أحداث الأندلس؛ فإن كل المؤرخين متفقون على أنه خصّص هذا الكتاب لتأريخ الدولة العامرية التي نشأ وترعرع في كنفها (377- 399هـ/987- 1008م)، وكان والده كاتبا لمحمد بن أبي عامر مؤسسها، ومرافقا له في غزواته التي نيفت على ست وخمسين غزوة، وهو ما مكنه من استيقاء معلوماته؛ إما من خلال روايات والده أو من خلال الوثائق المحفوظة في القصر الخلافي التي أمكنه الإطلاع عليها، وإيرادها في كتابه أو الانتفاع بها في تدوين ما كتب عن أخبارها؛ فما هي محتويات كتاب أخبار الدولة العامرية؟

تضمّن الكتاب الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم؛ وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم، إلى قيام محمد بن هشام بن عبد الجبّار على عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبي عامر المنصور سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس، وظهور ما عُرف بممالك الطوائف، ومع ذلك نجد نفس المؤرخين الذين ينقلون عنه أخبار الأسرة العامرية ينسبون هذه الأخبار إلى غير هذا الكتاب، ومن ذلك ابن الخطيب الذي ينقل فقرة طويلة عن أيام عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر المنصور يقول في بدايتها: "قال أبو مروان في الكتاب المتين"[2]، وينقل ثانية فقرة أخرى تتضمن تعليق ابن حيان عن القران الفلكي الواقع سنة 397هـ/1006م، وإرجاف الناس به وتطيّرهم منه، وتأويلهم له بقرب وقوع فتنة

1 - Maria Luisa Avila- la proclamacion (bay'a) de Hisam II Ano 976 d.c- Al-Quantara- Madrid- 1980- Vol I- fasc 1 y 2- p.83.

2- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص84-89.

مدمرة؛ إذ يسبقه بقوله: "قال أبو مروان في المتين"[1]، وإن كان هذا لا يغير رأينا من أن ابن حيان قد أفرد كتابا للدولة العامرية رغم هذا التضارب الوارد عن المؤرخين الذين اقتبسوا منه، ووقع لهم الالتباس حول حقيقة هذا المؤلف؛ فنقلوا عنه، لكنهم نسبوا ما اقتبسوه منه لكتاب المتين، إذ الأجدر أن يكون لكتاب أخبار الدولة العامرية.

وفيما يلي أبرز محتويات هذا المؤلف:

3-1- هشام المُؤيَّد بالله بن الحَكَم: خصّص له المؤلف فيما وجدنا من اقتباسات 2140 كلمة أي بنسبة 06,39% من مُجمل الكتاب؛ حيث ذكر في الفقرة الأولى إفراط الحَكم المستنصر بالله في حبّ ولده، وتوريثه الملك في سن الصبا، كما خصّص له فقرة أكبر انفرد بها عن بقية المؤرخين، وتتمثل في ذكر أسماء الشهود الحاضرين بَيْعَة هشام المؤيد بالله؛ مع إيراد وظيفة كل واحد منهم، وأغلبهم من القُضاة والمُشاوَرين، بلغ عددهم مائة وأربعين (140) شاهدًا، وتضمّن هذا النص الطويل 2005 كلمة؛ مع ملاحظة أن الباحث وراد الذي ضمّن هذه القائمة في أطروحته لم يُعرِّف سوى بخمسة من الشهود، واكتفى بذكر أسماء البقية دون تعريف، مع الإشارة إلى وجود ثلاثة أسماء مكررة، ووجود أخطاء في أسماء البعض؛ إضافة إلى إيراد اسم شاهد لم يَعِش في الأندلس البتّة.

3-2- أخبار المنصور محمد بن أبي عامر: أفرده ابن حيان بالحصة الأكبر من مؤلفه؛ حيث بلغ عدد كلمات نصوصه 21129 كلمة أي بنسبة 59,90% من مجمل الكتاب، تضمنت ذكر نسب وخِصال ونَباهة المنصور ابن أبي عامر، وهو ما لم يذكره الباحث ورّاد في أطروحته، وذِكر خبر بِدايات المنصور بن أبي عامر، واتّصاله بخدمة الحكم المستنصر، وتكتّم الصقالبة على وفاة الخليفة الأموي، وكيفية وصول ابن أبي عامر إلى التمكّن، وتآمر صاحب المدينة زياد بن أفلح عليه، الذي لم يرد عند الباحث ورّاد، وذكر تَوَلّي المنصور ابن أبي عامر للحجابة، وقيامه بالجهاد دون الجماعة، وتوصله بذلك إلى تدبير الملك، ولم يورده الباحث ورّاد، وذِكر جُود المنصور بن أبي عامر، وخبر مُظاهرة غالب لمحمد بن أبي عامر على المُصْحفي إلى أنْ أسقطه، وذِكر خبر زيادة المنصور في المسجد الجامع بقرطبة، وبُنْيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم، وقنطرة أخرى على نهر إستيجة، وإيجاز

1- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص127-128.

الخبر عن أسر غَرْسِيَة، وذكر خبر الوَحْشة بين ابن أبي عامر والخليفة هشام، وذكر الأقوال المُغْرِضة في المنصور بن أبي عامر وهشام المؤيّد بالله وأمّه صُبْح البشكنسية.

ذكر غزوات المنصور بن أبي عامر بتمامها، وقد بلغ عددها ستا وخمسين غزوة انتصر فيها كلها، إذ تمثل أطول نص في الكتاب حيث تضمنت 8364 كلمة؛ كما ذكر دهاء وعزم المنصور بن أبي عامر، وخبر تنبؤ الحاجب العامري بهدم الزاهرة، كما ذكر مجلس المنصور ابن أبي عامر مع وزيره عيسى بن سعيد القطاع، وذكر الشنآن[1] الذي وقع بينه وبين القاضي ابن السليم.

أورد ابن حيان في كتابه أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر، وفصّل في الصراع الذي دار بين حكام الأندلس ومُناوِئيهم في المغرب الأقصى، وبخاصة منهم الأدارسة وقبائل زناتة، وتضمن ذلك النص الطويل الذي اقتبسه مؤلف مفاخر البربر 4869 كلمة، وهو النص الذي لم يُثبت منه الباحث ورّاد في أطروحته أي كلمة، واكْتفَى بذكر انتكاث زيري بن عطية المغراوي (389-397هـ/999-1006م) على المنصور بن أبي عامر، أي 241 كلمة نقلا عن ابن عذاري.

احتوى الجزء المُخصّص للمنصور أيضا ذكر الوزير أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ونكبته، وخبر المنصور بن أبي عامر مع عبد الملك ابن إدريس، وخبره مع كاتبه خلف بن حسين بن حيان، وقصة الجوهري المشرقي معه، وخبر إبراهيم بن إدريس الحسني مع ابن أبي عامر، كما ذكر الجباية وعِدّة الجند وأنواع السلاح على عهده، كما عدّد أرباض مدينة قرطبة، وذكر عِدَّة المساجد والحَمّامات والفِتْيان العامِريين وأسمائهم، وذكر أحْمال الحَطَب الدّاخل إلى قرطبة في عهد حاجب هشام المؤيّد بالله.

ذكر المؤلف أيضا خبر وفاة المنصور، ووصيته لابنه عبد الملك ولغِلمانه وطوائف جنده، وذكر مدة حجابته، وخبر سهره على أمور دولته، وختم المؤلف كتابه بذكر جُملة من الوزراء والكتّاب على عهده، وهم: الوزير أحمد بن سعيد بن حزم، والوزير الكاتب أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد.

ذكر ابن حيان في كتابه وفاة عيسى بن أحمد الرازي، وخبر أبي مُضر زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني، وأبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد صاحب الشرطة، والكاتب أبي عبد الله

1- الشَنآن: شنأه شَنْئًا وشَنَآنا أبْغَضهُ وتَجَنَّبه. المعجم الوسيط- ص495.

محمد بن أحمد بن خلف الخثعمي، وأبي عثمان سعيد بن عبد الله العروضي الشنتريني، وذكر مِحْنَة حَكَم وعبد الملك ابني منذر بن سعيد البلّوطي، وخبر القاضي أبي بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد، وذكر وفاة فاتن الحكمي، الخادم المعروف بالصغير وبالخازن، وفصّل في التعريف بأبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي، وذكر شيوخه، وأورد نماذج من خِدع وحِيل صاعد مع الملوك، كما أورد أيضًا قصّة أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي القرشي الزّهري، وقصة المنصور بن أبي عامر مع سجين، وهذه الأخبار كلها لم يذكرها الباحث ورّاد في أطروحته، وهي أخبار ينفرد بها ابن حيان القرطبي عن بقية المؤرخين، وهو ما يؤكد القيمة العلمية للكتاب.

3- 3- أخبار المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر: ثاني حُجّاب الدولة العامرية، وخصّص له ابن حيان نصوصًا تضمنت 9742 كلمة أي 27,75% من مجموع المؤلف، تناولت قيام عبد الملك بن محمد بن أبي عامر بالدولة، وذكر اصطناعه للبربر، ووفود بني زيري بقيادة زاوي بن زيري عليه سنة 392هـ/1001م، وذكر حال هشام المؤيد بالله المحجور عليه من قبل حُجّابه العامريين، وأوضاع النصارى على عهد عبد الملك.

ذكر ابن حيان أيضًا غزوات المظفر عبد الملك؛ ومنها غزوته الأولى، وعلاقته بمملكة جليقية، وأورد خبر وفود رسول الروم إلى المظفر أثناء هذه الغزوة، كما ذكر خبر غزوته الثانية إلى جليقية، وخبر الغزوات الرابعة والخامسة والسادسة، وهي الغزوات التي لم يوردها الباحث وراد في أطروحته، وآخر الأعمال العسكرية لخليفة المنصور غَزَاة العِلَّة التي توفي المظفر على أثرها.

كما وصف مدّة حجابة المظفّر، وذكر إطراء دينه، ونظره في السجون، وصفاته، وبخاصة منها الحَياء والعِفَّة والشجاعة، وذكر منزلة عبد الملك المظفر عند ملوك الأعاجم، وخبر الآفات التي ظهرت في دولته.

كما أورد المؤلف في كتابه خبر الوزير أبي مروان عبد الملك الجزيري، وذكر تسمية الحاجب عبد الملك بالمُظَفَّر بالله، وذكر جَمْعِه الشعراء لوصف الزهور، وخَبَر قتل طرفة الفتى الصقلبي، وخبر قتل المظفر لعبد الملك بن إدريس، وذكرُ مقتلِ عيسى بن سعيد وزير الدّولة وصاحبُه هشام بن عبد الجبّار المُتهّم بالقيام معه على آل عامر؛ وما انبعثَتْ لذلك من الفتنة المُبيرة، وذكر الرُؤيا المتعلقة

بمحنة عيسى، وذكر الشعراء خبرَ قتل عيسى، وذكر حال المظفر في أمور الدولة بعد قتل وزيره، وخبر مقتل هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله المُتّهم بالقيام على الحاجب العامري، وذكر وفاة الحاجب المظفّر عبد الملك بن أبي عامر؛ الذي لم يرد في أطروحة الباحث وراد، وذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي، وذكر وفاة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي، وذكر أبي عبد الله محمد بن الحسين التميمي الطبني.

3- 4- أخبار عبد الرحمن شنجول بن المنصور: هو آخر الحُجّاب العامريين الذين أدرجهم ابن حيان في كتابه، وخصّه بنصوص تضمنت 2094 كلمة أي بنسبة 05,96% من الكتاب، احْتَوت على العناصر التالية:

- ولاية عبد الرحمن بن أبي عامر الحِجابة لهشام بن الحكم، وإسراعه إلى تغيير السيرة بالجهل على نفسه.
- ذكر خبر البيعة لعبد الرحمن بن أبي عامر.
- ذكرُ عَقْدِ عبد الرحمن بن أبي عامرٍ لنفسِه ولايةَ عهدِ المسلمينَ على الخليفة هشام بن الحَكَم جَهالةً منهُ.
- ذكر أقوال الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد.
- ذكر خبر غزوة عبد الرحمن شنجول شاتية.
- ذكر عجوز الملك هند بنت عبد الرحمن الناصر.

من خلال ما سبق تتبين القيمة التاريخية لكتاب أخبار الدولة العامرية؛ حيث يعدّ المصدر الرئيس لتأريخ هذه الدولة التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976- 1008م في ظلّ وجود خليفة أموي عاجز عن القيام بالمهمة التي أوكلت إليه بسبب صغر سنه، واستبداد محمد بن أبي عامر بالسلطة الفعلية؛ كما يتضمن الكتاب معلومات ينفرد بها على غرار أخبار الشهود الذين بايعوا هشام المؤيد بالله، والتي لا نجد لها ذكرا في بقية المصادر، إضافة إلى انفراده أيضا بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها؛ بينما اكتفت بقية المصادر بذكر البعض منها؛ كما فعل العُذري في كتاب ترصيع الأخبار؛ أو ابن عذاري في البيان المغرب، واكتفى بقية المؤرخين بذكر عددها عند قولهم بلغت عدّة غزواته خمسين غروة ونيفا، إضافة إلى

أخبار عن الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي عاشتها الأندلس في المدة المؤرخة أعلاه، والتي سترد مفصلة في النص المحقّق.

4- مصادر ابن حيان في كتاب أخبار الدولة العامرية: تنوعت المصادر التي استقى منها ابن حيان معلوماته حيث اعتمد بالدرجة الأولى على الرواية الشفهية؛ التي أخذها عن مقربيه ومكاتبيه، وهم أشخاص توافرت لديهم: المعرفة بالحدث؛ والثقة فيما يوردون من أخبار؛ فدون الكثير برواية هؤلاء[1]، كما استند لآثار من تقدّمه من الإخباريين والمؤرخين.

حرص ابن حيان عند إيراده لرواية ما على ذكر المصدر الذي استقى منه الخبر مباشرة في البداية، وقد اعتمد على والده خلف بن حسين بالدرجة الأولى؛ كونه كان كاتبا للمنصور ابن أبي عامر، وكان مصدرا تاريخيا مهما في كتاب "أخبار الدولة العامرية"، حيث أخذ عنه ابن حيان عديد الروايات الهامة والمفصّلة، نورد على سبيل المثال منها ذكره لجود وكرم المنصور ابن أبي عامر حيث قال في بداية روايته: "حدثني أبي خلف بن حسين قال: ..."[2].

وأخذ عنه أيضا سنة مهلك جعفر المصحفي؛ حيث قال ابن حيان: "وكان مهلك جعفر فيما أخبرني به أبي خلف بن حسين سنة اثنتين وسبعين"[3].

وقال أيضا: "أخبرني أبي بعظيم ما شاهده من صرامة تلك المرأة لابن أبي عامر وولده"؛ ويقصد بها السيدة صبح[4].

وحتى عند اقتباسه عن غير والده كان ابن حيان يحرص على أن يُبيّن لنا المصدر الذي أخذ عنه؛ حيث يذكره ويُعرِّف به؛ فمثلا نجده عند ذكره لخبر مظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد ابن أبي عامر على المُصْحَفي يقول: "أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر؛ قال: سرت مع محمد ابن مسلمة[5] ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان إلى أهله..."[1].

1- أنور زناتي- المرجع السابق- ص95.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص39.

3- المصدر نفسه، ج4 ص42.

4- المصدر نفسه- ج4 ص45.

5- هو محمد بن مسلمة بن سعيد بن بتري الأيادي، من أهل قرمونة، سمع بقرطبة من عبد الله بن يونس وقاسم بن أصبغ، وخرج حاجا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (950م)، وتوفي منصرفا من أرض الحجاز. ابن الفرضي- المصدر السابق- ص57.

وبالتالي يتضح أن ابن حيان القرطبي كان يعتمد في مصادره الشفهية على الأشخاص المعاصرين للحدث، وهذا ما جعل كتاب "أخبار الدولة العامرية" من المصادر الهامة في التاريخ الأندلسي لما يحمله من أخبار منقولة من مصادر موثوقة وعايشت الحدث

كما اعتمد أيضا في مصادره على المُكاتبات التي كانت ترد إليه من أصدقائه ومكاتبيه؛ الذين كانوا يتمتّعون بالدقّة والأمانة؛ فنجده يصف لنا أحد مصادره قائلا: "كتب إلي أبو القاسم محمد بن مرشد أحد بقايا وجوه الكتاب المُستأخرين المُتمتِّعين بالنظر والمعرفة؛ مُعرِّفا بأشياء سألته عنها من هذا الباب..."[2]، وكان هذا النقل عن مبلغ الجباية أيام الحاجب المنصور ابن أبي عامر.

وحتى عند اقتباسه من الكتب يذكر ذلك؛ مثل ذكره لبعض الأقوال المغرضة عن ابن أبي عامر؛ حيث قال: " وقرأت في بعض الكتب"[3].

واعتمد أيضا على بعض المؤرخين؛ كابن الفرضي الذي كان فقيها عالما؛ عارفا بعلم الحديث والأدب، وتقلّد قراءة الكتب بالدولة العامرية[4]؛ حيث قال ابن حيان عند تعرّضه لذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد القرطبي: "وجدت بخط أبي الوليد ابن الفرضي..."[5].

إضافة إلى اعتمد ابن حيان على تسجيل ما شاهده مباشرة، وهذا عند إيراده لرواية مقتل سعيد بن عيسى القطاع سنة 397هـ/1006م من طرف الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر؛ حيث قال: "وكنت في جُملة من نظر إليه، واستبنتُ الضربة بخدّه الأيمن"[6]، وأيضا في وصفه لموكب الحاجب المظفر العامري أثناء خروجه لغزو أراض قشتالة سنة 398هـ/1007م، يقول ابن حيان: "عهدي به يوم فصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين؛ التي احتفل فيها لشانجة بن غرسية قومس قشتالة، واستكثر فيها من العدة والعدد؛ فبرز على جواده من مقرباته المنسوبة؛ فأفخم تلك

1- المقري- المصدر السابق- ج4 ص77/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1ص259/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص270-271.

2- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص98.

3- ابن عذارى- المصدر نفسه- ج2 ص280.

4- خالد حسن مطر القعايدة- المرجع السابق- ص143.

5- ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص3.

6- ابن بسام- المصدر السابق - م1 ص78.

المراكب المسلسلة، ولبوس درع فضية مطرزة بالذهب، وعلى رأسه خوذة مثمنة الشكل، محددة الرأس، مرصعة الطرق بدرّ فاخر، واسطته حجر ياقوت أحمر مرتفع القيمة، قد لزم وسط الجيش وطرح الشعاع على سنة وجهه..."[1]؛ حيث نلاحظ براعة ابن حيان في التصوير؛ ودقته في الوصف؛ لأنه اعتمد على حاسته المبصرة وملكته التاريخية الفذة، بوصفه شاهد عيان[2].

وكان ابن حيان يحرص على ذكر المصدر الذي استقى منه الخبر، وترتيبه على حسب من أخذ عنه كما ورد عند ابن الخطيب عند ذكره خبر تنبئ ابن أبي عامر بهدم الزاهرة؛ حيث قال: "حدّث أبو مروان ابن حيان عن أبيه عن أحمد بن سعيد بن حزم[3] وزير ابن أبي عامر الأخصّ به؛ قال: كنا معه يوما بالزهو؛ وهو مركب النزهة في النهر بين يدي قصر الزاهرة في نفر من خاصته..."[4].

وكان يقوم بتعريف المصادر التي اعتمد عليها ونقدها، والتعريف بأصحابها والمهن التي يشغلونها؛ فمثلا عند ذكره لخبر تسليم جثة المصحفي؛ قال: "أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر..."[5]، وعند تعرّضه للأوضاع الاقتصادية للدولة العامرية أيام المنصور ابن أبي عامر قال: "كتب إلي أبو القاسم محمد بن مرشد أحد بقايا وجوه الكتاب المُسْتَأخرين المتمتعين بالنظر والمعرفة على كبر السن؛ مُعرّفا بأشياء سألته عنها من هذا الباب سنة 436هـ/1044م؛ أثبتها نقلا من كتابه وهي:..."[6].

وقال أيضا في نفس السياق: "وكتب أبو محمد عبد الله بن مروان آخر حذاق كتاب المحاسبة اليوم، وممن لحق طرفا من تلك الدولة أن محمد بن أبي عامر..."[7].

---

1 - المصدر نفسه- م1 ص78.

2- عبد الواحد شعيب- المرجع السابق - ص383.

3- هو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو عمر الوزير، والد الفقيه أبي محمد ابن حزم، وزير الدولة العامرية، من أهل العلم والأدب والخير، كان بليغا، وتوفي كما ورد عند الضبي قريبا من الأربعمائة، أما ابن بشكوال فقد ذكر نقلا عن ابن حيان بأنه توفي سنة 402هـ/1011م، وهي الأرجح. لمزيد من التفاصيل ينظر: الضبي- المصدر السابق- ص169-170/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص24/خير الدين الزركلي- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ط8- 1989م- ج1 ص130.

4- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص80.

5- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص43.

6- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص98.

7- ابن الخطيب- المصدر نفسه- صص98-104.

ومما سبق يتضح لنا مدى توفيق ابن حيان في استخدامه لمختلف المرجعيات؛ سواء الروايات الشفهية؛ أو المُكاتبات الموثوق في مصدرها، أو حتى المؤرخين الذين سبقوه؛ بالإضافة إلى مُشاهداته المباشرة، وهو بهذا حفظ لنا أخبارا قيّمة لم ترد عند غيره من المصادر المعاصرة له، بل كان مصدرا موثوقا لمن جاؤوا من بعده.

5- منهجية ابن حيان في كتابة "تاريخ الدولة العامرية": رأى ابن حيان اختلافا في مناهج الكتابة التاريخية التي اتبعها المؤلفون في المشرق والأندلس من قبله[1]؛ فمنهم من اتبع المنهج الحولي أي التأريخ حسب التسلسل الزمني، وهو منهج له مزاياه المتعددة، لكن في نفس الوقت له سلبيات إذ أن المؤرخ كثيرا ما يضطر لقطع وحدة الأخبار والأحداث[2]، ومنهم من اتبع منهج التأريخ على حسب الدول، أي الكتابة عن كل دولة على حدى، وهذا ما سار عليه ابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ويزيد بن محمد الأزدي في تاريخ الموصل، ومنهم من اهتم بالتأريخ للجانب الثقافي مع الاكتفاء بمقدمة قصيرة عن الجانب السياسي، وهذا ما جاء على سبيل المثال في كتب التراجم.

ومن خلال تتبع المادة التاريخية المتعلقة بكتب أبي مروان، نلاحظ أنه اتبع منهجا مخالفا لكل المناهج التي أتت من قبله، وكان مميزا بحد ذاته، إذ أنه قام بمزج كل المناهج في منهج واحد، حيث رأى أن كل المناهج التي أتت من قبله تكمل بعضها البعض؛ ولذلك ارتأى أن يستفيد من كل هذه المناهج[3]، ونشاهد أيضا في كتابته بروز الناحية الفلسفية في تفسيره لبعض الظواهر والأحداث التي أرّخ لها، وهو ما جعل مصطفى الشكعة يصفه بقوله إنّه: "كان هاضما فلسفة التاريخ؛ وليس مؤرخا وحسب؛ فهو يقدم الأسباب؛ وينتهي إلى النتائج، وقد فرض شخصيته المُجرّبة وحاسته المُبصرة، واستنباءاته البديهية على قلم تملك أسباب التعبير الدقيق والأسلوب المتين"[4].

1- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص85.

2- المصدر نفسه- ص85.

3- المصدر نفسه- ص86.

4- مصطفى الشكعة- المرجع السابق- ص181.

كما أنه تجنب اللغة المألوفة التي جرى المؤلفون والعلماء على استعمالها حين يكتبون؛ فعمد إلى استعمال لغة أدبية راقية جعلت من كتبه أقرب شيء إلى أدب ممزوج بالتاريخ[1]، وهذا ما لمسناه في كتابته عن الدولة العامرية.

إن ما وصلنا في مؤلفات المؤرخين الذين نقلوا ما كتبه ابن حيان عن "أخبار الدولة العامرية" المفقود لا يُسعفنا بمادة كافية لجعلِنا قادرين على رسم صورة متكاملة وواضحة عن المنهج الذي سار عليه ابن حيان في تأليفه؛ ولكن من خلال جمع ما أمكننا من النصوص المتعلقة بهذا الكتاب وترتيبها، يمكن أن نتَبيَّن شيئا من المنهجية التي اتبعها المؤلف؛ حيث نلاحظ أنه اعتمد على المنهج التاريخي الموضوعي والحولي والتحليلي والتراجمي.

امتاز ابن حيان عموما بتحرياته ودقّته وتوثيقاته وشمولية كتاباته؛ حتى وصفه الغسّاني بالصدق فيما حكاه في تاريخه[2]، وقد لاحظنا حرص ابن حيان على ذكر الأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة العامرية، والتفصيل فيها بداية من بيعة هشام المؤيد بالله، وتولي المنصور ابن أبي عامر الحجابة، وكل الأحداث التي مرّت بها دولته إلى غاية تولي ولديه الحجابة من بعده.

كما امتاز أبو مروان في كتابته بالحسّ النقدي؛ فمثلا عند تناوله لموضوع أخذ العهد من الحكم المستنصر بالله لولده هشام، الذي كان صغيرا ولا يصلح لولاية أمر المسلمين، بالرغم من وجود المؤهلين لهذا الأمر من إخوته، سجل هذا الخبر تسجيلا تاريخيا أمينا، حيث أعطى لشخصية المستنصر بالله حقّها من الإشادة بمزاياها، ولكن أعاب عليه تصرفه هذا، ونقده نقد البصير بأمور السياسة، الخبير باستقراء أحداث التاريخ[3]؛ كما أنه كان شديد الحرص على تتبع من ترجمهم من الشخصيات، وما طرأ عليهم من تطورات ومن مراتب تدرجوا عليها.

رغم حياته في كنف دولة بني عامر؛ ثم دولة بني جهور إلا أن ابن حيان ظلّ مؤرخا مستقلا ولم يكن مؤرخ بلاط، ولذلك تحرّى الحقيقة التاريخية، وكان ناقدًا لاذعًا للأحداث التي عاشها في الأندلس منذ نعومة أظافره إلى توقفه عن الكتابة سنة 463هـ/1070م، حيث قال: "وبعد فإني امرؤ

1- ابن حيان- المصدر السابق- ص175.

2- ابن خلكان- المصدر السابق- م2 ص188.

3- ابن حيان- المصدر نفسه- ص175.

يسرت لطلب هذا الخبر، واقتفاء هذا الأثر، أحرس شارده، وأقيد نافره، وأبيت بأبوابه، وأنصب لطلابه؛ فشغلت به دهرا، وفجرت منه نهرا، صيّرني تربا لعدنان، وزماما على الحدثان، أقُصُّ أنباءه، وأضرب أمثاله، وأُحصي وقائعه، وأحترز مواعظه، وأنسأتني المدّة إلى أن لحقت بيدي منبعث هذه الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمّة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثّلة، المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية؛ ففاضت أهوالها تعاظما أدلهمني عن تقييدها، ووهمني ألا مخلص منها؛ فعطلت التاريخ إلى أن خلا صدر منها نفس الخناق، وبلل الرماق؛ فاستأنفت من يومئذ تقييد ما استقبلته من أحداثها، وأنعمت البحث عن ذلك عند من بقي يومئذ من أهل العلم والأدب لدينا؛ فلم أظفر منه إلا بما لا قدر له، لزهد من قبلنا قديما وحديثا في هذا الفن، ونفيهم له عن أنواع العلم. وانثنيت خائبا خجلا ألوم نفسي على التقصير، وأحدوها بالأمل، وأعذر من قال: "هممت ولم أفعل"، وشرعتُ في التقييد غِبَّ ذلك التفنيد، غير مخل به، ووصلت القول فيما فاتني من قبل من ذكر انبعاث تلك الفتنة وأخبار ملوكها، ومشهور حروبها مما أصبت به عندي تذكرة، أو أخذته عن ثقة، أو وصلتني به مشاهدة، أو حاشته إليّ مذاكرة، حتى نظمت أخبارها إلى وقتي مكمِّلة، وجئت بها على وجوهها، وأوردتها على سبوغها..."[1].

وإذا كان ابن حيان مجرد جامع لتاريخ الأندلس من فتحها إلى وفاة الحكم المستنصر بالله؛ فإنه كان شاهد عيان عاصر أحداث الأندلس أو نقل عمّن عاصر أحداثها؛ وبخاصة ما تعلق منها بأحداث الدولة العامرية؛ حيث كان والده وزيرا للمنصور بن أبي عامر؛ والمصدر الأول لمادته الخبرية، وهذا ما يصوّر ملكة ابن حيان الإخبارية منذ هذه الفترة من حياته، ويؤكد ذلك محقق كتاب المقتبس محمود علي مكي؛ حين يقول: "إذ كان في العشرين من عمره، ويبدو كما لو كان من رجال الصحافة في عصرنا الحاضر، ممّن يشعرون أن واجبهم هو تسجيل الحدث لحظة وقوعه مباشرة"[2].

ولم يُجانب محمود علي مكي الصواب في تشبيه ابن حيان بالصحفي في عصرنا؛ حيث يؤكّد ذلك دقّة الصورة الخبرية التي يرسمها ابن حيان للأحداث التي سمع عنها؛ أو كان شاهدا على حدوثها، ولتأكيد ذلك نورد هذين المثلين:

1- ابن بسام - المصدر السابق- ج1 ص358.

2- ابن حيان- المصدر السابق- مقدمة التحقيق- ص29.

قام ابن حيان بتسجيل ما شاهده مباشرة في فترة حجابة عبد الملك المظفر، ومن ذلك إيراده لخبر مقتل سعيد بن عيسى القطاع سنة 397هـ/1006م من قبل الحاجب عبد الملك بن المنصور ابن أبي عامر؛ حيث قال: "وكنت في جملة من نظر إليه، واستبنت الضربة بخده الأيمن"[1]، وهو تأكيد لدقة الوصف.

وقال أيضا عن المظفر، وهو في إحدى غزواته إلى قشتالة سنة 398هـ/1007م: "عهدي به يوم فصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين التي احتفل فيها لشانجة ابن غرسية قومس قشتالة، واستكثر فيها من العدة والعدد؛ فبرز على جواد من مقرباته المنسوبة بأفخم تلك المراكب المسلسلة؛ ولبوس درع فضية مُطرَّزة بالذهب، وعلى رأسه خوذة مُثمَّنة الشكل؛ مُحدّدة الرأس؛ مُرصَّعة الطرق بدُرٍّ فاخر؛ واسطته حجر ياقوت أحمر مرتفع القيمة؛ قد لزم وسط الجيش، وطرح الشعاع على سنة وجهه؛ فما رأى الناس بعده ملكا يعدله في البهاء والبهجة"[2].

إن هذا الوصف الدقيق يبين ملكة ابن حيان في تصوير الأحداث التاريخية؛ بشكل يجعل القارئ وكأنه يرى الصورة بأم عينيه.

6- القيمة العلمية للكتاب (الجغرافية- السياسية- الاقتصادية- الاجتماعية- الدينية): يعتبر أبو مروان ابن حيان من أعظم مؤرخي الأندلس، وتعتبر مؤلفاته من المصادر الأساسية لتاريخ العدوة الأندلسية؛ بخاصة وأنّه اعتمد على أبرز المؤلفات التاريخية للأندلسيين في كتاب المقتبس، وكان شاهد عيان بالنسبة لبقية مؤلفاته (المتين- أخبار الدولة العامرية- البطشة الكبرى)؛ وعليه تكتسي كتاباته قيمة علمية كبيرة إذ لا يمكن التأريخ للأندلس دون الرجوع إليها؛ فما هي قيمة كتابه "أخبار الدولة العامرية"؟

باعتباره شاهد عيان عاصر الدولة العامرية؛ إضافة إلى اعتماده على شهود عيان عاصروا هذه الدولة، ومنهم والدة خلف كاتب المنصور مؤسس الدولة؛ ومُرافقه في غزواته ضد أعدائه، أورد المؤلف أخبارًا في غاية الأهمية، ينفرد بها عن غيره من المؤلفين المعاصرين؛ اعتمد عليها كل من جاء بعده من المؤرخين، ومن ذلك على سبيل المثال: بيعة هشام المؤيّد بالله التي انفرد ابن حيان بذكر

1- ابن بسام- المصدر نفسه - ج1 ص78.

2- ابن بسام- المصدر السابق- م1- ص60

من شهدها من الفقهاء والقضاة والأعلام، وبلغ عدد هؤلاء الشهود مائة وأربعين شخصية أغلبها من القضاة والمُشاوَرين والوزراء، كما ذكر مهامهم الرسمية ومؤلفاتهم العلمية، كما انفرد بذكر بدايات المنصور ابن أبي عامر، وصعود نجمه إلى غاية الوصول إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء.

ومن الأخبار الهامة الواردة في الكتاب: ذكر ابن حيان للمؤامرات التي وقعت داخل القصر الخلافي عقب وفاة الحكم المستنصر بالله، والتي تزعمها الصقالبة، ودور محمد بن أبي عامر في بيعة هشام، إضافة إلى التحالفات السياسية التي قامت بين كبار رجالات بني أمية، ودهاء وحنكة المنصور في التخلّص من كل أعدائه؛ ومنها أيضا حروب المنصور في بلاد المغرب ضد الأدارسة بقيادة الحسن بن قنون، والزناتيين بقيادة زيري بن عطية، وهي الحروب التي انتهت ببسط سلطان الأندلس على المغرب الأقصى؛ وما والاها إلى سجلماسة؛ وعلى تلمسان وتيهرت.

انفرد ابن حيان أيضا بذكر كل الغزوات التي قادها المنصور محمد بن أبي عامر ضد أعدائه من نصارى الأندلس؛ إذ أن المصادر الأخرى لم تذكر إلا عددا محدودا منها، حيث يذكر المؤلف اسم كل غزوة وتاريخها ووجهتها ونتائجها؛ إضافة إلى أخبار أخرى تتعلق بمصير الدولة بعد وفاة المنصور.

تضمن الكتاب كذلك أسماء الكثير من المواقع الجغرافية الأندلسية؛ التي لا نعرفها إلا من خلاله؛ ومنها مواقع كثير من المعارك التي خاضها المنصور وابنه المظفر ضد نصارى شمال الأندلس؛ إضافة إلى معلومات عن المدن الأندلسية على عهده؛ ومنها مدينة الزاهرة التي بناها مؤسس الدولة العامرية، ومدينة قرطبة على عهده حيث يذكر أرباضها وعِدَّة مساجدها وحمّاماتها.

تضمن الكتاب كذلك معلومات هامة عن الأوضاع الاقتصادية في العدوة الأندلسية على عهد الدولة العامرية، ومنها الأوضاع المالية؛ حيث أورد ابن حيان في كتابة تفاصيل الجباية على عهد المنصور بن أبي عامر، وكمية الحطب التي كانت تدخل مدينة قرطبة كل يوم.

كما أورد ابن حيان في كتابه معلومات هامة عن نسب المنصور ابن أبي عامر، ومُساهمة قبيلة مَعافِر اليمنية- التي ينتسب إليها- في الفتح الإسلامي للأندلس، وأخرى عن الصقالبة الذين ازداد نفوذهم على عهد المستنصر بالله؛ إلى درجة أنهم أرادوا تنصيب خليفة لم يقم الحَكَم بتوليته العهد قبل وفاته، إضافة إلى دور النساء في قصر الخلافة، وتُمثِلُهنّ السيدة صُبْح البشكنسية التي كانت وراء تعيين ابنها الطفل هشام خليفة على الأندلس رغم وجود إخوة الحَكَم البالغين.

تضمّن الكتاب أيضا تراجم لأعلام برزوا على عهد العامريين؛ ومن أبرزهم: صاعد بن الحسن الربعي صاحب كتاب الفصوص؛ إضافة إلى إيراد كثير من الأشعار التي جادت بها قريحة الشعراء المُعاصرين لهذه الدولة، الذين أرّخوا بأشعارهم للأحداث البارزة التي عايشوها في كنف حكام الدولة العامرية.

ثالثا: منهجية التحقيق المتبعة:

1- مصادر جمع النصوص وقيمتها: اعتمدنا في جمع المادة الخاصة بكتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي، على مصادر ثبت لنا اقتباس مؤلفيها من كتاب أخبار الدولة العامرية، وقد وضعنا من أجل ذلك معيارين هما: الأول هو إشارة صاحب الكتاب إلى أنه نقل نصه من ابن حيان، ومن كتابه صراحة، أي من خلال عبارة: "قال ابن حيان في أخبار الدولة العامرية"، أما الثاني فهو معيار زمني أي أن الأحداث الواقعة في الفترة الزمنية الممتدة من سنة 366هـ/976م إلى سنة 399هـ/1008م مع عبارة "قال ابن حيان" تدخل كلها ضمن هذا الكتاب الذي خصّصه مؤلفه لتأريخ الدولة العامرية في الأندلس، وبناء على ذلك عدنا إلى المصادر الآتية:

بلغ مجموع الكلمات المقتبسة من كتاب أخبار الدولة العامرية لابن حيان القرطبي 35105 كلمة، وقد جمعناها من المصادر التالية:

1- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 8528 كلمة أي بنسبة 24,32% من مجموع كلمات الكتاب، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر اتّصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر (624 كلمة).
- بنيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم (146 كلمة)
- بُنْيان قنطرة على نهر إستيجة (13 كلمة)
- ذكر الأقوال المُغْرِضة في المنصور بن أبي عامر (132 كلمة)
- ذكر عزم المنصور بن أبي عامر (115 كلمة)
- ذكر دهاء المنصور بن أبي عامر (194 كلمة)
- ذكر مدة حِجابة المنصور ابن أبي عامر (83 كلمة)
- ذكر الغزوة الأولى للحاجب عبد الملك بن أبي عامر (1259 كلمة)

- ذكر منزلة عبد الملك المظفر عند ملوك الأعاجم (57 كلمة)
- ذكر خبر الآفات التي ظهرت في دولة المظفر (40 كلمة)
- ذكر خبر غزوة عبد الملك بن أبي عامر الثانية إلى جليقية (215 كلمة)
- خبر نزول الصاعقة بالعسكر(85 كلمة)
- ذكر خبر الغزوة الرابعة لعبد الملك المظفر (269 كلمة)
- خبر الغزوة الخامسة للمظفر (260 كلمة)
- ذكر الغزوة السادسة لعبد الملك المظفر (498 كلمة)
- ذكر تسمية الحاجب عبد الملك بالمُظَفَّر بالله (683 كلمة)
- ذكر جَمْع المظفَّر الشعراء لوصف الزهور (460 كلمة)
- ذكر خبر غَزَاة العِلَّة (100 كلمة)
- ذكر خبر قتل طرفة الفتى الصقلبي (482 كلمة)
- ذكر خبر قتل المظفر لعبد الملك بن إدريس (43 كلمة)
- ذكرُ مقتلِ عيسى بن سعيد وزير الدّولة وصاحبُه هشام بن عبد الجبّار؛ المتهم بالقيام معه على آل عامر؛ وما انبعثَتْ لذلك من الفتنة المُبيرة (1221 كلمة)
- رجع إلى خبر قتل عيسى بن سعيد (433 كلمة)
- ذكر الرؤيا المتعلقة بمحنة عيسى (53 كلمة)
- ذكر الشعراء خبرَ قتل عيسى (56 كلمة)
- ذكر حال المظفر في أمور الدولة بعد قتل وزيره (96 كلمة)
- خبر مقتل هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله المتهم بالقيام على المظفر (139 كلمة)
- ذكر وفاة الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر رحمه الله (272 كلمة)
- ولاية عبد الرحمن بن أبي عامر الحجابة لهشام بن الحكم، وإسراعه إلى تغيير السيرة بالجهل على نفسه (303 كلمة)
- ذكر خبر البيعة لعبد الرحمن بن أبي عامر (197)

2- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لابن الخطيب لسان الدين: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 7310 كلمة أي بنسبة 20,85% من مجموع كلمات الكتاب، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر الحاضرين بيعة هشام المؤيد بالله (2005 كلمة)
- غزوات المنصور- غزوة شنت ياقب (1419 كلمة)
- ذكر خبر تنبؤ ابن أبي عامر بهدم الزاهرة (134 كلمة)
- الجباية على عهد المنصور بن أبي عامر (276 كلمة)
- عِدّة الجند وأنواع السلاح على عهد المنصور (935 كلمة)
- قرطبة وأرباضها على عهد المنصور (161 كلمة)
- عِدَّة الفِتْيان العامِريين وأسمائهم (68 كلمة)
- أحْمالُ الحَطَب الدّاخل إلى قرطبة (58 كلمة)
- ذكر خبر سهر المنصور على أمور دولته (204 كلمة)
- وصف مدّة حجابة المظفر (128 كلمة)
- إطراء دين المُظفّر (232 كلمة)
- نظره في السجون أعمال (28 كلمة)
- من صفات المظفر (38 كلمة)
- ذكر حَياء وعِفَّة المظفر (30 كلمة)
- رجع إلى حَياء وشجاعة المظفر (29 كلمة)
- ذكرُ عَقْدِ عبد الرحمن بن أبي عامرٍ لنفسِه ولايةَ عهدِ المسلمينَ على الخليفة هشام بن الحَكَم جَهالةً منهُ (681 كلمة)
- ذكر أقوال الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد (411 كلمة)
- ذكر خبر غزوة عبد الرحمن شنجول شاتية (473 كلمة)

3- الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام الشنتريني: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 6756 كلمة أي بنسبة 19,25% من مجموع كلمات الكتاب، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر إفراط الحَكم المستنصر في حب ولده وتوريثه الملك في سن الصبا (135 كلمة)
- ذكر تكتّم الصقالبة على وفاة المستنصر وكيفية وصول ابن أبي عامر إلى التمكّن (875 كلمة)
- ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة؛ وقيامه بالجهاد دون الجماعة؛ وتوصله بذلك على تدبير الملك (151 كلمة)
- ذكر جود المنصور بن أبي عامر (163 كلمة)
- ذكر خبر مُظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر؛ ومظاهرته على المُصْحفي إلى أنْ أسقطه ومات في سجنه (1184 كلمة)
- إيجاز الخبر عن أسر غَرْسِيَة (111 كلمة)
- ذكر خبر الوحشة بين ابن أبي عامر والخليفة هشام (552 كلمة)
- ذكر خبر وفاة المنصور بن أبي عامر (482 كلمة)
- ذكر وصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك (403 كلمة)
- وصيّة المنصور لغلمانه وطوائف جنده (72 كلمة)
- ذكر الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد (225 كلمة)
- ذكر خبر أبي مُضر زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني (136 كلمة)
- قيام عبد الملك ابنه بالدولة (571 كلمة)
- ذكر اصطناع المظفر للبربر ووفود بني زيري (323 كلمة)
- ذكر حال هشام المؤيد بالله (278 كلمة)
- أوضاع النصارى على عهد عبد الملك (207 كلمة)
- علاقة عبد الملك بمملكة جليقية (120 كلمة)
- ذكر وفود رسول الروم إلى المظفر (79 كلمة)
- أوضاع الأندلس على عهد المظفر (95 كلمة)
- ذكر خبر الوزير أبي مروان عبد الملك الجزيري (529 كلمة)
- رجعٌ إلى علاقة المظفر بجلّيقية (65 كلمة)

4- مفاخر البربر لصالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 4869 كلمة أي بنسبة 13,86% من مجموع كلمات الكتاب، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر (4869 كلمة)

5- عيون الإمامة ونواظر السياسة لأبي طالب المرواني: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 2740 كلمة أي بنسبة 07,81% من المجموع، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر مِحْنَة حَكَم وعبد الملك ابني منذر بن سعيد البلّوطي (1490 كلمة)
- أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي (254 كلمة)
- من شيوخ صاعد البغدادي (347 كلمة)
- من خِدع وحِيل صاعد مع الملوك (160 كلمة)
- قصّة أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي القرشي الزّهري (343 كلمة)
- قصة المنصور بن أبي عامر مع سجين (146 كلمة)

6- تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 1660 كلمة أي بنسبة 04,72% من المجموع، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر تَوَلّي المنصور ابن أبي عامر للحجابة (15 كلمة)
- ذكر غزوات المنصور بن أبي عامر (1645 كلمة)

7- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأبي العباس المقري: بلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 1031 كلمة؛ أي بنسبة 02,93% من المجموع، وتتضمن الأخبار التالية:

- ذكر خبر بِدايات المنصور بن أبي عامر (127 كلمة)
- ذكر خبر زيادة المنصور في المسجد الجامع بقرطبة (435 كلمة)
- ذكر قصة الجوهري المشرقي مع المنصور ابن أبي عامر (453 كلمة)
- عِدَّة المساجد والحَمّامات على عهد المنصور (16 كلمة)

8- إعتاب الكتاب لابن الأبار القضاعي: بلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 674 كلمة؛ أي بنسبة 01,91% من المجموع، وتتضمن ما يلي:

- ذكر مجلس المنصور ابن أبي عامر مع وزيره عيسى بن سعيد القطاع (153 كلمة)
- ذكر الوزير أحمد ابن سعيد بن حزم بن غالب ونكبته (112 كلمة)
- ذكر خبر المنصور بن أبي عامر مع عبد الملك ابن إدريس (173 كلمة)
- ذكر خبر المنصور بن أبي عامر مع كاتبه خلف بن حسين بن حيان (111 كلمة)
- ذكر الوزير أحمد بن سعيد بن حزم (125 كلمة)

10- الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي: بلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 628 كلمة؛ أي بنسبة 01,78% من المجموع، وتضمنت الأخبار التالية:

- تآمر صاحب المدينة زياد بن أفلح على المنصور (155 كلمة)
- غزوات المنصور غزوة برشلونة (248 كلمة)
- ذكر خبر إبراهيم بن إدريس الحسني مع المنصور ابن أبي عامر (116 كلمة)
- ذكر إبراهيم بن إدريس الحسني (109 كلمة)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 414 كلمة؛ أي بنسبة 01,17% من المجموع، وتضمنت ما يلي:

- ذكر الشنآن بين القاضي ابن السليم والمنصور ابن أبي عامر (199 كلمة)
- ذكر القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد (215 كلمة)

كتاب الصلة لابن بشكوال: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 346 كلمة؛ أي بنسبة 00,98% من المجموع، وتضمنت الأخبار التالية:

- ذكر أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد صاحب الشرطة (11 كلمة)
- ذكر الكاتب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الخثعمي (20 كلمة)
- ذكر أبي عثمان سعيد بن عبد الله العروضي الشنتريني (20 كلمة)
- ذكر اللغوي صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي (72 كلمة)
- ذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي (128 كلمة)
- ذكر وفاة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي ابن الجزيري (39 كلمة)
- ذكر أبي عبد الله محمد بن الحسين التميمي الطبني (56 كلمة)

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي: وبلغ عدد الكلمات المقتبسة من ابن حيان 149 كلمة؛ أي بنسبة 00,42% من المجموع، وتضمنت ما يلي:

- ذكر وفاة عيسى بن أحمد الرازي (7 كلمات)
- ذكر وفاة فاتن الحكمي، الخادم المعروف بالصغير وبالخازن (18 كلمة)
- ذكر الوزير خلف بن حسين بن مروان بن حيان (49 كلمة)
- ذكر نظام الكاتبة (46 كلمة)
- ذكر عجوز الملك هند بنت عبد الرحمن الناصر (29 كلمة)

منهجنا في التحقيق: اقتناعًا منا بأن الغاية من وراء تحقيق النصوص هو محاولة إخراجها على الشكل الذي كان المؤلف يسعى إلى إخراجها عليه، وبالخصوص إذا كان الكتاب مفقودا؛ فقد بذلنا الجهد من أجل جمع النصوص الخاصة بكتاب "أخبار الدولة العامرية" من ثنايا المصادر التي اعتمدت على هذا المصدر الهام لابن حيان، واستندنا على الأدلة التي تثبت أن النص مقتبس من ابن حيان كقول المؤرخ: "قال ابن حيان"؛ أو "أخبرني والدي خلف بن حسين"؛ أو "ذكر في الدولة العامرية"... على سبيل المثال، وقد أوردنا هذه العبارة في الهامش للتأكيد على ارتباط النص بمؤلف الكتاب.

ثم قمنا بترتيب النصوص حوليا على حسب ما سار عليه ابن حيان في كتاباته الأخرى، ومنها قطع المقتبس المنشورة، وأضفنا إليها في الأخير الأعلام الذين قام المؤلف بترجمتهم.

ومن أجل ضبط النص قمنا بمقارنة المعلومات التي أوردها ابن حيان مع الأخبار التي وردت في بقية المصادر التي أرّخت لنفس الأحداث.

ولتسهيل مهمة القارئ وضعنا عناوينًا للنصوص التي قمنا بجمعها من المصادر المذكورة سابقا، ووضعناها بين قوسين معقوفتين- [...] حتى نُفرّق بينها وبين النصوص التي تعود للمؤلف.

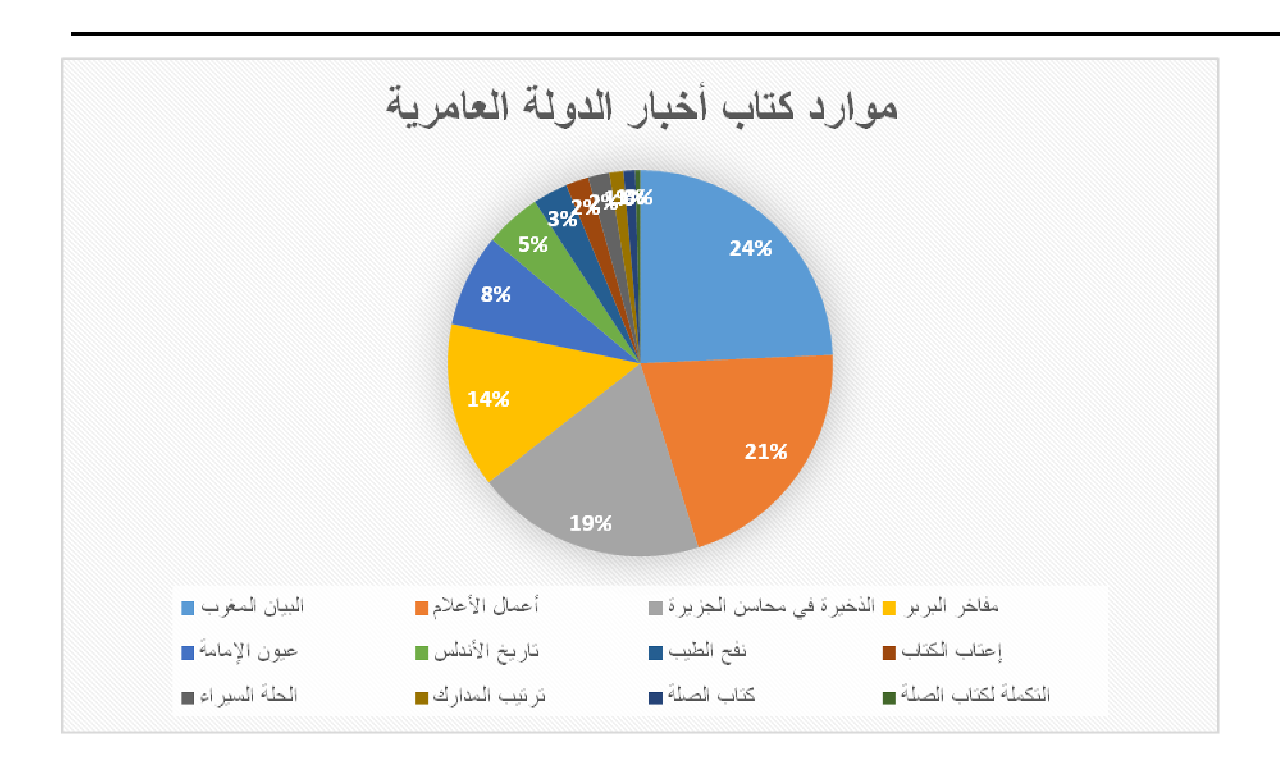
بعد ضبط النص المجموع قُمنا بتحقيق الأعلام البشرية والجغرافية الواردة فيه، إضافة إلى شرح المصطلحات والكلمات الصعبة التي وردت عند المؤلف.

وعلى الرغم من الصعوبة التي تنطوي عليها عملية تحقيق كتاب مفقود، وصعوبة التمييز بين ما كتبه مؤلف الكتاب؛ وما أضافه المؤلفون الذين اقتبسوا منه، إلا أننا بذلنا جهدنا لكي نعيد

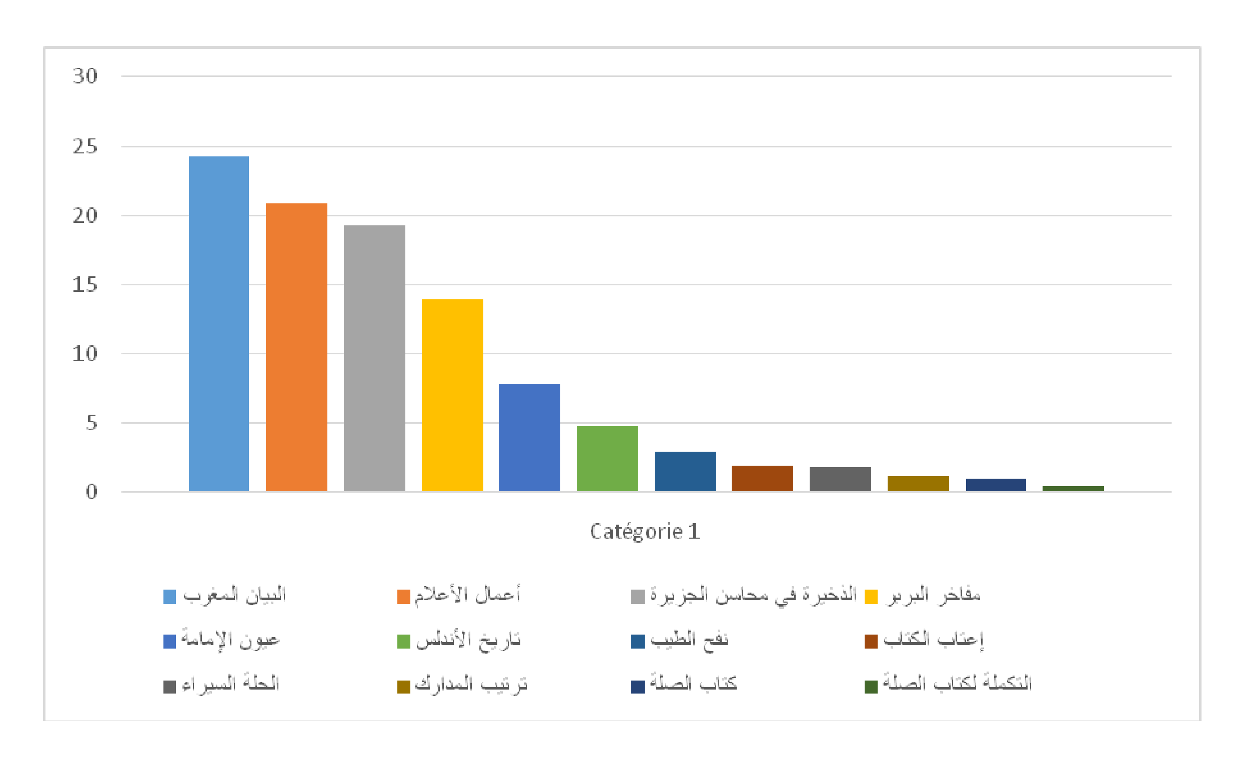
تركيب هذا المصدر المهم الذي ألّفه شاهد عيان عاصر أحداث دولة أقامها المنصور محمد أبي عامر وأبنائه داخل الخلافة الأموية، وبسط فيها نفوذه ليس على العدوة الأندلسية فحسب؛ بل وسّع نفوذه إلى أجزاء كبيرة من العدوة المغربية.

توزيع موارد كتاب أخبار الدولة العامرية

عنوان الكتاب	عدد الكلمات	النسبة المئوية
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري	8525	24,30
أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام... لابن الخطيب	7310	20,85
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني	6756	19,26
مفاخر البربر لصالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي	4869	13,87
عيون الإمامة ونواظر السياسة لأبي طالب المرواني	2740	7,80
تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول	1660	4,72
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب... للمقري	1031	2,93
إعتاب الكتاب لابن الأبار القضاعي	674	1,92
الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي	628	1,78
ترتيب المدارك وتقريب المسالك... للقاضي عياض	414	1,17
كتاب الصلة لابن بشكوال	346	0,98
التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي	149	0,42

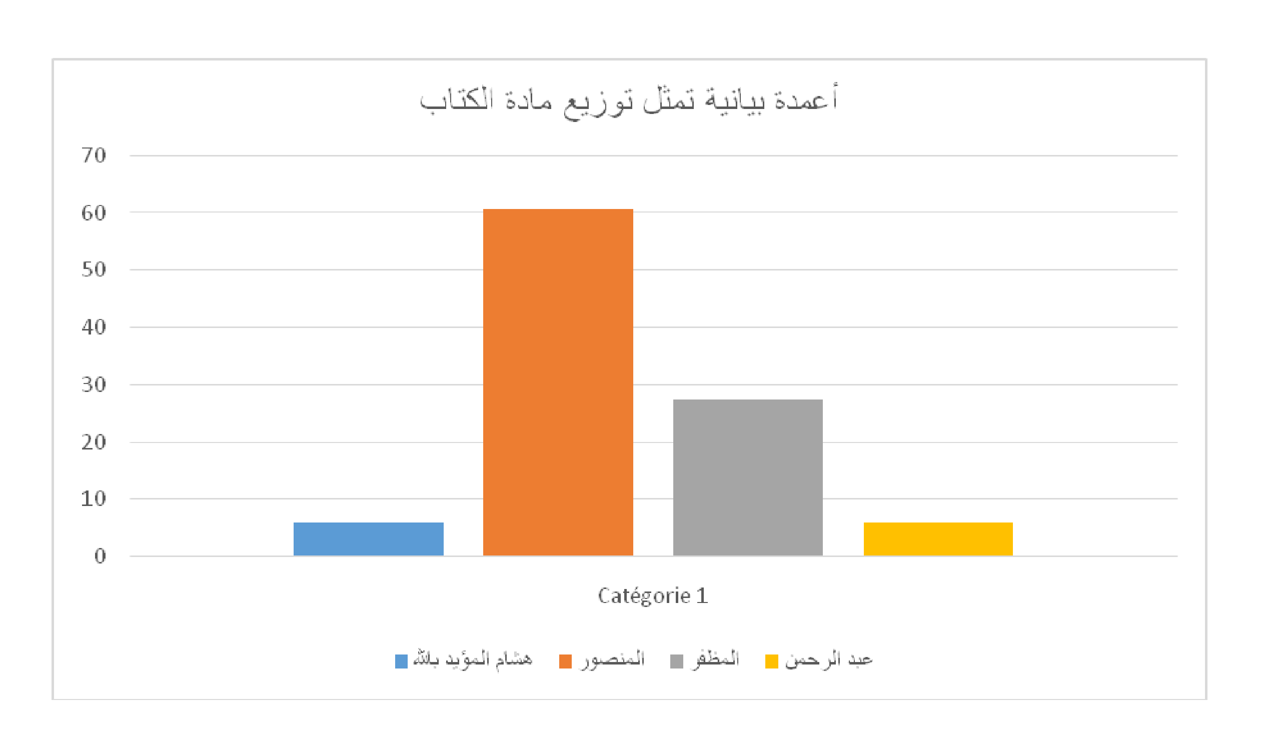


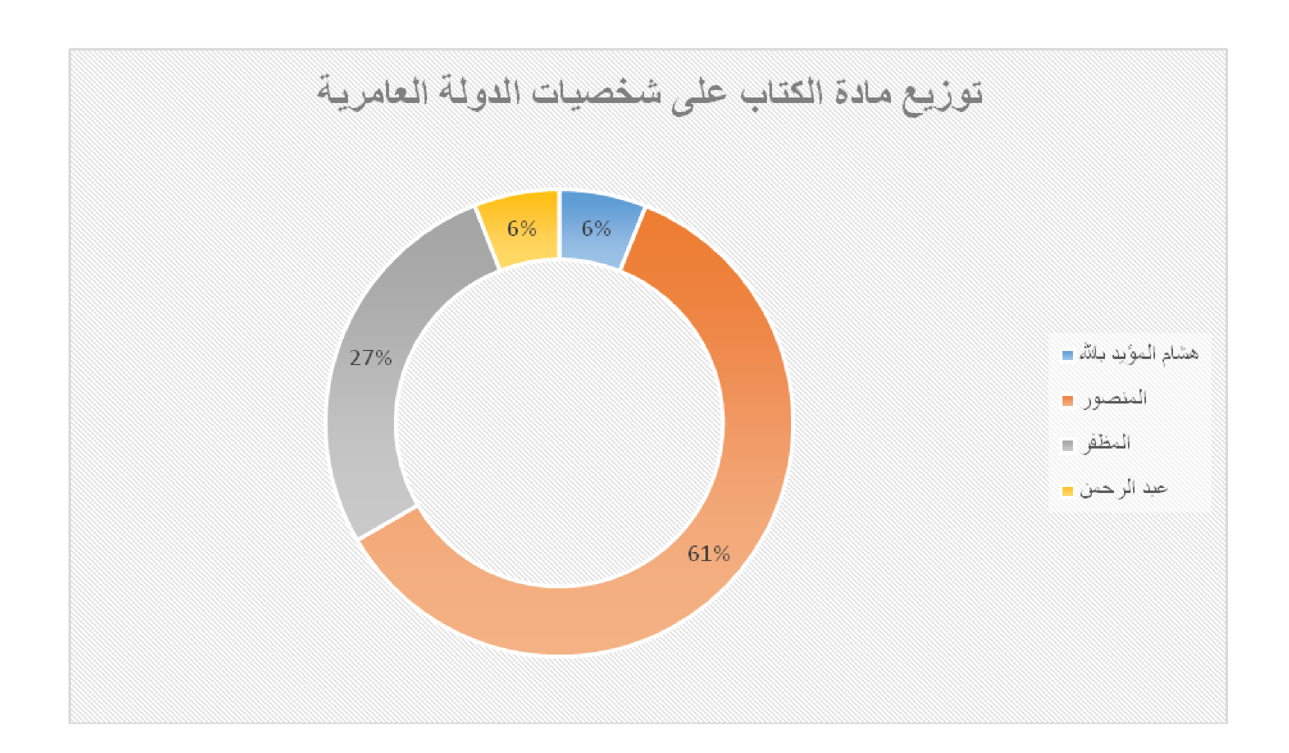
موارد الكتاب بأعمدة بيانية

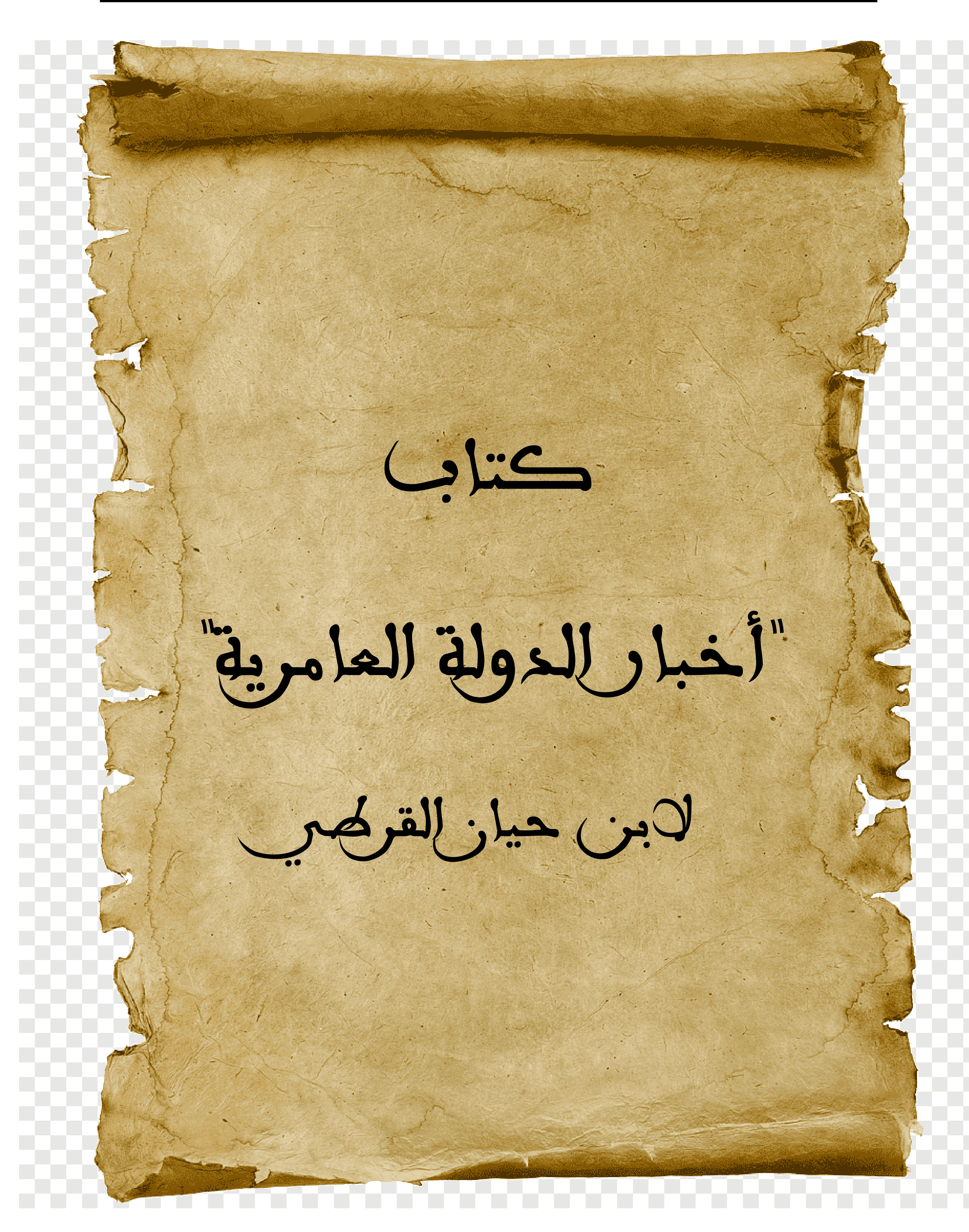


توزيع مادة الكتاب على أعلام الدولة (الخليفة والحجاب)

الشخصية	عدد الكلمات	النسبة المئوية
الخليفة هشام المؤيد بالله (366- هـ؟/966- ؟م)	2140	6,03
المنصور بن أبي عامر حاجب هشام(372- 392هـ/982- 1001م)	21498	60,6
المظفر عبد الملك حاجب هشام (392- 399هـ/1001- 1008م)	9742	27,47
عبد الرحمن شنجول حاجب هشام (399- 399هـ/1008م)	2094	5,9




توزيع مادة الكتاب على شخصيات الدولة العامرية
6%
6%
27%
61%
هشام المؤيد بالله
المنصور
المظفر
عبد الرحمن


كتاب
"أخبار الدولة العامرية"
لابن حيان القرطبي

[ذكر أخبار الخليفة هشام المؤيّد بالله]

[ذكر إفراط الحَكم المستنصر في حُبِّ ولده وتوريثه الملك في سنّ الصبا][1]: انتهت خلافة بني مروان إلى الحكم[2] تاسع الأئمة فيها؛ فتناهت في السَّرْو والجَلالة والكَمال والأُبَّهة، ونظمَ رُواة الأخبار وحَملة الآثار من مَناقبه ما طار كل مطار من جميع الأقطار، إلا أنه- تغمَّد الله خَطاياه- مع ما وُصِف من رَجاحَته، كان ممّن استهواه حبّ الولد وأفرطَ فيه، وخالفَ الحَزْم في توريثه المُلْكَ بعده في سنّ الصِّبا دون مشيخة الإخوة وفِتْيان العَشيرة، ومن يكمل للإمامة بلا مُحاباة، فرط هوى ووهلة انتقدها الناس على الحكم، وعَدُّوها الجانية على دولته، وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله؛ فأتاها هو مُخْتارًا؛ ولا مردّ لأمر الله.

وذلك أنه نفس بسلطانه على ثلاثة رجال من إخوته ولد الناصر: عبد العزيز[3] شقيقه، والأصبغ[4] والمغيرة[5]، مع جماعة من ولد الخلفاء كهول وشبان، ما فيهم إلا مُضطلع للأمر قوي عليه؛ فتخطى جماعتهم إلى ابنه هشام[6]، وهو في الوقت طفل[1] ما بلغ الحُلُم[2].

1- قال ابن بسام الشنتريني: "ونقلت من خط ابن حيان قال: ...". المصدر السابق- ج4 ص35.

2- الحكم المستنصر بالله: ولي الأندلس سنة 350هـ/961م، وكان مشغوفا بالعلوم محبا لها، مكرما لأهلها، وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله ولا بعده، وكان يشاهد مجالس العلماء ويسمع منهم، ويروي عنهم، كما كانت له عدة غزوات، وافتتاح الكثير من الحصون والمدن، توفي بقرطبة سنة 366هـ/976م. ابن حزم الأندلسي علي بن محمد- جمهرة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- مراجعة لجنة من العلماء- بيروت- ط3- 1424ه/2003م- ص100/ابن حيان- المقتبس- نشر ب. شالميطا وف. كورينطي وم. صُبح- ص101-102/الحميدي- المصدر السابق- ص26-29/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص200 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص41-43.

3- عبد العزيز: هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن محمد، يكنى أبا الأصبغ، أديب وشاعر. الحميدي- المصدر السابق- ص281/الضبي- المصدر السابق- ص357/ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1 ص208.

4- الأصبغ: هو الأصبغ بن عبد الرحمن الناصر، لم يخلّف. ابن حزم- المصدر السابق- ص100/مجهول- تاريخ عبد الرحمن الناصر- قدم له عدنان محمد آل طعمة- دار سعد الدين- دمشق- ط1- 1992- ص16.

5- المغيرة: يكنى أبا المطرف، وهو المغيرة بن الناصر لدين الله أصغر أولاده. ابن حيان- المصدر السابق- ق2- ص19/مجهول- المصدر نفسه- ص16.

6- هشام: أبو الوليد هشام بن الحكم الملقب بالمؤيد بالله، حكم من سنة 366هـ إلى سنة 400هـ (976-1009م). ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- ج1 ص200 وما بعدها/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص43 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص215 وما بعدها.

[ذكر الحاضرين بيعة هشام المُؤيَّد بالله[3]:] وأُجلس هشام بن الحكم للخلافة صبيحة يوم الإثنين بعده، لثلاث خلون من صفر[4] سنة ست وستين وثلاثمائة[5]، ودعا الناس إلى البيعة؛ فاستوسقوا[6] إليه، ولم يختلف فيها منهم اثنان، واتصل أخْذُها على الناس أيّامًا، وكتب بها إلى الأقطار؛ فلم يَرُدَّها أحدٌ.

وكان على عهد بيعة هشام بن الحكم من الأعلام هضابٌ راسية، وبحارٌ في العلم زاخرة، وأعلامٌ قَولُهم مسموع، وبِرُّهم مشروع، وأثرُهم متبوع، مثل:

قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن محمد بن زرب[7]، وحسبُك به شهرةً وجَلالة.

والقاضي أبي المطرِّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطَيْس[8]، قاضي القُضَاة بقرطبة[9].

1- ذكر ابن الخطيب أنه وقع الإتفاق على تعيين هشام للخلافة بالرغم من وجود أعمامه الكهول وبني أعمامه الفحول، وهشام يومئذ كان صبيا صغيرا لم يبلغ الحِلم، وعمره ناهز العشر سنوات، وذكر مؤلف تاريخ الأندلس أن سنه يوم بويع له بالخلافة كان عشر سنوات وثمانية أشهر. ابن الخطيب- المصدر السابق- ص44/مجهول- تاريخ الأندلس- ص216.

2- ابن بسام الشنتريني- المصدر السابق- ج4 ص35.

3- قال ابن الخطيب: "قال ابن حيان في الدولة العامرية: ...". ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص48.

4- ذكر مؤلف تاريخ الأندلس أن بيعة هشام كانت لخمس خلون من صفر سنة 366هـ/976م، أما ابن عذاري فذكر أن بيعته كانت يوم الإثنين الرابع من صفر من سنة 366هـ/976م. مجهول- تاريخ الأندلس- ص216/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253.

5- تقابلها سنة 976م.

6- استوسق الشيء اجتمع وانضمّ، يُقال استوسق له الأمر: أمكنه، واستوسق الأمر: انتظم. المعجم الوسيط- ص1032.

7- أبو بكر يحيى بن محمد: هو يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب، من أهل قرطبة، قلده أبو الوليد بن جهور أحكام القضاء بقرطبة بعد أبي علي بن ذكوان، وجمع له معها الصلاة والخطبة، وتوفي سنة 447هـ/1055م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص269.

8- أبو المطرف عبد الرحمن ابن فطيس: تقلد خطة المظالم بعهد المنصور ابن أبي عامر إلى أن ارتقى إلى ولاية قضاء الجماعة بقرطبة مجموعا إلى خطة الوزارة والصلاة، كان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء والمُسندين، وجمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، قال ابن حيان: توفي صدر الفتنة سنة 402هـ/1011م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص271-274/النباهي- المصدر السابق- ص102-103.

9- قرطبة: قاعدة الأندلس وقطبها وقطرها الأعظم، وأم مدائنها، ومستقر الخلفاء، وهي على ضفة النهر الأعظم، تتوسط بلاد شرق الأندلس وبلاد غربها، ذكر مؤلف تاريخ الأندلس أن ابن حيان عرّف قرطبة بأنها "دار ملك بني أمية ولذريق الرومي قبلهم، وهي مدينة زرع وضرع، وبها من أنواع الفواكه ما لا يحصى، عذبة المياه، معتدلة الهواء، وهي دار الخلافة". مجهول- تاريخ الأندلس- ص72- 74.

والقاضي محمد بن إسحاق بن السَّليم[1]، قاضي القضاة على عهد الحكم وصَدْرًا من دولة ولده.

والقاضي أبي علي حَسن بن محمد بن ذَكْوان[2].

والقاضي محمّد بن يَبقَى بن زَرْب[3]، قاضي الجماعة بقرطبة.

والقاضي محمد بن أبي يحيى زكرياء بن بُرْطال[4].

وقاضي الجماعة سِراج بن عبد الله ابن سِراج[5].

وقاضي القُضاة الرئيس الجليل، المُتقدِّم على الوزراء أبي العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذَكْوان بن عبد الله بن عَبْدوس بن ذَكْوان الأمويّ[6]، وكان أبْعدَ الناس من الهوادة: ذكروا أنَّ

1- محمد بن إسحاق بن السليم: كان من العدول المرضيين والفقهاء المشهورين، ولي قضاء الجماعة بقرطبة بعد البلوطي سنة 353هـ/964م وحمد الناس سيرته واطمأنوا إلى عدله، وكانت وفاته سنة 367هـ/977م. الحميدي- المصدر السابق- ص50/الضبي- المصدر السابق - ص58-59/النباهي- المصدر نفسه- ص90-91.

2- حسن بن محمد بن ذكوان: من أهل قرطبة، يكنى أبا علي، استقضاه أبو الوليد محمد بن جهور بقرطبة، ورقّاه إليها من أحكام الشرطة والسوق، ولم يكن ذا علم كبير، توفي سنة 351هـ/962م. ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص123.

3- محمد بن يبقى ابن زرب: قاضي الجماعة بقرطبة، وأحد صدور الفقهاء في زمانه بالأندلس، كان نبيلا فاضلا جليلا، عُنِي بدرس الرأي فتقدّم فيه أهل وقته، وكان أحفظ أهل زمانه للمسائل على مذهب مالك وأصحابه، بصيرًا بالعربية والحساب، شُوورِ في الأحكام، وله كتاب في الفقه سمّاه "الخصال"، وتوفي سنة 381هـ/991م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص88-89/الحميدي- المصدر نفسه- ص104/النباهي- المصدر نفسه- صص91- 94.

4- محمد بن يحيى: يكنى أبا عبد الله، وعُرف بابن بَرْطال، وهو خال المنصور ابن أبي عامر، رحل إلى المشرق وسمع من جلة علماء الحجاز والشام، وانصرف إلى الأندلس فولاه الناصر لدين الله قضاء كورة رية، وولي في صدر دولة المؤيد قضاء كورة جيان وأحكام الشرطة، ثم قاضي الجماعة بقرطبة والصلاة بعد وفاة محمد بن يبقى بن زرب، ووُلي الوزارة، وكانت وفاته سنة 394هـ/1003م. ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج2 ص97-99/النباهي- المصدر نفسه- ص99.

5- سراج بن عبد الله بن سراج: مولى عبد الرحمن بن معاوية، يكنى أبا القاسم، سمع من أبي محمد الأصيلي والقاضي محمد ابن برطال والقاضي عبد الرحمن ابن فطيس، تولى القضاء بقرطبة سنة 448هـ/1056م، وكان مُشاوَرًا في الأحكام من قبل، فقيه عارف مشهور، توفي سنة 456هـ/1064م. القاضي عياض- المصدر السابق - م2 صص356-358/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص201/الضبي- المصدر السابق- ص281-282.

6- أبو العباس أحمد ابن ذكوان: كان من خير القضاة نزاهة وعلما ومعرفة ورزانة وعدلا وحزامة، وتسمّى بقاضي القضاة، ولاه المنصور القضاء، وكان من جلّة أصحابه وخواصه، ومحلّه منه فوق محلّ الوزراء، يُفاوضه في تدبير الملك وسائر شأنه، وصرفه ابنه المظفر عن القضاء والصلاة، وتوفي سنة 413هـ/1022م. لمزيد من التفاصيل عنه ينظر القاضي عياض- ترتيب المدارك- م2

المنصور لما اتخذ مسجد الخطبة بالزاهرة، واقتصر على الصلاة فيه، لم يُصَلِّ معه ابن ذكوان فيه مدَّة أيّامِه مُراعاة للخلاف.

وقاضي القضاة أبي بكر يحيى بن عبد الرحمن بن وافِد[1]، كان أحد كمّال القضاة بالأندلس هدْيًا وعِلمًا ورَجاحةً.

وأبي حاتم محمد بن عبد الله بن ذَكْوان[2].

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري[3] المعروف بالقلانسي[4]، له تواليف جليلة، سمع قراءة ابن محمد وحماس بن مروان والمَغَامِي[5]، وله كتابٌ جليل في الإمامة، وله بلاغةٌ وشعرٌ وفصولٌ ونوادر.

صص253-256/ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص30-31/الحميدي- المصدر نفسه- ص130-131/النباهي- المصدر نفسه- صص99-101.

1- قال ابن الخطيب: "قال ابن حيان: ...". المصدر نفسه- ق2 ص49.

2- محمد بن عبد الله بن ذكوان: يكنى أبا حاتم، من أهل قرطبة، صحب القاضي أبا بكر بن زرب وتفقه عنده، وولاه الشورى بقرطبة مجموعة له إلى قضاء فريش، وكان يخلف أخاه أبا العباس ابن ذكوان على قضاء الجماعة بقرطبة مدة مغيبه في المغازي مع المنصور، ثم ولاه المظفر عبد الملك أحكام المظالم بقرطبة، وكان محمودا في أحكامه حسن السيرة فيها وله بصر بالفقه، وكان كثير الأحاديث، توفي سنة 414هـ/1023م، زاد ابن حيان في منتصف شهر رمضان يوم الأربعاء. القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص256-257/ابن بشكوال- المصدر نفسه- م2 ج2 ص125.

3- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري: المعروف بالقلانسي، الفقيه العالم بالكلام، الإمام الكامل والرجل الصالح الفاضل، سمع من فرات بن محمد وحماس بن مروان والمغامي وغيرهم، له تآليف حسنة منها كتاب في الإمامة وآخر في الردّ على الرافضة، توفي سنة 359هـ/969م، وعليه يستحيل أن يكون من المشاركين في بيعة هشام المؤيد بالله التي كانت في سنة 366هـ/976م، إضافة إلى أنه من علماء إفريقية وليس من علماء الأندلس كما أثبت ذلك مترجموه. إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- دراسة وتحقيق مأمون بن يحيى مجي الدين الجنان- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ/1996م- ص144/محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م- م1 ص140.

4- في الأصل: القلّالي، وما أثبتنا من المصدرين السابقين.

5- في الأصل: المعافي، وما أثبتنا من المصدرين السابقين، وهو أبو عمر يوسف ين يحيى الأزدي المَغامي، ومَغَامَة قرية من أعمال طليطلة، صَحِب عبد الملك بن حبيب السُّلَمي الفقيه صاحب الواضحة، التي لا يكاد يوجد شيء منها إلا عنه، مات في القيروان سنة 283هـ/896م، وقيل سنة 285هـ/898م، وقيل سنة 288هـ/900م. الحميدي- المصدر السابق- ص361/الضبي- المصدر السابق- ص460-461.

وقاضي الجماعة أبي بكر بن السّليم[1].

وأخيه منذر بن إسحاق أبي الحكم[2]، قدّم للشورى بقرطبة.

وعبيد الله بن الوليد بن محمد بن محمد بن يوسف أبي مروان المُعَيْطي[3]، سمع من قاسم بن أصْبَغ والحسن بن سعد وأحمد بن عُبادة.

وسليمان بن أيّوب بن سليمان بن بَلْكَاش القوطِيّ أبي أيّوب[4]، سمع من ابن لُبابة وغيره.

وعبد الملك بن هُذَيْل بن عبد الملك التَّميمي أبي مروان[5]، سمع من أحمد بن خالد وابن أصْبَغ، قال ابن عفيف: "كان واحِد عصره [في التقشف والزهد والعقل]"[6].

وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الزجَّالي[7]، من بيت النباهة والوزارة بقرطبة.

1- أبو بكر بن السليم: هو محمد بن إسحاق بن منذر بن محمد بن منذر بن محمد بن إبراهيم بن السليم، من أهل قرطبة، كان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف عالما بالحديث ضابطا لما رواه متصرفا في علم اللغة والنحو، ولاه الحكم خطة المظالم والشروط ثم قضاء الجماعة سنة 356هـ/966م، وفي أيامه حمدت الناس سيرته، واطمأنوا إلى عدله، توفي سنة 367هـ/977م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 صص174-179/ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص73/الحميدي- المصدر نفسه- ص50/الضبي- المصدر نفسه- ص58-59/النباهي- المصدر السابق- ص90-91.

2- منذر بن إسحاق: هو منذر بن إسحاق بن السليم، يكنى أبا الحكم، كان مشاورا لأخيه في قرطبة، وتوفي سنة 402هـ/1011م. القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص179.

3- عبيد الله بن الوليد المعيطي: هو أبو مروان عبيد الله بن الوليد بن محمد ابن أبي معيط، كان عالما بالفتيا، بصيرا بالمسائل والشروط، مُشاوَرًا في الأحكام، مُسْتَفْتَى من نظرائه، توفي سنة 378هـ/988م. ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 ص232/القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص179.

4- سليمان بن أيوب: هو سليمان بن أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكاش بن إليان القوطي، روى عنه ابن الفرضي، وكان من أهل العلم والنظر، بصيرا بالاختلاف، حافظا للمذاهب، مائلا إلى الحجة والدليل، حدّث وسمع الناس منه كثيرا ومنهم ابن الفرضي، توفي 377هـ/987م. القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص179-180/ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 ص177/ الحميدي- المصدر نفسه- ص218 /الضبي- المصدر نفسه- ص277.

5- عبد الملك بن هذيل: عُرف بالخَلَقي للبسه خلق الثياب أي بَلِيَ، وكان لا يُسند الأحاديث، وإذا استسنده أحد حديثا قال: "لا يا ابن أخي، إنما هي بتر"، توفي سنة 359هـ/969م. القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص180/ابن الفرضي- المصدر نفسه- ص250.

6- ساقط في الأصل، والزيادة من القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص180.

7- في الأصل: الرحّال، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الزجّالي، يكنى أبا بكر، استوزره المستنصر بالله، كان خَيِّرا فاضلا أديبًا عالما، قيل فيه: إنه كان أولى بالقضاء من ابن أبي عيسى ومن منذر ومن غيرهما، توفي سنة 375هـ/985م. القاضي عياض- المصدر نفسه- ج1 ص219.

وأبي بكر ابن القوطية الإمام المُصَنِّف[1].

وإسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي المُضَري بن الطحّان[2]، اختصر "المُدَوَّنَة"، وكان من كبار العلماء.

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن[3] التَنَسِيّ[4]، سمع وهبًا[5] وأبا علي النابلي، وأفتى بجامع الزهراء.

وعبد الله بن محمد بن عبد البَرّ النَّمْري[6]، والد أبي عمر بن عبد البرّ، من أصحاب ابن بحامة[7] الإلبيري.

وعبد الله بن محمد الصَّابوني[1] المعروف بابن بَرَكَة[2]، ولي الشورى بقرطبة.

1- أبو بكر ابن القوطية: هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى المعروف بابن القوطية، صاحب الشرطة، كان عالما بالنحو، حافظا للغة متقدما فيها على أهل عصره لا يُشقُّ غباره، وله في هذا الفن مؤلفات حسان، وكان حافظا لأخبار الأندلس، وملما برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، يملي ذلك عن ظهر قلب، توفي سنة 367هـ/977م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص72-73/القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص182-183/الحميدي- المصدر السابق- ص82/الضبي- المصدر السابق- ص107.

2- إسماعيل بن إسحاق: يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الطحّان، كان عالما بالآثار والسنن، حافظا للحديث وأسماء الرجال، وكان أكثر وقته يصنف الحديث واالتواريخ، وكان عالما بأخبار الشيوخ، وكان يعقد الشروط ويفتي، توفي سنة 384هـ/994م. ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 ص75/القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص183.

3- هو إبراهيم بن عبد الرحمن التنسيّ، يكنى أبا إسحاق، من ساكني مدينة الزهراء، وكان يُفتي في جامعها، وحدث بحكايات من أمالي أبي علي القالي، توفي سنة 387هـ/997م. ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 ص32/الضبي- المصدر نفسه- ص200.

4- في الأصل: القيسي، والصحيح ما أثبتنا من ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج1 ص32/الضبي- المصدر نفسه- ص200.

5- وهبًا: هو وهب بن محمد بن محمود بن إسماعيل، من أهل قرطبة، يكنى أبا الحزم، سمع من قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرّة، وكان حافظا للرأي، شاوره محمد بن إسحاق بن السليم أيّامه على القضاء، ولما وُلِي محمد بن يبقى ترك مشاورته، توفي سنة 391هـ/1000م. ابن الفرضي- المصدر نفسه- ج2 ص146/الحميدي- المصدر نفسه- ص349-350/الضبي- المصدر نفسه- ص444.

6- في الأصل: النميري، والصحيح ما أثبتنا، وهو عبد الله بن محمد عبد البر النمري، والد أبي عمر الحافظ، كان يقرأ على الشيوخ، ويسمع الناس بقراءته، توفي سنة 380هـ/990م. القاضي عياض- المصدر نفسه- م2 ص183-184/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص214-215/الضبي- المصدر نفسه- ص313.

7- في الأصل: ابن بحامة، والصحيح ما أثبتنا من القاضي عياض، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم. المصدر السابق- م2 ص131-132.

ومحمد بن عبد العزيز بن يحيى[3]، كان من أفضل أهل زمانه، وله تأليفٌ حسن.

وأبي عمر أحمد بن عيسى[4] بن مكرم[5] الغافقي.

وأخيه أبي عثمان سعيد بن عيسى[6]، سمع قاسم بن أصبغ، وكان من أصحاب الرأي والتصرّف والحفظ.

وأحمد بن محمد بن زكريا بن الوليد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد بن ميكاييل، مولى عبد العزيز بن مروان، الرُّصافيّ القرطبي.

وأحمد بن قزلمان[7] أبو عمر، من العباد المتبتلين.

والقاضي محمد بن يحيى بن زكرياء التميمي[8]، سمع بقرطبة من ابن خالد وقاسم بن أصبغ وابن رفاعة وابن دحيم.

وإبراهيم بن أحمد بن فتح، المعروف بابن الحدّاد القرطبي[1]، روى عن ابن أيمن وابن مسعود، ومحمد بن الحاج بن عبد الرحمن بن علقمة.

1- عبد الله بن محمد الصابوني: عرف بابن بركة، وبركة هي أمه، من أهل قرطبة. يكنى أبا محمد، شاوره القاضي محمد بن يبقى؛ فلم يزل يُستفتَى مع المُشاوَرين إلى أن توفي، وكانت وفاته سنة 378هـ/988م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ص222/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص185.

2- في الأصل بابن برلة، والصحيح ما أثبتنا من ابن الفرضي. نفسه- ص222/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص185.

3- محمد بن عبد العزيز: عرف بابن الحصار، من أهل قرطبة، كان عالما بالوثائق بصيرا بعللها، توفي سنة 372هـ/982م. ابن الفرضي. المصدر السابق- ص80/ القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص185-186.

4- أحمد بن عيسى بن مكرم الغافقي: من أهل قرطبة، كان متصرّفا في الفتيا وعقد الشروط، توفي سنة 373هـ/983م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص62/ القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص186.

5- في الأصل: المكرم، والصحيح ما أثبتنا من المصدرين السابقين.

6- أبو عثمان سعيد بن عيسى: بن مكرم الغافقي، سمع من قاسم بن أصبغ وكان متصرفا في حفظ الرأي وعقد الشروط، توفي سنة 378هـ/ 988م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص167/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص186.

7- في الأصل: قرلكان، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وهو أحمد بن قزلمان المؤدب، يكنى أبا عمرو، كان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، وكان يؤدب بالقرآن، لقيه ابن الفرضي، توفي سنة 377هـ/987م. المصدر السابق- ص62-63.

8- محمد بن يحيى بن زكرياء التميمي: يعرف بابن برطال، يكنى أبا عبد الله، سمع بقرطبة من أحمد بن خالد يسيرا، ومن قاسم بن أصبغ كثيرًا، ومن محمد بن عيسى بن رفاعة وأحمد بن دحيم بن خليل وغيرهم، رحل إلى المشرق وسمع بمكة والشام، حدّث بكتاب البخاري، وكان ابن الفرضي من تلامذته، توفي سنة 394هـ/1003م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 صص97-99/ القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص187.

وأحمد بن محمد بن يوسف المَعافِري[2] الكشكيتاني[3]، سمع أبا عيسى والدَّيَنَوَري.

وسعيد بن حَمدون بن محمد القيسي[4] أبي عثمان، سمع ابن أصْبَغ وابن الشامة وابن حزم وابن مُطرِّف.

وخطّاب بن مَسْلَمة[5] بن محمد بن سعيد بن بَتْري الإيَّادي، سمع ابن لبابة وابن أصْبَغ، وحجَّ فلقي ابن الأعرابي وابن النحّاس.

ومَسْلَمة بن محمد بن مَسْلَمة أبي محمد الزاهد[6]، سمع بمكة من الأجري وغيره.

وعتاب بن هارون[7] بن عتاب بن بشر بن عبد الرحيم بن بشر بن الحارث بن سهل بن أيّوب، سمع بمكة من ابن الأنماطي والطوسي والخزاعي.

1- إبراهيم بن أحمد بن فتح: مولى قريش، فقيه حافظ، كان حافظا للمسائل عاقدا للشروط عالما بالفقه والعربية، حدث وقرئ عليه المدونة، وسمع منه ابن الفرضي، توفي سنة 379هـ/989م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص31-32/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص189/الضبي- المصدر السابق- ص195.

2- أحمد بن محمد: بن يوسف المعافري، يكنى أبا القاسم، من أهل قرطبة، استأدبه أمير المؤمنين المستنصر بالله لولي العهد المؤيد بالله، وولي أحكام الشرطة وحدّث، توفي سنة 368هـ/978م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص58-59/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص190.

3- في الأصل: القشطيطي، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وعند القاضي عياض: يعرف بالقشطيلي. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص58/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص190.

4- سعيد بن حمدون: بن محمد القيسي الصوفي، يكنى أبا عثمان، سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق، كان شديد الأذى بلسانه ويتوقاه الناس على أعراضهم، توفي سنة 378هـ/988م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص167/القاضي عياض- المصدر السابق - م2 ص190-191.

5- خطاب بن مسلمة: من أهل قرمونة، يكنى أبا المغيرة، سمع بالأندلس وبالمشرق، كان حافظا للرأي، بصيرا بالنحو والغريب، توفي سنة 372هـ/982م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص130-131/الضبي- المصدر السابق- ص266/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص191.

6- مسلمة بن محمد: بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بتري الإيادي، كان زاهدا ومجتهدا وكثير الجهاد، سمع بالأندلس والمشرق، وكانت العبادة أملك به وأغلب عليه، توفي سنة 391هـ/1000م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص117-118/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص191-192.

7- عتاب بن هارون: من أهل شذونة- يكنى أبا أيوب، سمع بالأندلس والمشرق، كان حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، حسن النظر، من شيوخ ابن الفرضي، توفي سنة 381هـ/991م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص268-269/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص192/الضبي- المصدر السابق- ص405.

وسعيد بن مُرْشِد العكي أبي عثمان الشَّذُوني[1]، سمع وهب بن مَسرَّة، وشُوورِ مع أصحابه.

وعثمان بن سعيد بن البشر بن غالب اللخمي الشذّوني[2]، سمع ابن لُبابة؛ وابن خالد؛ وعمر بن محمد بن إبراهيم بن الرفائقي الأبْهَري، وروى "الإشراف" عن مؤلفه ابن المنذر، وكان من أهل العلم والعمل.

وأحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن فهر بن الإمام أبي بكر[3].

وعبد الله بن محمد [ابن موسى][4] بن أزهر بن حُرَيْث بن قيس بن أيّوب بن جُبَير الإِسْتِجي[5].

وأحمد بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم الإسْتِجي[6].

ومحمد بن عبد الله بن قاسم الإسْتِجي[7]، سمع ابن لُبابة؛ وابن خالد؛ وابن أصْبَغ.

وعبد الله بن عبد الوارث[8] بن مَنْتِيل الطُّلَيْطُلي[9].

وأبي غالب تمّام بن عبد الله بن تمّام بن غالب المَعافِري الطُّلَيْطُلي[1].

1- سعيد بن مرشد العكّي: من أهل شذونة، سمع من وهب وابن حزم، وكان مُشاوَرًا في الأحكام، توفي سنة 373هـ/983م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص165/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص193.

2- عثمان بن سعيد: يكنى أبا الأصبغ، من أهل شذونة، كان فقيه أسْتِبَة وصاحب صلاتهم، حدّث، توفي سنة 373هـ/983م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص273/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص193.

3- أحمد بن موسى: يكنى أبا بكر، يعرف بابن الإمام، من أهل تطيلة، وبيتهم بها مشهور الجلالة والعلم والتقدم، كان قاضيا وفقيها عالما، توفي سنة 386هـ/996م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص65/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص195.

4- ساقط في الأصل، والزيادة من ابن الفرضي- نفسه- ج1 ص222.

5- عبد الله بن محمد بن أزهر: يكنى أبا محمد، كان صدرا فيمن يستفتى في موضعه، وكان أديبا يقول الشعر، وذا حظ من بلاغة، توفي بحاضرة إستجة سنة 379هـ/989م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص222/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص195.

6- أحمد بن يوسف: من إستيجة، كان متصرفا في الفتيا والشروط، ومتقلبا في حفظ الخبر والشاهد والمثل، يقرض الشعر، توفي سنة 372هـ/982م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص61/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص195.

7- محمد بن عبد الله بن قاسم: من إستيجة، كان حافظا للمسائل، عالما بعقد الوثائق، بصيرا بالنحو، وكان ورعا في الفتيا. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص68/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص196.

8- في الأصل: عبد الوارث، وما أثبتنا من ابن الفرضي والقاضي عياض.

9- عبد الله بن عبد الوارث: يكنى أبا الفرج، كان حافظا للمسائل، فقيها، استخلفه القاضي محمد بن يحيى بن عبد العزيز أيام كان قاضيا عندهم أي طليطلة، توفي سنة 373هـ/983م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص218-219/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص198.

وعبد الله بن فتح بن فرج بن معروف [بن أبي معروف التجيبي][2] الطُّلَيْطُلي[3]، سمع من ابن الورد والسُّكَّري وابن أبي الموت.

وعبد الله بن محمد بن علي بن سريعة بن رفاعة المعروف بالباجي[4].

ومحمد بن عبد الله بن [أبي][5] شيبة الإشبيلي[6].

ومحمد بن حسن بن عبد الله بن مَذْحِج الزُّبَيْدي أبي بكر[7]، لم يكن له نظير بالأندلس.

ويحيى بن شَراحيل أبي زكرياء البلنسي[8]، له كتاب في توجيه حديث "الموطّأ".

وإدريس بن عبيد الله[1] بن إدريس بن عبيد الله[2] بن يحيى بن عبد الله بن خالد، كان حافظا زاهدا.

1- في الأصل أبي تمام غالب، وما أثبتنا من ابن الفرضي والقاضي عياض، وهو أبو غالب تمام بن عبد الله بن تمام المَعافِري، سمع ببلده وبمكة والشام والقيروان، درّس بقرطبة، وتتلمذ عليه ابن الفرضي، توفي بطليطلة سنة 377هـ/987م. تاريخ علماء الأندلس- ج1 ص100-101/ترتيب المدارك- م2 ص198-199.

2- في الأصل: الخير، وما أثبتنا من ابن الفرضي والقاضي عياض.

3- عبد الله بن فتح بن فرج بن معروف الخير الطُّلَيْطُلي: يكنى أبا محمد، رحل إلى المشرق بعد الأربعين، وسمع من جماعة منهم ابن الورد وابن السكري وابن أبي الموت وغيرهم، حَدَّث، توفي سنة 376هـ/986م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص219/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص199.

4- عبد الله بن محمد: يعرف بابن الباجي، من أهل إشبيلية، كان حافظا للحديث وبصيرا بمعانيه، روى عنه الناس كثيرا، وحدّث نحوًا من خمسين سنة، وهو من شيوخ ابن الفرضي، توفي سنة 378هـ/988م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص221/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص199- 200.

5- ساقط في الأصل، والزيادة من ابن الفرضي والقاضي عياض.

6- محمد بن عبد الله: يكنى أبا القاسم، من فقهاء إشبيلية، روى عن عمه علي بن أبي شيبة، توفي سنة 374هـ/984م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص80/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص200.

7- محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي: يكنى أبا بكر، من إشبيلية وسكن قرطبة؛ فنال فيها جاها عظيما ورياسة، كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، واستأدبه المستنصر لأمير المؤمنين هشام، وقدّمه إلى أحكام القضاء بموضعه، ثم قدمه إلى خطة الشرطة، توفي في إشبيلية سنة 379هـ/989م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص84/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص201.

8- في الأصل محمد، وما أثبتنا من ابن الفرضي والقاضي عياض، وهو يحي بن شراحيل أبي زكرياء البلنسي، كان حافظا للمسائل على مذهب مالك، عاقدًا للشروط، ولم تكن له رواية تُشْهَر عنه، وكان موصوفا بالعلم، وله كتاب في توجيه حديث الموطأ، توفي سنة 372هـ/982م أو نحوها. تاريخ علماء الأندلس- ج2ص 170 /ترتيب المدارك- م2 ص202.

وعيسى بن [أبي] العلاء[3] أبي الأصْبَغ التُّدْميري[4]، من أهل الفُتْيا بمَحَلِّه.

ومحمد بن عيسى بن حسين بن أبي أسعد بن سيّد الدّار[5].

وعبد الله بن إبراهيم[6] بن محمد بن عبد الله بن جعفر أبي محمد الأصيلي، انتهت إليه الرياسة ببلده.

وأصبغ بن الفرج[7] بن فارس[8] الطائي أبي القاسم، أحد أكابر المُفتِين بقرطبة.

وعبد الرحمن بن محمد[1] بن صاعد [بن وثيق][2] أبي المطرّف، سمع الحديدي[3]؛ وابن جهضم[4]؛ وابن رشيق، وقُدِّم للشورى.

1- إدريس بن عبيد الله: من أهل قرطبة، يكنى أبا يحيى، كان حافظا للمسائل، فقيها في الرأي، شُووِر ووُلي أحكام الشرطة، وكان ورعا متقشفا زاهدا، توفي سنة 373هـ/983م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص72.

2- في الأصل: عبد الله، وما أثبتنا من ابن الفرضي.

3- في الأصل بن العلاء بن أبي الأصبغ، وما أثبتنا من ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص296.

4- عيسى بن العلاء بن أبي الأصبغ التدميري: من أهل تدمير يكنى أبا الأصبغ عني بالعلم ورحل إلى المشرق، كان موصوفا بالفقه مستفتى في موضعه، توفي سنة 391هـ/1000م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص296/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص202-203.

5- محمد بن عيسى: هو محمد بن عيسى بن حسين بن أبي سعد ابن سيد الدارين يوسف التميمي، أصله من تاهرت، وخرج جده إلى فاس، ومولده سنة 428هـ/1036م، دخل الأندلس طالبا للعلم، وكان من أهل العلم والفضل، تولى القضاء بفاس وسبتة، وتوفي سنة 503 أو 504هـ/1109- 1110م، وعليه فلا يمكن أن يكون من الذين بايعوا هشام المؤيد بالله. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص203/أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي- جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس- تحقيق وتعليق محمد بن عزوز- مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء- دار ابن حزم- بيروت- ط1- 1435هـ/2014م- رقم 244 ص263.

6- عبد الله بن إبراهيم الأصيلي: يكنى أبا محمد، من أصيلة، قدم إلى قرطبة سنة 342هـ/953م، وسمع من شيوخها، وكانت له رحلة إلى المشرق سنة 351هـ/962م، وتفقه هنالك لمالك، ثم عاد إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر؛ فشُووِر، وقرأ الناس عليه كتاب البخاري وغير ذلك، كان عالما بالكلام والنظر، منسوبا إلى معرفة الحديث، وجمع كتابا في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سمّاه "الدلائل على أمهات المسائل"، توفي سنة 392هـ/1001م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص229/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 صص241-245.

7- أصبغ بن الفرج: كان حافظا للفقه ورأي مالك، مُشاوَرًا فيه، بصيرا بعقد الوثائق، رحل وحجّ وروى العلم، وكان من الحفاظ النبلاء وجلة أهل الشورى، واستقضى ببطليوس فأحسن السيرة، توفي سنة 400هـ/1009م وقال ابن حيان توفي في المحرم سنة 397هـ/1006م. القاضي عياض- المصدر السابق - م2 ص250-251/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص100.

8- في الأصل الفارس، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال.

وأبي العاص أمية بن أحمد بن حمزة[5]، ولي الشرطة والأحكام وأفتى.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن قادِم بن زيد القرطبي[6]، سمع من قاسم بن أصبغ وابن حمدان و[ابن] الصوّاف[7] وغيرهم ببغداد.

وأحمد بن محمد بن عبد الله بن هانيء العَطّار[8]، عُرف بابن اللَّباب أبي عمر، سمع [من] قاسم بن أصبغ.

ومحمد بن وازع[9] بن محمد القرطبي[10]، سمع القاضي المرواني بالمدينة والخزاعي بمكة.

وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زمنين المريّ[1]، سمع من وهب بن مسرّة وابن المشاط وابن عيسى وابن فحلون وابن حزم.

1- في الأصل: عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن صاعد، وما أثبتنا من ابن الفرضي والقاضي عياض، من أهل قرطبة نبيه من فقهائها سمع بقرطبة ورحل إلى المشرق فسمع بمصر من أبي الطيب الحديدي والحسن بن رشيق العدل وسمع بمكة عني بحفظ الرأي والتفقه في المسائل وقدم إلى الشورى في أيام القاضي محمد بن يبقى ولي قضاء شذونة ثم استعفاه، توفي سنة 390هـ/999م. ابن الفرضي- المصدر السابق - ج1 ص244/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص251-252.

2- الزيادة من ابن الفرضي والقاضي عياض.

3- في الأصل ابن الحريري، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وهو أبو الطيب الحديدي. نفسه- ج1 ص244.

4- هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين بن جهضم الهمذاني الشافعي، شيخ الصوفية بمكة، المتوفى سنة 414هـ/1023م. ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج3 ص200.

5- في الأصل أبي العاصي، وما أثبتنا من ابن الفرضي، القرشي الأموي، من أهل قرطبة، شاوره محمد بن يبقى بن زرب، وَوُلِّيَ أحكام الشرطة، توفي سنة 393هـ/1002م. المصدر السابق- ج1 ص89.

6- محمد بن أحمد: يكنى أبا عبد الله، سمع بقرطبة ورحل إلى المشرق فسمع من أبي بكر الشافعي وابن حمدان وأبي علي بن الصواف، كان على مذهب مالك، وكان شاعرًا وحافظًا للأخبار، توفي سنة 380هـ/990م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص93-94.

7- في الأصل: والصواف، وما أثبتنا من ابن الفرضي.

8- أحمد بن محمد بن عبد الله بن هانيء العطار: اللخمي، من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، سمع من قاسم بن أصبغ، وكان فقيها حافظا، كُتب عنه وحدّث، وتوفي في حياة أبيه، وكانت وفاة أبيه سنة 410هـ/1019م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص29.

9- في الأصل: بن وادع، وما أثبتنا من ابن الفرضي.

10- محمد بن وازع بن محمد القرطبي: الضرير، يكنى أبا عبد الله، رحل إلى المشرق سنة 351هـ/962م؛ فسمع بالمدينة من القاضي المرواني وبمكة من الخُزاعي، وانصرف إلى الأندلس، وكفَّ بصره، قُرِئت عليه بعض كتب الأبهري وغير ذلك، توفي سنة 374هـ/984م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص81.

وأبي عمر أحمد بن يحيى بن سعيد الحديدي الطليطلي[2].

وأبي موسى بن أبي الحزم بن جهور المرشاني[3].

وأبي بكر محمد بن وهب التجيبي الحصَّار، المعروف بابن القبري القرطبي[4]، أخذ عن ثابت؛ وابن قَطَن؛ وأحمد بن هلال؛ والباجي، وصحب أبا محمد بن أبي زيد.

وأبي عثمان سعيد بن مُحْسن[5]، تقلَّد الشورى بقرطبة.

وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحضرمي[6]، المعروف بابن الشَرَفي[7]، من الأئمة في الرواية، ولي الصلاة والخطبة بجامع قرطبة، وسمع ابن حزم؛ وابن مُطرِّف.

1- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المعروف بابن أبي زمنين المريّ: الإلبيري، وأصله من تنس، فقيه مُقدَّم وزاهد مُتبتِّل، كان ذا حفظ للمسائل، حسن التصنيف للفقه، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين، وأشعار كثيرة في نحو ذلك، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك، مات سنة 399هـ/1008م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص103-104/ الحميدي- المصدر السابق - ص63/الضبي- المصدر السابق - ص84.

2- في الأصل: محمد، وما أثبتنا من عياض، وهو أبو عمر أحمد بن يحيى بن سعيد بن الحديدي الطليطلي، من بيوت الشرف والعلم بطليطلة وكان كبيرهم أبو عمر هذا، فقيها ذا رئاسة جليلة في بلده، وذا مكانة في الفقه والعفاف. القاضي عياض- المصدر السابق - م2 ص261.

3- أبو موسى ابن أبي الحزم بن جهور المرشاني: من أهل إستيجة، قال ابن حيان: كان فقيه بلده، مشهورا بالعفة والعلم، قتله البرابرة سنة 427هـ/1035م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص261.

4- أبو بكر محمد بن وهب التجيبي الحصار: المعروف بالقبري، قرطبي مشهور، وهو جدّ أبي الوليد الباجي، كان من العلماء الزهّاد الفضلاء، رحل إلى المشرق وسمع من علمائه، وصحب محمد بن أبي زيد، وحمل عنه تواليفه، وكان القاضي ابن ذكوان يُقدِّمه على فقهاء وقته وعلى نفسه، وغلب عليه الكلام والجدل على نصرة مذهب أهل السنة والتأليف في ذلك، وله في العقائد تواليف كثيرة مفيدة، وله شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكانت وفاته سنة 406هـ/1015م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص261-262.

5- أبو عثمان سعيد بن محسن: الغاسل، كان معدودا في المشاورين بقرطبة، وتقلّد القضاء بمدينة سالم وغيرها، وكان مواظبا على الجهاد، توفي سنة 401هـ/1010م، وصلى عليه ابن وافد، ذكره ابن حيان. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص262-263/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص187.

6- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحضرمي: يعرف بابن الشرفي الخولاني، صاحب الشرطة والمواريث والصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة، روى عن ابن حزم وأحمد بن مطرف وأبي عيسى الليثي، كان معتنيا بالعلم، مُقدَّما في الفهم، من أهل الرواية والدراية، نبيلا حافظا، حسن الإيراد للأخبار، تصرّف في الخطط الرفيعة إلى أن فلج ومنع الكلام، توفي سنة 396هـ/1005م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص263/ابن بشكوال- نفسه- م1 ج1 ص80.

7- في الأصل: بابن الشرقي، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال.

وأحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الكَلاعي أبي عمرو[1]، سمع من أبي عيسى[2] ومَسْلَمة بن محمد.

وأحمد بن سعيد بن محمد بن بِشْر بن الحصَّار القرطبي أبي العباس[3].

وأحمد بن عبد الله بن الحسن أبي عمر القرطبي، سمع قاسم بن أصبغ وغيره[4].

ووهب بن محمد بن محمود بن إسماعيل بن عبد الله بن يحيى الأموي أبي الحزم[5]، سمع من قاسم بن أصبغ ووهب بن مَسرَّة وغيرهما، وكان من أهل الرأي والشورى.

وأبي المُطَرِّف عبد الرحمن الرُّعَيْني ابن المَشَّاط القرطبي[6]، ولي الشورى.

وأحمد بن علي بن أحمد المُقْرِئ[7] أبي العباس الباغاني[1]، كان ربّانيا في علوم الإسلام، لم يخلف بعده أحد يعرفه[2] في علوم القرآن.

1- في الأصل: أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم، وما أثبتنا من ابن الفرضي، الكلاعي المعلم، من أهل قرطبة، يُعرف بابن الضحى، يكنى أبا عمر، سمع من أبي عيسى يحيى بن عبد الله ومسلمة بن محمد، كان فقيها حافظا للمسائل، عاقدا للشروط، توفي فجأة سنة 391هـ/ 1000م. ابن الفرضي- المصدر السابق - ج1 ص68/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص263-264.

2- في الأصل: ابن عيسى، وما أثبتنا من المصدر السابق.

3- أحمد بن سعيد: يكنى أبا العباس، من أهل قرطبة، كان كثير السماع، مشهور بطلب الحديث، وكان يعقد الشروط ويفتي، توفي سنة 392هـ/1001م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص68/ القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص264.

4- أحمد بن عبد الله: من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، اسْتُقْضِي بكورة رية خلفا لأخيه الحسن بن عبد الله الجذامي من أول ولاية المؤيد بالله إلى أن توفي، وكان مُشاوَرًا، توفي سنة 392هـ/1001م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص68/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص264.

5- وهب بن محمد الأموي: من أهل قرطبة، يكنى أبا الحزم، فقيه محدث، كان حافظا للرأي، شاوره محمد بن إسحاق بن السليم أيامه في القضاء، كثير الصلاة، مواظبا للمسجد الجامع، يجتمع إليه ويستفتى، وقد حدّث، توفي سنة 391هـ/1000م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص146/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص264/الحميدي- المصدر السابق- ص349/الضبي- المصدر السابق- ص444.

6- أبو المطرف عبد الرحمن الرعيني: هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرعيني المعروف بابن المشّاط، أخذ القراءات عن أبي الحسن الأنطاكي المقرئ، كان من أهل العلم والفهم، اتصل بالمنصور فأدناه وقرّبه، ووَلِيَ الشورى وأحكام الشرطة وخطة الوثائق السلطانية والقضاء وأحكام الحسبة، وقلّده نظم التاريخ في أيّامه فجمع فيه كتاب "الباهر"، توفي سنة 397هـ/1006م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص264/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص269-270.

7- أحمد بن علي بن أحمد المقْرِئ: بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي، يكنى أبا العباس، قدم الأندلس سنة 376هـ/986م، وقُدِّم إلى الإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة، كان بحرا من بحار العلم، استأدبه المنصور لابنه عبد الرحمن ثم عتب عليه فأقصاه،

وعبد الرحمن بن أحمد بن سعيد البكري المعروف بابن عَجَب[3].

وأبي عبد الله الحسن[4] بن حيّ بن عبد الملك بن حيّ التُّجِيبي[5]، سمع الأَجري وتقدّم الشورى.

وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الزجّالي[6].

وأبي عبد الله محمد الصابوني[7] بن بركة، من أهل الشورى.

وعيسى بن [أبي][8] العلاء التُّدْمِيري[9].

وأبي عبد الله محمد بن القاسم بن [محمد][1] الجالطي[2]، من القراء، ولي الصلاة والخطبة بالزهراء[3].

ثم رقّاه هشام في دولته الثانية إلى خطة الشورى بقرطبة، كان من أهل الحفظ والعلم والفهم، وكان لا نظير له في علم القرآن، وكان حسن التلاوة، وذا حظ من الفقه، وله كتاب حسن في أحكام القرآن، قال ابن حيان: توفي سنة 401هـ/1010م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص265/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص76-77.

1- في الأصل الباغاني، وما أثبتنا من ابن بشكوال.

2- كذا في الأصل.

3- عبد الرحمن بن أحمد: من أهل قرطبة، يكنى أبا المطرف، ويعرف بابن عجب، كان أحد الحفاظ للمسائل، المستبحرين في الرأي، وفي عداد المشاورين بقرطبة، توفي سنة 404هـ/1013م. القاضي عياض- المصدر السابق - م2 ص265/ابن بشكوال- المصدر السابق - م1 ج1 ص275.

4- في الأصل: الحسن، وما أثبتنا من ابن بشكوال.

5- أبو عبد الله الحسين بن حيّ بن عبد الملك بن حيّ بن عبد الرحمن بن حي التُّجِيبي: من أهل قرطبة، شاوره القاضي محمد بن بقي بن زرب فصار صدرا في المفتين بقرطبة، وكان حافظا للمسائل على مذهب مالك، ذاكرا لأصولها، رحل إلى المشرق سنة 348هـ/959م، وأخذ عن أبي بكر الآجري كثيرا من تصانيفه، ولي خطة الوثائق السلطانية في صدر دولة المظفر عبد الملك، واستقضى بباجة وأكشونبة ومدينة سالم وجيان، توفي سنة 401هـ/1010م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص265/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص126-127.

6- في الأصل وعند عياض: الترجالي ، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وهو عبد الله بن عبد الرحمن الزجالي، وقد سبقت ترجمته (تنظر الترجمة رقم 17).

7- في الأصل: أبو عبد الله محمد الصابوني: وما أثبتنا من مصادر الترجمة، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد الصابوني، وقد سبقت ترجمته (الترجمة رقم 22)، وقد ذكره سابقا ضمن المُبايعين لهشام المؤيد بالله. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص222/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص266.

8- ساقط في الأصل، والزيادة من ابن الفرضي.

9- عيسى بن أبي العلاء: يكنى أبا الأصبغ، من أهل تدمير، عني بالعلم ورحل إلى المشرق، وكان موصوفا بالفقه، مستفتى بموضعه، توفي سنة 391هـ/1000م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص296/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص267.

ويوسف بن محمد بن عمر بن يوسف، سمع من أصبغ ومحمد بن أبي دلهم وابن الأحمر[4].

وأبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي أبي محمد الإشبيلي[5].

وسعيد بن عبد الملك الجذامي الاشبيلي أبي عثمان المعروف بابن الملاح[6].

وسعيد بن موسى بن مَهْص الغساني، لقي الأبهري[7].

وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجُهَني الطُّلَيْطُلِي[8]، سمع ابن الورد وابن السكن.

وأبي عبد الله محمد بن عيسى[1] ابن البريلي التُطِيلِي[2]، الرجل ذي الشجاعة والعلم والعفة.

1- ساقط في الأصل، والزيادة من القاضي عياض والضبي.

2- أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الجالطي: أصله من جالطة قرية من إقليم من قرطبة، من أهل العلم والأدب، رحل وحجّ سنة 370هـ/980م، تقلد الصلاة بجامع الزهراء، وهو آخر خطيب قام على منبر جامعها، قتل في بيته سنة 403هـ/1012م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص267/الضبي- المصدر السابق- ص118.

3- في الأصل: بقرطبة، والصحيح ما أثبتنا من القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص267/الضبي- المصدر السابق- ص118.

4- يوسف بن محمد... بن عمروس: من أهل إستجة، ويكنى أبا عمر، كان حافظا للمسائل، رأسا في الفتوى بموضعه، وقد حدث وسمع منه غير واحد، وكتب عنه، توفي سنة 393م/1002م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص183/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص267.

5- أبو عمر أحمد بن عبد الله الباجي: هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الفقيه ويعرف بابن الباجي، من أهل إشبيلية، روى عنه جماعة أكابر، من أهل العلم، متقدّما في الفهم، عارفا بالحديث ووجوهه، توفي سنة 396هـ/1005م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص267-268/ابن بشكوال- الصلة- م1 ج1 ص12-13/الحميدي- المصدر السابق- ص130/الضبي- المصدر السابق- ص171-172.

6- سعيد بن عبد الملك: من أهل إشبيلية، كان حافظا للرأي، عاقدًا للشروط، مُشاوَرًا في الأحكام بموضعه، وقد حدّث، توفي سنة 374هـ/984م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ص166/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص269.

7- سعيد بن موسى: من أهل إلبيرة، يكنى أبا عثمان، رحل إلى المشرق ودخل بغداد، فسمع بها من أبي بكر الأبهري، شرح "المختصر" وغير ذلك، كان فقيها عالما زاهدًا وكثير الجهاد، استشهد سنة 393هـ/1002م. ابن الفرضي- نفسه- ص169/القاضي عياض- نفسه - م2 ص269.

8- عبد الله بن محمد: البزاز، من أهل قرطبة، سمع من قاسم بن أصبغ، رحل إلى المشرق سنة 342هـ/953م؛ فسمع من أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن وابن حراب، توفي سنة 395هـ/1004م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ص228/الحميدي- المصدر السابق- ص241-242/الضبي- المصدر السابق- ص308.

وأبي حفص عمر بن عبادل[3] الرعيني[4].

وأحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس الموروري الحضرمي[5]، ولي الوزارة.

ومحمد بن يعيش بن منذر الأيدي[6]، صدر بلده على عهده.

وأبي الحزم خَلَف بن عيسى بن سعيد[7] الخير بن أبي درهم الوشقي[8] الفقيه.

وأبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن الفخار[9] إمام المالكية بقرطبة.

1- محمد بن عيسى: يعرف بابن البريلي، من أهل تطيلة، له رحلة إلى المشرق، وحج فيها سنة 381هـ/991م، قال ابن حيان: ولقي مشايخ القرويين والمصريين وأخذ عنهم، وكان موصوفا بالعلم والصلاح والعفة والشجاعة، خرج مع المهدي بن هشام لنصرته فقتل بعقبة البقر سنة 400هـ/1009م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص270/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص110.

2- في الأصل: المرتلي الطليطلي، وما أثبتنا من مصدري ترجمته.

3- في الأصل: عباد، وما أثبتنا من عياض وابن بشكوال.

4- عمر بن عبادل الرعيني: من أهل رية وسكن قرطبة، يكنى أبا حفص، كان معلم كتاب وكان رجلا صالحا زاهدا وقد حدث عنه القاضي يونس بن عبد الله في غير موضع من كتابه، قال ابن مفرج: توفي سنة 378هـ/988م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص268-269/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص32.

5- أحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس الموروري الحضرمي: كان فقيه بلده وقاضيه، قال ابن حيان: سلك سبيل العلماء، ولي القضاء ببعض النواحي، ثم صحب ابن أبي عامر؛ فتجرّد لطلب الدنيا، وتحوّل عن طبقته، ولحق أهل الخدمة، ونال الوزارة وتقلّد المدينة، وصادر المكوس وارتكب الجرائم؛ فلم تطل مدته حتى اخترمته المنية سنة 366هـ/976م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص270-271.

6- في الأصل: الأسدي، وما أثبتنا من ابن الفرضي، وهو محمد بن يعيش بن منذر الأيدي، يكنى أبا عبد الله، من أهل طليطلة، كان فقيها حافظا للمسائل، عالما بالشروط، رأسا في معرفتها، توفي سنة 391هـ/1000م. المصدر السابق- ج2 ص96/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص271/الضبي- المصدر السابق- ص138.

7- في الأصل: سعد، وما أثبتنا من عياض وابن بشكوال والحميدي والضبي.

8- أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعد الخير بن أبي درهم الوشقي: يُعرف بابن أبي درهم القاضي التُجيبي، من أهل وشقة، مُحدِّث له رحلة، سمع بالأندلس أبا عيسى يحي وبمصر ، حُدِّث عنه بالموطأ برواية يحيى بن يحيى، كان فاضل جهته وعاقلها، توفي سنة 421هـ/1030م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص271/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص149-150/الحميدي- المصدر السابق- ص203/الضبي- المصدر السابق- ص261-262.

9- أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف المعروف بابن الفخار: فقيه حافظ محدث قرطبي مشهور، رحل إلى المشرق وسكن المدينة المنورة، وأفتى بها، كان عارفا بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء، ويحفظ المدونة، قال ابن حيان: وتوفي الفقيه المشاور الحافظ المتبحر الرواية... بمدينة بلنسية سنة 419هـ/1029م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص295-296/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 صص131-133.

وأبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد التجيبي ابن حَوْبيل[1] القرطبي[2]، سمع مطرفا وابن الأحمر وابن السليم وابن الحارث.

وأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان المعروف بالقنازعي[3]، سمع ابن بشر وابن القوطية، وتفقّه بابن المكوي والأصيلي.

وأحمد ويحيى ابني حكم بن محمد العاملي ابن اللبّان القرطبي[4]، قاضي طليطلة[5].

وأبي سعيد عِمران[6] بن عبد ربّه المَعافِري القرطبي[1] مُخْتَصِر "الدلائل".

1- في الأصل: ابن حَرْبيل، وما أثبتنا من ابن بشكوال والحميدي والضبي.

2- أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد التجيبي ابن حَوْبيل القرطبي: فقيه يروي عن الخشني وابن زرب القاضي، قال ابن عتاب عنه: أبو بكر هذا أحد العدول والشيوخ بقرطبة وكبيرهم، كان فقيهًا مُشاوَرًا، بصيرا بعقد الوثائق، وممّن عُنِي بالعلم وشُهِر بالحِفْظ، قُدِّم إلى الشورى سنة 395هـ/1004م فنفع الله به، توفي سنة 409هـ/1018م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص276-277/الحميدي- المصدر السابق- ص261/الضبي- المصدر السابق- ص333.

3- في الأصل: أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون المعروف بابن القنازعي، وما أثبتنا من ابن بشكوال والحميدي والضبي وابن العماد الحنبلي، وهو عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري المعروف بالقنازعي، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق سنة 367هـ/977م؛ فسمع بالقيروان ومصر ومكة، وقدم قرطبة سنة 371هـ/981م، وأقرأ القرآن ونشر العلم، وكان عالما عاملا وفقيها حافظا، له عدة تآليف، توفي سنة 413هـ/1022م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص296-297/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 صص280-282/الحميدي- المصدر السابق- ص270/الضبي- المصدر السابق- ص344/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج3 ص198.

4- في الأصل: أحمد بن يحيى بن حكم العاملي ابن اللباق القرطبي، والصحيح ما أثبتنا من عياض وابن بشكوال، وهما أحمد بن حكم بن محمد العاملي، يُعرف بابن اللبّان، من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، كان واسع العلم، مشهور الطلب للرواية، ولي الشورى بقرطبة بعد أخيه يحيى، ثم استقضاه محمد بن أبي عامر بحاضرة طليطلة؛ فمات وهو يتولاه، وذلك سنة 390هـ/999م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص297-298/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص16/ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- م3 ج1 ص15/ابن عبد الملك المراكشي- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- ق1 ص99-100.

ويحيى بن حكم بن محمد العاملي، ويعرف بابن اللبان، كان في عداد المفتين بقرطبة بتقديم ابن زرب، وكان ثقة عدلا، توفي سنة 380هـ/990م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص297-298/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص263/ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- م3 ج1 ص15/ابن عبد الملك ابن عبد الملك المراكشي- المصدر السابق- ق1 ص99-100.

5- طليطلة: قاعدة بلاد الأندلس وأحد أركانها، وهي مدينة أولية من بنيان الأول، قديمة البناء، منيعة حصينة، كثيرة المياه والثمار، وهي كانت قصبة بلاد الأندلس ودار مملكة القوطيين. مجهول- تاريخ الأندلس- ص92.

6- في الأصل: عمر، وما أثبتنا من من مؤلف كتاب عيون الإمامة وترتيب المدارك.

وأبي محمد ابن الشقّاق[2]، و[هو] عبد الله بن سعيد بن محمد القرطبي[3]، شيخ المفتين في وقته.

وأبي محمد عبد الله بن يحيى بن دحون[4]، أحد جلة شيوخ المفتين بقرطبة.

وأبي محمد حَمّاد بن عمّار الزّاهد[5].

وأبي القاسم يحيى بن عمر بن حسين ابن نابل القرطبي[6]، آخر من حمل عن أصبغ.

1- أبو سعيد عمران بن عبد ربه المعافري القرطبي: يعرف بالدبّاغ، كان من أهل الرواية للحديث، فقيه صالح لازم أبا محمد الأصيلي، واختصر كتاب الدلائل الكبير له، قال حيان بن خلف: توفي بقرطبة سنة 421هـ/1030م. أبو طالب المرواني- عيون الإمامة ونواظر السياسة- حققه وعلق عليه بشار عوّاد معروف وصلاح محمد جرار- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1- 1431هـ/2010م- ص66-67/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص298.

2- في الأصل أبو محمد بن الشاق، وما أثبتنا من أبي طالب المرواني وابن بشكوال وعياض والضبي، وهو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن عبد الله المعروف بابن الشقّاق، فقيه قرطبي مشهور، وكبير المفتين بها، كان فقيها جليلا، أحفظ أهل عصره للمسائل، وأعرفهم بعقد الوثائق، وحاز الرئاسة بقرطبة في الشورى والفتيا، وولي القضاء بالكور والرد بقرطبة والوزارة، وكان يُقرئ الناس بالقراءات السبع، قال ابن حيان: توفي سنة 426هـ/1034م. أبو طالب المرواني- عيون الإمامة- صص88-92/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص298/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص233-234/الضبي- المصدر السابق- ص320.

3- عبد الله بن سعيد بن محمد القرطبي: اعتبره ابن الخطيب شخص ثاني، وأثبتنا أنه نفس العلم السابق من خلال المصادر التي ترجمته.

4- أبو محمد عبد الله بن يحيى بن دحون: هو عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموي، من أهل قرطبة، يعرف بابن دحون، كان من جلة الفقهاء وكبارهم، عارفا بالفتوى، حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، عارفا بالشروط وعللها، بصيرا بالأحكام مُشاوَرًا فيها، وكان صاحبا للفقيه أبي محمد ابن الشقّاق، توفي سنة 431هـ/1039م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص298-299/ ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص234-235.

5- حمّاد بن عمّار الزاهد: بن هاشم أبو محمد، فقيه جليل قرطبي، رحل إلى المشرق ولقي ابن أبي زيد في القيروان، وروى عنه وعن غيره، كان رجلا صالحا زاهدا ورعا، رامه هشام لإمامة الجامع فرفض، ودعاه علي بن حمّود إلى قضاء قرطبة فصرف رسوله على عقبيه وانتهره، وخرج إلى طليطلة، توفي سنة 431هـ/1039م، وقال ابن حيان: في السنة التي بعدها. أبو طالب المرواني- المصدر السابق- ص135-136/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص299/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص140/الضبي- المصدر السابق- ص253.

6- في الأصل: أبو القاسم يحيى بن عمر بن حسين بن نبيل القرطبي، وما أثبتنا من عياض وابن بشكوال، وهو يحي بن عمر بن حسين بن محمد بن عمر بن نابل، قال ابن حيان: كان فقيها حافظا، من أهل الفضل والصلاح مع التقدّم في الفهم والإمامة في العلم، قلّده الخليفة هشام خطّة الردّ وهو عليل؛ فجاءته الولاية في اليوم الذي توفي فيه، وكانت وفاته سنة 401هـ/1010م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص299-300/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص264-265.

وأبي عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحذّاء[1]، سمع من أبي دلهم والأنطاكي وغيرهما، وألف شرحا على "الموطأ".

وأبي عامر أحمد بن عفيف القرطبي[2]، سمع من ابن زرب وابن السليم والقاضي ابن المطرف وابن الحصار.

وأبي عبد الله محمد [بن علي][3] بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري الحمودي[4] حاكم قرطبة.

والليث [بن أحمد][5] بن حُرَيش، أبي الوليد المفتي[6].

وأبي محمد مكي بن أبي طالب[7] نزيل قرطبة إمام القرآن في وقته.

1- أبو عبد الله ابن الحذّاء: هو محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي، يُعرف بابن الحذاء، له رحلة إلى المشرق سنة 372هـ/982م لقي فيها جلة علماء عصره وروى عنهم، كان أحد رجال الأندلس فقها وعلما، متفننا في العلوم، وكان حافظا للفقه، بصيرا بالأحكام، له عدة تآليف، استقضي ببجانة ثم إشبيلية، وكان في عداد المشاورين بقرطبة، وتولى أيضا خطة الوثائق السلطانية، واستقضي في تطيلة ثم مدينة سالم، وتوفي بسرقسطة سنة 416هـ/1025م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص301-302/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص127-128/الضبي- المصدر السابق- ص137/ابن العماد الحنبلي- المصدر السابق- ج3 ص206.

2- أبو عامر أحمد بن عفيف القرطبي: هو أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموي، يكنى أبا عامر، عُنِي بالفقه وعقد الوثائق والشروط؛ فحذقها وشُهر بتبريزه فيها، وأخذ بأوفر نصيب من العلوم، وتولى عقد الوثائق لمحمد المهدي أيام توليه الحكم بقرطبة، ثم قصد المرية فقلّده صاحبها خيران الصقلبي قضاء لورقة، والتزم الصلاة والخطبة بجامعها إلى غاية وفاته سنة 420هـ/1029م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص302/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص34-35.

3- ساقط في الأصل، والزيادة من أبي طالب المرواني وعياض وابن بشكوال.

4- أبو عبد الله محمد [بن علي] بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري الحمودي: من أهل قرطبة، وصاحب أحكام المظالم، ذكره ابن حيان وقال: كان واسع العلم، حافظا للمسائل، حاذقا بالفتوى، عالما باللسان والأدب، مُؤيدًا للحق، قدمه سليمان بن الحكم للشورى، توفي سنة 424هـ/1033م. أبو طالب المرواني- المصدر السابق- ص172-173/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص303/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص137.

5- ساقط في الأصل، والزيادة من ابن بشكوال والضبي.

6- الليث بن أحمد بن حُريش أبي الوليد المفتي: العبدري، من أهل قرطبة، يُكنى أبا الوليد، كان في عداد المُشاوَرين بقرطبة، وكان عالما بالرأي وذا نصيب وافر من علم الحديث، واسع الرواية له، واستقضي بالمرية وخطب بها، توفي سنة 428هـ/1036م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص304/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص99/الضبي- المصدر السابق- ص421.

7- أبو محمد مكي بن أبي طالب: هو مَكِّيُّ بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ، أصله من القيروان، سمع بمكة ومصر والقيروان، كان من أهل التبحّر في القرآن والعربية، كثير التأليف في علوم القرآن، له نحوٌ من خمسةٍ وثمانين تأليفًا، مُجَوِّدًا للقراءات السبع، عالما بمعانيها، قدِم إلى الأندلس سنة 393هـ/1002م؛ **وعليه فلا يمكن أن يكون من الذين بايعوا هشام**

وأبي أيوب بن ربيع الكلبي[1].

وقاضي القضاة أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار[2].

وأبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن جرج، من أهل الشورى[3].

وأبي القاسم بن مختار[4].

وأبي محمد مروان[5] ابن عبد الملك بن الأصبغ[6].

وابنه عبد المهيمن[1].

المؤيد؛ جلس للإقراء بجامع الزهراء، ثم انتقل إلى جامع قرطبة، وتوفي سنة 437هـ/1045م. أبو طالب المرواني- المصدر السابق- صص137-138/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص304/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 صص239-241/السيوطي جلال الدين- المصدر السابق- ج2 ص288.

1- أبو أيوب بن ربيع الكلبي: هو سليمان بن بَيْطير بن سليمان بن ربيع بن بَيْطير، يكنى أبا أيوب، من أهل قرطبة، روى عن أبي عيسى الليثي وأبي بكر ابن القوطية وغيرهما، كان حافظا للمسائل، وعُنِي بالعلم وقيّده، وله اختصار حسن لابن أبي زيد، توفي بمالقة سنة 404هـ/1013م. أبو طالب المرواني- المصدر السابق- ص151-152/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص305/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص174.

2- أبو الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار: هو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها، يُعرف بابن الصفار، استقضى أولا ببطليوس، ثم ولي الخطبة بجامع الزهراء وخطة الشورى، ثم ولي خطة الردّ والخطبة بجامع الزاهرة، ثم قلده المُعْتدّ بالله قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها، كان زاهدا فاضلا، وله في التصوّف مصنفات، وله أشعار في هذا المعنى، توفي سنة هـ1037/429م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص305-306/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص280-281/الحميدي- المصادر السابق- ص371-372/الضبي- المصدر السابق- ص475.

3- عبد الرحمن بن سعيد: رحل إلى المشرق سنة 399هـ/1008م، وأخذ بالقيروان عن القابسي والداودي، وولي الشورى بقرطبة، كان حافظا للمسائل، وله حظ من علم النحو، قال ابن حيان: هلك سنة 439هـ/1047م. ابن بشكوال- المصدر السابق- ج1 ص288.

4- أبو القاسم بن مختار: هو أحمد بن مختار بن سهر الرعيني، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، كان حسن القيام على المسائل حافظا لها، توفي سنة 411هـ/1020م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص30.

5- في الأصل: أبو محمد مروان، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال.

6- أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن الأصبغ: القرشي المرواني، من أهل قرطبة، يعرف بابن المشتري الحناط، روى عنه الخولاني وقال: كان من أهل العلم مقدما في الفهم، متقدما في فقهاء قرطبة، مشاورا، له حظ من علم المسائل، وله كتاب سماه كنز معرفة الأصول، وله تآليف في الاعتقادات وغيرها، ولاه المعتمد نقابة قريش وامتحن بالشهادة في شأن الدعي المشبه، قال ابن حيان: توفي بإشبيلية سنة 436هـ/1044م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص307/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص6-7.

وأبي عمر[2] أحمد بن إبراهيم بن أبي سفيان الغافقي[3].

وعبد الرحمن بن أحمد بن نصر بن خالد أبي المطرف[4]، من أهل الشورى بقرطبة.

وأبي القاسم خلف بن البنّاء الأُمِّي[5].

وحمام بن أحمد بن عبد الله بن حمام[6].

وخَلَف بن مروان الصَّخْري[7].

وأبي محمد بن فيد[8] القرطبي[1].

1- عبد المهيمن: هو عبد المهيمن بن أحمد ابن عبد الملك بن الأصبغ: من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، ويُعرف بابن المش، سمع من جماعة، وروى عن أبيه والقاضي يونس بن عبد الله، كان من فقهاء قرطبة، مشهورًا آخر أيام العامرية؛ فلما انقرضت دولة بني أمية اتهمه بنو حمود بالتعصب لهم؛ فامْتُحِن وسُجِن وأُخْرِج من قرطبة ثم رجع إليها، قال ابن حيان: توفي سنة 457هـ/1064م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص307/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص26-27.

2- في الأصل: أبي عمرو، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال.

3- أبو عمر أحمد بن إبراهيم بن أبي سفيان الغافقي: من أهل قرطبة، كان فقيها أديبا عفيفا ذا بيت نبيه ووجاهة بقرطبة، وكان في عداد المفتين بها، وأول من قدمه إلى الشورى المهدي، قال ابن حيان: توفي بإلبيرة سنة 410هـ/1019م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص308/ ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص27-28

4- عبد الرحمن بن أحمد بن نصر بن خالد أبي المطرف: يعرف بابن الكبيش، وبابن الطيش عند عياض، من أهل قرطبة، كان في عداد المُشاوَرين بقرطبة، واستقضى بإشبيلية في الفتنة، توفي سنة 409هـ/1018م ذكرة ابن حيان. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص308/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص277.

5- أبو القاسم خلف بن البناء الأمي: من الفُقهاء الحُفّاظ لمسائل المذهب بقرطبة، وكان أكبر الفقهاء يعترفون بقوة حفظه، وتوفي آخر جمادى سنة 410هـ/1019م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص308.

6- حمام بن أحمد: هو حمام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكدر بن حمام، يكنى أبا بكر، كان واحد عصره في البلاغة وفي سعة الرواية ضابطا لما قيده، وكان حسن الخط، ينسخ من نهاره نيفا وعشرين ورقة، ولي قضاء يابُرَة وشنترين والأشبونة وسائر الغرب أيّام المُظفَّر وأخيه ودولة المهدي وسليمان والمؤيد، توفي سنة 421هـ/1030م. ابن بشكوال- المصدر السابق- ج1 ص139-140/الضبي- المصدر السابق- ص252.

7- خلف بن مروان: هو خلف بن مروان بن أمية بن حيوة المعروف بالصخري، والصخرة بلد بغرب الأندلس، يكنى أبا القاسم، وكان من أهل العلم والمعرفة، أخذ بقرطبة عن شيوخها، ورحل إلى المشرق سنة 372هـ/982م فحج وأخذ عن جماعة، استقضاه المظفر عبد الملك بطليطلة، ثم قلده المهدي محمد بن هشام الشورى بقرطبة، توفي سنة 401هـ/1010م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص308-309/ ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص145-146.

8- في الأصل: فيد، وعند عياض: قيد، وما أثبتنا من ابن بشكوال.

وعبد الله بن عبيد الله بن الوليد المُعَيْطي[2]، من بيوتات الشرف والعلم بقرطبة.

وأحمد بن عمر بن عبد الله بن مَنْظُور الحَضْرَمي[3] المعروف بابن عصفور[4].

وأحمد بن محمد بن عبد الله أبي عمر الطَّلَمَنْكي[5].

والقاضي أبي الوليد إسماعيل ابن عبّاد اللَّخْمي[6].

وأبي بكر [ابن][7] زُهْر الإيادي[1].

1- أبو محمد بن قند القرطبي: هو عبد الله بن أحمد بن قند اللغوي، من أهل قرطبة ويُعرف بالطليطلي، كان من أهل البراعة والمعرفة والنقد في الفقه والحديث، والافتنان في ضروب العلم والتحقيق من بينها بعلم الغريب وحفظ اللغة، توفي في وقعة عقبة البقر سنة 400هـ/1009م، كان من أصحاب سليمان، ذكره ابن حيان. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص309/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص221.

2- عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي: من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الرحمن، روى عن أبي محمد الباجي وغيره، كان من أهل النبل والذكاء والشرف، وبويع له بالخلافة بشرق الأندلس، وخُطِب له على المنابر الشرقية، ثم خُلع وصار في آخر عمره إلى أرض كتامة، وتوفي بها سنة 432هـ/1040م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص 309-310/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص236.

3- أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور الحضري: يعرف بابن عصفور، الخطيب بجامع إشبيلية، يكنى أبا القاسم، كان صالحا فاضلا عاقلا زاهدا في الدنيا، من أهل العلم والأدب والفهم، وكان شاعرا مطبوعا، كثير الشعر في الزهد والحكم والمواعظ، توفي سنة 410هـ/1019م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص310/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص28-29/نفسه- ص137/الضبي- المصدر السابق- ص180.

4- في الأصل: بابن خفيف، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال والضبي.

5- أحمد بن محمد بن عبد الله أبي عمر الطلمنكي: المعافري المقرئ، من أهل طلمنكة وسكن قرطبة، روى عن علماء قرطبة وبلاد الأندلس، ورحل إلى المشرق فحج وسمع من جلة علمائه وعلماء المغرب، وعاد إلى الأندلس بعلم كثير، كان أحد الأئمة في علم القرآن وجمع كتبا حسانا كثيرة النفع، وكانت له عناية كبيرة بالحديث، توفي ببلده سنة 429هـ/1037م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص312/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 صص40-42/الضبي- المصدر السابق- ص 152-153.

6- أبو الوليد إسماعيل بن عبّاد اللَّخْمي: هو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي قاضي إشبيلية، كان صالح المعرفة بقطع الشعر، صالح النظر في الفقه، عالما كاتبا أديبا، روى بقرطبة عن أبي محمد الأصيلي وبإشبيلية عن أبي محمد الباجي وصحب أبا عمر بن عبد البر، ولي قضاء بلده مدة ثم صرف عنه أيام المظفر عبد الملك ثم ردّ إليه بعد عام واحد، وتوفي بإشبيلية سنة 410هـ/1019م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص311-312/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص94/النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- ص108.

7- ساقط في الأصل، والزيادة من القاضي عياض وابن بشكوال.

وأبي الوليد ابن مُقْبل[2].

وهاشم بن يحيى بن حجّاج[3]، قال ابن الحذّاء[4]: "ما رأيتُ أتمَّ ورعًا منه".

وأبي القاسم المُهلَّب بن أحمد ابن أبي صُفْرة التَّميمي[5].

وأبي محمد بن أَبان الأموي[6]، جاور بمكة بِضْعًا وثلاثين سنة، وسمع الشجري؛ وابن فراس؛ وغيرهما.

وأبي العباس أحمد بن أيوب بن أبي الربيع[7]، من أهل إلبيرة وسكن قرطبة، ومن شيوخه ابن أبي زمنين؛ وأبو الحسن القابسي.

1- أبو بكر ابن زُهْر الإيادي: هو محمد بن مروان بن زهر الإيادي، من أهل إشبيلية، كان فقيها حافظا للرأي حاذقا بالفتوى مقدما في الشورى من أهل الرواية والدراية، سمع الناس منه كثيرا، وحدّث عنه جماعة من العلماء، توفي بطلبيرة سنة 422هـ/1031م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص 310/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص135-136/الضبي- المصدر السابق- ص123.

2- أبو الوليد بن مُقْبل: هو محمد بن عبد الله بن أحمد البكري، يُعرف بابن ميقل، وقيل ابن نيقُل، من أهل مرسية، كان أحفظ الناس لمذهب مالك وأصحابه، وأقواهم احتجاجا له، مع علمه بالحديث الصحيح منه والسقيم، وإسناد رجال نقلته والتعديل والتجريح والعلم باللغة والنحو والقراءات ومعاني الأشعار، توفي ببلده سنة 436هـ/1044م. القاضي عياض- ترتيب المدارك- ج2 ص313/ ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص147-148/الضبي- المصدر السابق- ص87.

3- هاشم بن يحيى بن حجاج: من أهل بطليوس، يكنى أبا الوليد، سمع من قاسم بن أصبغ وغيره بقرطبة، ورحل إلى المشرق سنة 338هـ/949م؛ فسمع من جلّة علمائها وانصرف، وسُعِيَ به إلى السلطان فامْتُحِن وأُسْكِن قرطبة؛ فقرأ الناس عليه كثيرا، توفي ببلده سنة 385هـ/995م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص152-153.

4- سبقت ترجمته.

5- أبو القاسم المُهلَّب بن أحمد بن أبي صُفْرة التَّميمي: هو المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة الأسدي، من أهل المرية، سمع بقرطبة ورحل إلى المشرق وسمع من شيوخه، حدّث عنه ابن الحذاء وقال: كان أذهن من لقيته وأفصحهم وأفهمهم، كان من أهل العلم والمعرفة والذكاء والفهم، من أهل التفنن في العلوم والعناية الكاملة بها، وله كتاب في شرح البخاري، استقضى بالمرية، وتوفي سنة 436هـ/1044م، وقيل في التي قبلها. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص313/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص235/الحميدي- المصدر السابق- ص343/الضبي- المصدر السابق- ص436.

6- أبو محمد بن أَبان الأموي: هو عبد الله بن أبان بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار بن وافد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقي، من أهل قرطبة، روى عن أبية ووهب بن مسرة وابن الأحمر وابن العطار، وأجاز له كل واحد منهم ما رواه، توفي سنة 395هـ/1004م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص216-217.

7- أبو العباس أحمد بن أيوب بن أبي الربيع: من أهل إلبيرة، روى عن عبد الله بن أبي زمنين وغيره، ورحل إلى المشرق وحجّ، ولقي أبا الحسن القابسي بالقيروان وأحمد بن نصر الداودي وغيرهما، وكان رجلا فاضلا، أديبا شاعرًا، وكان له مجلس بالمسجد الجامع

وأبي بكر يَعيش بن محمد بن يَعيش بن منذر الأسدي الطليطلي[1].

وأبي عمرو مُعَوّذ[2] بن داود بن دَلْهات[3]، لقي ابن عُبادِل وغيره.

وأبي عمر أحمد بن حسين القاضي الدَّاني[4].

وسعيد بن سهل الشرفي[5].

وأبي بكر عبد الله القرشي التميمي القرطبي[6].

وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي الإشبيلي[7].

بقرطبة، قال ابن حيان: توفي فجأة سنة 432هـ/1040م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص315/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص45.

1- أبو بكر يَعيش بن محمد بن يَعيش بن منذر الأسدي الطليطلي: روى عن أبيه وغيره، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها ابن أبي زيد وغيره، وكانت له عناية كبيرة بالعلم، وكان حافظا للغة، ذاكرا للمسائل، تولى الأحكام ببلده، ثم صار إليه تدبير الرئاسة به ثم خلع عن ذلك، وصار إلى قلعة أيوب، وتوفي بها سنة 418هـ/1027م، قال ابن حيان: توفي سنة 419هـ/1028م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص315-316/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص283-284.

2- في الأصل: صعود، وما أثبتنا من القاضي عياض وابن بشكوال.

3- أبو عمرو معوذ بن داود بن دلهات: الأزدي التاكُرُني الزاهد، من حضرة رندة، أخذ عن مسلمة بن القاسم وأبي محمد زياد وغيرهم، وكان مفتيا جليلا، وعابدا مجتهدا، وعالما بكثير من الحديث، وكان من أهل الزهد والورع، وعُني بالعلم والأثر، وقد حدّث عنه القاضي يونس بن عبد الله ومحمد بن عتاب وغيرهما، توفي سنة 431هـ/1039م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص316/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص233-234.

4- أبو عمر أحمد بن حسين القاضي الدَّاني: القاضي بدانية، من أهل العلم والقرآن، وجهه الموفق صاحب دانية في رسالة إلى المعز صاحب القيروان فجرت له بها أخبار وأجوبة حسنة، وكتب إلى علمائهم بمائة من فنون العلم أجاب عنها أبو عمران الفاسي. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص316-317.

5- سعيد بن سهل الشرفي: إشبيلي، آخر فقهاء بلده ووجوهه، نكبه ابن عباد في الفتنة بسبب التهمة في بني حمود واستصفى ماله. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص317.

6- أبو بكر عبد الله- عبيد الله عند عياض- القرشي التميمي القرطبي: هو عبد الله بن إسحاق بن الحسن، من أهل قرطبة ونزل إشبيلية، وكان أحد المفتين بها، وممن له وجاهة، وكان أحد الدعاة للشبيه الدعي القائم بها، توفي سنة 389هـ/999م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص 317/ابن بشكوال- المصدر السابق- ج1 ص215-

7- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي: هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي، من أهل إشبيلية، رحل مع أبيه إلى المشرق، وشاركه في السماع من الشيوخ هنالك، كان من أهل العلم بالحديث والرأي والحفظ للمسائل، عاقدًا للشروط، كان من أجلّ الفقهاء دراية ورواية، بصيرًا بالعقود، مُتقدّمًا في علم الوثائق وعللها، وألف فيها كتابا

وخَلف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدي[1].

وأبي بكر محمد بن مغيرة بن عبد الملك بن مغيرة بن معاوية الإشبيلي[2].

وأبي بكر محمد بن قاضي القضاة أبي العباس بن ذكوان[3].

وأبي المطرف عبد الرحمن بن مُختار القرطبي[4].

وأبي الحسن مُختار بن عبد الرحمن القرطبي[5].

وأبي عمر بن عبد الرحمن القرداحي[6].

والقاضي الشهير أبي الوليد الباجي[1] صاحب "التمهيد والاستذكار" وغير ذلك.

حسنا، توفي سنة 433هـ/1041م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص318/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص143-144.

1- خلف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدي: يعرف بابن المنفوخ، من أهل قرطبة وسكن إشبيلية، يكنى أبا القاسم، روى عن أبي محمد الباجي وغيره، وروى عنه أبو عمر ابن عبد البر وأثنى عليه، له رحلة إلى المشرق، وكان مُشاوَرًا بإشبيلية، توفي بعد سنة 403هـ/1012م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص318/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص148.

2- أبو بكر محمد بن مغيرة بن عبد الملك بن مغيرة بن معاوية الإشبيلي: القرشي من أهل قرطبةروى عن أبي بكر الزبيدي وابن القوطية وابن الخراز، وله رحلة إلى المشرق روى فيها عن السقطي والقابسي، وكان من أهل العلم بالحديث والرأي وضروب الآداب وممن يقول الشعر الحسن، توفي في رجب سنة 425هـ/1033م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص318/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص137-138.

3- أبو بكر محمد ابن ذكوان: هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، من أهل قرطبة، سمع من أبي المطرف القنازعي ويونس بن عبد الله وغيرهما، قلده أبو الحزم ابن جهور بإجماع أهل قرطبة القضاء؛ فأظهر الحق وقمع الظالم ورد المظالم، ثم صُرف عنه، وكان من أهل العلم والحفظ والفهم، ممن عُنِي بالعلم وسماع الحديث، قال ابن حيان: وتوفي سنة 435هـ/1043م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص325-326/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص145-146.

4- أبو المطرف عبد الرحمن بن مُختار القرطبي: هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن مختار بن سهر الرعيني، قال ابن حيان: كان عفيفا ذكيا، متصرفا في معاني الفقه، بصيرا بالحساب، من أهل بيت نباهة بقرطبة، توفي سنة 440هـ/1048م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص336.

5- أبو الحسن مُختار بن عبد الرحمن القرطبي: هو مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني، كان جامعا لفنون من العلم والمعرفة، سمع من القاضي يونس بن عبد الله وغيره، واستقضى بالمرية فأحسن السيرة واستقل بالحكم، توفي بقرطبة سنة 435هـ/1043م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص336/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص233.

6- أبو عمر بن عبد الرحمن القرداحي: قرطبي، فقيه أديب حافظ ذكي، أحذق أصحاب ابن دحون، قال ابن حيان: ولم يكن بالمرضي في نفسه، توفي وأبوه حيّ سنة 419هـ/1028م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص338.

وأبي عبد الله بن عتاب[2] الفقيه المشهور.

والقاضي أبي زيد بن الحشاء[3].

وأبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي[4]، سمع عمّ أبيه[5]، وابن لبابة وأسلم بن عبد العزيز.

ومحمد بن عبدون بن محمد بن فهد[6]، روى عن ابن وضّاح جده[1].

1- أبو الوليد الباجي: هو سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث الباجي، استقر في شرق الأندلس، أخذ ببلده عن علماء عصره ثم رحل سنة 326هـ/937م أو نحوها إلى المشرق فسمع من علمائه، وعاد إلى بلده بعد ثلاثة عشرة سنة قضاها في المشرق، فحاز الرياسة ولم يكن في الأندلس أتقن منه للمذهب، كان فقيها محققا راوية محدثا، له تآليف كثيرة، وتوفي بالمرية سنة 474هـ/1081م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 صص347-351/الضبي- المصدر السابق- ص280-281.

2- أبو عبد الله بن عتاب: هو أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن القرطبي، فقيه حافظ محدث متقدم، شيخ المفتين، تفقه وروى عن علماء عصره، كان إماما جليلا متصرفا في كل باب من أبواب العلم، أحد الفقهاء بالأندلس، حافظا بصيرا بالأحكام والعقود، توفي سنة 462هـ/1069م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 صص353-355/الضبي- المصدر السابق- ص109/ابن فرحون- المصدر السابق- ص370.

3- أبو زيد ابن الحشاء: هو أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد المعروف بابن الحشاء القاضي القرطبي، قال ابن حيان: كان بارع العلم حاضر الشاهد والخاطر، حجّ وروى عن علماء مكة ومصر والقيروان، وسمع من علماء قرطبة، كان من أهل العلم والنباهة والفهم ومن بيت علم وفضل، استقضاه المأمون يحي بن ذي النون بطليطلة ثم طرطوشة، ثم دانية التي توفي بها سنة 473هـ/1080م. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص358/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص295-296.

4- أبو عيسى يحيى بن عبد الله الليثي: هو يحي بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي، من أهل قرطبة، يكنى أبا عيسى، سمع من عم أبيه عبيد الله بن يحيى وأبي عبد الله محمد بن عمران بن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وغيرهم من علماء الأندلس، وكان قاضيا ببجانة وإلبيرة ووُلي أحكام الردّ أيام كان أخوه قاضيا بقرطبة، رحل الناس من جميع أنحاء الأندلس للسماع منه منهم هشام المؤيد المؤيد بالله، وتوفي سنة 367هـ/977م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص169-170/ابن حيان- المصدر السابق- تحقيق صلاح الدين الهواري- ص170/ الحميدي- المصدر السابق- ص365.

5- في الأصل: سمع ابن عم أبيه، وما أثبتنا من المصادر التي ترجمته، والتي أجمعت على أنه سمع من عم أبيه، وهو أبو مروان عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك بن أنس رضي الله عنه. ابن حيان- المصدر السابق- تحقيق صلاح الدين الهواري- ص170.

6- محمد بن عبدون بن محمد بن فهد: الجبلي العددي، من أهل قرطبة، أُدِّب بالحساب والهندسة، ورحل سنة 347هـ/958م فدخل مصر والبصرة، وعُني بعلم الطب؛ فمهر فيه ودبّر مارستان الفسطاط، ثم رجع إلى الأندلس سنة 360هـ/970م؛ فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله، ثم عني به المنصور بن أبي عامر، وكان قد أدبه بالحساب، وله في التكسير تأليف حسن. أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي- طبقات الأمم- تحقيق وتعليق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- 1998م- ص103/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص249/أبو العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة- عيون الأنباء في طبقات الأطباء- ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/ 1998م-

[ذكر أخبار المنصور محمد بن أبي عامر المعافري]

[ذكر نسب وخصال ونباهة المنصور ابن أبي عامر[2]:] هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس أول الفتح مع طارق، وكان له في فتحها أثرٌ جميلٌ، وكان في قومه وَسيطًا، وهو مَعافِري النَّسب، وكان والده عبد الله طلب العلم ورَوَى الحديث، وحجَّ بيت الله الحَرام، ومات قافلا من بلاد المشرق رَحِمه الله بعد أن أفاد بها علمًا كثيرًا.

أمّه برهة بنت يحيى بن برطال.

دخل جدّه عبد الملك المَعافِري[3] الأندلس مع طارق بن زياد في أول الفتح، وكانت له في الفتح آثار عجيبة، وفي ذلك يقول بعض الشعراء[4]: [الطويل]

وكُـلُّ عَـــدُوٍ أنتَ تَـهْــدِمُ عَـرْشَــــه   وكُلُّ فُتوحٍ عَنْكَ يُفْتَحُ بَـابُها
تُراثُـــكَ[1] مِــنْ عَبْدِ المَلِك الَّــذي لَــهُ   حُلَى فَتْحِ قَرْطَاجَنَّةَ[2] وانْتِهابُها

ص452-453/أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ابن عبد الملك المراكشي- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصله- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ط1- 1973م- السفر السادس- ص427-428.

1- ابن الخطيب- أعمال الاعلام- ص48-57.

2- قال مؤلف تاريخ الأندلس: "قال صاحب التاريخ: ...". المصدر السابق- ص216/وبدأ ابن سعيد نصّه عند تطرّقه لنسب ابن أبي عامر بقوله: "ومن خط ابن حبان". المغرب في حلى المغرب- ج1 ص136، وقال ابن الخطيب: "قال في الدولة العامرية"، وقال أيضا في بداية اقتباسه نصّ نباهة المنصور ابن ابي عامر: "قال المؤرخ: ..."، ثم انتقل إلى الثناء عليه بعدها مباشرة قائلا: "قال: وفي الدولة العامرية، وأعين محمد على أمره..."، وبالتالي فالنص الوارد عند ابن عذاري هو لابن حيان لأنه لم يذكر ذلك في بداية نقله، ثم قال عند الحديث عن دخول المنصور إلى غرناطة: "قال صاحب الديوان في الدولة العامرية: وقد مر ذكر المنصور"، وكأنه يشير إلى أنّ الكتاب له عنوان آخر. الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدّم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م-م2- ص58.

3- عبد الملك: قال ابن حيان: وعبد الملك جدّه هذا هو الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد، مولى ابن نصير، في أول الداخلين من المغرب، وهو في قومه وسيط، ونزل الجزيرة الخضراء لأول الفتح؛ فساد أهلها وكثر عقبه فيها، وتكررت فيهم النباهة والوجاهة. ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1 ص275/ابن عذاري ابن عبد الملك المراكشي- المصدر السابق- ج2 ص257/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ج2 ص59.

4- قال ابن عذاري: "وقد ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم بأخبار الأندلس في بعض أمداحه للمنصور هذا فقال:...". المصدر السابق- ج2 ص256.

أَنَــاخَ بـــأَرْضٍ كــــانَ أَوَّل فَتْـحِــهَا وَأَوْقَدَ نارَ الحَرْبِ وهُو شِهابُها[3]

[جَبَاهــا أبُــو مَــرْوانَ جَدُّك قابِضــاً بِكَفٍّ تَليدٍ[4] طَعْنُها وضِرَابُهــا][5]

فإنْ سَنَحَتْ في الشِّرْكِ مِنْ بَعدِ فَتْحِهِ فُتوحٌ فَمَصْروفٌ عَلَيْهِ[6] ثَوابُها

وكان سبب اعتلاء المنصور وارتفاع شأنه، وتوصّله إلى الملك وحلوله بمدينة السلطانة ما ذكره أهل التاريخ؛ أنه كان ناظرا على دار السكة بإشبيلية فجمّلها وحسّنها، ثم سعى له صهره خالد بن هشام في النظر في البناء؛ فاشتغل في البناء، وظهر فيه حزمه وجِدّه؛ فشيّد المباني وأكملها وانتهى، ثم ولاه الحَكَم الشرطة فشرّفها، ثم ولاه مع ذلك وكالة السيدة صُبْح البُشْكَنْسية[7] أم هشام المؤيد، فلمّا وَلِي ولدُها هشام المؤيد الخلافة ولّاه الحجابة والقيادة فانقادت له، ثم ولاه الوزارة فزانها وسَمَت به، ثم انتقل إلى الإمارة؛ فعلا أقرانه وفاقهم؛ فكان أميرهم، والله يؤتي الملك من يشاء.

وكان محمد هذا حسن النشأة، ظاهر النجابة تتفرّس فيه السيادة، سلك سبيل القضاة في أوليته مقتفيا آثار عُمومته وخُؤولته؛ فطلب الحديث في حداثته، وقرأ الأدب وقيّد اللغات على أبي

1- عند ابن عذاري: وإنّك. المصدر السابق- ج2 ص256.

2- قرطاجنة: مدينة عجيبة رائقة من بنيان الرومانيين، وتسمى قرطاجنة الحلفاء، هي فرضة مدينة مرسية، لها ميناء ترسو به المراكب الكبار والصغار، وهي كثيرة الخصب والرخاء، ولمزيد من التفاصيل عنها ينظر مجهول- المصدر السابق- ص179/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص558-559/الحميري- المصدر السابق- ص462.

3- البيت ساقط عن ابن عذاري.

4- تليد: يُقال امرأة تليد أي ذات سؤدد. مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ/2005م- ص86.

5- هذا البيت ساقط في كتاب تاريخ الأندلس، والزيادة من ابن عذاري المراكشي- المصدر السابق- ج2 ص256.

6- إليك عند ابن عذاري.

7- صبح البشكنسية: جارية بُشكَنسية الأصل من إقليم نَبَارَة، كانت رائعة الجمال فشغف بها الخليفة الحَكَم المستنصر، كانت حظية عنده وكان يُسمِّيها جعفر، وازداد نفوذها عندما رُزِق الخليفة منها بولده الأول عبد الرحمن وبعده هشام؛ فغدت زوجة الخليفة السيدة صبح أم هشام المؤيد بالله، ولم يكن الخليفة يرد لها أمرًا لدرجة أنها أصبحت صاحبة الكلمة في تعيين الوزراء ورجال القصر، وبواسطتها تمكّن محمد بن أبي عامر من دخول القصر، وكانت غاية في الفضل والدين، وتوفيت في خلافة ولدها. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص42/مجهول- جغرافية وتاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث- الجزائر- 2013م- ص287/جاسم ياسين الدرويش- أعلام نساء الأندلس- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1438هـ/2017م- ص176.

علي البغدادي[1]، وعلى أبي بكر بن القوطية[2]، وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القُرَشي[3] رواية النسائي وغيره من رؤساء أهل المشرق، وبرع بروعًا أدناه مع نوازع سعد وبوادر حظّ من الحَكَم المُستنصر؛ فقرّبه وصرفه في مُهِمّ الآمانات وأصنافها؛ فاجتهد وبرز في كل ما قلّده، واضْطَلَع بجميع ما حمله.

وأُعين محمّد على أمره مع قوّة سعده بخصال مؤلفة لم تجتمع لمن قبله، منها الجود والوقار والجدّ والهيبة، والعدل والأمن، وحبّ العِمارة وتأمير المال، والضبط للرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتَشغُّب من غير وهَن في دينه، وصحة الباطن وشرح كل فضل، وجلب كل ما يُوجِب عن المنصور فيه[4].

[ذكر خبر بِدايات المنصور بن أبي عامر[5]:] وأما المنصور فأصله من قرية تركش[6]، وأنه رَحل إلى قرطبة، وتأدّب بها، ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يَعْنِ له كتب من الخدم والمُرافعين للسلطان، إلى أن طلبت السيدة صُبح أم المؤيد من يكتب عنها، فعرّفها به من كان يأنسُ إليه بالجلوس من فتيان القصر؛ فترقّى إلى أن كتب عنها؛ فاستحسنته ونَبَّهت عليه الحَكَم في تشريفه بالخدمة؛ فولّاهُ قضاء بعض المواضع؛ فظهرت منه نجابة؛ فترقّى إلى الزكاة والمواريث بإشبيلية[7]، وتمكّن في قلب السيدة بما استمالها به من التُّحَف والخِدْمة ما لم يتمكّن لغيره، ولم

1- سبق التعريف به ضمن شيوح ابن حيان في مقدمة الدراسة.

2- أبو بكر ابن القوطية: سبق التعريف به.

3- سبق التعريف به ضمن شيوح ابن حيان في مقدمة الدراسة.

4- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص257/ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1- ص275/ابن الخطيب- الإحاطة- ج2 ص58/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 216-217/ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص136-137.

5- قال المقري في بداية النص: "وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية". المصدر السابق- ج1 ص382.

6- تركش: لم نعثر على هذه المدينة في المصادر الجغرافية المعتمدة في التحقيق، بينما قال ابن عبد الملك المراكشي إن أصل ابن أبي عامر من الجزيرة الخضراء، وبالتحديد من قرية من أعمالها تسمى "طرش" التي تقع على نهر يُسمى "وادي آرو"، وقرية طرش على ضفة البحر، وهي تابعة لكورة مالقة. ابن عبد الملك المراكشي- المصدر السابق- ص30/الإدريسي- نزهة المشتاق- م2 ص565.

7- إشبيلية: من أعظم مدن الأندلس وأكبرها، قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها، ومدينة الأدب واللهو والطرب، وهي على ضفة الوادي الكبير، عظيمة الشأن، طيبة المكان، لها البرّ المديد والبحر الساكن والوادي العظيم، لمزيد من التفاصيل عنها ينظر مجهول- تاريخ الأندلس- ص111/ ابن الدلائي العذري- نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان

يُقصر مع ذلك في خِدمة المُصْحَفِيّ[1] الحاجب، إلى أن توفي الحَكَم[2] ووَلِيَ إبنه هشام المؤيد، وهو ابن اثنتي عشر سنة[3]؛ فجاشَت الرّوم؛ فجهّز المُصْحَفي ابن أبي عامر لدفاعهم؛ فنَصَرهُ الله عليهم، وتمكن حبّه من قلوب الناس[4].

ذكر اتّصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر[5]: قال بعض المؤرخين: كان اتصال ابن أبي عامر بالحَكَم فيما حدثني به ابن حسين الكاتب[6] والأديب أبو إسحاق بن محمد الإفليلي[7]

والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد- 1965م- ص95 وما بعدها/ابن غالب- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس- نشر لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية- القاهرة- المجلد الأول- ج2- ربيع الأول 1375هـ- نوفمبر 1955م- - ص292-293.

1- المصحفي: هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي الملقب بالمصحفي، من الشعراء الأندلسيين، ولي جزيرة ميورقة أيام الناصر، ثم استوزره المستنصر، وغدا من أعظم رجال بلاطه وحاجبه، ثم نكبه المنصور بن أبي عامر. ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص257-268/ابن عذاري- المصدر السابق-ج2-ص 254-256/المقري- المصدر السابق- ج1 ص379.

2- توفي الحكم المستنصر بالله ليلة الأحد لثلاث خلون من رمضان سنة 366هـ/976م بعد اتصال علته. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253.

3- اختلف المؤرخون في تحديد سنّ هشام وقت بيعته بالخلافة؛ فابن حزم قال: "ولي ولم يستكمل إحدى عشرة سنة"، وابن الأثير قال: "ولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه، وله عشر سنين"، وابن عذاري قال: "ولي الخلافة وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر"، أما عبد الواحد ابن عبد الملك المراكشي فقال: "وسنه إذ ولي عشرة أعوام وأشهر"، غير ان هذه الروايات وإن اختلفت في تحديد سنّه على الوجه الأكيد إلا أنها تجمع على عدم تجاوزه سنّ الثانية عشر آنذاك. ابن حزم- رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ضمن رسائل ابن حزم- ج2 ص45/أبو الحسن علي بن محمد ابن عبد الكريم الجزري الشيباني الشهير ابن الأثير- الكامل في التاريخ- اعتنى به أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية- عمّان- ص1283/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253/عبد الواحد المراكشي- المعجب- ص30.

4- المقري- المصدر السابق- ج1- ص382.

5- قال ابن عذاري: "قال بعض المؤرخين... فيما حدثني به ابن حسين الكاتب..."، وابن حسين الكاتب هو خلف بن حسين والد ابن حيان ومصدره الأساسي فيما نقله من أخبار محمد بن أبي عامر. المصدر السابق- ج2 ص251.

6- سبق التعريف ضمن شيوخ ابن حيان.

7- أبو إسحاق بن محمد الإفليلي: هو إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد ابن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي القرطبي، ولي الوزارة للمستكفي، وكان حافظا للأشعار واللغة، ذاكرًا للأخبار وأيّام الناس، لقي جماعة من أهل العلم والأدب وجماعة من مشاهير المحدثين، توفي سنة 441هـ/1049م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص84-85/الضبي- المصدر السابق- ص195.

وغيرهما من المشيخة، أنّ الحاجب جعفر بن عثمان المُصْحفي القائم بدولة الحَكَم خلا في بعض الأيام بالقاضي محمد بن إسحاق بن السليم؛ فشكا إليه ابن السليم شَجْوَه[1] بمحمد بن أبي عامر ووصف له حاله؛ فلما طلب الحَكَم له وكيلا لولده عبد الرحمن الدارج في حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بخير، ووصف لأُمّ عبد الرحمن جماعةً اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له؛ فنصّبه الحَكَم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرّحمن.

فلما مات عبد الرّحمن[2]، بقي في خدمة أمّه السيّدة، وكانت قد وَلَدت هشام بن الحَكَم؛ فصُرِف ابن أبي عامر لوكالته، وكان تَقدُّمه أولا لوكالة الوَلَد عبد الرّحمن يوم السبت لتسع خلون من ربيع الأول سنة 356هـ[3]، وأَجْرى عليه في ذلك الوقت خمسة عشر دينارا في الشهر مُرَتَّبا بالوازِنة؛ فبدا من نُصْحه وحُسْن نَظَره ما عُرِف له، ثمّ استأثر الله بعبد الرّحمن؛ فصُرِف إلى وكالة هشام يوم الأربعاء لأربعٍ خلون لرمضان سنة 359هـ[4]، وكان قد تَقدَّم للنظر في أمانة دار السِّكَّة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوّال من سنة 356هـ.

كانت ولايته أولًا لوكالة، وأضاف له الخِزانة، ثم قدّمه على خُطّة المواريث يوم الخميس لسبع خلون من المحرّم سنة 358هـ[5]، واسْتَقْضاهُ على كورة إشبيلية ولَبْلَة[6] وأعمالها يوم الأربعاء لاثنَتَي عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة 358هـ المذكورة، وفي سنة 361هـ[7] قَدَّم الحَكَمُ المُسْتَنْصِر بالله محمّد بن أبي عامر على الشُّرَطة الوُسْطى في جُمادَى الآخِرة، وأهَابَ به إلى الأَمانات بالعُدْوة؛

1- شَجْوَه: الشَّجْو الهَمُّ والحُزْن، والشَّجو الحاجة، ويُقال: بكى فلانٌ شَجْوَه. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر- أساس البلاغة- دار صادر- بيروت- ط1- 1412هـ/1992م- ص321-322/المعجم الوسيط- ص474.

2- ولد عبد الرحمن بن الحكم المستنصر بالله سنة 351هـ/962م وتوفي طفلا. محمد عبد الله عنان- المرجع السابق- العصر الأول- القسم الثاني- الخلافة الأموية والدولة العامرية- ص502.

3- تقابل سنة 966م.

4- تقابل سنة 969م.

5- تقابل سنة 968م.

6- لبلة: مدينة أزلية، وهي غرب من قرطبة وشرق من شلب، كثيرة الزيتون والثمار والأشجار والأطيار، وهي جامعة لصنوف الخيرات، ذات زرع وضرع ونحل ونتاج، ولمزيد من التفاصيل ينظر مجهول- تاريخ الأندلس- صص109-111/ابن غالب- المصدر السابق- ص291-292.

7- تقابل سنة 971م.

فاستصلحها واستمال أهلها، وجَعله قاضي القُضاة بالغَرْب من العدوة، وأمر عُمّاله وقُوّاده ألّا يُنَفِّذُوا شيئًا دونَه إلا بمَشورَتِه، ثم أضاف إليه الحَكَمُ النَّظَر في الحَشَم[1]، وهو في عِلَّته التي مات فيها بالفالج.

وقيل أيضًا إنّ سبب ظهوره كان خِدمَتُه للسيّدة صُبْح البُشْكَنْسية، أم عبد الرّحمن وهشام؛ فكانت أقوى أسبابه في تنقيل المُلك عمّا قليل إليه؛ فإنّه استمال هذه المرأة بحُسن الخِدْمة، ومُوافقة المَسرَّة، وسَعَة البَذْل في باب الإتحاف والمُهاداة، حتى اسْتَهْواها وغَلبَ على قلبها، وكانت الغالبة على مولاها، وابن أبي عامر يجتهدُ في بِرِّها والمُثابَرة على مُلاطَفتها؛ فيُبْدِع في ذلك، ويأتيها بأشياء لم يُعْهَد مِثلها، حتى لقد صاغ لها قصرًا من فِضَّة وقْتَ ولايته السِّكَّة، عمل فيه مدّة، وأنفق فيه مالا جسيمًا؛ فجاء بديعًا، لم ترَ العيونُ أعْجبَ منه، وحُمِل ظاهِرًا لأَعْيُن الناس من دار ابن أبي عامر، وشاهد الناس منه منظرًا بديعًا لم تر العيون أعجبَ منه؛ فتحدَّث الناس بشأنه دهرًا، ووقع من قلب المرأة موقعًا لا شيءَ فوقه؛ فتَزَيَّدَت في بِرِّه، وتَكَفَّلَت بشأنه، حتى تحدّث النّاس بشَغَفِها به، وقال الحَكم يومًا لبعض ثِقاته: "ما الذي اسْتَلْطف به هذا الفتى حُرَمَنا حتى مَلكَ قُلوبَهُنّ، مع اجتماع زُخْرُف الدنيا عندهنَّ، حتى صِرْن لا يَصِفْنَ إلّا هَداياهُ، ولا يُرْضِيهُنَّ إلأ ما أتاه، إنّه لساحرٌ عليمٌ أو خادمٌ لبيبٌ، وإنّي لخائِفٌ على ما بيده".

ثم سُعِيَ به إلى الحَكَم، وقيل عنه إنّه قد أسْرَع في إتلاف مال السِّكَّة الموقوف قبله؛ فأمره الحَكَم بإِحْضاره ليُشاهِد سَلامَتَه؛ فأظْهرَ الإسراع إلى ذلك، وقد استهلك جملة من الأموال؛ فألقى نفسه في جَبْرِها على الوزير ابن حُدَير[2] في إسلافه إياها، وكان صديقا له فياسره فيه، وحمل المال إليه من وقته؛ فتمّم به ما قِبَلَه، وارتفعت الظِنَّةُ عنه؛ فأكذب الحَكَم ما رُفِعَ إليه عنه، وازداد عجبا به، وأقرَّه على حاله، فردَّ ابن أبي عامر المال لابن حُدَيْر من حينه، ولصق بالحَكَم، وصار في عِدادِ كُفاتِه.

1- الحشم: حَشَمُ الرجل خاصَّتُه الذين يغضبون لغضبه ولما يُصيبه من مكروه، من عَبيد أو أهل أو جِيرَة. المعجم الوسيط- ص176.

2- ابن حدير: هو أحمد بن محمد ابن حدير، ولاه عبد الرحمن الناصر الوزارة والقيادة لثمان بقين من ربيع الآخر سنة 300هـ/912م، وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص159.

واشتغل قلب الحَكم آخر أيامه بأمر العدوة ومن جرده إليها من عساكره لحرب الأدارسة وغيرهم، واغتمّ لما خرج من يده في ذلك الوجه من الأموال؛ فقلد ابن أبي عامر قضاء القضاة بالغرب، وجعله عينا على العسكر، وأوعز عليه في مُهِمَّاته؛ فسار ابن أبي عامر إلى هنالك؛ فحمدت سيرته، وصحب حينئذ وجوه العسكر وأشياخ القبائل وملوكهم؛ فكانت تلك الحركة أول ظهوره، وبعد رجوعه عنها لم يزل يزداد نُبلا ويرتقي منزلة، وهو مع ذلك كلّه يَغْدو إلى دار جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ وزير الدولة ويَروح، ويَخْتصُّ به ويَدَّعي نَصيحَته[1].

[ذكر تكتّم الصقالبة على وفاة المستنصر وكيفية وصول ابن أبي عامر إلى التمكّن[2]:] وكان جؤذر[3] وفائق[4] فتيا الحكم قد أخْفَيا موته[5]، ودبّرا على صرف البيعة إلى أخيه المغيرة[6]، وكان قال له فائق إن هذا لا يتم لنا إلا بقتل جعفر المصحفي؛ فقال له جؤذر: "ونستفتح أمرنا بسفك دم شيخ دولة مولانا؟"، قال له: "هو والله ما أقول لك"[7]، ثم بعثا إلى المُصحفي ونَعَيا إليه الحَكَم، وعَرَّفاه برأيهما في

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 صص251-253، وورد هذا النص بإيجاز شديد عند المقري حيث قال: "وقال غير واحد: إنه صنع يومئذ قصرًا من فضة لصُبح أم هشام، وحمله على رؤوس الرجال؛ فجلب حُبّها بذلك، وقال- الحَكَم-: "إنّ هذا الفتى قد خَلَبَ عقول حُرَمِنا بما يتحفهنّ به؛ فقالوا: وكان الحكم لشدّة نظره في عالم الحِدْثان يَتخيّل في ابن أبي عامر أنه المذكور في الحِدْثان، ويقول لأصحابه: أما تنظرون إلى صفرة كفيه، ويقول في بعض الأحيان: لو كانت به شجّة لقلتُ إنه هو بلا شك؛ فقضى الله أن تلك الشجّة حصلت للمنصور يوم ضربه غالب بعد موت الحكم بمدة". المصدر السابق- ج4 ص76.

2- قال ابن بسام: "رجع الخبر إلى ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج4 ص36.

3- جؤذر: من الفتيان الصقالبة، صاحب الصاغة والبيازرة، وكان له ولصاحبه فائق أمر الغلمان الفحول خارج القصر. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص259.

4- فائق: من الفتيان الصقالبة، عُرف بالنظامي، صاحب البرد والطراز. نفسه- ج2 ص259.

5- توفي الحكم المستنصر بالله ليلة الأحد لثلاث خلون لرمضان سنة 366هـ/976م بعد اتصال علته كما ورد عند ابن عذاري، وكان جعفر بن عثمان المصحفى هو من كان يُدبّر سلطانه إلى حين وفاته. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص253.

6- المغيرة: هو المغيرة بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وأخو الحكم المستنصر بالله، رشّحهُ الفتيان الصقالبة لتولي الخلافة بعد وفاة الحكم، ولكنه قتل خنقا على يد فرقة قادها المنصور محمد بن أبي عامر، وسِنُّه يوم قتل سبعًا وعشرين سنة، لمزيد من التفاصيل ينظر ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص261-262.

7- جاءت رواية ابن عذاري لهذا الحوار مخالفا لما في نص ابن حيان المقتبس هنا حيث جاء فيه: "فلما اتفقا على ذلك، قال جؤذر لفائق: "ينبغي أن نحضر جعفر بن عثمان الحاجب فنضرب عنقه؛ فبذلك يتم أمرنا"؛ فقال له فائق: "سبحان الله يا أخي، تشير بقتل حاجب مولانا وشيخ من مشيختنا دون ذنب، ولعله لا يُخالفنا فيما نريده، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم". المصدر نفسه- ج2 ص260.

المُغيرة؛ فقال لهما المُصْحفي: "وهل أنا إلا تبع لكما، وأنتما صاحبا القصر ومُدبِّرا الأمر، ولكما الرأي فيما قُلْتُماه"[1]؛ فأخذا في تدبير ما رأياه.

وخرج المُصحفي وجَمَع حاشِيَته وجُندَه، ونعى إليهم الحَكَم وعَرَّفَهم مذهب جؤذر وفائق في المُغيرة، وقال: "إنْ بقينا على ابن مولانا كانت الدولة لنا، وإن بدّلنا استبدل بنا"[2]؛ فقالوا: "الرأي رأيك"؛ فبادر المُصْحفي ببعثه محمد بن أبي عامر[3] مع طائفة من الجند وقته إلى دار المغيرة لقتله.

قال ابن أبي عامر: "فألفيت المغيرة مطمئنّا لا خبر عنده؛ فنَعيتُ إليه أخاه الحكم فجزع، وعرّفته جلوس ابنه هشام في الخلافة"؛ فقال: "أنا سامعٌ مُطيع"؛ فكتبت إلى جعفر بحاله وبالصورة التي ألفيته عليها من السلامة؛ فراجَعني جعفر المصحفي وهو يقول: "غرّرتنا، اقْضِ عليه، وإلّا وجّهت غيرك من يقتله؛ فقتل رحمه الله خنقا"[4].

وكانت علّة الحكم الفالج[5]، وكان تقدّمه عبد العزيز أخوه بمُديدة؛ وتعطّل أخوه الأصبغ ببطالة أزالت عنه الرهبة؛ فذهبت عن جعفر بن عثمان فيهما الحزّة[6]، وتوفر اهتمامه بعدهما بالمُغيرة، وكان فتى القوم كرما ورجلة، وممّن أُشير نحوه بالأمر بأسباب باطنة؛ فأخذ له أُهْبته؛ فلمّا قضى الحَكَم نحبه ليلة الأحد الثالثة من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة[7]، بادر بالمُغيرة على الصفة المذكورة.

1- وردت هذه الرواية باختلاف كبير عند ابن عذاري حيث جاء فيها: "فقال لهما جعفر: "هذا والله أسدّ رأي وأوفق عمل، والأمر أمركما وأنا وغيري فيه تبَع لكما؛ فاعْزِما على ما أردتما، واستعينا بمشورة المشيخة؛ فهو أنفى للخلاف، وأنا أسير إلى الباب فأضبطه بنفسي، وانفذا أمركما إليّ بما شئتما". المصدر نفسه- ج2 ص260.

2- "إن حَبَّسْنا الدولة على هشام أمِنَّا على أنفسنا، وصارت الدنيا في أيدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا وطلب شفاء أحقاده". نفسه- ج2 ص260.

3- ذكر ابن عذاري أن أصحاب جعفر بن عثمان أشاروا عليه بقتل المغيرة قبل أن يبلغه موت أخيه؛ فعمل برأيهم لكنهم في آخر المطاف كفوا وجبنوا، وهنا بادرهم محمد بن أبي عامر قائلا: يا قوم إني أخاف فساد أمركم، ونحن تبع لهذا الرئيس- وأشار إلى جعفر-؛ فينبغي ألا نختلف عليه، وأنا أتحمل ذلك عنكم إن أجذبني إليه؛ فخففوا عليكم"؛ فأعجب جعفر ومن معه به، وقالوا له: "أنت أحقّ بتولي كبره لخاصتك بالخليفة هشام ومحلك من الدولة". نفسه- ج2 ص261.

4- ابن عذاري- المصدر نفسه- ج2 ص261-262.

5- الفالج: شلل يصيب أحد شقّي الجسم طولا. المعجم الوسيط- ص699.

6- الحزّة: الحزز الشدة، والحز من الرجال الشديد على السَوق والقتال والعمل. المعجم الوسيط- ص170.

7- تقابل سنة 976م.

وافْتَتَح المُصْحفي أمرَه بعد بإيثار النَّصَفَة وإطْراح الكِبْر، وكان أوّل ما أتاه من ذلك صَدْر تقلّده حِجابَة هشام، وقد رفع فراشه فوق الوزراء أصحابه، وأبدل بالكتان الدِّيباج على سالف العادة أن قال: "إنّي أستحي من أصحابي أن أتمهّد أفضل من فرشهم مع عجزي عن درك شأوهم، غير أن نسلّم لأمير المؤمنين اختياره؛ فإمّا يُساوي بيننا في فرش كرامته، وإمّا أقرنا على الأمر الأول ولا كفران لنعمته"؛ فأفرش للجميع، مُذْ زالَ فرشُ الديباج، فرشَ الكَتّان؛ فجرى عليهم الرسم إلى آخر الزمان واستحسان فعل جعفر يومئذ، وعدّ من بعد غوره.

وعَوّل جعفر في سائر أوقات دولته على هذا النوع من السياسة؛ فلزم التواضع للناس، وأطلق لهم البِشْرَ وألانَ، ووطأ خلقه، ورأى أنّهم بذلك يصلحون له دون البذل لذات اليد والمواساة في النعمة؛ فاسْتأثر بالأعمال، واحتجن الأموال ولم ينلهم، وبنى المنازل وهدمهم، وشحّ بالنشب وسخا بهم، وعارضه محمد بن أبي عامر فتى ماجد أخذ معه بطرفي نقيض: بالبخل جودا وبالاستبداد أثرة، وباقتناء الضياع واصطناع الرجال، حتى غلبه عمّا قليل.

وتحركت حال بن أبي عامر لأول الدولة، وشارك في التدبير بحق الوزارة، وتقوّى على أمره بنظره في الوكالة وخدمته للسيدة صبح أم هشام، وكانت حاله عند جميع الحرم أرفع الأحوال بقديم الإتصال، وحُسن الخِدمة، والتصدّي لمواقع الإرادة، وطلاقة اليد في باب الألطاف والهدية؛ فأخرجن له أمر الخليفة هشام إلى حاجبه جعفر في الاستعانة به في التدبير والمشورة له في الأمور، والاختصاص به على الجمهور.

وكان جعفرٌ لمحمدٍ على بعض ما أُريدَ منه؛ ثقة به وسُكونًا إلى جهته، فامْتَثلَ ما أمَرَ به في ابن أبي عامر لغفلته، وتزيد في بره، وأشركه في سرّه وجهره، وانهمك ابن أبي عامر في مغالطة جعفر، وأراه أنه صاحبه الحائط لحاله، وعوّل جعفر على رأي محمد، ووصل يده بيده، واستراح إلى كفايته، وابن أبي عامر يمكر به، ويضرب بين حسدته، ويناقضه في أكثر ما يعامل به الناس، ويجعل إليهم بالبذل وقضاء الحوائج، ويتقدّم من المعالي إلى ما يحجم جعفر عنه يستضم الرجال وجعفر يدفعهم، ويزيدهم وجعفر ينقصهم، يظن أنه كان يحمله عنه؛ فيا لك من جامع لمحمد، ومُفَرّق عن جعفر إلى أن هوى نجمه، وزال أمره.

وكان أول أتصال ابن أبي عامر بالحَكَم أنه وُصف له؛ فاسْتُخلِف على قضاء كورة رَيَّه[1]، ثم تصرّف في وكالة صبح أم هشام؛ فاضْطلعَ بكُلّ ما قُلِّد، اسْتَهْوَى هذه المرأةَ بحُسن الخِدمَة- وهي الغالية على الحَكَم- فأزلفته، وولي الشرطة والسِّكَّة والمواريث، والسِّكَّة يومئذ أعلى الخِطَط في الإفادة، وقُرِن له بهذا كله القضاء بإشبيلية؛ فعَلَتْ حاله، وعَرض جاهُه وعمر بابُه في حياة الحَكَم، وهِمَّتُه تَرْتَمي به وراء ما يناله من الدنيا أبعد مرمى، وهو في كل ذلك يغدو إلى باب جعفر ويروح، ويختصُّ به ويتحقّق نصيحته، إلى أن أحظاه الجِدُّ وساعده القضاء؛ فأسقط جَعفرًا.

فلما انفرد بشأنه، وتمكّن من سلطانه، توثّق لنفسه، وحصّن ماله، ورمى إلى الغرض الأقصى من ضبط الملك والحجر عليه والاستبداد دونه، وامتثل رسم المتغلبين على سلطان ولد العباس بالمشرق من أمراء الديلم[2] في عصره؛ فنال بغيته، وتَهَنَّأَ مَعيشَته، وأوْرَثَه عَقِبَه بعدَه، من غير اقتدار عليه بجند خاص ولا صيال بعشيرة، ولا مُكاثرة بمال ولا عدّة، بل رمى الدولة من كنانتها، وعدى عليها بأعضادها، وانتضلها بمشاقصها[3]، وأنفق على ضبط أموالها وعددها، حتى حوّلها إليه، وسبكها في قالبه، وسلخ رجالها برجاله، وعَفَّى رسومها بما أوضح من رسومه، وأسقط رجال الحَكَم من سائر الطبقات: الكُتّاب والعُمّال والقُضاة، والحكّام وأصحاب السيوف والأقلام ومزّقهم، وأقام بإزائهم من تخريجه واصطناعه رجالا سدُّوا مكانهم، ومحوا ذكرهم أعانوه على أمره.

1- كورة رَيَّه: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة، نالها جند الأردن من العرب، وتتصل بحوز الجزيرة؛ فُضِّلت بخيرات كثيرة؛ وخُصّت بعموم بركات، أرضها عيون مطردة، وأنهارها غيرة، لها سهل متسع وجبل ممتنع، ومدنها كثيرة وحصونها حامية. ابن غالب- المصدر السابق- ص294/الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- 1975م- 279-280.

2- الديلم: جيل سمّوا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر، وليس اسم لأب لهم، وهي بأرض الجبال بقرب قزوين، وهي بلاد كلها جبال ووهاد، والديلم في الإقليم الرابع، ويتصل بها من ناحية الجنوب قزوين وطرم وشيء من أذربيجان وبعض الريّ، ومن جهة الشرق بقية أعمال الريّ وطبرستان، ومن الشمال بحر الخزر، ومن المغرب أذربيجان. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي- معجم البلدان- دار صادر- دار بيروت- بيروت- 1404هـ/1984م- م2 ص544/أبو القاسم ابن حوقل النصيبي- كتاب صورة الأرض- دار صادر- بيروت- ص375/ زكرياء بن محمد بن محمود القزويني- آثار البلاد وأخبار العباد- دار صادر- بيروت- ط3- 2011- 330.

3- مشاقصها: مفردها مِشْقَص، والمِشْقَص من النِّصال هو الطويل العريض، والمشقصُ سهم ذو نَصل عريض. المعجم الوسيط- ص489.

وأول عروة فضَّ ابن أبي عامر من عُرَى المُلك جَماعةُ الصَّقْلَب[1]، استخرج منهم بأسباب المُصادرة أموالاً جَمَّة اسْتَأْثَر بأكثرها، وتتبّع لذلك كتابهم وأسبابهم وقتا بعد آخر، وتقسّمتهم أيدي القَدَر نفيا وقتلا؛ صبرًا وغَلَبة؛ سِرًّا وعَلانية، حتى هَلَكوا عن آخرهم في أسرع مُدّة، واختلفتْ مُقاتلتهم بحسب استيفائهم مُدَدَ أعمارهم؛ فلم يَصحَّ لي تاريخ ذلك على حقيقته؛ فكانت تلك الطائفة أول من ظهر انتقام الله تعالى بإذن ابن أبي عامر منها؛ فكانوا جَبّارين قاسطِينَ في بلاده، مُتمرِّدين على عباده؛ فأرسله بقدرته على هذا النَمَط من خَلْقِه؛ فأبادهم، ونَجا أهلُ السلامة من سَوْرَته[2]، وتلك عادته تعالى في من نكب عن سبيله[3].

[تآمر صاحب المدينة زياد بن أفلح على المنصور[4]:] أنه كان على المدينة، وأن جُؤذُرا الفتى الحَكَمى تَحيّن ركوب زياد[5] هذا إلى داره بطرف المدينة حين توصّل إلى هشام المؤيد عازما على الفتك به عند مداخلته الجماعة الذين اجتمعوا على خلعه؛ بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد[6]، صاحب خطة الردّ فبُطش بجؤذر وقبض عليه بمبادرة أحمد بن محمد بن عروس[7] إلى تلافي الأمر،

1- لمزيد من التفاصيل عن أخبار ابن أبي عامر مع الصقالبة ينظر ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص262-264.

2- سورته: السّورة الوثبة، والسّورة من المجد ونحوه أثره وعلامته، والسَّورة من البرد أو الغضب شدّته ووجِدَّته وهياجه، والسّورة من الرجل أو السلطان سَطْوَته. المعجم الوسيط- ص462.

3- ابن بسام- م4 صص36- 38، وقد أورد المقري هذا النص بتصرف. نفح الطيب- ج4 ص74-75، وباختصار شديد عند ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب-ج1 ص137.

4- قال ابن الأبار القضاعي في بداية النص: "ذَكر ذلك ابن حيان في تاريخه الكبير، وذكر في الدولة العامرية". المصدر السابق- ج1 ص278.

5- زياد بن أفلح: مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد، كان من وزراء الدولة العامرية، وكبار رجالها، وتوفي في أولها سنة 386هـ/996م. ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1 ص278.

6- عبد الملك بن منذر بن سعيد: هو عبد الملك بن منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن نجيح، من أهل قرطبة، يكنى أبا مروان، سمع من أبيه وغيره، ووُلِّي خِطّة الردّ أيّام الحكم المستنصر، واتّهَمه المنصور مع جماعة من الفقهاء والقضاة بقرطبة بالسعي لمبايعة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر سِرًّا؛ فقُتِل عبد الرحمن، وصُلب عبد الملك على باب السُّدّة يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة 368هـ/978م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص250/أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي- طوق الحمامة في الأُلْفة والأُلّاف- دار صادر- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م- ص57.

7- أحمد بن محمد بن عروس: يبدو أنه كان يتولى وظيفة كبرى من وظائف الشرط، وهو الذي ألقى القبض على جُؤذُر بعد إفشال المؤامرة. ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص279-280.

ووافى زياد على إثر ذلك فوبّخه ابن عروس؛ فأخذ في الاعتذار، وتعاونا على النازلة وما سلم زياد من التهمة.

وحُكِي أن عبد الملك بن منذر في هذه القصة لما أفتى عليه بآية الحرابة[1]، وردّ إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة، أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يصلب استبلاغا في المثلة، يبغي بذلك التقرّب إلى ابن أبي عامر؛ ونَفْي التهمة عنه؛ فعمل برأيه، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة[2].

وزيّاد هو القائل: [الطويل]

وَأصْبَحَتِ الدُّنْيا بِأوْبِتَك الرِّضا   لدَيَّ وَصلِ صافِعٍ لِقَفا الصَّدِّ

ولِمَ لا ودَهْري كُلُّه بكَ مُونقٌ   أرقُّ إذا ما شِئتَ من طُرَّتي[3] بُرْدِ[4]

[ذكر تَوَلّي المنصور ابن أبي عامر للحجابة[5]:] وَلِي المنصور بن أبي عامر الحجابة لهشام المؤيّد في شعبان من سنة سبع وستين وثلاثمائة[6].

ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو صدر الدولة، وقيامه بالجهاد دون الجماعة، وتوصله بذلك على تدبير الملك[7]: وجاشت[8] النصرانية بموت الحكم، وخرجوا على أهل الثغور؛ فجاء صُرَّاخُهم إلى باب قرطبة؛ فلم يجدوا عند جعفر غَناء ولا نُصرة، وكان مما غَرَّب به لجُبنِه وعظيم أَفَنِه أن أمر[9]

1- **إشارة إلى الآيتين الكريمتين:** {إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. سورة المائدة- الآيتين 33-34.

2- تقابل سنة 977م.

3- طُرَّتي: إسم للشيء المقطوع، وطرف كل شيء وحرفه. الزمخشري- المصدر السابق- ص387/المعجم الوسيط- ص554.

4- ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1 ص278-280.

5- قال مؤلف تاريخ الأندلس: "قال صاحب التاريخ: ...". ص216.

6- نفسه- ص216، وتقابل سنة 977م.

7- قال ابن بسام: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- م4 ص38.

8- جاشت: يقال جاش الماء جَيْشًا وجُيوشًا وجَيَشانًا أي تدفق وجرى، ويُقال جاشت الحرب بينهم. المعجم الوسيط- ص150.

9- لم يرد عند ابن الخطيب أن جعفر هو من أمر بقطع سد وادي آنة حيث قال: "وندب الوزراء للذَّبّ على الثغور؛ فقصروا عن ذلك، وانقبضوا منه، وأشار بعضهم بإزالة الجسر المُتخَّذ على وادي آنة بين العدو وجمهور البلاد". أعمال الأعلام- ص60.

أهلَ قلعة رباح[1] بقطع سَدِّ نَهْرِهم آنة لعمقه وسُوء دِجْلَته، يلتمسُ بذلك دفاع العدوّ عن حَوزتِه، لم تتسع حيلته لأكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان يومئذ وجُموم أمواله؛ فكانت من سَقَطات جعفر المأثورة؛ فأنف ابنُ أبي عامر من تلك الدَّنِية، وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد، وخوّفه سوء العاقبة في تَركِه، وأجمع الوزراء على ذلك إلا جماعة خاموا[2] عنه؛ فبادر ابن أبي عامر إليه، ووَعَد من نفسه الإستقلالَ به على أن يختار الرجالَ، ويُجهّزَ لغزوته مائة ألف مثقال؛ فنَفَرَ بالجيش[3]، ودخل على الثغر الجَوفي إلى جِلّيقية[4]؛ فنازل حصن الحامة[5] من أعمال رُدْمِير؛ فدخل ربضَه وأفشى النِّكايَة وغنم، وقفل ووصل الحضرة بالسّبي إلى اثنين وخمسين يومًا[6]؛ فعَظُم السرور وخَلَصَ الجند له، واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كَرَمه[7].

[ذكر جود المنصور بن أبي عامر[8]:] تذاكرنا جود ابن أبي عامر يومًا، وبالحضرة محمد بن أفلح[1] غلامُ الحَكَم؛ فقال: "عندي من جُوده غريبةٌ، أنكحت بنتي على عهد مولانا الحَكَم والحال بنا

1- قلعة رباح: مدينة بالأندلس من عمل جيان، بين قرطبة وطليطة، وهي مدينة حسنة، ولها حصون منيعة على نهر، وهي مدينة مُحدَثة في أيام بني أمية، ويذكر ابن غالب أن لألبانها فضل بائن على غيرها. الحميري- المصدر السابق- ص469/ابن غالب- المصدر السابق- ص289.

2- خاموا: خامَ فلان خَيْما: أقام بالمكان، وخامَ عن القتال وفيه خَيْمًا وخِيامًا وخَيَمانًا وخُيومًا: جَبُنَ وتَراجَع. المعجم الوسيط- ص267.

3- كان ذلك في اليوم الأول من رجب سنة 366هـ/976م. ابن الخطيب- المصدر السابق- ص60.

4- جليقية: بلد الجلالقة، وهي تلي الغرب وتنحرف إلى الجوف، والغالب على أرضها الرّمل، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق، وتنتهي أحواز جليقية في الجوف إلى البحر المحيط وفي القبلة إلى أحواز طلسونة، ومن أبرز مدنها شقوبية وليون وصورية وبرغش وبنبلونة وغيرها. أبو عبيد البكري- المسالك والممالك- حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن وأندري فيري- بيت الحكمة- قرطاج- الدار العربية للكتاب- تونس- 1992م- ج2- ص912/الحميري- المصدر السابق- ص169/الإدريسي- المصدر السابق- ج2- ص725 وما بعدها.

5- حصن الحامة: من أعمال ردمير، وتقع على نحو ستة أميال من مدينة بجانة من أعمال المرية، والحامة على رأس جبل. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص566/العذري- المصدر السابق - ص167.

6- خمسين يوما عند ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص60.

7- ابن بسام- ج4 ص38-39، وورد هذا النص باختصار عند ابن سعيد، وأورده عند المقري بتصرّف. المغرب في حلى المغرب- ج1 ص137/نفح الطيب- ج4 ص76.

8- قال ابن بسام: "حدثني أبي خلف بن حسين قال: ...". المصدر السابق- ج4 ص39.

ضَيِّقةٌ؛ فاضطررتُ لما أُصلِحُ به حالَ الجارية إلى بيع لِجامٍ مُحلًّى ثقيل الوزن رديء العِيار، وكان عندي لزينتي أيّام المراكب، وتَقاعَد فيه التجّارُ؛ فانقطع بي أملي؛ فوقع في نفسي قَصدُ ابن أبي عامر صاحب السِّكَّة للذائعِ من كرمه، وأعظمُ رغبتي أن يضرب لي في السِّكّة دراهم؛ فقصدته وعرّفته رغبتي؛ فسارع بأطْلَقِ وجهٍ وقال: "سِرْ إليَّ بدار الضَّرْب"؛ فَجِئتُه وأوصلني إلى نفسه، والدراهم المطبوعة بين يديه، وأومأ إليَّ فأخرجتُ اللِّجام، وأنا خائفٌ من صَرفه لسقوط عِياره؛ فوالله ما نظر إليه ولا عايَرَه، وراطلني والله باللجام بحدائده وسيُوره؛ فأخذتُ ما لم يَدُر في وهْمي أنّي أظفرُ بمثله، وعَظُم ابن أبي عامر في عيني، وقُمتُ عنه وحِجْري مَلآنٌ ولا أصدّقُ بما حَصَلتُ عليه؛ فجَهَّزت بنتي وفَضلَ لي شيءٌ يكفيني، وقلَّ مولاي الحَكَم في عيني، وأحببتُ ابن أبي عامر، حتى لو دَعاني إلى مَعْصية الحَكَم- وهو مالك رِقّي وإمامي- لما قعَدتُ عنه[2].

مُظاهرة غالب مولى الناصر لمحمد بن أبي عامر ومُظاهرته على المُصْحفي إلى أنْ أسقطه ومات في سجنه[3]: وكان بين المُصْحفيّ وغالب[4] صاحب مدينة سالم[5]، شيخ الموالي؛ وفارس الأندلس [وصهره][6] غيرَ مُدافَعٍ أشدُّ ما كان بين اثنين من العداوة والتقاطُع[7]؛ فأهمَّ المُصحفي شأنُه، وناظَرَ الوزراء في ما بدا من تثاقُلِه في الذَّبِّ عن الثّغر؛ فأشاروا باستصلاحه، وبادر بذلك ابن أبي عامر لما أراده من مُظاهرته؛ فلم يزل يقوم بشأنه ويخدمه داخل الدار من قبَل الحُرَم كعادته حتى تمّ على إرادته،

1- محمد بن أفلح: صاحب المدينة بالزهراء على عهد الحَكَم المستنصر بالله. ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن حجي- ص22.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص39، ونقل المقري النص عن ابن بسام بتصرّف. المصدر السابق- ج4 ص76.

3- قال ابن بسام: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج4 ص39.

4- هو غالب بن عبد الرحمن الناصري، ذي السيفين، مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وأضحى في أيام الحكم المستنصر بالله من أكبر رجالات الدولة، ثم صار حاكما للثغر الأدنى صاحب مدينة سالم. ابن حيان- المقتبس- تحقيق: عبد الرحمن حجي- ص22/ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ج1-ص216/ابن الخطيب- المصدر السابق- ص61.

5- مدينة سالم: من أعظم المدن وأحصنها، وفيها آثار عظيمة، اعتمرها المسلمون بعد طارق بن زياد، وهي مدينة جليلة في وطاء من الأرض كبيرة القطر والعمارات والبساتين، ومن مدينة سالم إلى قلعة أيوب خمسون ميلا شرقا. ابن غالب- المصدر السابق- ص288/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص553.

6- وردت هذه العبارة عند ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص137.

7- عند المقري: "عداوة عظيمة، ومباينة شديدة، ومقاطعة مستحكمة". المصدر السابق- ج3 ص88.

وخرج الإذْنُ أن ينهضَ غالبٌ إلى ثني الوزارة، ويُدبّر جيش الثغر، وابن أبي عامر جيش الحَضرة، ثم خرج ابن أبي عامر إلى غُزاته الثانية، واجتمع به وتعاقدا على الإيقاع بجعفر[1].

وقَفَلَ ابن أبي عامر غانمًا، وبَعُدَ صِيته فخرج أمرُ الخليفة هشام بصَرْف المُصحفيّ عن المدينة، وكانت في يده يومئذٍ؛ فخَلَف عليها ابنه؛ فخرج ابن أبي عامر نحو كُرسِيّها في ذلك اليوم والخلَعُ عليه، ولا خبر عند جعفر، وإنّ ابنه لجالسٌ مجلسها في أبّهتِه، حتى صعد ابن أبي عامر نحوه؛ فولّى ولدُ المُصحفي الدُّبُر ناكصًا[2] على عَقِبِه، وأُتبع بدابّته، وعاد إلى داره، وملك محمد ابن أبي عامر الباب بولايته الشّرطة، وأخذ على جعفر وجوه الحِيلة، وخلّاه وليس بيده من الأمر إلا أقلّه.

وكان ذلك- زعموا- بتدبير غالب معه عند اجتماعهما بالثغر، وقال له: سيطيرُ لك ذكرٌ بهذا الفتح، ويشغَل السرورُ أهله عن الخوض فيما تُحدِثُه من قصّة؛ فإيّاك أن تخرج عن الدار حتى يُعْزَل جعفر عن المدينة وتَتقلَّدها، ويزول أمره على الباب والدار، ويتمَّ عليه التدبيرُ حتى يُزالَ عن الحِجابة؛ ففعل ذلك؛ وضبط المدينة ضبطا أنسى به أهل الحضرة مَن سَلفَ قبلُ من الكُفاةِ أولي السياسة.

وانهمكَ ابن أبي عامر في صُحْبة غالب؛ ففطن جعفر لتدبير ابن أبي عامر عليه بعدُ من وهلته؛ فكاتب غالبا يستصلحه وخطبَ أسماء[3] بنته لابنه عثمان، فأجابه غالب لذلك، وكادت تتمّ مُصاهرته له، وبلغ ابن ابي عامر فقامت قيامته، وكاتبَ غالبًا يُخوّفُه الحيلة، ويهيجُ منه الحقدَ، وألقى عليه أهلَ الدار وكاتبوه فصرفوا غالبًا، ورجعَ إلى محمد بن أبي عامر، وأنكحَ ابنتَه أسماء منه، وتمّ العقد له في محرّم سنة سبع وستين [وثلاثمائة][4]، وأدخل السّلطانُ تلك الإبنةَ إلى قصره، وجَهّزَها إلى محمد بن أبي عامر من قِبَله؛ فظهرَ كلَّ الظّهور، واستوثقَ له التدبير، وصار عنده جعفرٌ لا شيء، إلا أنّه غالَطَه زمنه إلى أن أحكم أسباب صَرْفه.

1- وردت هذه الرواية مع اختلاف في العبارات عند ابن الخطيب- المصدر السابق- ص61.

2- نكص: نكصا ونكوصا أي رجع إلى الخلف. المعجم الوسيط- ص952.

3- أسماء: هي أسماء بنت غالب بن عبد الرحمن الناصري، وصفها ابن الأبار القضاعي بأنها كانت عفيفة أريبة من صوالح النساء ذات جمال بارع وأدب صالح، ولم تفارق المنصور طيلة حياته، وتزوجها في أول أمره سنة 367هـ/977م. ابن الأبار القضاعي- التكملة- م5 ج3 ص298-297/جاسم الدرويش- المرجع السابق- ص56-57.

4- تقابل سنة 977م.

واستقدم السلطان غالبًا؛ وقلّده خُطّة الحِجابة مُشتركا مع جعفر، ودخلَ ابن أبي عامر بأسماء بنته ليلة نيروز العام المؤرّخ، وكانت أعظمَ ليلة عُرسٍ بالأندلس، ولجعفر في ذلك رسالةٌ إلى السلطان حسنةٌ في بابها، تَملَّقَ فيها وتَصنَّعَ، وهو قد أيقنَ بالنّكبة، وكفَّ عن اعتراض ابن أبي عامر في شيء [من][1] التدبير، وابنُ أبي عامر يُداهنه ولا يُكاشفه، وجعفر يشكُّ في أمره، قد استولى عليه الإدْبارُ والحيرةُ؛ فلم يصحَّ له رأيٌ ولا رويّةٌ، وانقبضَ النّاسُ عنه، وانْثالوا على ابن أبي عامر، إلى أنْ صار يغدو إلى قصر قرطبة ويروحُ وحدهُ وليس في يده من الحِجابة سوى اسمها؛ وابن أبي عامر قائمٌ بشروطها، يَنصِبُ الحَبائلَ لسقوط جعفر، والأقدارُ السماويةُ تُنْجِدُه، وكانت لله عند جعفر في إيثاره هشامًا بخلافته، واتباعه شهوة نفسه وحظِّ دُنياه، وتَسرُّعه إلى قتل المُغيرة لأول وهلة دون قِصاص؛ جَريرةٌ استدركتهُ دون إملاء؛ فسلَّط عليه مَن كان قَدَّر أنَّه يتسلط على الناس باسمه.

ولما اتفقت على جعفر هذه الأسباب، جدَّ المقدارُ به، وسخِط السلطانُ عليه وعلى ولده وأنسابه وعلى [ابن][2] أخيه هشام وسائر طبقته، وطولبوا بالأموال، وأُخِذوا برفع حساب تَصرّفوا فيه لأول الزمان، وأخذهم ابن أبي عامر بالخروج عنها، وتَوصَّل بذلك إلى اسْتِئْصال أموالهم؛ وانتهاكِ حُرمَتهم وأبشارهم؛ واجتثاث أصولهم.

وكان هشام ابن أخي جعفر قد بلغ من حَسادَته لابن أبي عامر أن سَرق له في غُزاته الثالثة في طريقه رؤوسًا للنصارى كانت تُساقُ للحضرة؛ فنَفِسَه فيها وأمر غلمانه فصبّوها في النّهر؛ فقامت قيامة ابن أبي عامر لذلك، وكاشف آل عثمان من ذلك اليوم، وتجرّد لإبادتهم؛ فاسْتَبْلَغ في مكروه هشام وعاجله بالقتل في المُطْبِق قبل عمّه جعفر؛ فلما قتل استقصى ابن أبي عامر مال جعفر حتى باع داره بالرُّصافة[3]، وكانت من أعظم قصور قرطبة.

1- تقابل سنة 977م.

2- في الأصل أخيه، والصحيح ما أثبتنا، وهو هشام بن محمد بن عثمان صاحب الشرطة العليا، وبعد تولي هشام المؤيد الحُكم ولّاه خُطة الخيل. ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي حجي- ص46/ابن الأبار القضاعي الحلة السيراء- ج1 ص258.

3- الرصافة: قصر بناه عبد الرحمن الداخل بقرطبة تشبها برصافة جدّه هشام بدمشق، وقد اتخذها الداخل منتزها له، واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعا، ونقل إليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الأقطار، وحولها مساكن وقرى عامرة، وبها أسواق فيها بيع وشراء وأخذ وعطاء، ومن الرصافة إلى المراغة أربع وعشرون ميلا. المقري- المصدر السابق- ج1 ص545-546/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص649.

واستمرت النكبة عليه سنين، مرة يُحبس ومرة يُخلي، ويُقرُّ بالحَضرة، وتارة يسير عنها، ولا يُراح في الحالتين من المُطالبة والأذى، إذا سئم ابن أبي عامر إعناته وكّله إلى غالب صهره فيتولى كبره، ويُضعف عذابه، والأخبار عنهما في ذلك كثيرة؛ فلما بان عجز جعفر وضعفه أقرّ في المُطْبِق بالزهراء[1] إلى أن وافاه هنالك حِمامُة وأُسلم ميتا إلى أهله، وما ترك الناس بعد أن عدّوه في قتلى ابن أبي عامر، وزعموا أنه دسّ له شربة سمّ قضت عليه، والله أعلم.

أخبرني محمد بن إسماعيل كاتب ابن أبي عامر[2] قال: "سرتُ مع محمد بن مسلمة[3] ثقة ابن أبي عامر إلى الزهراء لنسلم جسد جعفر بن عثمان إلى أهله، وننظر إلى عينه، وسرنا إلى منزله وما غطى جسده إلا كساء خَلَقٌ لبعض البوابين ألقاه على سريره، ودعا له محمد بن مسلمة بغاسل يُغسله على فرد باب اختلع من ناحية الدار، وخرجنا بنعشه وواريناه، وما جسر أحدٌ شهودَه معنا سوى إمام مسجده المستدعى للصلاة عليه ومن حضره من ولده؛ فعجبت من عدوان الزمان بعد تصريفه له، وإن لي بالاعتبار بشأنه في الحالتين مع قرب المدة لموعظة، وقفتُ له في طريقه من داره وقت علة الحكم، وقد تناهى أمره في الجلالة أروم أن أناوله قصّة؛ فوالله ما تمكنت من الدُنوّ عليه لكثافة موكبه، وأخذ الناس الطرق عليه مسلمين وسائلين؛ فانثنيت حسيرا مبهوتا؛ فلم تطل المدة حتى سلبه ابن أبي عامر حاله وقبض عليه، وجعل يحمله في الغزوات معه، وسرت في صحبة ابن أبي عامر؛ فاتفق لي أن نزلت في بعض المنازل بجليقية إلى جنب خبائه، وفي ليلة نَهى ابن أبي عامر عن وقود النار ليخفى على العدو مكانه؛ فرأيت والله عثمان بن جعفر يسقي أباه جعفرا دقيقا قد خلطه بالماء يقيم أوده، والشيخ يَحسوه ويحرص عليه، ضعف حال وعدم زاد [ومال][4].

[وسمعتُه يقول: [الطويل]

تَأَمَّلْتُ صَرْفَ الحادِثاتِ فلَمْ أزَلْ أَراهَـا تُـوافي عندَ مَقْصَدِها الحُـرَّا

1- الزهراء: مدينة في غربي قرطبة، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، وكانت قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها، بناها عبد الرحمن الناصر أول يوم من محرّم من سنة 325هـ/936م. ابن غالب- المصدر السابق- ص299/مجهول- تاريخ الأندلس- ص204.

2- عند ابن عذاري: كاتب المنصور. المصدر السابق- ج2 ص270.

3- هو محمد بن مسلمة بن سعيد بن بتري الإيادي، من أهل قرمونة، سمع بقرطبة من من عبد الله بن يونس وقاسم بن أصبغ، وخرج حاجًا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي منصرفًا من أرض الحجاز. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص57.

4- ساقط في الذخيرة والزيادة من البيان المغرب- ج2 ص271.

فَلِلّه أيــَّامٌ مَــضَــتْ لسَبيلِهـا فَــإنّي لا أَنْــسَى لهــا أبــدًا ذِكْــرا

تَجافَتْ بِها عَنَّــا الحَوادِثُ بُرْهَــةً وأَبْدَتْ لَنــا مِنْهــا الطلاقَةَ والبِشْرَا

لَيالي لَــمْ يَــدْرِ الزَّمــانُ مَكانَنــا ولا نَظَــرَتْ مِنَّــا حَوادِثُــهُ الشَّزْرَا[1]

ومَــا هَذِه الأَيَّــــامُ إِلَّا سَحــائِبٌ على كُلِّ أَرْضٍ تُمْطِرُ الخَيْرَ والشَّرَّا][2]

فلا أنسى تلك الموعظة، وما يغترّ بالأيام إلا ضعيف العقل.

وكان مهلك جعفر فيما أخبرني به أبي خلف بن حسين سنة اثنتين وسبعين [وثلاثمائة][3].

وممّا طولِب به جعفر مالُ الصقلبي جعفر، كان الحَكَم وقفه قِبل خالد بن هشام[4]، وتورّع عنه وأوصى أن يُوزَّع في الكُوَر التي كانت إليه وقته، تَحلّلًا من مَظالم أهلها؛ فأرجأه عند خالد مُدّة إلى أن احتاج إليه فقبضَه سِرًّا، واندفع إلى جعفر، وأخذ خالد بن هشام براءته منه؛ فسُئِل جعفر عنه؛ فقال: "كنتُ خادم الرجل وصاحب سرّه فعمِلتُ برَسمِه، وإن رُجع في الإستدلال إلى زِمامِه الماضي الذي كنتُ أُقَيِّد فيه الأموال الباطنة وُجد فيه ثَبتُه؛ فَجيء في ذلك اليوم بذلك الزِّمام وقد قُطع منه الدَّرْجُ الذي فيه ذكرُ المال الباطن، ووُصل ما انقطع بذلك من الكلام بما بعدَه، وأرشد جعفر إلى هذه الوهلة، وحسِب أنّ مع وجودها لا تلزمُه الحجّة؛ فعدلوا به إلى بيداء مُضلَّة.

ولما أُمر بضمّه إلى المُطبق بالزهراء، ودّع أهله وولده وداع الفرْقة، وقال: لستم تروني بعدها حيًّا؛ فقد أتى وقتُ إجابة الدَّعوة وانا أرتقبه منذ أربعين سنة، وذلك أنّي أسرفتُ على فلان- رجل سُجن بعهد الناصر- وما أطلقتُه إلا برؤيا، قيل لي: أطلِق فلانًا فقد أُجيبَتْ فيكَ دعوتُه؛ فأطلقتُه وأحضرتُه وسألتُه، فقال: نعم، دعوتُ على من شاركَ في أمري أن يُميتَه الله في أضيقِ السّجون؛ فعلمتُ أنّها قد أجيبتْ، وندمتُ بحيثُ لا تُغني الندامة؛ فأطلقتُ الرجل؛ قالوا: فما لبِثَ في محبسه

1- الشزرا: من الشزر وهي نظرة الإعراض أو الغضب أو الإستهانة. الزمخشري- المصدر السابق- ص328/المعجم الوسيط- ص481.

2- الأبيات الشعرية ساقطة في الذخيرة، والزيادة من ابن عذاري، لكن دون ذكر اسم قائله. المصدر السابق- ج2 ص271.

3- تقابل سنة 982م.

4- خالد بن هشام: كان صاحب الشرطة على عهد الحكم المستنصر بالله. ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن حجي- ص86.

إلَّا قليلًا وأخْرِج ميتًا؛ فسُلِّم إلى أهلِه في أقبح صورة، ومازلتُ أسمعُ أنّه قُتل خَنقًا، والله أعلمُ بالحقيقة، المُغضي على مُحال هذه الخليقة[1].

[ذكر خبر زيادة المنصور في المسجد الجامع بقرطبة:] وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البِرِّ والقُرْبَة بُنيان المسجد الجامع؛ والزيادة فيه سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[2]، وذلك أنه لما زاد الناس بقرطبة، وانْجلبَ إليها قبائلُ البربر من العدوة وإفريقية، وتَناهى حالُها في الجلالة، ضاقَت الأرباضُ وغيرُها، وضاق المسجدُ الجامعُ عن حَمْل الناس؛ فشرعَ المنصور في الزيادة بشَرقِيِّه حيث يتمكّن الزيادة لاتِّصال الجانب الغربيّ بقصر الخلافة؛ فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتدُّ طولا من أول المسجد إلى آخره، وقصدَ ابن أبي عامر في هذه الزيادة المُبالغة في الإتقان والوثاقة دون الزّخرفة، ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحَكَم.

أول ما عمله ابن أبي عامر تطييب نفوس أرباب الدّور والمُسْتغَلَّات الذين اشْتُرِيَت منهم للهدم لهذه الزيادة بإنْصافِهم من الثمن أو بمُعاوضَة، وصنع في صَحْنه الجُبَّ العظيم قدْرُه، الواسع فناؤُه، وابن أبي عامر رتب إحراق الشمع في المسجد الجامع زيادة للزيت؛ فتطابَق بذلك النُّوران، وكان عددُ سَواري الجامع، الحامِلة لسَمائِه واللاصِقة بمَبانيه وقِبابِه ومَنارِه ما بين كبيرة وصغيرة ألفُ سارية وأربعمائة سارية وسبع عشرة سارية، وعددُ ثُرَيَّات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون ثُرَيَّة، وعددُ الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمس وعشرون كأس، وزِنَة مَشاكِي الرّصاص للكؤوس عشرة أرباع أو نحوها، وزِنة ما يُحتاج إليه من الكتّان للفَتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار، وجميع ما يحتاجُ إليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع أو نحوها، يُصرفُ منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد، وممّا كان يختصُّ برمضان المُعظَّم ثلاثة قناطير من الشمع، وثلاثة أرباع القنطار من الكَتَّان المُقَصَّر لإقامة الشّمع المذكور، والكبيرةُ من الشّمع تُوقدُ بجانب الإمام يكون وزنُها من خمسين إلى ستين رطلا، يحترق بعضها بطول الشهر، ويَعمُّ الحرقُ لجميعها ليلة الخَتْمَة، وكان يَخدِم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر ويتصرَّفُ فيه من

1- وختم ابن بسام نقله عن ابن حيان بالقول: "إنتهى ما لخّصتُه من كلام ابن حيان في شأن جعفر بن عثمان". ابن بسام- ج4 صص39-43، وقد ورد هذا النص مختصرًا عند ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1ص259/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص270-271/ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص137-138/المقري- المصدر السابق- ج4 ص77.

2- تقابل سنة 987م.

أئمةٍ ومُقرئين وأُمناء ومُؤذّنين وسَدَنة ومُوقِدين وغيرهم من المُتصرّفين مائة وتسعة وخمسون شخصًا، ويُوقد من البخور ليلة الخَتْمة أربعُ أواقٍ من العَنْبَر الأشْهَب وثماني أواق من العود الرَّطب[1].

ومن أحسن ما عاينه النّاس في بُنْيان هذه الزيادة العامريّة أعلاجُ النصارى مُصفَّدين في الحديد من أرض قَشْتالة وغيرها، وهم كانوا يتصرّفون في البُنيان عِوَضًا من رجّالة المسلمين إذلالا للشِّرْك وعِزَّة للإسلام، ولمّا عَزم على زيادته هذه جلسَ لأرباب الدّور التي نقل أصحابَها عنها بنفسه؛ فكان يُؤْتى بصاحب المنزل فيقول له: إنّ هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن أبتاعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فَيْئِهم لأزيدها في جامعهم وموضع صلاتهم؛ فشَطِّطْ واطلُبْ ما شئت؛ فإذا ذكر له أقصى الثمن أمَر أن يُضاعفَ له، وأنْ تُشتري له بعد ذلك دارٌ عِوَضًا منها، حتى أُتِيَ بامرأة لها دارٌ بصَحْن الجامع فيها نخلة؛ فقالت: "لا أقبلُ عِوضا إلّا دارًا بنخلة"؛ فقال: "تُبْتاعُ لها دار بنخلة، ولو ذهب فيها بيتُ المال"؛ فاشْتُرِيت لها دارٌ بنخلة، وبولِغ في الثمن[2].

بنيان قنطرة على نهر قرطبة الأعظم: ابتدأ المنصور بنيانها سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[3]، وفرغ منها في النصف من سنة تسع وثمانين وثلاثمائة[4]، وانتهت النفقة عليها إلى مائة ألف دينار وأربعين ألف

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص287-288/المقري- المصدر السابق- ج2 ص87-88، وجاء هذا الخبر مختصرا عند مؤلف تاريخ الأندلس بدأه بـ"قال صاحب التاريخ: "بنى المنصور جامع قرطبة، وزاد فيه على ما كان بناه الخلفاء قبله نحو النصف، ابتدأ بالبناء فيه غرّة رجب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وصلّى النّاس فيه في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة؛ فكان العمل فيه ثلاث سنين، وخدم في بنائه الأعلاج من وُجوه فرسان الجلالقة والإفرنج، يعملون مع الصُّنّاع مُصفَّدين في الحديد إلى أن كمل، وبنى فيه الجِباب لاستقرار مياه الأمطار في صَحْن الجامع، وعدد سَواريه ألفٌ وأربعمائة سارية وسبعُ سَوار، منها في المَنار مائة وأربعون سارية، وفي المَقْصورة مائة سارية وسبع عشرة سارية، طول المنار ثمانون ذِراعًا بالمالكي وعَرضُه ثمانون شِبرًا، وعدد درجاته في الشقّ الأيمن مائة درجة وسبع درجات وفي الشق الأيسر كذلك، وعدد الثُّريَّات مائتان وخمسٌ وثلاثون ثُريَّة، منها في الصومعة خمسٌ، ومنها في بلاط القِبلة أربعٌ كِبار، تَرْفَع كلُّ واحدة منها من الزيت سبعة وعشرون ربُعًا، تَحْترقُ فيها في ليلة واحدة، ومنها في المقصورة ثلاثة من فضّة مُخلصة طيبة تسعُ كل واحدة منها من الزيت ثمانية عشر رطلا، وعِدَّة أبواب الجامع خمسة وثلاثون بابًا، وكانت قطع المنبر كلها مُسَمرَّة بمسامير الذّهب والفضّة، وكانت عدد السَّدَنة والمُؤذّنين والوَقّادين فيه في زمن الخلفاء وأيّام المنصور ثلاثمائة رجل، وكان يَحترِق فيه من الزيت في العام ألف رُبْع، منها في شهر رمضان خاصة خمسمائة رُبْع". مجهول- تاريخ الأندلس- ص223-224.

2- ذكر المقري بأنه اقتبس النص من ابن بشكوال، وختمَه قائلا: "وحكى ذلك ابن حيان أيضًا". المصدر السابق- ج2 ص85.

3- تقابل سنة 997م.

4- تقابل سنة 999م.

دينار؛ فعظمت بها المنفَعَة، وصارت صَدْرًا في مَناقِبه الجليلة، وكانت قطعة أرض لشيخٍ من العامّة، ولم يكن للقنطرة عُدولٌ عنها؛ فأمر المنصور أُمَناءَه بإرضائه فيها؛ فحَضر الشيخ عندهم، وأخذ حَذَره منهم؛ فساوَموهُ بالقطعة، وعَرَّفوه وجه الحاجة إليها، وأنّ المنصور لا يُريد إلا إنصافه فيها؛ فرماهم الشيخ بالغرض الأقصى عنده فيما ظنّه ألّا تخرج عنه بأقلّ من عشرة دنانير ذهبًا، كانت عنده أقصى الأمنية، وشَرَطَها صِحاحًا؛ فاغتنم الأُمناءُ غَفلته ونَقَدوه الثّمن، وأشهدوا عليه، ثمّ أخبروا المنصور بخبره؛ فضحك من جَهالَته، وأَنِف من غَبَنه، وأمر أن يُعطى عشرة أمثال ما سأل، وتُدْفعُ له صِحاحًا كما قال؛ فقَبَضَ الشيخ مائة دينار ذهبًا؛ فكاد أن يخرج عن عقله وأن يُجَنَّ عند قبضها من الفرح، وجاء مُحْتَفِلا في شكر المنصور، وصارت قصّته خَبرًا سائرًا[1].

بُنْيان قنطرة على نهر إستيجة: وهو نهر شنيل؛ فتَجَشَّم لها أعظم مؤونة، وسَهَّل الطُّرُق الوعرة والشِّعاب الصَّعْبة[2].

إيجاز الخبر عن أَسْر غَرْسِيَة[3]: لما قَفل ابن أبي عامر سنة أربع وثمانين [وثلاثمائة][4] عن بلد غرسية[5] صاحب قشتيلة[6]، حشَرَ عدو الله جُموعه لغزو بلاد الإسلام؛ فاغْتمَّ المنصور لذلك؛ فبينما هو يُحاولُ بعضَ الأمر هنالك إذ ورد عليه كتاب قَنْدِ الوزير صاحبُ مدينة سالم[7] يذكرُ أنه أَسْرَى في نُخبة أهل ثَغْره إلى بلد غرسية فقتل وغنمَ، ثم انكمشَ فتبعهُ غَرسية في قِطعة حسنةٍ من نُخبة

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص288.

2- نفسه- ج2 ص288.

3- قال ابن بسام في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج4 ص28.

4- تقابلها سنة 994م.

5- هو غرسية بن فرذلند بن غند شلب صاحب قشتيلية وعملها. ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص234.

6- قشتيلية: عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سُمي العمل بها، وقالوا ما خلف الجبل المُسمّى الشارات في جهة الجنوب يُسمى اشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يُسمّى قشتالة. الحميري- المصدر السابق- ص483.

7- مدينة سالم: كانت من أعظم المدن وأحصنها، وفيها آثار عظيمة، وهي مدينة جليلة في وطاء من الأرض، كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات، ومنها إلى قلعة أيّوب خمسون ميلا شرقا. ابن غالب- المصدر السابق- ص288/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص553.

حُماته[1]؛ فثبَّتَ الله أقدام الإسلام، وأجْلت الحربُ على أسر غَرْسية[2] جريحًا، وسيقَ إلى مدينة سالم، وأقام بيد قَنْد يُعالجه من جُرحه؛ فهلك في يده، وحزَّ رأسه وجعله في تابوت، وأنفذه إلى حَضْرة قرطبة، واخْتُزِن جسدهُ إلى أن دُفِع مع رأسه إلى وَلده شانجة عند عَقْد السّلم بعد مُدّة[3].

[ذكر خبر الوحشة بين ابن أبي عامر والخليفة هشام[4]:] أول ذلك الوحشةُ الحادِثةُ بين ابن أبي عامر والخليفة هشام ووالِدَته صُبح[5]، والذي أثارها أسبابُ الحسد ودواعي المُنافسة بين أهل القصر الهشامي والعامريّ، وأشاعوا عنه أنّه يريدُ أن يَستبدّ بالأمر؛ فقام ابن أبي عامر في ركائبه لحسم حِدَّته، وعَلِم أنّه أُتِي من حاشية القصر، وكان به عدّة من الخَدَم فَفَرّقهم ومَزّقهم، ولم يدعْ في خدمة القصر إلا من اسْتَشعر له رهبة وهيبة، وأذْكى العيون مع ذلك عليهم حتى مَلكَ نفوسهم؛ ثم نظر في شدّ الأموال المُخْتَزَنة فيه منذ عهد الخلفاء، ووصف أن أيدي الحُرمِ تَنبسِطُ عليها.

أخبرني ولدُ الخال من بعض ما كانت تفعلُه السيّدة صُبح مع أخيها رائق أنّها أخرجت عند تمكّن الوحشةِ بينهما وبين ابن أبي عامر مائة كوز على أعناق الخَدم الصقالبة مختومة، قد صيّرت أشطارها مالا عينًا ذهبًا وفضّة، ومَوّهت على ذلك كله بالمُرِّي[6] والشَّهْد وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة المُتخذة بقصر الخلافة، وكتبت على رؤوس الكيزان أسماء ذلك، ومرّت بصاحب المدينة فحسبها كما كتبت عليها، وكان في تلك الكيزان ثمانون ألف دينار؛ فأحضر ابن أبي عامر جماعة، وأعلمهم أنّ الخليفة مشغول عن حِفْظها بانهماكه بالعِبادة، وأنّ في تَضْييعها على المسلمين وعلى

1- ذكر ابن الخطيب أن خيل المنصور وجدت غرسية النصراني جُزافا؛ وهو يتصيّد فأسرته، وجاءت به إلى ابن أبي عامر، وقال: "فكان من الإتفاق الذي عظُم منه العجب". أعمال الأعلام- ص69.

2- يذكر ابن حيان خبر أسر غرسية بالتفصيل في الغزوة الثالثة والأربعين للمنصور، ويتفق الحميدي والضبي وعبد الواحد المراكشي على أن غرسية بن شانجة قد أُسِر في ربيع الآخر من سنة 385هـ/995. جذوة المقتبس- ص236/بغية الملتمس- ص280/المعجب- ص37.

3- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص28.

4- قال ابن بسام في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". نفسه- م4 ص44.

5- انفرد المقري بذكر المؤيد فقط دون صبح البشكنسية. المصدر السابق- ج4 ص80.

6- المُرِّي: بتشديد الراء مُستحضر يستعمل في صنع الأطعمة، وقيل هو مركب يُصنع من الدقيق والملح والعسل والتمر. ابن بسام- المصدر السابق- ج4 هامش7 ص44.

الدولة أعظم الآفة؛ فرأت الجماعة أن كَوْن الأموال بيد المنصور أسلَمُ، وهو على حِفْظها أقدرُ وأقومُ.

ثم نالته على ذلك بقية علّة طاولته فأرجفوا[1] به؛ فانتقل ابنه عبد الملك إليه بالزاهرة[2] ليُنفِّذَ الأمور عنه؛ فكشف أعداؤه وجوههم عند استحكام الإرجاف به، وراسلوا حاشية الخليفة هشام سرًّا، وجَهّزوا للقيام عليه؛ فلم يكن فيهم فضْلٌ لذهاب أعيانهم، واشتدّ ذلك على ابن أبي عامر؛ فتقدّم إلى ابنه عبد الملك أن يَعترَضَ ألفي فارس من المُصْطَنعين للدولة والغِلمان العامريين، وأن يبيتوا معه بالزاهرة لإِنْفاذ العزيمة فيما رآه من حمل الأموال إليه، وأحكم الأمر مع الفقهاء والوزراء؛ فركب ذلك الجيش من بين يديه يوم الثلاثاء الثالث من جُمادى الأولى سنة ست وثمانين [وثلاثمائة][3]؛ فأتى قصر الخلافة بقرطبة، وأذن لمن وافى من الفُقهاء والوُزراء بالوصول إلى مجلسه، وشافَههم في ذلك؛ فاعترَف الملأ بفضل أبيه المنصور؛ فقال لهم عبدُ الملك: إنّ قومًا ممّن يتصلُ بأسباب الخليفة هشام يؤثرُ الفِتنة ويَكْرَه الدَّعَة؛ فأنكرت الجماعةُ ذلك، وأحبّ عبد الملك والوصول بهم إلى مجلس هشام ليشافهوه بهذه الكروب العِظام؛ فكَره هشام ذلك وامتنع منه، وتبرّأ منه أعداء ابن أبي عامر، وانصدع جَمعُهم على انتقال المال؛ فنُقِل في ثلاثة أيّام حتى اسْتُنفِذ جميعُ ما ظُهِرَ عليه من بيت المال، وتعذَّرَ ما كان بجوف القصر من بيت مالِ الخاصّةِ، ودافع عنه أهلُ الدار لقيام السيّدة أم هشام دونَه.

أخبرني أبي بعظيم ما شاهَدَه من صرامَة تلك المرأة لابن أبي عامر وولده، ورَميها لهما بكل عظيمة، وعبدُ الملك يومئذ ساكتٌ يتجرَّعُ غُصَصَه لا يردُّ كلمةً؛ فبلغ عبد الملك رغبتَهُ، وانْكَفأ[4] إلى أبيه بالزاهرة بعد أن ثقّف القصرَ؛ فسكَنَ جأشُ ابن ابي عامر بإحراز تلك الأموال.

1- أرجفوا: خاضو في الأخبار السيئة وذكر الفتن، ويقال: أرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به إلى أن يوقعوا في الناس الإضطراب من غير أن يصح عندهم. الزمخشري- المصدر السابق- ص223/المعجم الوسيط- ص332.

2- الزاهرة: ابتدأ المنصور بناءها سنة 368هـ/978م، وتمّت سنة 370هـ/980م، وانتقل إليها واستوطنها ورتب وزراءه فيها، وكُتابه وأهل خدمته، ونقل أيضا دواوينه إليها، وجعل حرسا على بابها، وظلّت الزاهرة معمورة ثلاثين سنة. مجهول- تاريخ الأندلس- ص222.

3- تقابلها سنة 996م.

4- انكفأ: إنكف عن الأمر أي انصرف عنه. المعجم الوسيط- ص791.

وكان جُملة ما حُمِل- زعموا- من الورِقِ خمسةَ آلاف ألف دينار دراهِمَ قاسمِية، ومن الذهَبِ سَبعمائةِ ألفٍ جعفريّة.

ثم استبلّ المنصور، ووصل إلى مجلس الخليفة هشام مع ابنه عبد الملك وسائر عُظماء الدولة؛ فخلا هشام مع ابن أبي عامر، واعترف له بالفضل والاضطلاع بالدولة؛ فخَرست ألسِنةُ الحَسَدَة، وعلِمَ المنصورُ ما في نفوس الناس لظهور هشامٍ ورؤيتهم له، إذ كان منهم من لم يرَهُ قطُّ؛ فأبرزَه للناس، وركب ركبته المشهورة، وقد برزوا له في خلق عظيم لا يُحصيهم إلّا مَن أحْصى آجالهُم، في بهجةٍ ولَبوسٍ وهَيئةٍ، مُعمّمًا على الطَّويلَة[1] سادِلا للذُّؤابَة، والقضيبُ في يده، زِيَّ الخلافة، وإلى جانبه المنصور راكبًا يُسايِرُه، وقدَّامه الحاجبُ عبد الملك راجلاً يمشي، ويسيرُ الجيش أمامه، ومن المواكب وطوائف الجند والغِلمان والفِتيان القَصْرِيّين والعامريين ما عُجبَ من كَثرتهم[2].

[ذكر الأقوال المُغْرِضة في المنصور بن أبي عامر[3]:] وقرأت في بعض الكُتب أنّ محمد بن أبي عامر لمّا حَجَب هشامًا عن الناس، واسْتبدّ بالأمر دونه، ظهرت فيهم بقرطبة أقوالٌ مُغْرِضة أَفْشَوْا بينهم فيها أبياتًا فاحشة؛ فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في شكواه لهم: [الوافر]

أَلَيْسَ مِـنَ العَجَائِبِ أنَّ مِثْلي ... يَـرَى ما قَلَّ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ

وَتُمْلَكُ باسْمِـهِ الدُّنْيـا جَميعًا ... وَما مِنْ ذاكَ شَيْءٌ في يَدَيْهِ

[إِلَيْـهِ تُجْمَـعُ الأَمْـوالُ طُـرًّا ... وَيُمْنَعُ بَعْضَ مَا يُجْبَى إِلَيْهِ][4]

وممّا قيل في تقديم هشام؛ وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن السليم: [السريع]

اقْتَرَبَ الوَعْـدُ وحَانَ الهَلاكْ ... وَكُـلُّ مـا تَكْرَهُـهُ قـدْ أَتَـاكْ

خَليفَـةٌ يَحْـضُـرُ في مَكْتَبٍ ... وَأُمُّـهُ حُبْلَى وَقَـاضٍ ينُاكْ

يُريد بذلك شَغَف أمِّ هشام بابن أبي عامر لأنَّها كانت تُتَّهَمُ به، وهي أوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم يتمكّن لأحد قَبْلَه ولا بَعْدَهُ مِثْلُها؛ فسَلَب هشامًا مُلْكَه وجُنْدَه ومالَه[1].

1- الطويلة: أي القلنسوة. ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص46 هامش1.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 صص44-46، وورد الخبر مختصرا عند ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص138/المقري- المصدر السابق- ج4 ص80/مجهول- تاريخ الأندلس- ص301.

3- قال ابن عذاري: "قال حيان بن خلف: ...". المصدر السابق- ج2 ص280.

4- البيت ساقط في الأصل، والزيادة من مجهول- تاريخ الاندلس- ص301.

ذكر غزوات المنصور بن أبي عامر[2]: لم يزل المنصور بن أبي عامر طول أيامه يغزو[3] الروم، ويطأ بلادهم، وينهب أطرافهم وبلادهم حتى خافوه خوف المَنِيّة، ورضوا لدينهم بالدنِيّة، وله فيهم آثار مشهورةٌ ووقائع مذكورة.

ومنْ شعره الرّائق وكلامه الفائق قوله وهو يفتخر: [الطويل]

رَمَيتُ بِنَفْسي هَوْلَ كُـلِّ عَظيمَةٍ وَخاطَرْتُ وَالحُـرُّ الكَريمُ مُخَاطِرُ[4]

وَمـا صَاحِبِي إلَّا جنَـانٌ مُشَيَّعٌ وَأَسْمَـرُ خَطِّـيٌ وأَبْيَـضُ بَـاتِـرُ

ومِنْ شِيمَتِي أَنِّي عَلى كُلِّ طالِبٍ أَجُـودُ بِـمـالٍ لا تَقِيـهِ المَعَـاذِرُ

وَإنِّـي لَمُقْتَادُ[5] الجُيوشِ إلَى الوَغَى أُسُـودٌ تُـلاقِـيهَـا أُسودٌ خَـوادِرُ[6]

فَسُدْتُ[7] بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيادَةٍ وَكَابَـرْتُ[8] حَتَّى لَـمْ أَجِدْ مَنْ أُكَابِرُ[9]

[وَمَا شِدْتُ[10] بُنْيَانًا لِي وَلَكِنْ زِيادَةٌ مَـا[11] بَنَـى عَبْدُ المَليكُ وعَـامِـرُ

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص280.

2- قال مجهول: "قال ابن حيان: ...". تاريخ الاندلس- صص226.

3- قال عبد الواحد المراكشي: "غزا في أيام مملكته نيّفًا وخمسين غزوة ذكرها أبو مروان ابن حيان كلها في كتابه الذي سماه ب"المآثر العامرية"، واستقصاها كلها بأوقاتها وذكر آثاره فيها"، وذكر ابن خلدون أن المنصور "ردّد الغزو بنفسه إلى دار الحرب؛ فغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه، لم ينكسر له فيها راية؛ ولا فلّ له جيش، ولا أصيب له بعث، ولا هلكت له سرية"، وقال ابن الخطيب: "ألحّ المنصور على ملوك قشتالة بالغزو والإضاقة، يُوالي عليهم الصوائف والشواتي، حتى أذعنوا من خطط الخَسف لما لم يذعنوا له قبله، ولا عرفوه في زمن تقدمه"، وقال أيضا: "واصل رحمه الله الغزو بنفسه فيما يناهز خمسين غزوة وفتح فيها البلاد...". المصدر السابق- ص37/أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي الشهير بابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- اعتنى به وراجعه درويش الجويدي- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1428ه/2007م- ج1 ص1155/أعمال الأعلام- ق2 ص66/ الإحاطة في أخبار غرناطة- م2 ص58.

4- "يُخاطِرُ" عند ابن الخطيب- الإحاطة- ج2 ص59/المقري- نفح الطيب- ج1 ص383.

5- "زجّاء" عند ابن الخطيب- الإحاطة-ج2 ص59.

6- خوادر: خدر خدرا استتر وقالوا خدر الأسد أي لزم عرينه وأقام به. المعجم الوسيط- ص220.

7- في الأصل: لَسُدْتُ، وما أثبتنا من ابن الخطيب- المصدر نفسه-ج2 ص59/المقري- المصدر السابق- ج1 ص383.

8 - "كاثرتُ" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه-ج2 ص59، وفاخرت عند المقري- نفسه- ج1 ص383.

9- "أكاثر" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه-ج2 ص59، و"أفاخر" عند المقري- نفسه- ج1 ص383.

10- "شدت" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه-ج2 ص59.

11- "على ما" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه- ج2 ص59.

رَفَعْنَـا المَعَـالِي[1] بِالعَـوَالِي بَسَالَـةً[2] وَرِثْنَاهَـا[3] فِي القَدِيـمِ مَعَـافِـرُ][4]

الغزوة الأولى: غزوة الحَمَّة[5]: افتتح حصن الحمّة، وأخذ فيها ألفي سبية[6].

الغزوة الثانية: غزوة قولر[7]: فتحها وسبى أهلها[8].

الغزوة الثالثة: غزوة شَلَمَنْقَة[9]: فتحها وفتح حِصن المال[1].

1- "العوالي" عند المقري- المصدر نفسه- ج1 ص383.

2- "سياسة" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص59.

3- "أورثناها" عند ابن الخطيب- المصدر نفسه- ج2 ص59/المقري- المصدر السابق- ج1 ص383.

4- البيتان ساقطان في الأصل، والزيادة من ابن سعيد الغرناطي- المصدر السابق- ج1 ص139/ابن الخطيب- المصدر السابق- ج2 ص59/مجهول- ذكر بلاد الأندلس- تحقيق لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد ميغل أسين- مدريد- 1983م- ص185/المقري- المصدر السابق- ج1 ص383.

5- يُسميها ابن عذاري الحامّة، وقال إنّ المنصور ابن أبي عامر "خرج لثلاث خلون من رجب من سنة 366هـ/976م، ودخل على الثغر الجوفي؛ فنازل حصن الحامة من جليقية؛ فحاصره وأخذ ربضه، وغنم وسبى، وقفل بالسّبي والغنائم إلى قرطبة إلى ثلاثة وخمسين يوما؛ فعظُم السرور به، وأَخْلَص الجند له لما رأوا من كثرة جوده وكرم عشرته وسعة مائدته؛ فأحبّوه والتفّوا به، وكثر إحسانه إليهم وإفضاله عليهم إلى أن أدرك بهم سُؤْله، وبلغ مأموله". المصدر السابق- ج2- ص264، وتسمى Banos de Ledesma.

Luis Molina- Las Campanas de Almanzor a la luz de un nuevo texto- AL-Qantara revista de estudios arabes- Consejo Superior de Investigacion Cientificas- Madrid- 1981-Vol. II- Fascs 1 y 2- P.238.

6- وذكر العُذري عن هذه الغزوة قائلا: "وكان خروجه إليها يوم السبت الثاني من رجب سنة 366هـ/976م، وهو يوم النصف من فبراير، وكان قفوله عنها يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان من هذه السنة إلى ثلاثة وخمسين يوما". ترصيع الأخبار- ص74، وكانت لهذه الغزوة نتائجها بالرغم من صغرها؛ فقد أعادت للخلافة هيبتها، وأثار المنصور حماسة الجند، وأعاد الأمل في العودة إلى الأمجاد الحربية والانتصارات الباهرة، واقتنع أعداء الإسلام أن روح الجهاد في الدولة الإسلامية لم تخمد. خالد الصوفي- تاريخ العرب في إسبانيا: عصر المنصور الاندلسي- دار الكاتب العربي- بيروت- 1971م- ص120.

7- وردت عند ابن عذاري باسم غزوة حِصن مولَة، وهي من مدن كورة تدمير. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص538/البيان المغرب- ج2- ص265، وقولى عند العذري- المصدر السابق- ص74، وقد وقعت سنة 366هـ/976م، وتسمى Cuellar. Molina- op-cit- p238.

8- ذكر ابن عذاري أن هذه الغزوة كانت الثانية لمحمد بن أبي عامر، خرج فيها بالصائفة يوم الأربعاء مستهل شهر شوال [يوم الفطر] من سنة 366هـ/976م، اليوم الثالث والعشرين من شهر ماي، وانصرف يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة منها، لمزيد من التفاصيل ينظر البيان المغرب- ج2 صص265-267.

9- سمّاها العُذري بشلمنقة الأولى، وكانت شاتية مُفردة يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة 367هـ/977م، الثامن عشر من شتنبر، وانصرف إلى ثلاثة وثلاثين يومًا. المصدر السابق- ص75. وتسمى Salamanca y el castillo de al- Mal. وجرت فيما بين غرة صفر و4 ربيع الأول سنة 367هـ/18 سبتمبر-20 أكتوبر 977م. Molina- op-cit- p.239

الرابعة: غزوة الدالية[2] من بلاد بَرْجَلونَة[3]: فتح حصن الدَّالية وحِصن مولشر، وانصرف إلى قرطبة بثلاثة آلاف سبية[4].

الخامسة: غزوة لَطِشْمَة: هزم فيها بوريل[5] ملك الإفرنج، وقَفل إلى قرطبة بثلاثة آلاف سبية[6].

السادسة: غزوة سَمُّورَة[7]: غزاها؛ فدخلها بالسّيف، وأحرقها وسبى أهلها؛ فدخل قرطبة بثلاثة عشر ألف سبية[1].

1- ورد ذكر هذه الغزوة عند ابن عذاري، وذكر فيها بأنه "خرج إليها؛ فدخل على طليطلة غرّة صفر من سنة 367هـ/977م؛ فاجتمع مع صهره غالب فعظّمه، وجرى إلى موافقته، ونهضا معًا فافتتحا حصن المال وحصن زنبق، ودَوّخا مدينة شلمنقة، وأخذا أرباضَها، وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم، وبعدد عظيم من رؤوس المُشرِكين إلى أربع وثلاثين يومًا من خروجه؛ فزاد له السلطان في التنويه، وأنهضه إلى خطّة الوزارتين سوّى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتبه إلى ثمانين دينارًا في الشهر، وهو راتب الحجابة"، لمزيد من التفاصيل ينظر: البيان المغرب- ج2 ص267-268.

2- يُسمّيها العُذري غزوة الفابرة. المصدر السابق- ص75. وتسمى Al-Daliya، وهو اسم موضع غير معروف في الطوبونيميا الإسبانية، ولعلّ المقصود من التسمية حقول الكروم حسب أحد الباحثين الإسبان، وجرت فيما بين 19 شوال و28 ذو الحجة 367هـ/31 ماي- 6 أوت 978م. .Molina- op- cit- p.239

3- برجلونة: من مدن الأندلس، بينها وبين مدينة طرطوشة خمسون ميلا، مُسوّرة، على ساحل البحر، واليهود بها يعدلون النصارى. البكري- المصدر السابق- ج2 ص910- 911/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص734.

4- ذكر العُذري أن هذه الغزوة "كانت صائفة ذات ثلاث دخلات، جمع بها بين بنبلونة وبسيط برشلونة، وهي التي كانت أولى غزواته في الحِجابة، خرج إليها من المسجد الجامع إثر صلاة الجمعة لعشر بقين من شهر شوال سنة 367هـ/977م، وهو آخر يوم من شهر مايه، وعاد يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر ذي الحجّة من هذه السنة إلى ثمانية وثلاثين يومًا". المصدر السابق- ص75. وتسمى Ledesma، وجرت فيما بين 27 صفر و30 ربيع الأول 368هـ/4 أكتوبر- 5 نوفمبر 978م، ويرى مولينا أن المؤلف قد وهم في ذكر مواجهة بوريل، ويرى أن ذلك تم في الغزوة السابقة. Molina- op-cit- p240

5- بوريلْ: (Borrell) هو حاكم إمارة برشلونة فيما بين سنتي 343 و382هـ/954-992م. ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي حجي- ص20- هامش1.

6- ذكر العُذري أن هذه الغزوة كانت شاتية مُفردة، خرج إثر صلاة الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة 368هـ/978م، الرابع من أكتوبر، وقفل بعد ثلاثة وثلاثين يومًا منها. نفسه- ص75.

7- يُسمّيها العُذري بغزوة لَطِشْمَة الثانية، وسَمّورَة مدينة جليلة، قاعدة من قواعد الروم، ومكانها على شمال نهر دُويرُة، وعليها سور حجارة حصين، ولها خصب كثير وكروم، ولأهلها أموال وتجارات، وهي مدينة الجلالقة كما وصفها الحموي. العُذري- المصدر السابق- ص76/ الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص731/ياقوت الحموي- المصدر السابق- م3 ص255، وتسمى Zamora، وجرت فيما بين 1 و28 شوال 368هـ/1-28 ماي 979م. Molina- op-cit- p.240

السابعة: غزوة شَنْتْ بَلْبَق[2]: فغنم وقتل وخرّب، ورجع إلى قرطبة[3].

والثامنة: غزوة الجزيرة[4]: خرج محمد بن أبي عامر من حضرة قرطبة بعساكره إلى الجزيرة الخضراء في آخر صفر من سنة ثمان وستين وثلاثمائة[5]، وهي الثامنة من غزواته، وضبط مجاز الأندلس على من عبر نحوها من أعداء الدولة، ومُقارعة من نَجَم بأرض المغرب من ملوك بني عبيد الله الشيعة، والتمييز بين من تَمسَّكَ بإحدى الدّعوتين من فرق البرابر البادية والحاضرة[6].

التاسعة: غزوة البحيرة[7].

العاشرة: غزوة المُنْيَة[8].

الحادية عشرة: غزوة أُقْلِيلِشْ[1] :غزاها فأخلاه، وقتل جميع من فيه من الرجال، وسبى النساء والذريّة[2].

1- ذكر العُذري أنها: "كانت صائفة مفردة من المصلى يوم الفطر مستهل شوال 368هـ/978م، أول يوم من مايه، وعاد لليلتين بقيتا من شهر شوّال إلى ثمانية وعشرين يومًا". المصدر السابق- ص75.

2- سمّاها العُذري بشنت بلبق الأولى- نفسه- ص76، وتسمى Sepulveda، وجرت فيما بين 1 محرّم و4 صفر 368هـ/28 جويلية-31 أوت 979م. Molina- op-cit- p.241.

3- ورد عند العُذري أنّ محمد بن أبي عامر غزا شنت بلبق الأولى، وكانت صائفة مفردة ليلة الثلاثاء مستهل المحرّم سنة 369هـ/979م، وعاد يوم الأحد الرابع من صفر. نفسه- ص76.

4- الجزيرة: تنضوي إلى كورة شذونة لاتصالها بها، وتقع في شرقها، وهي من المدن طيبة البركات، وجامعة البر والبحر، يَشقُّ أرضها نهر يُعرف بوادي العسل، وتتوسّط مدن الساحل، والمسافة بين برّ الجزيرة ومدينة سبتة قريب جدّا. العُذري- المصدر السابق- ص117-118، وتسمى Algeciras، وجرت في أواخر صفر 369هـ/أواخر سبتمبر 979م. Molina- op-cit- p241.

5- تقابل سنة 978م.

6- "قال ابن حيان: ...". أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط2- 2008م- ص105 .

7- يُسمّيها العُذري "غزوة الغدر"، وهي الغزوة التي غَدَر فيها صهره غالب مولى الناصر لدين الله بحِصن انْتيسَة، خرج إليها من المسجد الجامع إثر صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 369هـ/979م، وعاد يوم الخميس التاسع من ذي القعدة منها. المصدر السابق- ص76، ومدينة البحيرة هي أرض زرع وضرع ونخل ونتاج. المصدر نفسه- ص76- ص118، وتسمى Al-Buhayra، ما بين 13 رمضان و9 ذو القعدة 369هـ/2 أبريل- 27 ماي 980م. Molina- op-cit- p.241.

8- المُنْيَة: كانت شاتية مُفردة، وكان دخوله إليها ليلة الخميس للنصف من أكتوبر، وعاد يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة 370هـ/980م. نفسه- ص76، وتسمى Almunia، وجرت ما بين 16 ربيع الأول و6 ربيع الثاني 370هـ/30 سبتمبر- 20 أكتوبر 980م. Molina- op-cit- p.242.

الثانية عشرة: غزوة المعافر[3]**:** غنم فيها أموالا لا تُحْصى.

الثالثة عشرة: غزوة قلعة أيّوب[4]**:** فتحها وسبى أهلها وانصرف[5].

الرابعة عشرة: غزوة سَمّورَة الثانية[6]**:** فغلب على سمّورة وأحوازها، وانصرف بالسَّبي والغنائم.

الخامسة عشرة: غزوة طَرَنْكوشَة[7]**:** فتحها عُنوة، وفتح مدينة نيشق، وحَرق أرباضها، وقتل رجالها، وغنم أموالها.

1- كذا في ذكر بلاد الأندلس- ص186، وفي تاريخ الأندلس: أقليلش- ص227، و"قنيلش" عند العذري، ويُسميها الإدريسي وياقوت الحموي بـ"أُقْليشْ"، وهي مدينة بالأندلس من أعمال شَنْت بَرية وبين أقليش وشَقُّورَة ثلاثة مراحل. ترصيع الأخبار- ص76-77/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص 560/ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج1 ص36-37، وتسمى Canillas، وجرت فيما بين 1 و28 شعبان 370هـ/9 فبراير- 8 مارس 981م. ويرى أحد الباحثين الإسبان أن الاسم الأقرب إلى الصحة قنيلش وتقع في منطقة طليطلة. Molina- op-cit- p.242.

2- ذكر العُذري أن هذه الغزوة كانت شاتية مفردة يوم الأربعاء مستهل شعبان سنة 370هـ/980م، التاسع من شهر فبراير، وعاد منها يوم الأربعاء لليلة بقيت من شعبان من هذه السنة. نفسه- ص76-77.

3- "المعافرين المفسوخة" عند العُذري، وورد عنده أنها كانت ربيعية، ولم يكملها محمد بن أبي عامر لقوة أمر غالب بعده، وخرج إليها يوم السبت لسبع بقين من شهر رمضان سنة 370هـ/980م، وعاد مُسرعًا يوم الإثنين لأربع خلون من شوّال، ومدّتها اثني عشر يومًا. المصدر السابق- ص77، وتسمى Al-Ma'afir، وجرت فيما بين 23 رمضان و4 شوال 370هـ/31 مارس- 11 أبريل 981م. Molina- op.cit- p.243.

4- قلعة أيّوب: مدينة بالأندلس؛ من أعمال سرقسطة بالقرب من مدينة سالم، وهي مدينة حصينة شديدة المنعة، كثيرة الأشجار والثمار، كثيرة الخصب، وبها يُصنعُ الغُضار المُذَهّب، ويُتجّه به إلى كل الجهات، وهي قريبة من دَروقَة، بينهما ثمانية عشر ميلا. الحميري- المصدر السابق- ص 469/ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج4 ص390.

5- ذكر العُذري أن هذه الغزوة عُرفت بغُزاة النّصر، وكانت صائفة داخلة مفردة إلى العدو، ذات الفتحين في قلعة أيوب وأنتيسة ومقتل غالب، وحسم مادة الخلاف، وكانت يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي القعدة سنة 370هـ/980م، وعاد عنها يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرّم من سنة 371هـ/981م، ومُدتها ثمانية وسبعين يومًا. نفسه- ص77، وتسمى Calatayud، وجرت فيما بين 4 ذو القعدة و22 محرم 371هـ/11 ماي- 27 جويلية 981م. Molina- op.cit- p. 244.

6- سمّاها العُذري بغزوة "سَمّورة الأولى"، وكانت خريفية مفردة يوم الأربعاء لعشر بقين من صفر سنة 371هـ/981م، وعاد منها يوم السبت الرابع عشر من ربيع الأول. نفسه- ص77، وجرت فيما بين 19 صفر و14 ربيع الأول 371هـ/24 أوت- 17 سبتمبر 981م. Molina- op.cit- p.244

7- طَرَنْكوشَة: طركونة عند ياقوت الحموي، وهي بلدة بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة، وهي مدينة قديمة على شاطئ البحر، وذكر العذري أنها كانت شاتية مفردة يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة 371هـ/981م، وعاد يوم الثلاثاء لتسع بقين من

السادسة عشر: غزوة قَشْتيلْيَة[1] ومُنْتِ بليق[2] وجِرُنْدَة[3] ووطنه[4]: وهدم أسوارها، وفتح حصونها؛ فصالحه ملك قشتيلية وزوّجه ابنته؛ فانصرف عنه إلى بلاد الإفرنج؛ ففتح حصن منت بليق وجرندة ووطنه أيضا، وانصرف بالغنائم والسبي[5].

السابعة عشرة: غزوة ليون[6]: فتح فيها حصن الطورة وأرباض حصن ليون، وقتل وغنم، وانصرف بألف سبية[7].

الثامنة عشرة: غزوة شَنْتْ مانْكَسْ: فتحها عُنوة يوم نزوله عليها، وهدم أسوارها، وخرّبها وسَبى أهلها، وانصرف بسبعة عشر ألف سبية، وقتل فيها من الروم حتى غلب الدم على ماء نهرها[1].

جُمادى الأولى منها. العذري- المصدر نفسه- ص77/ياقوت الحموي- معجم البلدان-ج4 ص32، تسمى Trancoso، وتقع شمال البرتغال، وجرت فيما بين 26 ربيع الثاني و21 جمادى الأولى 371هـ/ 29 أكتوبر- 22 نوفمبر 981م. Molina- op.cit- p.244-245.

1- تسمى Qastiliya. Molina- op.cit- p246.

2- تسمى Munt Baliq o Fariq. Molina- op.cit- p246.

3- جِرُندَة: من مدن بلاد غشكونية المجاورة لجبل البرتات. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص735، تسمى Gerona. Molina- op.cit - p. 246.

4- يُسمّيها العُذري غزوة الثلاث أمم، وكانت صائفة ذات دخلتين الخميس لست خلون من ذي الحجّة سنة 371هـ/981م، وأول يوم من شهر يونية، وعاد يوم الجمعة الحادي من صفر سنة 372هـ/982م. نفسه- ص78، جرت فيما بين 6 ذو الحجة 371هـ و11 صفر 372هـ/1 جوان- 4 أوت 982م. Molina- op.cit- p.246.

5- بعد هذه الغزوات الناجحة في سنة 371هـ/981م، قام محمد ابن أبي عامر باتخاذ لقب "المنصور"، وأمر أنْ يُدْعى له على المنابر عقب الدعاء للخليفة، ومحا رسم الخلافة بالجملة، ولم يبق لهشام المؤيّد من رسوم الخلافة سوى الدعاء له من على المنابر، وصارت الكتب تنفذ عنه، وفيها "من الحاجب المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر إلى فلان"، وأخذ الوزراء بتقبيل يده بما فيهم بني أمية، ونقش اسمه على السكّة. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص279/حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار الرشاد- القاهرة- ط3- 1420هـ- 1999م- ص395/خالد الصوفي- المرجع السابق- ص91.

6- ليون: (Leon) قاعدة مدن قشتالة، وتقع وراء نهر دُوِيرُه من ناحية الشمال، وهي عامرة، وبها رجال مُحاربون، ولهم مُعاملات وتجارات، وتحتوي على معدن الفضة. البكري- المصدر السابق- ج2 ص898/أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّهْري- كتاب الجعرافية- اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د.ت- ص105/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص731.

7- ذكر العُذري أنها كانت خريفية مفردة ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة 372هـ/982م، وعاد منها يوم الجمعة السادس من جُمادى الأولى. المصدر السابق- ص78، جرت فيما بين 28 ربيع الأول و6 جمادى الأولى 372هـ/20 سبتمبر- 27 أكتوبر 982م. Molina- op.cit- p. 248.

التاسعة عشرة: غُزاة شَلَمَنْقة[2]: نزل عليها[3] ففتح أرباضها عنوة وباقيها صُلحًا.

المُوَّفِية عشرون: غزوة شَقْرَمِنْيَة[4]: نزل عليها؛ فقاتلها في جميع جوانبها حتى فتحها عُنوة من يومها؛ فسباها وقتل رجالها وانصرف[5].

الحادية والعشرون: غزوة سَمُّورَة [6]: نزل وقاتلها، ثمّ صالح أهلها على أموال جليلة[7].

الثانية والعشرون: غزوة شَنْتْ بَلْبق[8]: نَصَب عليها المَجانيق وقاتلها ليلا ونهارًا حتى فتحها عُنوة؛ فأخذ فيها من السبي والغنائم ما لا يُحصى، وهدمها وانصرف على برشلونة يقتل ويُخرّب.

الثالثة والعشرون: غزوة برشلونة[1]: نزل عليها فحاصرها، ونَصبَ عليها المجانيق؛ فكان يرميهم برؤوس الرّوم عِوضًا من الحِجارة، كان يرمي عليها كلّ يوم ألفَ رأس حتى فتحها عُنوة؛ فسبى منها سبعين ألف رأس من النساء والأولاد.

1- (Simancas) سمّاها العذري بـ"شنت مانكش"، وكانت مُبيدة الطاغية، صائفة مفردة، تمت يوم السبت لليلتين خلتا من المحرّم سنة 373هـ/983م، وعاد منها يوم الثلاثاء الرابع من صفر. المصدر السابق- ص78، جرت ما بين 2 محرم و4 صفر 373هـ/16 جوان- 17 جويلية 983م. Molina- op.cit- p.248.

2- (Salamanca) سمّاها العُذري بغزوة شَلَمَنْقَة الثانية. نفسه- ص79، وجرت فيما بين 20 ربيع الأول و17 ربيع الثاني 373هـ/1- 29 سبتمبر 983م. Molina- op.cit- p. 248.

3- وفيها غزا محمد بن أبي عامر شلمنتقة مرّة ثانية، وكانت خريفية مفردة يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة 373هـ/983م، وعاد منها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر. نفسه- ص79.

4- (Sacramenia) قال العُذري إنها وقعت سنة 373هـ/983م. المصدر نفسه- ص79، وجرت فيما بين 23 جمادى الأولى و29 جمادى الآخرة 373هـ/2 نوفمبر- 8 ديسمبر 983م. Molina- op.cit- p. 248.

5- كانت شاتية مفردة، ليلة الجمعة لسبع بقين من جُمادى الأولى سنة 373هـ/983م، وعاد منها يوم السبت سلخ جُمادى الأولى. العُذري- المصدر نفسه- ص79.

6- سَمّورَة (Zamora) الثانية عند العذري. نفسه- ص79.

7- ذكر العُذري أن هذه الغزوة كانت شاتية مفردة، يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة 373هـ/983م، وعاد يوم الثلاثاء الخامس من شوّال منها (18 فبراير- 11 مارس 984م). المصدر نفسه- ص79. Molina- op.cit- p.248-249.

8- "شنت بلبق (Sepulveda) الثانية، وبسيط برشلونة عند العذري، وكانت صائفة ذات دخلتين، يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرّم سنة 374هـ/984م، وهو الثاني من يوم العَنْصَره، وعاد لثمان خلون من ربيع الآخر منها (25 جوان- 8 سبتمبر 984م). المصدر نفسه- ص79/Molina- op.cit- p. 249

[وذكر غزوة المنصور محمد ابن أبي عامر إلى برشلونة في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[2]، وهي الثالثة والعشرين من غزواته؛ فجعل طريقه على شرقيّ الأندلس، وسلك طريق إلبيرَة إلى بَسْطَة إلى تُدْمِير؛ فتَضيَّف بمدينة مُرْسِية قاعدة تُدْمِير المعروف بابن خَطّاب- ولم يُسَمِّه، وكان ذا نعمة ضخمة وصنيعة واسعة، وهمّة علية- فمكثَ عنده ثلاثة عشر يومًا، يقوم به وبجنده وبخدمته جميعًا على مقاديرهم، ويُنفذ إلى باب كلِّ واحد منهم كلَّ يوم وظيفةً من الدقيق واللّحم والفاكهة والقَضِيم[3]، وصار جَميعُهم في كفالة ابن خطّاب ما بين الوزير والشُّرَطِيّ؛ فلم يُنفق أحد منهم لنفسه طول هذه المدة مثقال ذرّة.

وكان يُجدّد للمنصور كل يوم نوعًا من الأطعمة والفواكه لا يُشبه الذي قبله، نعم، وزَعموا أنّ ظروفه وأوعيته كانت تختلف بحسب اختلاف أنواعه، إلى أن رحل ابن أبي عامر مُتعجِّبًا بما تَبرَّع به، مُستَغْرِبا لمذهبه في التحدّث بنعمة ربّه، بعد أنْ أثنى عليه، وحَطَّه جُملةً من خراج ضياعه، وأمر له بكسًا ولجماعة بني أمية.

وسألَ المنصورُ ابنَ خطّابٍ أنْ يعمل له بقرطبة خَبيصًا[4] استجاده من حَلْوائِه؛ فأنفذَ إليه جاريةً اتّخذته في قصره؛ فقاربَ التُدْميريّ ولم تكمل صفاته؛ فحكم للهواء في تجويده.

وكان المنصور- فيما بعد- يصف نعمة ابن خطّاب وسَرْوَه، ويقول: "هي أحق نعمة بالحفظ، وأولاها بالزيادة لسلامتها من الغَمْط، وبُعْدها من الجُحود، وقيامها بفرض التّزكية"، ويُوعِز إلى عُمّاله بتُدْمِير بحِفْظ أسبابه وتَحرّي موافقته، والأخبارُ عنه في ذلك طويلة][5].

1- (Barcelona) كانت صائفة مفردة، يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة 374هـ/984م، ومُدّتها ثمانون يومًا، وجرت فيما بين 12 ذو الحجة 374هـ و3 ربيع الأول 375هـ/5 ماي- 23 جويلية 985م، وتم فتح مدينة برشلونة في 15 صفر 375هـ الموافق 6 جويلية 985م. المصدر السابق- ص249/80 .Molina- op.cit- p.

2- تقابل سنة 985م.

3- القضيم: قَضَم الشيء اليابس بِمُقدَّمِ الفمِ قَضْمًا، وقَضمت الدّابة قَضيمَها، وأقْضَمْتُ دابتي. الزمخشري- المصدر السابق- ص512.

4- الخبيص: تطلق على كل عصير صار مربى، وعلى الحلواء المخبوصة من التمر والسّمن. مجهول- أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين- تقديم وتحقيق ومعجمة عبد الغني أبو العزم- مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات- الرباط- ط1- 2003م- ص272/المعجم الوسيط- ص216.

5- ابتدأ ابن الأبار القضاعي نصه قائلا: "وحكى ابن حيان أيضا في "الدولة العامرية: ...". الحلة السيراء- ج2 ص311-312.

الرابعة والعشرون: غزوة الخَضراء[1].

الخامسة والعشرون: غزوة سَمّورة[2]: فتح فيها مدينة شَلَمَنْقَة وحِصْن ليون، ثمّ نزل على سمّورة حتى فتحها صلحًا، ونزلوا على حُكمه.

السادسة والعشرون: غزوة قندياجشة[3]: نزل عليها ففتحها عُنوة من يومه؛ فأحرقها وخرّبها، وارتحل إلى قُلُمْرِية[4] أيضًا؛ فحَرَق أربضاها، وانصرف إلى قرطبة.

السابعة والعشرون: غزاة قُلُمْرِية[5] أيضًا.

الثامنة والعشرون: غُزاة قُلُمْرِية: أيضا، نزل عليها فقاتلها يومين، ثم فتحها في اليوم الثالث؛ فخرّبها وسباها وانصرف.

التاسعة والعشرون: غزوة برتيل[6]: فتحها من يومه، ورجع إلى قرطبة من يومه بالسبي.

الموفية ثلاثون: غزوة سَمُّورَة: أيضًا، حاصرها وشدّ عليها القتال، ونصبَ عليها المجانيق حتى فتحها عُنوة، وأخذ ما فيها من الأموال والمتاع ما لا يُحصى، ومن السبي أربعين ألف سبية، ووجد فيها

1- أي الجزيرة الخضراء (Algeciras)، وتم فيها إرسال حملة إلى بلاد المغرب بقيادة ابن عمه عسقلاجة في ربيع الأول سنة 375هـ/أوت 985م. Molina- op.cit- p. 250.

2- يُسمّيها العُذري "غُزاة المدائن"، ويقول إنّ المنصور فتح فيها شلمنقة وألبة وليون، وصالح سمورة، وكانت صائفة مفردة لثمان خلون من صفر سنة 376هـ/986م، وجرت فيما بين 8 صفر و21 ربيع الأول 376هـ/19 جوان- 1 أوت 986م. نفسه- ص78/ Molina- op.cit- p. 250.

3- (Condeixa)، قبدياشة في ذكر بلاد الأندلس- ص188، "قندبخشة" عند العذري، وكانت خريفية مُفردة يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة 376هـ، وعاد منها يوم الجمعة السابع من جُمادى الآخرة (11 سبتمبر- 15 أكتوبر 986 . نفسه- ص78/ Molina- op.cit- p. 250.

4- قلمرية (Coimbra): من بلاد برتقال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وهي على جبل مستدير، عليها سور حصين، وهي صغيرة مُتحضّرة عامرة، كثيرة الكروم والتفّاح، وهي على نهر عليه أرحاء، وبين قلمرية وشنترين ثلاثة مراحل، وبينها وبين البحر إثني عشر ميلا، ويُسميها البكري قلنبرية. البكري- المصدر السابق- ج2 ص 892/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص547/الحميري- المصدر السابق- ص471.

5- سمّاها العُذري بقلنبرية الأولى، وكانت ربيعية مُفردة سنة 376هـ/986م. نفسه- ص80.

6- (Portillo) يُسمّيها العُذري غزوة قلنبرية الأولى، ويقول إنّها وقعت سنة 376هـ/986م، وعندها ينقطع حديث العُذري عن غزوات المنصور بن أبي عامر. المصدر نفسه- ص80.

سبعة عشر حمّامًا، وطول سورها الجوفي ألف وخمسمائة ذراع، والقبلي ألف وثلاثمائة ذراع، والشرقي سبعمائة ذراع، ثم انتقل إلى حِصن الصّور ففتحه، وانصرف إلى قرطبة.

الحادية والثلاثون: غزوة أشْتُورْقَة[1]: نزل علها وخرّبها، وارتحل إلى طَرَكُونَة، وحمل رُخامها إلى قرطبة، وفتح عدة حصون، وانصرف بالغنائم والسبي.

الثانية والثلاثون: غزوة بُرْتِيل[2]: أيضًا، نزل عليه فحاصره حتى نزل إليه أهله صلحًا، وخرّب الحِصن وانصرف.

الثالثة والثلاثون: غزوة الطوره[3]: فقتل فيها، وسبى وانصرف.

الرابعة والثلاثون: غزوة وُخْشُمَة[4]: والقبيلة[5] من أرض قشتالة؛ فدوّخ بلاد قشتالة وانْتَسَفها، ووصل إلى بلاد البُشْكَنس ففتح مدينة وُخْشُمَة، وسَكَّنَها بالمسلمين نكاية للرّوم لأنها في أقاصي بلادهم، ثمّ عاد إلى مدينة القبيلة فخربها، وفيها قتل ولده عبد الله[6].

الخامسة والثلاثون: غزوة مُنْتِ ميور[7]: مرّ فنزل مدينة مشر ففتحها عنوة وخربها، وكانت مبنية بالصخر والرصاص، وهي كانت قاعدة الإشبان والقوط، ثم ارتحل إلى مدينة منت ميور؛ فحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه.

1- أشتورقة (Astorga): مدينة صغيرة متحضرة كما وصفها الإدريسي، ومنها إلى مدينة شنت ياقوب ثلاثة أيام، وجرت الغزوة في جمادى الأولى 378هـ/أوت 988م. الادريسي- المصدر السابق-ج2 ص731/Molina- op.cit- p. 252.

2- Portillo، وتقع في مقاطعة بلد الوليد. Molina- op.cit- p. 252- 254.

3- تسمى Toro، وتقع في إقليم قشتالة. Molina- op.cit- p. 254-255.

4- وُخْشُمة (Osma): يُسمها عنان أوسمة، وفتحها المنصور فيما بين شهري أوت وأكتوبر 380هـ/990م. محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الأول- القسم الثاني- ص550/Molina- op.cit- p. 254- 255.

5- Alcubilla

6- لمزيد من التفاصيل عن قتل المنصور لابنه عبد الله بعد التحاقه بعدو المسلمين غرسية بن فرذلند صاحب آلَبَة ينظر ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 صص283-285.

7- مُنْتِ مَيور (Montemayor): من مدن بلاد برتقال، وهي حصن منيع جدًّا يقع على مصب نهر منديق الواقع في قلمرية، أما البكري فيقول إن حصن منت ميور يقع في عمالة مالقة، وغزاها المنصور في رمضان سنة 380هـ/ديسمبر 990م. البكري- المصدر السابق- ج2 ص897/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص725-726/Molina- op.cit- p. 255.

السادسة والثلاثون: غزوة بونْشْ[1] وناجِرَة[2] وقُصَيْرُه[3]: فتح فيها مدينة بونش وخرّبها، ثم نزل على قَشْتيلية فحاصرها أيّامًا، ودخلها عُنوة، وارتحل إلى بلاد البُشْكَنْس؛ فهدم بها حصونًا كثيرة، ورجع إلى قرطبة بخمسة آلاف سبية، وفيها تسمّى بالمنصور.

السابعة والثلاثون: غزوة غاليش[4]: انْتسف فيها بلاد البُشْكَنس، وأوغل فيها حتى وصل إلى بلاد غاليش، فتح فيها حصونًا، وأسكن المسلمين بحِصن منيع من حصونها نكاية للعدو.

الثامنة والثلاثون: غزوة المراكب[5].

التاسعة والثلاثون: غُزاة شنت أشتيبن[6]: نزل عليها فقاتلها، وفتح أربضاها، وقتل وسبى وانصرف.

الموفية أربعون: غزوة الأغار[7]: قتل فيها وسبى، وأوقع بجموع الروم؛ فاستأصلهم وانصرف.

الحادية والأربعون: غُزاة فتح شنت أشتبين[8]: نزل عليها فحصارها خمسة أيام، وفتحها عُنوة، وأسكنها المسلمين، وانتقل إلى مدينة بنبلونة[9]، فحاصرها أربعة أيّام؛ فنزل أهلها بالآمان، وخرّب المدينة، ثم سار إلى حصن شلرين[10] ففتحه من يومه، وكان فيه سبع عشرة صخرة مبنية، في كل صخرة قصبة.

1- بونش(Pons): تتبع مقاطعة لاردة، وتقع على سفح جبل، وتبعد 25 كلم إلى الشمال الغربي من ناجرة.

Pascual Madoz- Diccionario estadistico- historico de Espana y sus posesiones de ultramar- Madrid- 1846-1847- tomo 13 p.117/Molina- op.cit- p. 257

2- ناجرة (Najera): كذا عند العذري والإدريسي وابن الخطيب، وهي مدينة عامرة من أرض نبارة. العذري- المصدر السابق- ص156/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص732/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص329.

3- قُصَيْرُة (Alcocero): وتبعد بكيلومترين عن بْرِيِشْكَ الواقعة في مقاطعة برغش. مجهول- تاريخ الأندلس- ص132/ Molina- op.cit- p. 256-257.

4- Vasconia y Galis. Molina- op.cit- p.257

5- يقول لويس مولينا: لا نعرف شيئا عن هذه الغزوة، ويسميها los barcos. Molina- op.cit- p. 257

6- شنت أشتبين (San Esteban): من مدينة وشقة. المقري- المصدر السابق- ج1 ص366.

7- يسميها مولينا Al-Agar، ويقول إننا لا نعرف شيئا عن هذه الغزوة. Molina- op.cit- p. 258

8- San Esteban

9- Pamplona

10- يسميها مولينا Clunia، ويقول إن هذه الغزوة وقعت في جمادى الأولى سنة 384هـ/جوان 994م. Molina- op.cit- p. 258

الثانية والأربعون: غزوة أشْتورْقَة وليون[1]: أتى فيها إلى مدينة ليون؛ فوجدها خالية؛ فاتّبع أثر أهلها فلحقهم؛ فأخذ من السبي ما لا يُحصى، وقتل كذلك وانصرف، وفيها قطع المنصور خاتم المؤيّد عن السجلات والولايات، وطبع عليها بخاتمه.

الثالثة والأربعون: غزوة قَشْتيلْيَة[2] أيضًا، دَوَّخها وأصاب من الغنائم ما لا يُحصى عدده وانصرف، ومن العجائب في هذه الغزوة أن الأديب صاعد اللغوي أهدى[3] إلى المنصور أيلا مربوطا بحبل، وكتب معه بهذه الأبيات: [الكامل]

يَـا حِـرْزَ كُـلِّ مُخَـوَّفٍ وأَمَانَ كُ ... لِّ مُشَـــرَّدٍ وَمُعِـــزّ كُـــلِّ مُـذَلَّلِ

جَدْواكَ إِنْ تَحْفـظْ[4] بِـهِ فَلِأَهْلِه ... وَتُعـمُّ بالإحْسـانِ كُـلَّ مُـؤَمَّــلِ

كَالغَيْثِ طَبَّقَ فَاسْتَـوَى[5] في وَبْلِه ... شُعْثَ البِلادِ مَـع المُـرادِ المُقْبـلِ

اللهُ عَوْنُـكَ مــا أَبَـــرَّكَ بـالهُدَى ... وأشَدَّ وَقْعَكَ في الضَّلال المُشعلِ

ما إنْ رَأتْ عَيْني وَعِلْمُك شاهِدي ... جَـدْوى[6] عَلائِـقَ في مُعـمٍّ مُخْـوِل

أنْـدَى بمَقْربـةٍ كَسَرحانِ الغَضا ... رَكْضًا وأوْغَـلَ في مَثـارِ القَسْطلِ

مَـولايَ مُـؤنِسُ غُـرْبَتي مُتَخَطَّفي ... مِـنْ ظَفرِ أَيَّـامي مُمنـعُ مَعْقِلي

عَبـدٌ أَخَـذْتَ[7] بضَبْعِه وغَرَسْتَه ... في نِعْمَــةٍ أَهْــدَى إلَيْـكَ بأَيْــلِ

سَمَّـيْـتُــهُ غَـرْسِيَّـة وبَعَـثْـتُـهُ ... في قَيْـدِه[8] لِيُتـاحَ فيـه تَـفـاؤُلِي

فَلَئِـنْ قَبِلْتَ فَتِلْك أَسْـنَى مِنَّـةٍ[1] ... أَسْدَى بهـا ذو مِنْحَـةٍ وتَطَـوُّلِ

1- ليون(Leon): قاعدة من قواعد قشتالة عامرة، بها معاملات وتجارات ومكاسب، ولأهلها همّة ونفاسة. الحميري- المصدر السابق- ص514.

2- Qastiliya

3- كان ذلك يوم السبت منتصف ربيع الآخر سنة 385هـ/995م. ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص21/الحميدي- المصدر السابق- ص236/ الضبي- المصدر السابق- ص280/عبد الواحد المراكشي- المصدر السابق- ص37/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص69.

4- "تخصص" عند الحميدي والضبي وعبد الواحد المراكشي. جذوة المقتبس- ص235/بغية الملتمس- ص280/المعجب- ص36.

5- "فاستوى" عند عبد الواحد المركشي- نفسه- ص36.

6- "شروى" عند عبد الواحد المراكشي- نفسه- ص36.

7- "نشلت" عند عبد الواحد المراكشي- نفسه- ص36.

8- "حبله" عند ابن بسام وعبد الواحد المراكشي. المصدر السابق- ج4 ص21/نفسه- ص36.

صَبِحَتْكَ[2] غادِيةُ السُّرورِ وَجُلِّلَتْ   أَرْجاءُ رَبْعِكَ بالسَّحابِ المُخْضِلِ[3]

وكان من قضاء الله تعالى وسابِق علمه أنّ غَرسية بن فردلند ملك النصرانية الذي تفاءل فيه صاعد، لما قرأ المنصور الأبيات ووضعها من يده، خرجت خيل من العسكر برسم الإغارة على بعض النواحي؛ فوجدوا غَرسية قد خرج في خاصة من قومه يتطلّع على أحواز بلاده؛ فأسَروه هو وأصحابه، وأتوا به إلى المنصور مُقيّدًا في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بهديته وشعره إلى المنصور.

الرابعة والأربعون: غزوة بطريسه[4]: فيها مات من عسكره سبعمائة رجل عطشًا.

الخامسة والأربعون: غزوة شنت رومان[5]: قتل فيها وسبى وانصرف، وفيها كتب له المرواني من المُطْبق بهذه الرسالة: "يا مولاي، إنّك أطعتَ الله فأيدك، وعَصيناهُ فأمكن منّا يدكَ، وهكذا يكون ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وأنت بين انتقام تشفى به نفسك، وتَجاوُز تُضاعِف به إلى ما لا نهاية أَجْرَك؛ فإن الله تعالى يقول وقوله الحق: "**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**"[6]، وهذا ما لا نبلغه وإنْ فاق فضلنا، ولا نُباريه وإنْ جلّ عَملُنا، وعِلمي يا مولاي بعِظَم ذنبي يُؤسّيني، وبسعة كَرمك يُطمِعُني؛ فأنا بين يأْسٍ مُهلكٍ، وطمع مُدرَك، والعقوبة حقّك والتجاوز فضلك، وألزمهما لك

1- "نعمة" عند عبد الواحد المراكشي- نفسه- ص36.

2- "صحبتك" عند عبد الواحد المراكشي- نفسه- ص36.

3- أورد كل من ابن بسام والحميدي والضبي وعبد الواحد المراكشي وابن الخطيب هذه الأبيات الشعرية أو البعض منها مع بعض الاختلاف. المصدر السابق - م4 ص21/ المصدر السابق- ص235-236/ المصدر السابق- ص280/ المصدر السابق- ص36/أعمال الأعلام- ص69.

4- بطريسة: لم نعثر عليها في المصادر التي بين أيدينا، ويذكر لويس مولينا أن هذه الغزوة وقعت سنة 385هـ/995م. -Molina- op.cit- p. 259

5- شنت رومان: (San Roman) شنت رومان دي لا هورنيخا(San Roman de la Hornija) وتقع في مقاطعة بلد الوليد، ووقعت هذه الغزوة في شوال 385هـ/نوفمبر995م. Molina- op-cit- p260 .

6- سورة المائدة- الآية 32.

أولاهما بك، وإنْ لم أكن أهلا بعفوك فلتكن عقوبة مثلك، وكلّ الحكم إلى كرمك المشهور وعدلك المأثور إنْ شاء الله، وأنا أقول[1]:[الطويل]

فَـرَرْتُ فَلَـمْ يُغْــنِ الفِــرارُ ومَنْ يَكُنْ   مَـعَ اللهِ لَـمْ يُعْجِزْهُ في الأرْضِ هارِبُ

وَواللهِ مـــا كــانَ الفِــرارُ لِحـــالــةٍ   سِـوى حَـذَرَ المَـوتِ الّذي أنَـا راهِبُ

ولَـوْ أنّـني وُفِّقْتُ للرُّشْدِ لَـمْ يَكُـنْ   وَلَـكـنَّ أمْـــرَ الله لا بُـــدَّ غـالِـبُ

وقَــدْ قــادَني قَـهْــرًا إلَيــكَ بِـرُمَّتي   كَما اجْتَرَّ مَيتًا في رَحى الحَرْب سالِبُ

وأجْـمَـعَ كُـلُّ النَّـاس أنَّــكَ قاتِـلي   ورُبَّـتَ ظَـــنّ ربُّـــهُ فـيـهِ كــاذِبُ

ومَـا هــو إلا الانْـــتِـقــام فَتَشْتَفي   وتَركُكَ مِنهُ واجِـــبًـا لـكَ واجِبُ

وإلّا فَـعَـفْــوٌ يـرْتَـضـي اللهُ فِـعْــلَـه   ويَجْزِيكَ منهُ فوقَ مـــا أنتَ طالِبُ

ولا نـفـسَ إلّا دونَ نَفـسِـكَ فَـلْيكُـنْ   على قَــدْرِهـا قَـدرُ الّذي أنْتَ واهِبُ

فَما خابَ مِنْ جَدْواكَ مَنْ جاءَ سائِلا   ولا رُدَّ دونَ السَّـــعْي عِنْـدكَ راغِـبُ

وقَـدْ مَنحتْ كفـاك مـا يُعجِزُ الوَرى   وعمّتْ عُموم الغَيثِ منكَ المَـواهِبُ

[وإنْ حُـــمَّ تـأخيــرٌ لِنَفسي فليكُـنْ   لمُتلِفِها مِـــن حاجِب الملكِ حـاجِبُ

فمــازالَ سَبَّـــاقًـا إلى كُـلّ خَصْلـةٍ   يَسيــرُ بهــا في الأرضِ مـاشٍ وراكِبُ

فَـلا انْفـكَّ لي مـــولًى ألـــوذُ بِـعـزّهِ   فيَصْرِفُ عنّي الخَطبَ والدَّهرُ عاتِبُ][2]

السادسة والأربعون: غزوة غَلِيسْيَة[1] وأقيلار[2]: فتح فيها مدينة أقيلار، وقتل فيها أربعة وعشرين ألفًا من النّصارى، وسَبى فيها خمسين ألفًا.

1- القصيدة لأبي بكر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعد الخير بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي المرواني، الملقب بالحجر اليابس، ويقال له "بِطْرَ شَكْ" بالعجمية (piedra seca) أي الحجر اليابس، أديب شاعر وأحد رجالات الدولة المروانية، وتولى طليطلة لهشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر، ثم اتُّهم بالاشتراك مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه، ولم تنجح المؤامرة؛ ففرّ عبد الله بن عبد العزيز إلى برمودو الثاني ملك ليون، ثمّ ظفر به المنصور في شوّال سنة 385هـ/995م؛ فسجنه في المُطبق بعد أن طيف به على جمل وهو مُقيّد، والقصيدة وجّهها إلى المنصور بعد ظفره به، وتوفي غازيا سنة 393هـ/1002م عند مدينة لاردة. أحمد بن فرج الجياني- الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان- جمعه ورتّبه وشرحه محمد رضوان الداية- نادي تراث الإمارات- أبو ظبي- 1423هـ/2003م- ص108- 109/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 صص215- 220.

2- زيادة من الحلة السيراء- ج1 ص218-219.

السابعة والأربعون: غزوة أَشْتورْقة[3] **الثالثة:** وفيها فتح المدينة وخرّبها وانصرف، وفيها صالح المنصور ملوك جِلّيقية على أن يُعْطوا الجِزية عن يد صاغرة وهم صاغرون[4].

الثامنة والأربعون: غزوة شنت ياقب[5]**:** وعند تناهي المنصور بن أبي عامر في هذا الوقت على الاقتدار والنصر على الملوك الطاغية، سما إلى مدينة شَنْتْ ياقُبْ قاصية غَليسْية، وأعظمُ مشاهد النّصارى الكائنة ببلاد الأندلس، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة، [وهي مدينة يعقوب بن يوسف التاجر الذي يزعم النصارى أنّه زوج مريم الصدّيقة وبها قبره][6]، وكانت كنيستها عندهم بمزنلة الكعبة عندنا، وللكعبة المثلُ الأعلى[7]، فيها يحلفون، وإليها يحجُّون من أقصى بلاد رومة وما وراءها، ويزعمون أن القبر المَزورَ فيها قبرُ ياقُبْ[8] الحَواريّ، أحد الإثني عشر، وكان أخصَّهم بعيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهم يسمّونه أخاه للزومه إياه، وياقُبْ بلسانهم يعقوب، وكان أُسْقُفا ببيت المقدس؛ فجعل يستقري الأَرَضين داعيًا لمن فيها؛ فجاز إلى الأندلس حتى انتهى إلى هذه القاصية، ثم عاد إلى أرض الشام فقتل بها[9]، وله مائة وعشرون سنة شمسية؛ فاحتمل أصحابه رمّته[1] فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره.

1- Galicia

2- أقيلار (Aguilar): من مدن جليقية، وقال مولينا: فتحها المنصور في أواخر سنة 385هـ/ أواخر 995م حسب ما جاء في الحوليات المسيحية. .Molina- op.cit- p. 261.

3- Astorga، ويرى مولينا أنه لم تحدث أية غزوة لمنطقة ليون في سنة 389هـ/999م. op.cit- p. 261

4- إشارة إلى الآية الكريمة: "قَاتِلوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيُومِ الآخِرِ ولَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ولَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ". سورة التوبة- الآية 29.

5- شنت ياقب (Santiago de Compostela): قلعة حصينة بالأندلس، وكنيسة عظيمة مشهورة، وهي في ثغور ماردة، وهي مبنية على جسد يعقوب الحواريّ، يذكرون أنه قُتل ببيت المقدس، وأدخله تلامذته في مركب، يأتيها الروم من جميع الأقطار يحجّون إليها، وليس بعد كنيسة بيت المقدس كنيسة أعظم منها، وهي مبنية بالحجر والجيار، وقد أحاطت بها ديارٌ يسكنها القِسّيسون والرُّهبان والشمامسة، وبها أسواقٌ وبيع وشراء، وفيها من الخلق أعداد لا تُحصى. ابن الخطيب- المصدر السابق- ص67/الحموي- المصدر السابق- ج3 ص368/الحميري- المصدر السابق- ص348/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص728.

6- زيادة من مجهول نقلا عن ابن حيان. تاريخ الأندلس- ص235.

7- عبارة "وللكعبة المثل الأعلى" ساقطة عند ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص294.

8- في البيان المغرب: "ياقوب". المصدر نفسه- ص294.

9- "فقتل بها" عند ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

ولم يطمع أحد من ملوك الإسلام في قصدها ولا الوصول إليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبُعد شقّتها؛ فخرج المنصور إليها من قرطبة غازيًا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[2]، وهي غزوته الثامنة والأربعون، ودخل على مدينة قورية[3]؛ فلمّا وصل إلى مدينة غليسية، وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في رجالهم، وعلى أتمّ احتفالهم؛ فصاروا في عسكر المسلمين، وركبوا في المُغاورة سبيلهم، وكان المنصور تقدّم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس[4]، من ساحل غرب الأندلس، وجهّزه برجاله البَحْرِيّين وصنوف المُتَرجّلين، وحَمل الأقوات والأطعمة والعُدَد والأسلحة استظهارًا على نفوذ العزيمة، إلى أن خرج بمَوضِع بُرْتُقال على نهر دْويرُه[5]؛ فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه؛ فعقد هناك من هذا الأسطول جِسرًا بقرب الحصن الذي هناك، ووجّه[6] المنصور ما كان فيه من الميرة إلى الجُنْد؛ فتوّسعوا في التَزوُّد منه إلى أرض العدو.

ثم نهض منه يريد شَنْت ياقُبْ؛ فقطع أرَضين متباعدة الأقطار، وقطع بالعبور عدّة أنهار كبار وخِلجان يمدُّها البحر الأخضر[7]، ثم أفْضى العسكرُ بعد ذلك إلى بسائط جليلة من بلاد فرطارش[8]، وما يتّصل بها، ثمّ أفضى إلى جبل شامخ شديد الوعْر، لا مسلك فيه ولا طريق، لم يهتد الأدلاء إلى سِواه؛ فقدّم المنصور الفَعَلة بالحديد لتوسِعة شِعابه وتسهيل مسالكه؛ فقطعه العسكر، وعبروا

1- "فقتل بها" عند ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

2- تقابل سنة 997م.

3- قورية (Coria): بالأندلس، قريبة من ماردة، لها سور منيع، وهي أولية البناء واسعة الفناء، من أحصن المعاقل، ولها بواد خصيبة وضياع طيبة، وأصناف من الفواكه كثيرة. الحميري- المصدر السابق- ص485.

4- قصر أبي دانس: بغربي الأندلس. الحميري- المصدر السابق- ص475.

5- نهر دويرُه (Rio Duero): يخرج من جبال البريرة من جليقية؛ فيمرّ على شَنْت بَريَة وجزيرة شُقَر، ومصبّه البحر المحيط فيما بين قُلُمرية وبُرْتُقال، وعدد أمياله خمسمائة ميل وثمانون ميلا. مجهول- تاريخ الأندلس- ص48-49.

6- "ووزّع" عند ابن عذاري- المصدر السابق- ص295.

7- البحر الأخضر: هو البحر المحيط، وهو محيط بالدنيا كلها، ويخرج منه شعبتان: إحداهما بالمغرب، والأخرى بالمشرق، ويُعرف بعدة أسماء منها لبلاية والبحر الأخضر والبحر المحيط وبحر الظلمات. الحموي- المصدر السابق- م1 ص344/الحميري- المصدر السابق- ص509.

8- "فلطارش" عند ابن عذاري- نفسه- ص295.

بعده وادي مِنْيُهْ[1]، وانبسط المسلمون بعد ذلك في بسائط عريضة، وأرَضين أريضة[2]، وانتهت مَغِيرتُهم إلى دير قَسْطان، وبسيط [بنبلونة][3] على البحر المُحيط، وفتحوا حصن شَنْت بَلايُه وغنموه، وعبروا سِباحةً إلى جزيرة من البحر المُحيط لجأ إليها خلقٌ عظيمٌ من أهل تلك النواحي؛ فسبَوا مَن فيها ممّن لجأ إليها.

وانتهى العسكر إلى جبل مراسيه المتصل من أكثر جهاته بالبحر المُحيط؛ فتخلّلوا أقطاره، واستخرجوا من كان فيه، وحازوا غنائمه، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج [الورق][4] في مَعبرين أرشدَ الأَدِلّاء إليهما، ثمّ نهر أيله، ثمّ أفضوا إلى بسائط واسعة العِمارة، كثيرة الفائدة، [منها بسيط أونَبَة[5] وقَرْجيطَة[6] ودَيْر شَنْت بَرِيَّة][7]، ثم انتهوا إلى موضع [إيلياء وهو][8] من مشاهد ياقُب صاحب القبر، تِلْوُ مَشْهَد قبره عند النصارى في الفضل، يقصدُ نُسّاكُهم له من أقاصي بلادهم، ومن بلاد القِبْط والنُّوبة وغيرها؛ فغادره المسلمون قاعًا.

وكان النزول بعده على مدينة شَنْت ياقُبْ البائسة، وذلك يوم الأربعاء لليلتين خَلتا من شعبان؛ فوجدها المسلمون خاليةً من أهلها؛ فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مَصانعها وأسوارها وكنيستها، وعَفَوْا آثارها، ووكَّل المنصور بقبر ياقُبْ من يحفظه، ويدفع الأذى عنه، وكانت مصانِعها بديعةً مُحْكَمةً؛ فغودِرت هشيمًا كأن لم تَغْنَ بالأمس، [وذلك يوم الإثنين أو الثلاثاء بعده][9]، وانتسفت

1- وادي مِنْيُه (Rio Mino): يخرج من جبال دالية من بلد جليقية فيمر من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط بجليقية، وعدد أمياله ثلاثمائة وعشرة أميال. البكري- المصدر السابق- ج1 ص240/مجهول- تاريخ الأندلس- ص48.

2- أريضة: يُقال أَرَضَ المكان أي كَثُر عشبه وازْدَهى وحَسُن في العين فهو أريض. المنجد في اللغة والأعلام- دار المشرق- بيروت- ط31-1991م-ص8.

3- "بلنبو" في الأصل، و"بلنبوط" عند ابن عذاري- المصدر السابق- ص295، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

4- زيادة من ابن عذاري- المصدر السابق- ص295.

5- أونبة (Onba): من مدن جبل العيون بالأندلس، وهي مدينة ممتنعة بين جبال ضيقة المسالك، وهي مدينة برية بحرية، بينها وبين البحر نحو ميل، وبينها وبين لبلة ستة فراسخ. الحميري- المصدر السابق- ص63.

6- قرجيطة: لم نهتد إلى تعريفها في المصادر المستعملة في التحقيق.

7- زيادة من ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

8- زيادة من ابن عذاري- نفسه- ص295.

9- زيادة من ابن عذاري- نفسه- ص295.

بُعوثُه بعد ذلك سائرَ البسائط، وانتهت الجيوش إلى شَنْت مانْكَش[1]، مُنْقطَع هذا الصقع على البحر المُحيط، وهي غايةٌ لم يبلغها قبْلَهم مُسلمٌ، ولا وَطِئَها لغير أهلها قَدَمٌ؛ فلم يكن بعدها للخيل مجالٌ، ولا وراءها انتقالٌ.

وانْكَفأ المنصور عن باب شَنْت ياقُبْ، وقد بلغ غايةً لم يبلغها مسلمٌ قبله؛ فجعل في طريقه القَصْدَ على عَمَل بَرْمُنْد بن أُرْدُون ليسقر به عائثًا ومُفسدًا، حتى وقع في عمل القَوامِس المُعاهِدين الذين في عسكره؛ فأمر بالكفِّ عنها، ومرّ مُجتازًا حتى خرج إلى حصن بليقية[2] من افتتاحه؛ فأجاز هنالك القوامس بجُمْلَتهم على أقدارهم، وكساهم وكسا رجالهم، وصرفهم إلى بلادهم، وكتب بالفتح من بليقية[3].

وكان مبلغ ما كساه[4] [ابن أبي عامر][5] في غُزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غَناؤهُ من المسلمين ألفين ومائتين وخمسًا وثمانين شُقَّة من صُنوف الخَزِّ الطِّرازي، وإحْدَى وعشرين كساءً من صوف البَحْر، وكِسائين عَنْبَرِيَيْن، وأحد عشر سِقْلاطونًا[6]، وخمس عشرة مُرَيَّشات، وسبعة أنماط ديباج، وثَوْبَيْ ديباج رومِيّ، وفَرْوَيْ فَنَك، ووافى جميع العسكر قرطبة [سالمًا][7] غانِمًا، وعَظُمت النّعمة والمِنّة على المسليمن.

ولم يجد المنصور بشَنْت ياقُبْ إلا شيخًا من الرُّهْبان جالسًا على القبر؛ فسأله عن مقامه فقال: أؤانِسُ يعقوب؛ فأمر المنصور بالكفّ عنه[8].

1- شنت مانكش (Simancas): ورد ذكرها عند العذري حين قال: "وغزا معه سنة 327هـ/938م؛ فأسر بشَنْت مانْكُه في مجال الحرب"، أي أنها من مدن الثغر. المصدر السابق- ص46.

2- مَلِيقُه عند ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص296، وقد يكون حصن لَمَيقُه (Lamego) حسب محقق نفح الطيب- ج1 ص399 هامش1.

3- "مَلِيقُه" عند ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

4- "مَن أكْساهُ" عند ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

5- زيادة من ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

6- نوع من الثياب ينسب إلى سقلاطون من بلاد الروم. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

7- زيادة من ابن عذاري- المصدر نفسه- ص295.

8- أورد المقري مجموعة من النصوص عن المنصور نقلا عن ابن حيان حيث قال عند إيراد الأول منها: "وقال ابن حيان" (المصدر السابق- ج1 ص393)، وفي الثاني: "ثم ذكر المؤرخ" (المصدر نفسه- ج1 ص394)، وفي الثالث: "ثم حكى هذا المؤرخ غزوة المنصور

التاسعة والأربعون: غزوة الجَزيرة[1]: وفيها تبرّأ إليه المؤيد عن الأمر والنهي، وألقى إليه الدولة بأسرها ولبنيه من بعده، وأشهد له بذلك.

الموفية خمسون: غزوة بلرياش[2]: قتل فيها وسبى، وخرّب القرى والحصون[3].

الحادية والخمسون: غزوة بَنْبَلونة[4]: فتحها وخرّبها وسباها، ورجع إلى قرطبة[5].

الثانية والخمسون: غزوة جَرْبيرَة[6]: لما[7] اشتدّ الأمر ذلك اليوم[8]، برز المنصور على فرسه بأهل موكبه إلى تلٍّ يقرب من موضع المُجاولة، ويُشرف على مكان الملحمة، قائمًا يمدُّ أهل النواحي بمن حوله، إلى أن اضطربت الميمنة فانكسرت، وعَظُمت الحيرة واستفحلت إلى أن انفضّ النّاس عنه، ولم ينظروا أمره، وارْتأى كلّ واحد منهم برأيه، واستعدّ للإجْفال وراءه حتى جعل كاتب المنصور عبد الملك بن

لمدينة شانت ياقب..."، بينما أورد ابن عذاري النص دون الإشارة إلى مصدره. المصدر السابق- ج1 ص396-399/المصدر السابق- ج2-ص294-297.

1- بدأت الغزوة في 9 شعبان سنة 388هـ/8 أوت 998م، وخرج المنصور إلى الجزيرة الخضراء من أجل توجيه غزوة إلى العدوة المغربية بقيادة فتاه واضح لمحاربة زيري بن عطية، ولمزيد من التفاصيل عنها ينظر علاقة المنصور مع البربر في هذا الكتاب. Molina- op.cit- p. 262

2- بليارش (Pallars): ويرى لويس مولينا أنها موضع بالأندلس بنواحي نبارة، كما يوجد موضع بنفس الاسم بنواحي مُرسية، ويحتوي على معدن الكبريت الأحمر، وذكر الزهري بأن هذا المعدن لا يوجد في معمور الأرض إلا في هذا المكان. الزهري- المصدر السابق- ص99/Molina- op.cit- p. 262.

3- قال الإيلاني متحدثا عن رجوع عبد الملك المظفر من عدوة المغرب بعد إخضاعها لسلطة قرطبة: "... من السنة المذكورة، وهي تسع وثمانون وثلاثمائة:...، وكان أبوه ذلك الوقت غازيا في غزواته الموفية خمسين ببنبلونة، ثم قفل بعد مدة من قفول عبد الملك فتمت عليهم النعمة"، وعليه فالغزة اللاحقة هي الموفية خمسين، وهو ما يطرح التساؤل عن العدد الحقيقي لغزوات المنصور وتواريخ قيامه بها، وعليه فإن عدد الغزوات سيقل عن العدد المذكور في النص المقتبس من تاريخ الأندلس. مفاخر البربر- ص136.

4- Pamplona.

5- وقعت هذه الغزوة تسع وثمانين وثلاثمائة، وهي الموفية خمسون كما يؤكد صالح بن عبد الحليم الإيلاني نقلا عن ابن حيان حيث قال: "وكان أبوه ذلك الوقت غازيًا في غزاته الموفية خمسين ببنبلونة". مفاخر البربر- ص136.

6- جربيرة (Cervera): من مدن قشتالة، وهي مدينة حصينة. ابن الخطيب- المصدر السابق- ص69.

7- "حدث حيان بن خلف بن حسين عن أبيه كاتب المنصور قال: ...". ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص70.

8- كانت هذه الغزاة حسب ما ورد عند ابن الخطيب سنة 390هـ/999م، وكانت من أشدّ الحروب التي خاضها المنصور ابن أبي عامر ضدّ النصارى، ويترجم ابن الفرضي للعالم حسين بن وليد بن نصر المعروف بابن العريف، وقال إنه توفي بطليطلة في غزاة الصايفة وذلك في رجب سنة 390هـ، وذكر مولينا أنها وقعت فيما بين 15 رجب و5 ذو القعدة سنة 390هـ/21 جوان- 7 أكتوبر سنة 1000م. المصدر السابق- تحقيق بروفنسال- ص69/تاريخ علماء الأندلس- ج1 ص114-115/op.cit- p. 262.

إدريس الجَزيري[1] يقول لسعيد بن يوسف المعروف بابن القلينة[2]: "هلُّم إلى التَّوديع يا شَهيد" قطعًا على حلول المَنيّة؛ فكان مأثورًا بعد انقضاء اليوم.

قال خلف بن حسين: فنظر المنصور إلى جُملة من معه فقال لي: "اعْتَرِضْ لي ما بقي من أهل مَوكِبي"، قلتُ: "أُسمِّيهم لك: فلان وفلان"، وعَددتُ قومًا من خاصّته نحو العشرين؛ فرفع يده إلى السّماء وقال: "اللهم إنّهم خَلَّوْني فانْصُرهم، وأفْرَدوني فاصْحَبْهم"، ودعا عبد الملك ولده، وكان قائمًا إلى جنبه يتلفت إلى الحرب؛ فلا يأذنُ له أبوه؛ فاسْتَدْناه وودّعه، وجعلَ يُقبِّل وجهه ونحيبُه عالٍ، وأرسله نحو الميمنة مُوطِّنًا على فَقْدِه، ثم أرسل أخاه عبد الرحمن خلفه في جهة أخرى، وتحوّل عن الفرس إلى العمارية عند اشتداد المحنة فركبها، ولا يكاد يملك أطرافه زمعا[3] ورعشة، وإنما ركبها توطينا لمن حوله عن ثَبَتِ مقامه، وكان إلى جنبه جُملة من جنائِبه؛ فقال لي: "لا تردّ عنها يدًا؛ فإنّهم أولى بها من العدو"، وظلّ قائمًا في جمعه يستغيثُ الله، ويناشده عهده، والحرب تقوى، والأمر يصعب إلى أنْ عَنَّ له مع اشتداد الزلزال رَأيٌ كان من أقوى أسباب الفتح.

وذلك أنّه أمر برفع محلّته عن الوهدة[4] التي أعجله العدو عن الظهور منها، إلى الرُبْوة التي كان قائمًا عليها؛ فصاح بمن حوله في إنفاذ الثقل، وأوعدهم على تأخيره، وأحضر خَدَمَة مضربه، وجعل لهم على السبق به إلى ذلك التلّ جعلاً وافرًا؛ فوافوا به لوقتهم حملاً على الأعناق، واستوى مضروبًا لحينه؛ فلما عاين العدو شخصه سقط في أيديهم، وعلموا أن بالمسلمين قوة ووراءهم مدد؛ فنكصوا عقب ذلك، واستمرّت الهزيمة بهم، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم كيف شاؤوا، ووُجِدت الحِبال بأيدي أكثرهم قد أعدّوها ليَقْرِنوا أسرى المسلمين؛ فأُخِذ جميع ما في محلتهم من الكراع والسلاح والآنية، واتبعت الخيل مُنْهزمتهم فراسخ؛ فأُصيب كثيرٌ من فرسانهم، ونصر الله

1- عبد الملك بن إدريس: هو عبد الملك بن إدريس الجزيري الكاتب، يكنى أبا مروان، ويُعرف بابن الجزيري، وزير من وزراء الدولة العامرية وكاتب من كُتّابها، عالم وأديب وشاعر، ويعدّ من أكابر البلغاء، وله رسائل وأشعار مُدوّنة، توفي سنة 394هـ/1003م. ابن بشكوال- المصدر السابق- ج2 ص4/الحميدي- المصدر السابق- ص261/الضبي- المصدر السابق- ص347-348.

2- سعيد بن يوسف المعروف بابن القلينة: لم نعثر على ترجمته في المصادر والمراجع المستعملة في التحقيق.

3- زمعا: يقال أصابه زَمَع أي رعدةٌ من الخوف أو النشاط. الزمخشري- المصدر السابق- ص275.

4- الوهدة: الأرض المنخفضة أو الهوّة في الأرض. المصدر نفسه- ص920.

المسلمين عليهم نصرًا ما سُمِع بأعظم منه، واستشهد في هذه الوقيعة من صنوف المُدوَّنة وغيرهم أزيد من سبعمائة رجل[1]، وذلك يوم الإثنين لست بقين من شعبان سنة تسعين وثلاثمائة[2].

ولم يخُمّ[3] المنصور عن وجهته؛ فأوغل في أرض قشتيلة[4] فدمّر ولم يُبقِ ولا وذر، ثم خرج إلى سرقسطة[5]، وعقب منها إلى قشتيلة[6] فاقتحمها يوم الفِطر من هذه السنة، ونصل[7] منها إلى بنبلونة[8]؛ فأثر هناك آثارًا عظيمة، ولم يظهر إليه بالبلدين أحدٌ، ثم قفل إلى قرطبة؛ فوصل إلى مائة وتسعة أيّام.

وعَتَب المنصور على كافة جُنده بما ظهر من نكوصهم، وأمر كاتبه على الرسائل عبد الملك بن إدريس بإنشاء كلام انتسخه القواد ليقرؤوه على كافتهم، منه فصل: "وكثيرًا ما فرط من قولكم، أنّكم تجهلون قتال المعاقل والحصون، وتشتاقون مُلاقاة الرجال الفحول؛ فحين جاءكم شانجُة بالأُمنيّة، وقاتَلكم بالشّريطَة[9] أنكرتم ما عرفتم، ونَفَرتم ما ألِفتُم، حتى فررتم فِرار اليعافير[10] من آساد الغِيل[11]، وأجْفَلتُم إجْفال الرئال[12] عن المُقتَنِصين، ولولا رجال منكم رحَضُوا[1] عنكم العار،

1- قال النباهي مُتحدّثا عن الحسن بن عبد الله الجذامي قاضي رَيَّة: "واستشهد في غزوة جربيرة المشهورة في جملة من استشهد من المسلمين، وكانوا نحو ثمانمائة فارس، قتل فيهم رؤساء العسكر...، والكثير من وجوه الناس...". المصدر السابق- ص97.

2- تقابل سنة 999م.

3- يخمّ: يُقال فلان لا يخُمّ ولا يخِمّ أي لا يتغير عن الشيء. الزمخشري- المصدر السابق- ص175.

4- في الأصل: قشتيلية، والصحيح ما أثبتنا. البكري- المصدر السابق- ج2 ص912/الحميري- المصدر السابق- ص483.

5- سرقسطة: هي أم الثغر الأعلى وجوف بلنسية وشرق من قرطبة، ومن عجيب بنيان هذه المدينة أنّها مردومة، وسورها من الكذان الأبيض المنجور الذي يُشبه الرخام، وسُميت بالبيضاء لأن عليها نور مشرق، وهي طيبة االماء والهواء. مجهول- تاريخ الاندلس- صص127-130/العذري- المصدر السابق- ص21 وما بعدها/ابن غالب- المصدر السابق- ص287-288.

6- في الأصل: قشتيلية، والصحيح ما أثبتنا.

7- نصل: يُقال نَصَل من كذا أي خَرج. المنجد في اللغة والأعلام- ص813.

8- بنبلونة: مدينة بالأندلس من مدن شمال الأندلس، وبالتحديد بلاد جليقية، بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرين ميلا، بها كانت مملكة غرسية بن شانْجُة، وهي بين جبال شامخة وشِعاب غامضة قليلة الخيرات. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص725/ البكري- المصدر نفسه- ج2 ص892/الحميري- المصدر نفسه- ص104.

9- بالشَرطيّة عند النباهي- المصدر نفسه- ص98.

10- اليعافير: جمع اليعفور، وهو ظَبْي لونه كلون العفر أي التراب. المنجد في اللغة والأعلام- ص926.

11- الغيل: الأجمة، الشجر الكثيف الملتف أو موضع الأسد أو الوادي فيه ماء. نفسه- ص564.

12- الرئال: جمع الرأل وهو فرخ النعام- نفسه- ص243.

وحرّروا رقابكم من الذلّ لبرئْتُ من جماعتكم، وشملتُ بالمَوْجَدة كافَّتكم، وخرجتُ الإمام والأمة عن عهدتكم، ونصحتُ المسلمين في الاستبدال بكم، ولم أعدم من الله تعالى عاجِل نصرٍ وحُسْن عُقْبى؛ فلا بُدّ أن ينصرَ دينَه بما شاء"[2].

وفي ذلك يقول صاعد[3] يُهَنِّئُ بهذا الفتح، وهي من أفخر شعره: [الكامل]

جَدَّدتُ شُكْري للْهَـوى المُتَجدِّدِ وعَهِدتُ عِنْدكَ منه مـا لـمْ يُعْهَـدِ

اليومَ عاشَ الدِّينُ وابْتَدأ الهَوَى غَضًّـا وعـادَ الملك عَـذْب المَـوْرِدِ

ووقَفْتُ في ثـاني حُنَيْـن وَقْفَـةً فَـرَأيْتُ صُنْـعَ الله يُؤخَـذُ بـاليَـدِ

مَـنْ فـاتَهُ بَـدْرٌ وأَدْرَك عُمْـرَه جَرْبِيرُ فَهُـو مِـنَ الرَّحيـلِ الأَسْعـدِ

فَـوَدِدْتُ لـوْ حَتَّمَ القَضاءُ بِأنَّني في القَـوْم أُوّلُ طـالِـعٍ مُسْتَشْهِـدِ

مـا اسْتُكيـنَ لِرَوعَـةٍ مُحَمَّد وبَـنُـوه أَنْصـارُ النَّـبِيّ مُحَمَّـدِ

عَهْـدي بِـه واللهُ يَنْظُـرُ صَبْرَهُ والمَـوتُ بَيـنَ مصـوبٍ ومُصْعـدِ

غَطّى علَيْه المُشْرِكونَ فَلمْ يَكُـنْ في القَـوْمِ إلا صَخْـرَة في فَدْفَـدِ

حَتَّـى تَحَصَّنَ بِـالمَلائِكَـة الَّتِي حَـفَّـتْـهُ بَيـنَ مَغْـفَـرٍ وَمُـرَدّدِ

حَمَلَتْ مَيـامِنُهُـم عَليكَ نَشيجَة كالسَّيْلِ يُحَطِّم جلمدًا[4] عن جَلْمدِ

ورَأوْكَ فَـأتَـوْا عَلـى أَعْقابِهـم مِثـلَ ارْتِـدادِ تَنَفُّـسِ المُتَنَـهِّـدِ

ورَكِـبْـتَ فُلَّهَـم بِكُـلِّ مُهَنَّـدٍ يُفْضي بِـهِ في الـرَّوْع كُـلَّ مُهَنَّدِ

مـا ناجَزوكَ وفي الجَوانِحِ مَوضِعٌ لِـتَصَبُّـرٍ وَمَكـانَـةٍ لِـتَجَلُّـدِ

1- رحضوا: غسلوا. نفسه- ص334.

2- أورد النباهي نصّ كتاب المنصور بأكثر تفصيل وباختلاف ممّا هو هنا. المصدر السابق- ص98-99/أحمد عزاوي- رسائل ديوانية أندلسية (من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع)- مطابع الرباط- نت- الرباط- ط1- 1434هـ/2013م- ص140.

3- هو صاعد بن الحسن الربعي اللغوي وكنيته أبو العلاء، ورد من المشرق إلى الأندلس أيّام هشام المؤيّد وولاية المنصور ابن أبي عامر، كان عالمًا باللغة والآداب وحسن الشعر، أكرمه المنصور وأحسن إليه، وخرج أبو العلاء من الأندلس في أيّام الفتنة من الاندلس قاصدًا صقلية، وتوفي فيها سنة 417هـ/1026م، لمزيد من التفاصيل ينظر ابن بشكوال- المصدر السابق- ج1 ص210/ابن خلكان- المصدر السبق- ج2 ص402/ الضبي- المصدر السابق- ص295-299/الزركلي- المصدر السابق- ج3 ص186.

4- الجلمد: هو الصخر. المعجم الوسيط- ص131.

طالَ الشَّقــاءُ عَلَيْهِم وتَبَرَّمُـــوا بِـالجَيْشِ في الـذُلِّ المُقيـمِ المُقْعَدِ

فَتَحـالَفُـوا لِمُحَنَّثٍ وَتَجَمَّعُـوا لِمُفَـرَّقٍ وتَـأَلَّفُـــوا لِمُـبَـــدِّدِ[1]

الثالثة والخمسون: غزوة مُنْتِمَيور[2]: أيضًا، قتل فيها عشرة آلاف، وسبى عشرة آلاف.

الرابعة والخمسون: غزوة بَنْبَلونَة[3]: فتحها وقفل بثماينة عشر ألف سبية.

الخامسة والخمسون: غزوة بابش[4]: فتحها وسباها، وخرّبها وانصرف.

السادسة والخمسون: غزوة بطريوش[5]: وفيها مات رحمه الله، خرج إليها من قرطبة وهو مريض يوم الخميس لستّ خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[6]؛ فغنم وسبى وقتل، واشتدّ المرض؛ فرجع إلى قرطبة؛ فمات بالثغر؛ فدُفن بالثغر بمدينة سالم[7] ليلة سبع وعشرين من رمضان المُعظّم من السنة المذكورة، ولُحِدَ في الغُبار الذي كان يعلوهُ في غزواته؛ فإنه كان إذا خرج إلى الغزو تُنْفَض أثوابه عشيّ كلّ يوم على أنطاع من جلد، ويُضَمّ ما يقع فيها من الغُبار؛ فلما مات لُحد به، وكُتِب على قبره:

آثَــارُهُ تُنْبِيكَ عَـنْ أَخْبـارِهِ حَتَّى كَأَنَّـكَ بِالعَيــانِ تَـراهُ

تـالله مـَا يأْتي الزَّمانُ بِمِثْلِه أَبَدًا ولا يَحْمِي الثُّغورَ سِواهُ[8]

1- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص70-73، واختصرها مؤلف تاريخ الأندلس في بضعة سطور حيث قال: "حشد إليه فيها الروم من جميع بلادهم؛ فاجتمع منهم خلق عظيم لا يُحصى؛ فالتقى بهم، وثبت المسلمون لحربهم حتى استشهد منهم نحو سبعمائة رجل، وأيسوا من الحياة؛ فودّع بعضهم بعضًا؛ فمنح الله تعالى المسلمين النصر؛ فانهزم النصارى، وركبهم المسلمون بالسيف عشرة أميال، وسبوا محلّتهم، وأخذوا فيها من الأموال والسلاح ما لا يُحصى". مجهول- تاريخ الأندلس- ص235.

2- Montemayor

3- Pamplona

4- Bab.s

5- B.t.ryus

6- تقابل سنة 1001م.

7- مدينة سالم: من أعمال سرقسطة، وكانت أعظم المدن وأحصنها، وفيها آثار عظيمة، وهي مدينة جليلة في وطاء من الأرض، كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات، ومنها إلى قلعة أيوب خمسون ميلا شرقا. ابن غالب- المصدر السابق- ص288/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص553.

8- مجهول- تاريخ الأندلس- صص226-236.

[ذكر دهاء المنصور مع الشيخ الجاسوس[1]:] إنّه كان جالسًا في بعض الليالي، وكانت ليلةً شديدة البرد والرّيح والمطر؛ فدعا بأحد الفرسان، وقال له: "انهَضْ [الآن][2] إلى فجّ طَلْيارِشْ وأقِم فيه؛ فأوّل خاطر يخْطُر عليك سُقْهُ إليَّ"، قال: فنهض الفارس، وبقي في الفجّ في البرد والريح والمطر واقفًا على فرسه، إذْ وقف عليه قُربَ الفجر شيخٌ هرِمٌ على حمار له، ومعه آلة الحطب؛ فقال له الفارس: "إلى أين تذهب يا شيخ؟"[3]؛ فقال: "وراء حَطب"؛ فقال الفارس في نفسه: "هذا شيخٌ مسكينٌ نهض إلى الجبل يسوقُ حطبًا؛ فما عسى أنْ يريد المنصور منه؟"، قال: فتركته؛ فسار عنّي قليلا، ثم فكّرتُ في قول المنصور، وخفتُ سطوته؛ فنهضت إلى الشيخ، وقلتُ له: "ارجعْ إلى مولانا المنصور"؛ فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي؛ فقال له الفارس: "لا أفعل"، ثمّ قدم به على المنصور، ومثّله بين يديه وهو جالسٌ لم يَنَم ليلته تلك؛ فقال المنصور للصقالبة: "فتِّشوه"؛ ففُتِّش؛ فلم يُوجد عنده شيء[4]؛ فقال: "فَتِّشوا بَرذَعة حماره"؛ فوجدوا داخلها كتابًا من نصارى كانوا قد نزعوا إلى المنصور يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليُقْبِلوا، ويَضْربوا في إحدى النواحي المعلومة؛ فلمّا انْبَلَج الصبح أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزّاهرة؛ فضُربت أعناقُهم، وضُرِبت رَقَبَة الشيخ معهم[5].

[ذكر عزم المنصور بن أبي عامر[6]:] وُجِدَ بالمنصور عزمٌ أَزْعَجهُ الغزو بعض البروج المهمّة؛ فأبرز أموالاً عظيمةً، وتقدّم إلى الناس في البُكور للزاهِرة؛ فاسْتَبَقوا، وقد طَرَقه في ليلته وجَعٌ حَماهُ عن الغَمْض؛ فلم يمنعه من إنفاذ عزيمته، وقعدَ للنظر في شأنه بأعلى مُنْيَتِه المُسَمّاة باللؤْلؤَة، وقد صحَّ على الكيّ عَزْمَه، وكان أقرب أبواب الراحة منه؛ فأقبل بِوجْهه على من تحته يَفْري الفَرِيَّ في شأنهم، وقد ناول الطبيب في خلال ذلك رِجْلَيْه؛ فحمل عليها عدّة كَيّات، ثمّ أمال شِقَّه نحوه، وأمكنه من

1- بدأ ابن عذاري نصه قائلا: "ومن دهائه، قال ابن حيان: ..."، وبدأ المقري النص بـ"قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج2 ص290/ المصدر السابق- ج1 ص393.

2- كلمة "الآن" ساقطة من البيان المغرب.

3- إلى أين تريد يا شيخ" عند المقري- المصدر السابق- ج1 ص394.

4- "ففَتَّشوهُ؛ فلم يجدوا معه شيئا" عند المقري- المصدر السابق- ج1 ص394.

5- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص290-291/المقري- المصدر السابق- ج1 ص393-394.

6- بدأ ابن عذاري نصّه هذا بـ"قال حيان بن خلف". المصدر السابق- ج2 ص300.

يَديْه معًا واحدة بعد أخرى، وما زَوى وَجْهَه، ولا فَقَدَ نصحًا له كلامُه، بل كان يتناولُ أوامِرَه من وَعْدِه ووَعيدِه بأنفذِ من الإِشْفَى، ويحملهم من وروده على الأَوْفَى فالأَوْفَى، وإنَّ نَتْنَ لحمه المكْوِيِّ لَيَنْبَثُّ فيهم آخِذًا بِخَواشِيمِهِم وهم لا يعلمون[1].

[ذكر خبر تنبؤ ابن أبي عامر بهدم الزاهرة][2]: كُنّا معه يومًا بالزورق، وهو مَركَب النُّزْهة في النّهر بين يدي قصر الزّاهرة في نَفَر من خاصَّته، منهم أبو عمر أحمد بن محمد بن حُدير، ومحمد بن أبي عامر يصعدُ ببصَره، ويُصوِّب في قصوره بالزّاهرة، ومصانعه المُطلَّة ومَبانيه المُشْرفة، وقد قيّدت الألحاظُ حُسنًا وبهجة؛ فقال محمد: "واهاً لك يا زاهرةَ الحُسن، لقد جَمُل مرآكِ، وراقَ مَنْظرك؛ فليت شعري من المُدَبِّر المَشْؤوم الذي يَهْدِمك؟"، قال: "فاسْتَعْظمنا ما كان منه، وحَسِبْنا أنّ النَّبيذَ أعْمَل فيه، وأفْرطَ أبو عمر في اسْتِنكار ما جاء به حتى تحدّاهُ بالقول، وقال له: "كأنك لم تسمع بهذا يا أبا عمر، وهو عندك وعند سلفك عن صاحبكم الحَكَم كالحَتم المُنْتَظر، ولكن تتجاهل، سيظهرُ علينا عدوّنا فيَهدِمها، ويُلقي حِجارتها في هذا النهر"؛ فأخذنا في التعليل لهذه الآثار.

وكان المنصور يعلمُ الّذي يزول أمْرَهم على يديه وصِفَته بما اطّلَعه من تلك الآثار، وجلب أحاديث[3].

[ذكر مجلس المنصور ابن أبي عامر مع وزيره عيسى بن سعيد القطاع[4]:] اختلف عيسى[5] إلى الديوان، وصَحِب محمد بن أبي عامر وقتَ حركته في دولة الحَكَم؛ فبلغ به المنازل الجليلة، وكان مشهورًا عنده بيُمْن النَّقيبَة.

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص300-301.

2- ذكر ابن الخطيب في بداية اقتباس نص ابن حيان: "فحدّث أبو مروان ابن حيان عن أبيه عن أحمد بن سعيد بن حزم وزير ابن أبي عامر الأخصّ به قال: ...". أعمال الأعلام- ق2 ص80، وأحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو عمر الوزير هو والد الفقيه أبي محمد وزير الدولة العامرية، من أهل العلم والأدب والخير، كان بليغا، وتوفي سنة 402هـ/1011م، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن بشكوال- الصلة- م1 ج1 ص24/الحميدي- المصدر السابق- ص128-129/الضبي- المصدر السابق- ص169-170/ابن الخطيب- المصدر السابق- ق2 ص80/الزركلي- االمصدر السابق- ج1 ص130.

3- ختم ابن الخطيب نقله عن ابن حيان بقوله: "اختصرناه". المصدر السابق- ص80.

4- "قال ابن حيان" في بداية النص عند ابن الأبار القضاعي- اعتاب الكتاب- ص197.

5- قال عنه ابن بسام: "كان عيسى بن سعيد المعروف بابن القطّاع قيّم دولة ابن أبي عامر وحامل لوائها، والمُستَقِلُّ بأعبائها، ومالك زمام إعادتها وإبدائها...". المصدر السابق- م1 ص75-76.

وحُكي أنّ ابن أبي عامر كان في مجالس أنسه بما يعملُه من كيده، ويُبرمُه من رأيه أكلف به ممّا يُدار عليه من طيب العُقار، ويُعلّل به من سحر الأوتار، ولقد أكثر في ذلك ليلة على كاتبه الأخصّ عيسى بن سعيد[1]، وكان أول كاتب كتب له قبل ملكه؛ فكان ينبسط عليه بسالف حُرمته وقديم صُحبته؛ فلمّا باعدَ بينه وبين شهوته، وقطع به مدّة الليلة عن لذّته قال: "اللهم غُفرًا، إمّا شرابٌ ولذّةٌ، وإمّا خِدمةٌ ومَشقّةٌ؛ فإذا قد عزمتَ على صلة النهار بالليل؛ فأسْكِتِ المُسْمِعَةَ ولتحضر الخريطة"، ثم أمُر بما شِئت نقم به على الحقيقة؛ فخَلطُ الجدّ بالهزل مَفسَدةٌ؛ وإنّما نستجم بهذه الساعة الضيّقة لقطع الأوقات الطويلة؛ فضحِك المنصور وقال: أضْجَرْنا عيسى، وليس منّا في شيء، ومن عَدل بالأمر والنهي لذّة فقد انْتفَى من الذكورة، ثم توفر بقية الوقت على المنادمة[2].

[ذكر الشنآن بين القاضي ابن السليم والمنصور ابن أبي عامر[3]:] لم يزل ابن السليم[4] على القضاء بقية أيام الحَكَم؛ فلمّا وليَ ابنه هشام أبقاه، إلّا أنْ كان ما بينه وبين قيّم دولته ابن أبي عامر من شنآن، يُقال إنّ سببه كلمات بدرت من ابن السليم في حين خلافة هشام، إذ كان صغيرا ابن إحدى عشرة سنة، منها أن سرير الملك الحَكَم لمّا قُدِّم للصلاة عليه، قالوا لجعفر بن عثمان خاصّته: "منْ يُصلّي على أمير المؤمنين؟"؛ فقال: "ومن إلّا أمير المؤمنين وليّ عهده؟"؛ فتقدّم هشام فصلّى؛ فسمع بعض أكابر الخَدم القاضي يهمسُ ويقول: "وما تُغني صلاة أمير المؤمنين عنه ونحو هذا"، ثم برز القاضي عن الصفّ؛ فصار مُتقَدِّما للنّاس خلفَ هشام، مُؤذنًا لهم بتكبيره؛ فيُقال: إنّه نَوى التقديم للصلاة عليه.

ورُوِيَ عنه أنّه قال: "لولا أنّي نَويتُ عقد الصلاة بمقامي هذا لدُفِن بغير صلاة، وليست بأشدّ عُقوباته لتقديمه على الأمّة صبيًا لم يُدرك الحُلم"؛ فنميت هذه الكلمات إلى ابن أبي عامر فمَقته.

1- هو عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بالقطاع، كان وزيرًا للمنصور محمد بن أبي عامر، ثم لابنه عبد الملك المُظَفّر، وقد بلغ في عهد هذا الأخير سلطانًا عظيمًا. ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج2 ص5.

2- ابن الأبار القضاعي- اعتاب الكتاب- ص197.

3- "قال ابن حيان" في بداية النص. القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص178.

4- ابن السليم: هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن السليم، قاضي الجماعة بقرطبة، كان من العدول والفقهاء المشهورين، كريم النفس، توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة. النباهي- المصدر السابق- ص90-91/الحميدي- المصدر السابق- ص50/الضبي- المصدر السابق- ص58-59.

وكان صادعًا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فثقل مكانه عليه، ولم يزل ابن أبي عامر يسعى في توهين أمره، ويتعرّض بأحكامه، وينقض قضاياه؛ وفطن هو لذلك فخفّف وطأته، ودارى سُلطانه شهورًا، إلى أن وقع في العلّة التي توفي منها؛ فمات رحمه الله، وذلك يوم الإثنين لخمس أو ستّ بقين من جُمادى الأولى [سنة سبع وستين وثلاثمائة][1].

[ذكر أخبار المنصور بن أبي عامر مع البربر[2]:] خرج محمد بن أبي عامر من حضرة قرطبة بعساكره إلى الجزيرة الخضراء في آخر صفر من سنة ثمان وستين وثلاثمائة[3]، وهي الثامنة من غزواته، وضبط مجاز الأندلس على مَنْ عبر نحوها من أعداء الدولة، ومُقارعة من نَجم بأرض المغرب من ملوك بني عبيد الله الشيعة، والتمييز بين من تمسك بإحدى الدعوتين من فرق البرابر البادية والحاضرة.

وكان عمل العلويين الأدارسة، المعروفين ببني محمد[4] برزًا بين آل هاشم[5] وأمية[6] مُذْ تَغلَّبوا عليه على عهد الرّشيد، وبعد خروج المغرب عن أيدي العبّاسية إلى أنْ اقْتُحِم عليهم من آل عُبَيد

1- القاضي عياض- المصدر السابق- م2 ص178-179.

2- قال الإيلاني المصمودي في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". مفاخر البربر- ص105.

3- تقابل سنة 978م.

4- بنو محمد: هم بنو محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر، وقد حكموا المغرب الأقصى بعد وفاة جدّهم إلى أن تمكن المنصور بن أبي عامر من القضاء على آخر حُكّامهم الحسن بن قنون سنة 375هـ/985م. ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 ص211/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1973م- ص 94-95.

5- آل هاشم: بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو عبد مناف، واسم هاشم عمرو، وسُمي هاشما لهشمة الثريد لقومه في شدّة المحل، وذلك أنه كانت إليه الرفادة والسقاية بمكة، وانتهت إليه السيادة في قريش. أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- جمهرة النسب- تحقيق ناجي حسن- عالم الكتب- بيروت- 1425هـ/2004م- ص26-27/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية- بيروت- ط3- 1424هـ/2003م- ص14-15/ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1 1405هـ/1984م- ص435.

6- أمية: هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف... بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ابن السائب الكلبي- المصدر السابق- ص38-39/ابن حزم القرطبي- المصدر السابق- ص74 وما بعدها/عمر رضا كحالة- معجم قبائل العرب- دار العلم للملايين- بيروت- 1968- ج1 ص42-44.

الله الشّيعي[1]، وإلى عهد آخر الأدارسة حَسَن بن قنون[2] المُنازع لأمير المؤمنين الحَكَم رحمه الله في وقته...[3].

وهلكَ الحَكَم وجُلُّ المغرب على هذه الصورة؛ فحَدَث من اظْطراب أمر المملكة ما قدَّمْناه إلى أن قام محمد بن أبي عامر بالتدبير فاعْتَدَلت، واحتاج إلى حضور جعفر بن علي الأندلسي[4]؛ فصار جعفر يلتوي عليه، ويَكْرهُ العودة إلى الأندلس لما لقي بها إلى أن اتفق لجعفر خِلاف أخيه يحيى، واقتطاعه مدينة البصرة[5]؛ وما وراءها لنفسه، وذهابه بأكثر الرجال عنه، وكان من الجهل والتهوّر بمكانة، وجعفر في حاجة إلى ما يعينه على القطيعة.

1- عبيد الله الشيعي: هو المهدي بالله أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وهو عبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق عند ابن خلدون، وقيل في نسبه غير هذا، أول خلفاء العبيديين في إفريقية، المتوفى سنة 322هـ/934م، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر الداعي إدريس عماد الدين- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- تحقيق محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 2006م- ص143 وما بعدها/أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم- تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس- دار الصحوة للنشر- القاهرة- صص35-52/ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 ص158 وما بعدها/ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- م1 صص1071- 1078.

2- الحسن بن قنون: هو الحسن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، خلف أخاه أبي العيش أحمد بن القاسم، ودخل في طاعة الناصر ثم ابنه الحكم، وهو آخر ملوك الأدارسة بالمغرب. لسان الدين ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام- تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1964م- ص219 وما بعدها.

3- أورد المؤلف نصًّا طويلا يتضمّن أخبارًا عن علاقة الأندلس وبلاد المغرب على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، وهي خارج الإطار الزمني لكتاب أخبار الدولة العامرية الذي نحن بصدده جَمعِه ودراستِه وتحقيقِه. الإيلاني المصمودي- المصدر السابق- صص105- 116.

4- جعفر بن علي الأندلسي: هو جعفر بن علي بن حَمْدون الجُذامي بن الأندلسي، وكانت له ولأبيه وأخيه يحيى رئاسة معروفة ونباهة في أيّام العُبَيدية، وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن منّاد الصنهاجي، ولحق به أخوه؛ فأقاما مُكَرَّمين عند الحَكَم إلى أن سُعِي بهما إليه؛ فسجنهما ثم عفا عنهما، وحَظِي جعفر عند المنصور، وخُصَّ به، ثم قتله بعد التخلُّص من غالب الناصري، للمزيد عنه ينظر ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج1 ص305- 306/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 صص278- 281.

5- البصرة: تقع على بعد سبعة فراسخ من القصر الكبير، وشيدت على نهر اللوكس في سهل واقع بين جبلين، كانت مدينة كبيرة عامرة وخربت، للمزيد عنها ينظر المقدسي المعروف بالبشاري- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1408هـ/1987م- ص190/مارمول كربخال- إفريقيا- ترجمة محمد حجي وآخرين- دار النشر المعرفة- الرباط- 1409هـ/1989م- ص196-197.

واتّفق على جعفر نكبته أيضًا مع برغواطة، وذلك أنه ثاب له في غزوهم رأيًا قدّر فيه الغنيمة الباردة؛ فحَدثت بينهم حربٌ شديدةٌ قُتل فيها أكثر رجاله، وما نَجا بنفسه إلاّ في شِرْذمة قليلة على حال غليظة حَسَّنت عنده الجواز إلى الأندلس، والإنضمام إلى محمد بن أبي عامر؛ فتخلّى لأخيه يحيى عن العمل، وعَبَر إلى الأندلس في سنة سبع وستين وثلاثمائة[1]؛ فاتَّصلَ بمحمد وجَذَب إليه البرابر، ودبّر له تلك الخُطوب على ما تقدّم.

واقتصر محمد لأول قِيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها بجُند السّلطان الأندلسي، وقلّدها كبار رجاله من أصحاب السيوف والأقلام على حسب الحاجة إلى تغيير طبقاتهم، وعوّل في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة، وقَعَّدَهم بالجوائز والخلع، وأكرم وفودهم ببابه، وأثبتَ من رَغب منهم الإثبات في ديوانه؛ فأحبّوا محمدًا، وجَدُّوا في المُحاماة عن الدولة برُوَيْحَة.

واتَّفقَ لهم أيّام تَقلُّده الحِجابة وتَفَرُّدِه بتدبير الدولة، وذلك في شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة[2] أن زحف خَزْرون بن فلفول[3]، أحد عُظماء زناتة، ملوك بني خزر[4] المُرْتَسِمين بولاية بني مَرْوان بالمغرب إلى مدينة سِجِلْماسَة[5]، وكانت قد عادت إلى أيدي الخوارج [الصفرية][6] بعد فتح

1- تقابل سنة 977م.

2 - تقابل سنة 979م.

3- خزرون بن فلفول: من ملوك مغراوة، وقد زحف إلى سجلماسة سنة 367هـ/977م؛ فبرز إليه أبو محمد المعتز بالله حاكمها؛ فهزمه خزرون وقتله، واستولى على بلده وذخيرته، وبعث برأسه إلى قرطبة. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2086/ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 ص230-231.

4- بنو خزر: هو بنو خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار، وهو أمير مغراوة إحدى بطون زناتة، أبو زكرياء يحيى بن خلدون- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات- تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات- عالم المعرفة- الجزائر- ج1 ص194/ابن خلدون عبد الرحمن- المصدر نفسه- ج2 ص2077.

5- سجلماسة: مدينة على نهر يقال له زيز، وليس بها عين ولا بئر، بينها وبين البحر عدة مراحل، وأهلها أخلاط والغالبون بربر وأكثرهم صنهاجة، عليها سور من طين، وسطها حصن يسمى المُعسكر فيه الجامع ودار الإمارة. أحمد بن أبي يعقوب إسحاق الشهير باليعقوبي- البلدان- وضع حواشيه محمد آمين ضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1422هـ/ 2002م- ص198/المقدسي- المصدر السابق- ص190-191.

6- في الأصل: الإباضية، والصحيح ما أثبتنا.

جوهر[1] لها، وأسره لمحمد بن الفتح[2] صاحبها الخارجي، وقام رجلٌ منهم وتسمّى المُعْتَزّ بالله[3]، وذلك في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[4]؛ فلم يزل مالكها إلى أن ظهر عليه خزرون بن فلفول؛ وهزم جموعه وقتله، واستولى على سجلماسة وضبطها، وذلك سنة سبع وستين وثلاثمائة[5]، ووجدَ للمُعْتز مالا عظيمًا وسلاحا كثيرًا.

وأقام الدعوة للخليفة المُؤَيَّد بالله هشام بن الحَكَم، وهي أول دعوة قامت للمروانية بذلك الصّقع، وكتبَ بالفتح إلى هشام، وأنفذ رأس المُعتزّ فشُهِّر بقرطبة، ونُصب بباب السُدَّة[6]، وكان أول رأس رُفع في الدولة، ونُسب الأثر فيه إلى محمد بن أبي عامر، وتيّمن لحجابته، وعقد لخزرون على سجلماسة؛ فلم تزل بيده إلى أن هلك، وصارت في يد وانودين بن خزرون[7] إلى انقضاء الدولة.

1- جوهر: هو جوهر بن عبد الله القائد أبو الحسن الصقلي الرومي الكاتب مولى المعز لدين الله، فاتح مصر وباني مدينة القاهرة، توفي سنة 381ه/992م، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر الداعي عماد الدين إدريس- المصدر السابق- ص604 وما بعدها/أبو عبد الله ابن حماد- المصدر السابق- ص84 وما بعدها/تقي الدين المقريزي- كتاب المقفى الكبير- اختيار وتحقيق محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1407ه/1987م- صص327-353.

2- محمد بن الفتح: هو محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله، قطع دعوة الشيعة ودعا إلى نفسه، وتسمى بأمير المؤمنين، وكانت وفاته سجينا في رقادة سنة 354ه/965م. ابن الخطيب- المغرب العربي في العصر الوسيط- ص148-149/ابن خلدون- المصدر السابق- ج1 ص1853.

3- المعتز بالله: هو أبو محمد المعتز بالله ابن محمد بن الفتح بن ميمون، ثار على أخيه سنة 152ه/769م فقتله، وقام بالأمر مكانه، وتلقب بالمعتز بالله، وفي سنة 167ه/783م زحف إليه خزرون وقتله، وبموته انقرض أمر بني مدرار. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص1854.

4- تقابل سنة 963م.

5- تقابل سنة 977م.

6- باب السُدّة: يقول ابن عذاري: بويع علي بن حمود بباب السدّة من قصر قرطبة"، ويقول لسان الدين بن الخطيب: "باب السدّة بقرطبة". ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص122/ابن الخطيب- المصدر السابق- ق2 ص119.

7- وانودين بن خزرون بن فلفول: ملك سجلماسة منذ أول سنة 390ه/1000م، وأقام الدعوة فيها للمروانية، وبعد زوال الخلافة الأموية استبدّ بها، وتغلّب على عمل درعة وأضافه إليه، ثم استولى على صفروي وعلى جميع قصور ملوية، وحاول المعز بن زيري انتزاعها منه ولكنه هزم سنة 407ه/1016م. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2086-2087.

وزحف إثر هذا الفتح بلقين بن زيري[1] صاحب إفريقية إلى المغرب زَحفته المشهورة في أول سنة تسع وستين وثلاثمائة؛ فأَجْفلَ قدّامه ملوك زناتة، وأرزوا بقياطينهم[2] إلى حائط[3] بسبتة، وفيهم يدّو بن يعلى وابْنَيْ عطية وغيرهم من ملوك بني خَزر، ويحيى بن علي صاحب البصرة، وكلّ مَذْكور من زناتة وهم في جُموع عظيمة، وقد رَهبوا بلقين أشدّ رَهْبة مع علمهم أنّه في ستة آلاف فارس لا زيادة.

وأَسْنَد القوم لمحمد بن أبي عامر؛ فخرج بعساكره إلى الجزيرة الخضراء على ما قدّمناه عند استفتاح الخبر، وخرجَ معه جعفر بن علي ورجال الدولة، وحَمَل معه مائة حَمْل من المال مَعْدودة، ومن العدّة ما لا يُحْصَى كَثرة؛ فأقامَ بالجزيرة، وجوّز جعفر بن علي إلى سبتة في أتَمِّ قُوّة وأَظْهَر عدَّة؛ فانْضَمَّت إليه ملوك زناتة، وضربوا مَصافاًّ للقِتال بِظَهْر سبتة، وعملوا على المُواقَعَة.

وجاء بُلُقين في بعض الأيّام في جَريدَة[4] من خَيْله حتى أَشْرفَ على مُعَسْكَرهم من أعلى جبل النّور[5] المُطلّ على سبتة؛ فعاين من مُعْظَم عسكرهم، واتِّصال مَدَد الأندلس، وانْبِيضاض بَحْرِهم بانْتِظام الشُّروع من تِلْقائهم ما هاله؛ فأسَرَّ ذلك في نفسه، وقال لمن حضر: "إنّما سبتة حَيَّة ولَّتْ ذَنَبَها هَوانا، وفَغَرَتْ فاها نَحْوَنا"، وانْصَرفَ إلى مُعَسْكَره؛ فكان مَوْقِفُه ذلك أقْصَى أَثَره.

1- بلقين بن زيري: بن مناد التلكاتي الصنهاجي، يكنى أبا الفتوح، استخلفه المعز على إفريقية والمغرب سنة 362هـ/972م، بنى مليانة والجزائر والمدية، وغزا بلاد المغرب الأقصى؛ فهزم زناتة، واستولى على سجلماسة، وكانت وفاته سنة 372هـ/982م. ابن عذاري- المصدر نفسه- ج1 ص228-232/ابن الخطيب- المصدر السابق- صص63-67/ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص1866-1867.

2- القياطين: مفردها قيطانة، وهي حبال تفتل من خيوط الحرير ونحوه (عامية) أو لعلها الخيام. المنجد في اللغة- ص666.

3- الحائط: هو الجدار أو البستان. المرجع نفسه- ص162.

4- الجريدة: يُقال: الجريدة من الخيل هي التي جُرِّدت من مُعظم الخيل لوجه، وقيل الخالية من الرجّالة والسُقّاط. الزمخشري- المصدر السابق- ص88.

5- جبل النور: هو جبل مُشرفٌ على مدينة سبتة استعمله بُلُقين بن زيري لمراقبة جند المنصور بن أبي عامر، بينما يذكر مؤرخون آخرون أن بلقين أطلّ على الجند من جبل تيطاون. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1867/أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا- تحقيق وتعليق ولدي المؤلف: جعفر الناصري وأحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1373هـ/1954م- ج1 ص207.

وجَمَع رجاله للمَشورَة؛ فقال كلّ من عنده، واتَّبَع أكثرهم، وسَكَت عبد الكريم[1] صاحب فاس، وكان قد انْضَمَّ إليه حين مَرَّ به؛ فأمره بالكلام فقال: "أرى أنْ تَنْصرف عن القوم؛ فقد أَقْمْتَهم بين البَحْر والسّيف ولا مَهْرَب منها؛ فسَيُقاتِل كلّ منهم قِتالا مُسْتَميتًا، وخَلْفَك من قبائلهم وعشائرهم منْ قدْ طَوَيْت الدِّيَّار دونه؛ فإنْ انْكَسَرْت أَطْبَقوا عليك فعَسُرَ تَخَلُّصك، وإنْ ظَهَرْتَ فبَعد صبر يذهب فيه من يعزُّ فَقْدُه منْ رجالك ولا يسدّ مَوضِعه"؛ فأَطْرَق طويلا، ودعا بالسّيف فضَربَ عُنق عبد الكريم، وقال: "خَشَيْتُ أن يَشيعَ رَأْيه في زناتة فَتأْخُذ به، وكَرِهتُ مع ذلك حياة مِثله".

ورَحل بُلُقين؛ ففرج عن زناتة، وعادوا إلى أوطانهم، وكَفَّ بُلُقين بَعدُ عن غزوهم، وانْفَتح له في غزو بَرغواطة[2] بابًا شغله عنهم إلى أن هلكَ في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[3]؛ فاستراحت زناتة منه.

وأجازَ جعفر راجِعًا إلى ابن أبي عامر بالجزيرة، واستعمل ابن أبي عامر مُخَلَّد بن محمد بن زكرياء التميمي[4] المعروف بابن برطال على سبتة، وقَفل ابن أبي عامر عن الجزيرة؛ فهلك عند ذلك الوزير عبد الرّحمن بن الرماحس[5] صاحب بَجّانة[6]، وكان من كِبار رجال الدولة؛ فاتُّهِمَ ابن أبي عامر به.

1- عبد الكريم: هو عبد الكريم بن ثعلبة الجذامي، عيّنه القائد غالب مولى الحكم على عدوة الأندلسيين بفاس سنة 363هـ/973م، وأثناء حملة بلقين بن زيري انضمّ إليه فقتله سنة 369هـ/979م. الإيلاني المصمودي- مفاخر البربر- ص119/ الناصري- المرجع السابق- ج1 ص207.

2- برغواطة: قال بعض المؤرخين ليس قبيل برغواطة لأب، ولا يرجعون إلى أصل، وإنما هم أخلاط من قبائل شتى من زناتة اجتمعوا إلى صالح بن طريف القائم بتامسنا، وقد زَعم نِحْلة لنفسه. ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 صص223-225/ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي- ص180.

3- تقابل سنة 983م.

4- مخلد بن محمد بن زكرياء التميمي: يعرف بابن برطال، وهو من أقارب المنصور بن أبي عامر، أستعمله على مدينة سبتة خلفا لجعفر بن علي عقب حملة بُلُقين على المغرب. مفاخر البربر- ص119/عبد العزيز فيلالي- المرجع السابق- ص230.

5- عبد الرحمن بن الرماحس: كان قائد الأسطول البحري الأموي، أرسله الحكم إلى سبتة للمشاركة في الحملة الموجهة ضد الحسن بن قنون سنة 361هـ/971م. ابن عذاري- المصدر نفسه- ج2 ص245/أحمد العبادي- المرجع نفسه- ص215.

6- بجانة: كانت المدينة المشهورة قبل المرية، انتقل أهلها إلى المرية فخربت ولم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها، ومسجد جامعها قائم بذاته، وحول بجانة جنات وبساتين، بينها وبين المرية خمسة أميال أو ستة، وبينها وبين غرناطة مائة ميل. ياقوت- المصدر السابق- ج1 ص339/الحميري- المصدر السابق- ص79-80.

وذلك أنه استدعاه وقت مقامه بالجزيرة ليُناظره في تجديد الأسطول من ناحيتة؛ فجاءه في البحر، وقدّر معه ما يحتاج إليه، ثم أمره بالرجوع إلى عمله؛ فلمّا دخل ليُوَدِّعه قال: "ما أظنُّكَ اليوم طعمتَ شيئًا، هاتوا للوزير ما حَضَر فإنّا لا نَحْتَشِمه"؛ فأُوتِيَ بدجاجة كثيرة السُّكر؛ فطعم عبد الرحمن شاكرًا الخُصوصية[1]، وسار من وقته؛ فلمْ يَكَد الطعام يستقرُّ في جَوْفه حتى أنْكرَ نفسه وَقاءَ، وما وصل إلى المرية إلا لما به، وهو يَلْعنُ الدجاجة التي جلبت حتفه؛ فقضى نَحْبَه في جُمادى الأخيرة من هذه السنة.

وأنفذ ابن أبى عامر صاحبه أحمد بن عروس[2] للإحتياط على تركته؛ فحازَ له من ذلك ما لا كفاء له، وكان ابن الرماحس أنَضَّ[3] أهل المملكة بغير خِلاف.

ولم يزل أمر المغرب مُستقيمًا بعد انْصِراف بُلُقين عنه إلى أن نبأ[4] بالبائس ابن قنون مكانه عند نِزار بمصر، ونازعته نفسه العودة إلى وطنه؛ فكلّم يعقوب بن كلس وزير نِزار في ذلك؛ فوافقَ ذلك من ابن كلس وصاحبه رغبة، وأحبّا الرّاحة من حَسَن وأهله، والتخفيف من مَؤونَتِهم، وأمَرَ نِزار ابن كلس فسّرح حَسنًا ومنْ معه، وكتب إلى بُلُقين في إنفاذهم إلى المغرب، وإعانتهم على ما يُحاولونه؛ فأمْضَى بهم بُلُقين لسَبيلهم، وقدّم حَسنًا عليهم، وأمره بتَخْبيب[5] البلاد على بني مَروان، وقوّى أيديه بمال، ووعده بأضعافه عند ظهور الدعوة.

فاقْتَحم حسن ومن جاء معه دِيارَ المغرب؛ فوجدَ الناس على خِلاف العادة، وعمّال صاحب الأندلس لا تُخْرقُ لهم هيبة إلى أن الْتَفَّ له جَمْعٌ أسندَ إلى ظهره، وشَرَع في إظْهار دَعْوته؛ فهلك عند

1- الخصوصية: خصّ فلان بالشيء أي أفرده. المنجد في اللغة والأعلام- ص180.

2- أحمد بن عروس: هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس الموروري الحضرمي، فقيه أندلسي، ولي القضاء ببعض الجهات، ثم صرفه الحَكَم المستنصر إلى الأمانات، إتصل بالمنصور بن أبي عامر فتقلّد المدينة، ونال الوزارة سنة 366ه/976م. ابن الخطيب- المصدر السابق- ق2 ص54/عبد الوهاب بن منصور- أعلام المغرب العربي- المطبعة الملكية- الرباط- 1406ه/1986م- ج2 ص319.

3- أنض: نضنض الرجل أي كثر نضه أي دراهمه ودنانيره. المنجد في اللغة والأعلام- ص 814.

4- نبأ: يقال نبأ القوم أي تباعد عنهم وترك جوارهم. المرجع نفسه- ص784.

5- تخبيب: التخبيب إفساد الرجل عبدًا أو أمة لغيره، يُقال خبّها فأفسدها. الزمخشري- المصدر السابق- ص151.

ذلك بُلُقين، ووَلِيَ ابنهُ المنصور[1]؛ فشُغِل عن حَسن وغيره، ولهي[2] عن مذهب أبيه؛ فانْفَضَّ أكثر من كان قد الْتَفَّ بحَسن؛ فصعدَ إلى الأقلام، ودَعا إلى نفسه؛ فالْتَفَّ أهل الفساد به وأجْفوا إليه.

فأنْفذَ محمد بن أبي عامر ابن عَمّه عَمْرو بن عبد الله عَسْكَلاجة[3] لحرب حسن؛ فأحاط به، وخرج ابن أبي عامر في جُموعه إلى الجزيرة الخضراء كيما يُشارف القصّة على عادته، وذلك في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[4]، وأخذَ في تَجْويز الناس إلى العدوة، وأجاز عبد الله ابنه ومحمد بن أحمد بن جابر[5] معه بالأموال، وصهره الوزير عبد الرّحمن بن محمد التجيبي[6]، وغيره من وجوه القوّاد؛ فلم يكن لحَسَن ظهر ولا وجدَ حيلة يعملها إلا الدُّعاء إلى تأمينه على سالف صَنيعه؛ فأعطاه من ذلك عمرو ما وثق به، وأشْخَصَه إلى الحَضْرة مُوكلا به.

فلم يُمْضِ محمد بن أبي عامر آمان عَمْرو، ورأى أنّه لا ذِمَّة له مع كثرة نَكْثِه وسَعْيه بالفساد؛ فبعث مِنْ ثِقاته منْ أمره باستقباله وقَتْله؛ فلقوه بالقرب من بريد الثنية، وعَدَلوا به عن الطريق؛ فضربوا عُنُقَه، ووارَوْا جَسَدَه، وحَمَلوا رَأْسَه.

وحَدَّث من شَهِد قَتْله أنَّ عاصِفًا من الرّيح هَبَّت في الوقت عليهم الأهاصير[7] والهفوات[1]، واسْتَبْلت ثيابهم عن أجسامهم، واحْتَمَلت رداء حسن فلم يَجِدوه بعد، وأَظْلمَ الأُفُق عليهم حتَّى

1- المنصور: هو المنصور بن بلقين بن زيري، كان واليا بأشير، وتولى أمر صنهاجة سنة 374هـ/984م بعد وفاة أبيه في ذي الحجّة سنة 373هـ/ 983م، وهلك سنة 386هـ/996م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1867-1868/ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 صص239-247.

2- لهي: يلهي لها سَلا عنه وغَفَل، وتَركَ ذكره وأَعْرضَ عنه. المنجد في اللغة والأعلام- ص737.

3- هو ابن عم المنصور بن أبي عامر، وقد أنفذه سنة 375هـ/985م من أجل محاربة الحسن بن قنون، ثم قلّده أمر المغرب وكل أعماله، استدعاه الحاجب العامري إلى الأندلس سنة 376هـ/986م. ابن أبي زرع الفاسي- المصدر السابق- ص 94/ابن خلدون عبد الرحمن- المصدر السابق- ج2 ص2080/الناصري- المرجع السابق- ج1 ص203.

4- تقابل سنة 985م.

5- محمد بن أحمد بن جابر: شارك في الجيش الذي أرسله المنصور بن أبي عامر لمواجهة الحسن بن قنون، وذلك سنة 375هـ/985م، وكُلّف بنقل الأموال. الإيلاني المصمودي- المصدر السابق- ص121.

6- عبد الرحمن بن محمد التجيبي: وزير المنصور بن أبي عامر، وأحد المُشاركين في الحملة الموجّهة ضد الحسن بن قنون، وينفرد بذكره مؤلف مفاخر البربر- ص121.

7- الأهاصير: من هصر الشيء أي أماله عليه، وتهصرّت أغصان الشجرة تدلّت وتهدّلت. الزمخشري- المصدر السابق- ص385/ المعجم الوسيط- ص987.

خافوا على أنفسهم، وموضع مقتل حسن معلوم إلى هذا الوقت، وهذه الحكاية عندهم محفوظة، وكان مقتله في جُمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[2].

وتمزّقت بعده العلوية في البلاد، وعَفا ذِكْرها خفية، وسيّر محمد بن أبي عامر عن الأندلس منهم من خاف جانبه، ولم يقرّ إلا من اعْتَدَلت طريقته، ومسكهم بما يقيم الأزمان من المعيشة إلى أن لَهي عنهم؛ فعاد من شاء منهم إلى الحَضرة، ودخل الديوان منهم قومٌ صاروا في عرض المغاربة، وارتفعت منازلهم في هذه الجهة؛ حتى سَمُوا إلى طلب الملك عند إِطْباق الفِتْنَة على ما يأتي ذكره في مكانه إن شاء الله.

وقال إبراهيم بن إدريس الحَسَني[3] يَهْجو ابن أبي عامر لما سَيَّرَه عن الأندلس فيمن سيّر من أهل بيته، ويُحَرِّض بني مَرْوان عليه: [كامل]

فِيمَـا أَرَى عَـجَبٌ لِمَــنْ يَتَعَجَّبُ ... جَلَّتْ مُصِيبَتُنَـا وَضَــاقَ المَـذْهَبُ

إِنِّـي لَأُكَـذِّبُ مُقلَتِـي فِيمَا أَرَى ... حَتَّى أَقُـولَ غَلِطْتُ فِيمَـا أَحْسَبُ

أَيَكُونُ حَيًّــا مِــنْ أُمَيَّةَ وَاحِــدٌ ... وَيَسُوسُ هَذَا المُلْكَ هـذَا الأَحْدَبُ

تَمْشِي عَسَاكِرُهُمْ حَـوَالِي هَـوْدَجٍ ... أَعْــــوَادُهُ فـيهِــنَّ قِــــرْدٌ أَشْهَبُ

أبَنِي أُمَيَّــةَ أَيْــنَ أَقْمَـارُ الدُّجَى ... مِنْكُـم وَمَــا لِـوُجُوهِــهَا تَتَغَيَّبُ[4]

وأقام عسكلاجة بعد مقتل حسن مُدَيْدة تسبي فيها الهيبة، واستراح إلى الجند بأقوال نُمِيَّتْ[5] عنه حملت ابن أبي عامر إلى اسْتِقْدامه، والبَطْش في الوقت به الذي ذكرناه؛ فلحق بحسن مغدوره سريعًا، وعجب الناس من سرعة الإنتقام منه.

1- الهفوات: يُقال هفت الريح أي تحركت وهبّت. الزمخشري- نفسه- ص486/المعجم الوسيط- ص989.

2- تقابل سنة 985م.

3- إبراهيم بن إدريس الحسني: شاعر وأمير من المغرب، نفاه المنصور بن أبي عامر فيمن نفى من أهل الأسرة الإدريسية الحسنية بعد مقتل كبيرهم الحسن بن قنون في جمادى الأولى سنة 375هـ/985م؛ فسكن في قرطبة، وعاش إلى أيام الفتنة، وكان أديبًا حسن الشعر، خبيث الهجاء. ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص282/عبد الوهاب بن منصور- المرجع السابق- ج 1 ص34.

4- أورد ابن عذاري نفس الأبيات الشعرية دون ذكر قائلها مكتفيا بـ"فقيل في ذلك". المرجع نفسه- ج2 ص281.

5- نميت: يقال نَمَيْتُ الحديث أي بلغته على جهة الإصلاح، ونَمَّيْتُهُ تَنْمِيةً بلّغته على جهة الإفساد. الزمخشري- المصدر السابق- ص656.

وقلّد ابن أبي عامر المغرب للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي[1]، وجَمَع أعماله له، وقوّى يده، وأَكْثَف عدده؛ فنفذ إليه في سنة ست وسبعين وثلاثمائة[2]؛ فضبط البلد ظبطا لم يقدر عليه من قبله؛ وهاب البرابر بأسه وأمره.

ودخل مدينة فاس بعد مديدة، وجعل فيها مقامه؛ فعزّ هناك سلطانه وكثر جمعه، وانضمّ إليه ملوك النواحي حتى خُوِّف ابن أبي عامر منه ومن خِلافه؛ فذهب إلى اخْتِباره؛ فكتب إليه في السرِّ يستدعي حُضورَه لأمر أَسَرَّه إليه؛ فركب البحر، ووافى الحَضْرة في أيّام يَسيرَة، ولم يسمع ابن أبي عامر بخبره إلاّ مُسْتَأذِنا عليه؛ فخجل السّاعون به، وازداد ابن أبي عامر ثقة بمكانه، وصرفه إلى عمله، وقد ضاعف تكرمته.

وهلك المُدّة مُقاتِل بن عَطِية[3]؛ فانْفرد زيري بالرياسة في زناتة، وكثر أتباعه، واسْتَجْرى[4] لمحمد بن أبي عامر وتَصَدَّى لمَسَرَّته؛ فأقبل محمد عليه واخْتصَّه وحَباهُ على يدّو بن يَعلى، وقد خَشي غدره وملّ اضْطِرابه؛ فدعا زيري إلى الدخول عليه يَخْتَبِر طاعته، ويغوي يدّو بمُناغاته في ذلك فيتمكن من قياده؛ فاسْتَجاب زيري لمحمد، ووافى بابَه قبل الثمانين وثلاثمائة[5]؛ فاسْتَقْبله محمد بالجيش والعدّة، وكان يومه مذكورًا مِقْداره، وأنْزله قصر جعفر لعدّته راشه[6]، وتوسّع له في الجِراية، وولّاه خطّة الوزارة، ودعاه إلى قصره؛ فاحتفل في مبرّته، ودفع إليه قيمة هديته، وكانت خيلا كثيرة وسلاحًا، ووصله بمال عظيم، وكِسًى فخمة وألطافًا فاخِرةً، وعَجَّل تَسْريحه إلى بلده بما قَدَّره عنده من عَدُوِّه، وألحق في ديوانه أكثر الرجال الذين جاء بهم.

1- حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي: هو أحد ثقات المنصور محمد بن أبي عامر، ولاه على المغرب سنة 376هـ/986م، وأطلق يده في الأموال، وأمدّه بالعساكر، وأمره بالعمل على استمالة القبائل المغربية والإحسان إليها، ولا سيما قبيلة مغراوة. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2080-2081.

2 - تقابل سنة 986م.

3- قال ابن خلدون: "وهلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين [وثلاثمائة]"/988م. المصدر نفسه- ج2 ص2080.

4- إستجرى: إستجررت لفلان أي إنقدت له. الزمخشري- المصدر السابق- ص56.

5 - تقابل سنة 990م.

6- راشاه: وتعني حاباه وصانعه وظاهره. المعجم الوسيط- ص347.

ولما اسْتَوتْ قدمه بأرض العدوة حَسَّنَ رأسه وتعمّم، وقال: "الآن علمتُ أنّك لي"، وعاد إلى قيطونه، وشاع عنه استقلال عطاء ابن أبي عامر على سعته، وغمض لمعروفه على جزالته، وإزالة لما كساه من اسم الوزارة حتى قال لبعض رجاله: "لو كان بالأندلس رجل لما تركه على حاله، وإن له منّا ليوثًا، والله لقد تاجرني فيما أهديتُ إليه حطًّا للقيم، ثم غالطني بما بذله تثبيتا للكرم إلا أن يحتسب بثمن الوزارة التي حطّني بها عن رتبتي".

وتَنَمَّى ذلك إلى ابن أبي عامر؛ فصرّ عليه أذنه وأقرّه لوقته، وأظهر الإنهتاك في اصطناعه، وتمنى من يدّو بن يعلى الدخول إليه حسب ما فعله زيري فامتنع، وقال لبعض رُسُله: "قل لابن أبي عامر متى عهد حمر الوحش تنقاد للبياطرة؟".

وأخذ يدّو في العَيْث والإفساد، وظاهر زيري عليه الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود إلى أن قصدهما يدّو في جميع لغفه[1]؛ فالتقى الجمعان يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرّم سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة[2] بملوية، وأُهْزِم زيري وحسن بن أحمد بعد أن أُثْخِنا جِراحًا، وجازَ يدّو عَسْكَرهما، وأكثرَ القتل في رجالهما، وجُرِح زيري بن يَعْلى[3] أخو يدّو بن يَعْلى، وهلكَ الوزير حسن بن أحمد من جِراحه، وتَخَرَّم عسكره؛ ووافى الخبر على ابن أبي عامر فاشْتدَّ عنه، وكتب إلى زيري بن عَطِية في ضبط فاس ومُكانَفَة أصحاب حسن، وأقامَه مكانَه.

وقال محمد بن الحسين الطُّبْني يَرْثِي ابن أبي عامر عن حسن بن أحمد المقتول: [البسيط]

لاَ شَكَّ أَنَ سِجَالَ الحَرْبِ مُخْتَلِفٌ ... فِيمَا رَوَى النَّاسُ مُذ كَانُوا وَمُذ عُرِفُوا

هَــوِّنْ عَلَيـكَ فَنَصْــرُ الله يَعْقُبُـهُ ... يَــارَبَّ كَــرِّهْ إِلَى المَحْبُـوبِ يَنْصَــرِفُ

يَــا غُــرَّةَ السَّعْـدِ المَيْمُونِ طَائِــرُهُ ... لاَ تَكْتَرِثْ فَإِلَيـكَ النَّصْــرُ ينْعَطِـفُ

لَو هَلَكَ النَّــاسُ لاَ يُنَغِّصُكَ هَلْكُهُمْ ... فَـأَنْتَ وَحْــدَكَ عَنْهُــمْ كُلُّهُــم خَلَـفُ

لِلَّهِ عْنــدَكَ عَــادَاتُ سَيُكمِلُـهَــا ... فَعــادَةُ اللهِ قَسَــمٌ لَيْـسَ ينْحَــرِفُ

1- لغفه: اللغيف خاصة الرجل وخلصانه، واللغيف الذي مع اللصوص يشرب معهم ويحفظ ثيابهم، ولا يسرق معهم. المعجم الوسيط- ص830.

2- تقابل سنة 991م.

3- زيري بن يعلى: وهو أخو يدو بن يعلى اليفرني، وقد جرح في معركة وادي ملوية، وينفرد بذكره مؤلف مفاخر البربر- ص125.

كَمْ قَدْ[1] رَأَيْنَا الَّذِي لاَ يَرْتَضِي سَبَبًا   إِلَى رضًى بِجَمِيلِ الصُّنْعِ يَأْتَلِفُ[2]

واتَّفق في هذا الوقت أنْ خالفَ أبو البهار بن زيري بن منّاد الصنهاجي[3] ابن أخيه منصور بن بلقين بن زيري صاحب القيروان، واقتطع ناحية من المغرب، وخَلع دعوة العُبيدية، ومالَ إلى الدعوة المروانية، وساعده على ذلك صِهْره خلّوف بن أبي بكر[4]، وكان أكبر قوّاد منصور بن بلقين بالمغرب؛ فاشتملا على أعمال تلمسان ووهران وشلف وغيرها.

وكاتب أبو البهار ابن أبي عامر، وأقام لصاحبه المؤيّد بالله بالدعوة؛ فطمعَ فيه ابن أبي عامر، وأعدّه لزيري بن عطية قبل الحاجة على سبيله في الاستظهار أيّام الصداقة للعداوة؛ فتكرّرت بينه وبين أبي البهار مُراسَلات، وكان السفير بينهما هَدُّوس القَرَوي[5] التاجر، وأنْفذَ إليه ابن أبي عامر الهدايا والأمتعة والأموال الجَزِلة، وإلى خلّوف صِهْره، إلى أن أنفذ أبو البهار ابن أخيه أبا بكر بن حبّوس بن زيري ين مناد[6]، وهو فارس صنهاجة في وقته، في طائفة من أهل بيته؛ فوَافَوْا سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة[7]، واستقبلوا بالجيوش؛ فكان يوم دخولهم مذكورًا.

ووصل أبو بكر إلى ابن أبي عامر في مجلسه المُبارك؛ فقبّل الأرض بين يديه، واسْتَجْدى[8] له؛ فأكرم مثواه، وخَلَع عليه وعلى جميع أصحابه، وأطلق لهم الصلات على منازلهم، وحمل معه إلى

1- قد ساقطة عند رابح بونار- المغرب العربي تاريخه وثقافته- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2- 1981م- ص293.

2- نشر رابح بونار هذه الأبيات في كتابه: المرجع نفسه- ص293.

3- أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي: كان واليا على تاهرت منذ سنة 374هـ/984م، وقد تمرّد على ابن أخيه المنصور بن بلقين، وأقام الدعوة لهشام المؤيد بالله الأموي، واتصل بالمنصور بن أبي عامر الذي طلب منه مُظاهرة زيري بن عطية على يدو بن يعلى، وقسّم عمل المغرب بينهما. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2081/ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص102-103.

4- خلّوف بن أبي بكر: هو صهر أبي البهار صاحب تاهرت، وأكبر قواد الدولة الزيرية الصنهاجية في المغرب الأوسط، انضمّ إلى أبي البهار لكنه سرعان ما انقلب عليه؛ فحاربه زيري بن عطية وقتله سنة 381هـ/991م. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2081.

5- هدوس القروي: كان سفيرًا بين المنصور بن أبي عامر وأبي البهار بن زيري بن مناد، وينفرد بذكره صاحب مفاخر البربر- ص126.

6- أبو بكر حبوس بن زيري بن مناد: هو ابن أخي أبي البهار، وقد أرسله عمّه على رأس وفد هام من أهل بيته ووجوه قومه إلى المنصور بن أبي عامر الذي أحسن استقباله سنة 381هـ/991م، ثم ردّه إلى عمله. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2081.

7 - تقابل سنة 991م.

8- استجدى: أرسله وكيلا عنه، وما أثبتنا معناه: استجدى فلانا: سأله حاجة وطلب جدواه. الزمخشري- المصدر السابق- ص53/ المنجد في اللغة والأعلام- ص89.

عمّه أبي البهار خمسة وعشرين ألف دينار دراهم، وخمسمائة قطعة من صنوف الثياب الخزّ وغيره، وأنفذَ إليه حلية وآنية وألْطافًا قيمتها عشرة آلاف دينار.

واضْطَرب في هذه المدّة حال زيري بن عطية بفاس، مرّة يُخْرِجه عنها يدّو بن يعلى، ومرّة يُخْرِجه هو عنها، والحرب بينهما سِجالٌ إلى أن قوّى ابن أبي عامر أبا البهار، وألّفهما على الدعوة؛ فأخذهما بالترادف والتزايد والتظافر ففَعَلا؛ فلم يفارقهما يدّو وعوّد عنهما؛ فاقْتَسَما مدينة فاس وأعمالها شقّ الأنْمُلَة؛ فكان لأحدهما عُدْوَة وللآخر عُدْوَة.

وأَخَذا في مُغاوَرة يدّو؛ فانْتَقَض عليهما خلّوف بن أبي بكر، وعاد إلى دعوة العُبَيْدية، وجدّد له المنصور بن بلقين الولاية وتَجَرَّد لحربه؛ فلم يساعده عليه أبو البهار للوَصْلَة بينهما، ومرض في مُؤازَرته؛ فكان ذلك أصل الخِلاف بينهما؛ فلقيه زيري في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة؛ فجرت بينهما حربٌ مُرَّةٌ قُتِل فيها خلّوف بن أبي بكر وجماعة من أصحابه، واسْتَولى زيري على عساكره ومَتاعِه، وانْحاشَ أكثر أصحابه إلى أمان زيري، وصاروا في جُمْلَته، وفَرَّ عطية[1] أخو خلوف بن أبي بكر في فُلٍّ من أصحابه؛ فدخل إلى الصحراء.

ووَرَدَ كتاب زيري بالفتح على ابن أبي عامر؛ فأمر بقراءته على المنابر وعَظُمَت به المَسَرَّة، واسْتَعْجل أمر زيري فلقي على إثرها يدّو بن يعلى اليفرني؛ فهَزَمه بعد حروب شديدة، ومَضَى على وجهه لا يَلْوي على شيء، ولاذَ بالصحراء مَنْكوبًا، واسْتَحْوذَ زيري وأصحابه على قيطونه وماله؛ فأخذ من ذلك ما لا كفاء له كثرة؛ وأخذَ أُمَّه وأُخته وكثيرًا من حُرَمِه؛ وقتلَ من رجاله أزيد من ثلاثة آلاف فارس[2]، واستأمن منهم خَلقًا كبيرًا فازْدادَ بهم قوّة، وهابَتْه ملوك المغرب أشدَّ هَيْبة، ووَرَد كتابه بالفتح على ابن أبي عامر؛ فأمرَ بقراءته في الآفاق، وعَظُم سرور ابن أبي عامر بما أدْرَكَه من نَيْله عند الغادر يدّو بن يعلى؛ وأنْفذَ إلى زيري الخلع والصِّلات.

1- هو عطية بن أبي بكر، أخو خلوف بن أبي بكر صاحب تاهرت، وقد شاركه في انقلابه ضد العُبيديين حيث أقتطعا أعمال المغرب الأوسط ما بين الزاب والونشريس ووهران، وخطبوا في سائر منابرهم باسم هشام المؤيد، وبعد انهزام خلوف أمام زيري بن عطية سنة 381هـ/991م فرّ عطية بن أبي بكر شريدًا إلى الصحراء ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2081-2082.

2- يقول ابن خلدون: "نهض زيري ليدو بن يعلى...، واستلحم منهم ثلاثة آلاف، واكتسح معسكره، وسُبِيت حُرَمه التي كانت منهنّ أمّه وأخته، وتحيّز سائر أصحابه إلى زيري". نفسه- ج2 ص2082.

وهلكَ يدّو غِبَّ هذه الوَقْعة، وقام بأمر بني يفرن بعده ابن أخيه حبّوس بن زيري بن يعلى[1]؛ فوثبَ عليه ابن عمه أبو يَداس[2] فقَتلهُ وجاء في الرياسة؛ فاخْتَلفَ عليه بنو يَفْرَن، واضْطَرَّ إلى دخول الأندلس مُسْتأمِنًا فيمن كان معه عند تلك الفَتْكَة؛ فجاءَ بجَمْعٍ عظيمٍ كانوا في الأصل في تكاثر هذه القبيلة بعسكر ابن أبي عامر.

وتَوَلّى أمرَ بني يَفْرَن بعد المَقْتول أخٌ له من ولد زيري بن يعلى فاسْتَقاموا عليه، ولم تَزَل ريَّاسَتهم في ولد زيري إلى قيام الفِتْنة وما بعدها.

ثم ورد الخبر على ابن أبي عامر في شوّال سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[3] بتفاقم الأمر بين القائدين بالمغرب: زيري بن عطية المغراوي وأبي البهار الصنهاجي، وأنّهما اقْتَتلا فانهزم أبو البهار، وأَقْبَل هاربا إلى سبتة مُظهرًا العبور إلى الأندلس؛ فأنْفذَ ابن أبي عامر كاتبه عيسى بن سعيد[4] في طائفة ضخمة من الجُنْد لمُشارَفة حال أبي البهار وإحْكام أمره؛ فلاذَ أبو البِهار عن العُبور إلى الأندلس، وصاعد إلى قَلْعَة جْراوَة[5] مُسْتَمْسِكًا بالدّعوة العُبَيْدية إلى أن صَلح ما بين أبي البهار وقومه؛ فعاد إليهم وخلع الطاعة للمروانية، وخَسِر ابن أبي عامر ما أنفقَ عليه من الأموال الجليلة.

1- حبّوس بن زيري بن يعلى: هو ابن أخي يدو، وقد خلفه على أمر بني يفرن بعد انهزامه أمام زيري بن عطية سنة 381هـ/991م، عند ابن خلدون سنة 383هـ/993م، ولكنه لم يلبث طويلا حتى وثب عليه ابن عمه أبو يداس بن دوناس؛ فقتله طمعًا في الرياسة من بعده. المصدر السابق- ج2 ص2082.

2- أبو يداس: هو أبو يداس بن دوناس الذي قتل حبوس بن زيري بن يعلى طمعا في الرياسة، ولكن قومه اختلفوا عليه؛ فعبر البحر إلى الأندلس في جمع عظيم من قومه سنة 382هـ/992م. ابن خلدون- نفسه- ج2 ص2082.

3- تقابل سنة 992م.

4- عيسى بن سعيد: هو عيسى بن سعيد اليحصبي، كاتب المنصور بن أبي عامر الأخص كما يذكره مؤلف مفاخر البربر، وقد أرسله المنصور بن أبي عامر إلى المغرب لاستقبال أبي البهار الفار من زيري بن عطية، كما أرسله ثانية من أجل إقناع زيري بن عطية بالتخلّي عن تمرّده على المنصور، ولم يوفّق في ذلك، وبقي في المغرب إلى سنة 386هـ/996م. الإيلاني المصمودي- المصدر السابق- ص129/ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2082.

5- في الأصل قلعة جارت والصحيح ما أثبتنا، وهي القلعة التي لجأ إليها أبو البهار بعد انهزامه أمام زيري بن عطية، ومنها راسل المنصور بن بلقين ابن أخيه حتى صلح ما كان بينهما؛ فعاد أبو البهار إلى الدعوة العُبيدية، وجراوة في سهلة من الأرض كان عليها سور مبني بالطوب، وداخلها قصبة وحولها أرباض من جميع جهاتها وعيون وداخلها آبار عذبة وجامع من خمس بلاطات، وبينها وبين البحر ستة أميال. البكري- المصدر السابق- ج2 ص828-829/الحميري- المصدر السابق- ص162- 163/ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2082.

وجمع ابن أبي عامر لزيري بن عطية الأعمال؛ فوافى رسوله الحَضْرة في صدر شوّال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[1]، ومعه هديته المشهورة بقرطبة التي احْتفل فيها مُذْ صحّت له الولاية؛ فوصلت إلى ابن أبي عامر في الحفل والتعبئة؛ فكان الظاهر منها مائتا فرس من عُتّاق الخيل، منها عشرون من خيل الركاب المنسوبة من بقية القسمة، وخمسون حَمْلا من العُدَّة السُّلْطانية، ومن الدرق اللمطي ومن القِنا الهندي عدد عظيم، وغير ذلك من الألطاف، والْتَفَّ فيها أشياء من الحيوان غريب الخَلْق لاعهد للناس بها، منها طائرٌ فصيحٌ عجيبُ الصوت، بَديعُ المَنْظر والخَلْقَة، ودابّةٌ من دواب المِسْك، ونمرٌ عجيبُ الخَلْق، عظيمُ الجِرْم[2]، وكان في هذه الهدية زَرافة حَرصَ زيري على وصولها حَيَّة فأَعْياهُ ذلك، ونَفَقَت في بعض الطريق؛ فَجِيءَ بجِلْدها مَحْشُوًا وكثر التعجُّب منه، وعظُم سرور ابن أبي عامر بما أهداه زيري، وأَجْزل مُكافأته عليه.

ولم تَزَل الحال بين ابن أبي عامر وزيري جميلة إلى أن نشأت الوَحْشَة بين ابن أبي عامر وزيري بن عطية، وذلك في سنة ست وثمانين وثلاثمائة[3]، وقد تَناهَت حالُ ابن أبي عامر في القوّة؛ فأُعْلِم أنَّ لزيري في مَعْنى الإنْشِقاق والإنْكار والإسْتِبْداد عليه أقوالٌ لم تُرِهِ السياسة الإعراضَ عنها؛ ففتح عليه باب المِحْنَة، وحَمل عليه خطة الهَضيمة؛ فألْفاهُ برّ النفس، حمي الأنف؛ فأخرج ابن أبي عامر كاتبه الأخصّ عيسى بن سعيد اليحصبي إلى العُدْوَة في جيش ضخم ضمّه إليه، وقلّده النظر في شأن زيري؛ فصار إليها ورامَ اسْتِصْلاح زيري فاسْتَعْصى عليه؛ فأقام عيسى في وجهه بقية سنة ستّ

1- هو عيسى بن سعيد اليحصبي المعروف بابن القطاع، كان وزيرا للمنصور محمد بن أبي عامر ثم لابنه عبد الملك، وقد بلغ في عهد هذا الأخير سلطانًا عظيمًا بعد أن تخلّص من الفتى طَرَفَة الذي كان حاجب المظفر، وقد كثُر خصومه وأعداؤه، وكان سعيد صديقًا لهشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر؛ فاتُّهم الإثنان بالتدبير على المظفّر لقتله والمناداة بهشام هذا خليفة، وانتهى الأمر بأن قتَل المظفّر وزيرَه بيده في مجلس شراب، ثم قبض على هشام وأودعه السجن، وسيرد ذكر مقتله مفصلا في القسم الخاص بالمظفر من كتاب أخبار الدولة العامرية. يُنظر ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 صص27-33/أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب- حققه وضبط نصه وعلق عليه- بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1- 1434هـ/2013م- م2 صص314-320.

2- الجِرْمُ: الجسد وجرم الصوت جَهارته. المعجم الوسيط- ص118.

3 - تقابلها سنة 996م

وثمانين وثلاثمائة، واسْتَأْمن إليه في آخرها محمد بن حَمُّود المعروف بابن البَقّال[1] صاحب قلعة الحجر[2]، أحد قُوَّاد زيري؛ فأنْفَذَه إلى الحَضْرة؛ فأحسنَ المنصور إليه وسَمّاه النَّاصِح.

وكشفَ زيري وجهه في معصية ابن أبي عامر مع تمسّكه بالدعوة المروانية؛ فأظهر ابن أبي عامر منه البراءة في شوّال سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[3]، وصرفه من خطّة الوزارة، وقطعَ ما كان يَجْري عليه من راتبها.

واسْتَقْدم ابن أبي عامر غُلامه واضحًا الصَّقْلَبي الفتى الكبير من مدينة سالم، وكان أوثق غِلْمانه عنده؛ فعقدَ له على كُوَرِ المغرب، وقلّده حرب زيري، وشرط عليه واضح انتخاب الجند فأجابه إلى ذلك؛ فانْتَقى الحُماة من سائر الطبقات، وأزاحَ ابن أبي عامر عِلَل أصحابه بالعطاء والصِّلات، ونَفذَ واضح بهذا العسكر مُنسلخ شوّال، وحمل مولاه معه أموالا عظيمة وعِدَّة واسعة وكِسًى جَمَّة، وقلّد ابن أبي عامر ثغور مدينة سالم غُلامه مُفَرّج بن محمد العامِري[4].

فنزل واضح مدينة طنجة، واجتمع إليه من ثبت من القوّاد على الطاعة؛ فأمدّه مولاه في ذي الحجّة من هذه السنة، أي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، بعدّة من قوّاد البرابر وأمرائهم بعد أن أوسعهم خلعًا وصِلات ومَعاريف[5] وهِبات مثل إسماعيل بن البوري[6] ومحمد بن عبدالله بن مدين[7]

1- محمد ابن البقال: هو أحد قوّاد زيري بن عطية البارزين، وكان عاملا على قلعة النسر، وقد أجازه عيسى بن سعيد إلى قرطبة حيث استقبله المنصور بن أبي عامر وسمّاه بالناصح. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2082.

2- قلعة الحَجَر: تسمى كذلك حَجَر النسر، وهي مدينة عظيمة مُحدثة على جبل عظيم شامخ لآل إدريس، وهي حِصْن منيع فيه أملاكهم ليس عليها طريق ولا إليها سبيل إلا من جهة واحدة يسلكه الراجل بعد الراجل، وقد قام ببناء هذا الحصن المنيع محمد بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن إدريس سنة 317هـ/929م. ابن حوقل- المصدر السابق- ص81-82/البكري- المصدر السابق- ج2 ص811.

3- تقابل سنة 997م.

4- مُفَرّج بن محمد العامري: هو القائد الجديد لثغر مدينة سالم، وقد عينه المنصور ابن أبي عامر خلفا لواضح قائد الثغر السابق، وينفردُ مؤلف مفاخر البربر بذكره- ص129-130.

5- المعاريف من المعروف، وتعني الخير والإحسان والرزق. المنجد في اللغة والأعلام- ص500.

6- إسماعيل بن البوري: هو أحد أمراء قبيلة مكناسة، وقد رحل إلى الأندلس بعد تغلّب قبيلة مغراوة عليهم، وبقي هنالك إلى أن عاد مع حملة واضح الصقلبي، وقد عيّنه المنصور بن أبي عامر عاملا على المغرب بعد ذلك، وهلك في حروب حمّاد مع باديس بالشلف سنة 405هـ/1014م. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2082.

7- محمد بن عبد الله بن مدين: هو ابن عم السابق، وقد جرى له ما جرى لابن عمه. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2082.

ابن عمّه، ومحمد بن الخير الخَزَري[1]، وابن عمّه بكساس بن سيّد الناس[2]؛ وخَزْرون بن محمد الأزْداجي[3] إبن عمّهم؛ وزيري بن خَزَر[4]؛ وأبو بخت بن عبدالله بن بكّار[5] وغيرهم، وكلّهم من زناتة.

وأنْفذَ في أَثَرِهم أيضًا طائفة من وُجوه قُوَّاد الأندلسيين؛ فتكاملت الجنود بالعُدْوة، وأَصْحَر واضح للقاء زيري بجَبل حَبيب[6]، فتَوافَقا هُناك ثلاثة أشهر كلاهما لا يُؤْثِر المُناجَزة، والعمل منهما على المُطاوَلَة والمُناوَشَة، وربّما قامت الحرب بينهما فيتكافَيان، وشِعار أصحاب زيري: "هشام يا منصور"، وشِعار أصحاب محمد بن أبي عامر: "يا منصور"؛ فكانت قريبة، وافترقا على سواء.

واتَّهم واضح وجوه بني بَرْزال من جنود مولاه بالإدهان مع زيري؛ فأنْفَذَهم إليه فوَبَّخَهم ابن أبي عامر؛ فتَنَصَّلوا مما نُسِب إليهم، وأقْسَموا على باطله؛ فصفحَ عنهم وأخْرجَهم خلف ابنيه عبد الملك وعبد الرّحمن، وقد أغزاهما غليسية؛ فحسُن عَناؤهُما في ذلك الوجه.

واشْتدَّ أصحاب واضح على حِصْن أصيلا[7] فملكوه، وعلى حصن نَكور[1] فضبطوه، واتَّصلت الوقائع بين زيري وواضح، وكانت لواضح في قطعة وافرة من أصحاب زيري حطمة فظيعة، وكانوا

1- محمد بن الخير الخزري: من أمراء قبيلة مغراوة، وكان من الذين شاركوا في الحملة التي قادها واضح سنة 386هـ/996م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2082.

2- بكساس بن سيد الناس: هو ابن عم محمد بن الخير، وقد صاحبه في الحملة ضد زيري بن عطية. نفسه- ج2 ص2082.

3- خزرون بن محمد الأزداجي: هو من أمراء قبيلة أزداجة، وهو ابن عم السابقين، وكان مصيره كمصيرهما. نفسه- ج2 ص2082.

4- زيري بن خزر: هو أمير مغراوي، وكان من البربر الذين شاركوا في حملة واضح. نفسه- ج2 ص2082.

5- أبو بخت عبد الله بن بكار: أمير من قبيلة بني يفرن، كان لاجئا بالأندلس، ومن المُشاركين في الحملة التي قادها واضح. نفسه- ج2 ص2082.

6- جبل حبيب: هو المكان الذي دارت فيه المعركة بين زيري وواضح سنة 386هـ/996م، ولكن بقية المؤرخين يُسمّونه وادي ردات، وهو مكان يقع جنوب طنجة، ويُضيف محقق الأنيس المطرب أنّه واد شهير قرب مَشْرَع ابن قْصيري بدائرة سوق الأربعاء الغرب (إقليم القنيطرة). ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2082/ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص105/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص287.

7- أصيلا: أول مدن العدوة من جانب الغرب، وهي في سهلة من الأرض حولها رواب لطاف، والبحر بغربيّها وجوفيّها، وتبعدُ عن فاس بسبعة وأربعين فرسخا وعن مضيق جبل طارق بسبعة فراسخ، وكان عليها سور له خمسة أبواب، وجامعها خمس بلاطات، وهي مدينة محدثة، لمزيد من المعلومات عنها ينظر البكري- المصدر السابق- ج2 ص790-793/مارمول كربخال- المصدر السابق ص197-198.

ثلاثة ألاف فارس، وضِعْفهم من الرجّالة وقائدهم خليفة زيري؛ فكَبَسَهم واضح بموضع يُعرف بمَضيق الحَيَّة[2]، سَرى إليهم ليلا من طنجة؛ فأوقع بهم وهم غارون في رجب سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة[3]؛ فملك الأولياء سَوادَهم، وأكثروا القتل فيهم، وأسَروا منهم نحو ألفي رجل؛ فمَنَّ واضح عليهم وانْضَمّوا إليه.

ووافى الخبر على ابن أبي عامر عقب رجب من العام المذكور؛ فعزم ابن أبي عامر على الخروج فيمن بقي معه من الجند إلى الجزيرة الخضراء؛ فنفذَ لذلك من مسجده الجامع بالزّاهرة إثر صلاة الجمعة لتسع خلون من شعبان من هذه السنة.

وسار في جَمْع عظيم وعِدّة كاملة، واسْتَخلفَ ابنه عبد الملك[4] على الزّاهرة، وفيها يومئذ الخليفة هشام نازلا، وقد تقدّم أن تُبْنى له القصور في منازل طريقة إلى الجزيرة على حسب ما اتّخذ في طريقه إلى الثغر، ونظر ابن أبي عامر في تَجْويز العساكر إلى العُدْوة، ورأيُهُ أن يُنْفِذ معهم ابنه عبد الرحمن[5]، وكان معه في وجهه ذلك، ثمّ اسْتَحال مذهبه إلى إنْفاذ عبد الملك لبأسه وبُعد صِيته؛ فاسْتدعى حضوره، وأنفذَ أخاه عبد الرّحمن لينوب مَنابَه في خدمة الخليفة؛ فوافى عبد الملك الجزيرة يوم السبت مُسْتَهلَّ شهر رمضان المُؤرَّخ، وقد جاز أكثر النّاس.

وضمّ ابن أبي عامر إلى ابنه أكابر أهل الخدمة وجِلَّة القوّاد وعُظماء الدولة حتّى لم يخلِّف مع نفسه إلاّ نَفَرًا يَسيرًا من أصحابه وطائفة من غِلمانه، واسْتَذاع خبر عبد الملك بالعُدْوة؛ فرجع أكثر من كان مع زيري إلى طاعته، ولَحِقوا بعسكره من ملوك القبائل ورؤساء البرابر؛ فناولهم من إحسانه وبرّه بما لم يُعهد مثله، وتواترت كتب من تخلّف عنه ورسلهم، وانتثر أمر زيري.

1- نكور: مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة والحسيمة، وأصل الكلمة بربرية هي أنكور وتعني التيس، وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو عشرة أميال وقيل خمسة، وسُميت باسم أحد أنهارها، والمدينة بين رواب منها جبل يُقابل المدينة يُعرف بالمصلّى، وبها جامع ولها أربعة أبواب، للمزيد عنها ينظر البكري- المصدر السابق- ج2 صص764-766/الحميري- المصدر السابق- ص576-577.

2- مضيق الحَيّة: موضع يقع بالقرب من مدائن مكناسة، وفيه ألحق واضح الهزيمة بجند زيري بن عطية، وذلك في النصف من شهر رمضان من سنة 387هـ/997م. ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص106.

3- تقابل سنة 997م.

4- عبد الملك: سيأتي التعريف به لاحقا.

5- عبد الرحمن: سيأتي التعريف به لاحقا.

وسار عبد الملك نحو طنجة مع أجناده، واجتمع مع واضح غُلامه؛ فوافاهما شهر رمضان؛ فأقام هناك مُزيحًا عِلَل الأجناد، مُعِدًّا للقاء العدو، وانصرف أبوه إلى قرطبة للنصف من شهر رمضان.

ولما استتمّ لعبد الملك تدبيره سار نحو زيري في جمع لا كفاء له؛ فغاب خبره أيّامًا، ثمّ ورد الفتح من قبله مُنسلخ شوّال من هذه السنة؛ فذكر أنه لقي زيري في جموعه الجمّة بجبل حبيب في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوّال؛ فحدثت بينهما حربٌ شديدة كانت فيها على إحدى مَجْنَبَتَيْ عبد الملك خصمة أطمعت زيري في فضّ القلب؛ فصمد في نفسه، وتقدّم في صدر الحرب مُحَرِّضا لحُماته، واستقبله الحاجب عبد الملك كفّة؛ فكان أجْرأَ منه مَقْدمًا وأَثْبتَ مقامًا بعد أن كشف رأسه، وانتمى وصمّم لوجهه؛ فدارت رَحى الحرب ساعة أَنْكرَ الأنيس فيها نفسه، وخفت الجرس فلا تسمع إلا غَمْغَمة بطل أو صليل صَفْحَة[1].

ثم حَكَمَ الله لعبد الملك بالظهور؛ فنَجمَ من خلال البقع كأنه كوكب دُرِّيٌّ صبَّ على زيري؛ فانْصاعَ مُنْهَزما لا يَلْوي على من تَعذَّر، واسْتَمرَّت الهزيمة على أصحابه، وحكّم الجند فيهم أسيافهم حتى نادى مُنادي عبد الملك بالإبقاء على من اسْتَأْسَر منهم، وملك أهل العسكر مَحَلَّة زيري بأسرها؛ فحازوا فيها من الأموال والحِلْيَة والسلاح والعُدَّة والكراع ما لا يُحاطُ بوصفه كثْرةً.

ووصل زيري إلى قاعدته بفاس في شِرْذِمة من أصحابه وبه جراحٌ صعبة؛ فسأل أهل فاس أن يُخرِجوا إليه حُرَمَه خاصة فاسْتَعْفوه بذلك، وتَحمَّلهن ومضى هاربًا على وجهه حتى لحق بالصحراء، وأسلمَ مدينته فاس وجميع أعماله بما كان فيها من نِعَمِه وأمواله، واسْتَوْلى عبد الملك على جميع ذلك، وكان أثره في هذه الغزوة حَميدًا عظيمًا مُجمعًا على اسْتِغْرابه، والتحدّث في البلاد عنه، وأصيب من جنده نيّف على ستمائة فارس، فيهم وجوه رجاله وغِلْمانه وقوّاده نيّف وعشرون فارسًا، ومن الرجّالة وغيرهم جَمعٌ عظيم، ومنح الله الفتح، وعفا عن الرزية.

1- الصفحة: معناها جنب، والمقصود هنا جنب السيف. الزمخشري- أساس البلاغة- ص255.

ولم يعظم سرور ابن أبي عامر بشيء فتح عليه كعظمه لهذا الفتح، وأمر بقراءة كتاب ابنه على الناس، وأعتق في الوقت ألفًا وخمسمائة عبد من غِلْمانه الصقالبة[1] والفحول، وأتبعهم أموالهم أجمعين، وأمر بصدقات واسعة فُرِّقَت في طوائف أهل المملكة، وكتب ابن أبي عامر إلى ابنه بولاية المغرب، وصرف واضح عنه؛ فقُرِيءَ كتابه بجامع فاس بعد صلاة الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة من هذه السنة.

وكان زيري مُستظهرًا على عبد الملك وأصحابه مع ضَنْكِ المقام وصعوبة المأْقَط[2]، قد تقدّم صفوفه في مَقْنَبٍ[3] من ثلاثين فارسًا حُماة بني مغراوة[4] قومه كالجِمال المصاعب، وصاحبه محمد بن عبد الله يَصْلَى حومة الوَغَى، ويعمل الأعمال المُنْكرة إلى أنْ صمد لزيري عند إمكان الغَرَّة غُلامٌ أسود لبعض مَنْ وَتَرَهُ من بني عمّه، يُقال له كافور بن سلام[5] رجاء إدراك نيله؛ فضربه بسكين في لُبَّته وهو يُريد وَدْجَة فأوْهَنه، ومرَّ الأسودُ يَشتدُّ فاستأمن إلى عبد الملك؛ فبشّرهُ بقتل زيري؛ فلم يُصدِّقه لثبوت يَعْلى بن محمد قدّامه إلى أنْ وقع الخبر على محمد فسقط في يده، وقهقر نحو زيري يسأل به.

فأمكنت عبد الملك ومن معه الشدّة خلفه، واستمرّت الهزيمة على زيري، وحَمَله أصحابه شديد العِلّة، وألْحَقوه بالصحراء إلى أنْ أفاقَ من جُرْحه فسار نحو صنهاجة، وجَرَت له مع قوّادها

1- الصقالبة: رقيق من سبي الشعوب السلافية سمّاهم عرب الأندلس الصقالبة، وجاء أغلبهم أطفالا إلى قرطبة، وتلقى الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية، واستخدموا في أعمال القصر والحرس والجيش، ثم تدرّجوا في الرقي حتى صار منهم الوزراء والقوّاد وكبار رجال الدولة الأموية. أحمد مختار العبادي- المرجع السابق- ص256-257.

2- المأقط: أقط أي أطعم. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم- لسان العرب- دار صادر للطباعة والنشر- دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت- 1388هـ/1978م- ج7 ص257.

3- مقنب: المقنب من الخيل ما بين الثلاثين والأربعين، وقيل هي المائة، وهي جماعة الخيل والفرسان. ابن منظور- المصدر السابق- ج1 ص690.

4- بنو مغراوة: هم أوسع بطون زناتة، وأهل البأس والغلب، وينسبون إلى مغراو بن يصلتين، أما شعوبهم فكثيرة مثل بني يليت وبني زنداك وبني وراق ورتزمير وبني سعيد وبني ورسيفان ولغواط وبني ريغة، وكانت مجالاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مديونة وما إليها. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2077.

5- كافور بن سلام: هو غلام أسود كان زيري بن عطية قد قتل أخاه؛ فوجد فرصة مكّنته من الوصول إلى زيري؛ فوجّه إليه ثلاث طعنات بسكينه. ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص106/ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي- ص158- 159.

الوقائع العِظام، ولم يزل مُتكرِّرًا بأرضها، آخذًا بكظمها إلى أن انتقضَ عليه جرحه؛ فهلك في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة[1].

وقال القَسْطَلِيّ[2] يُذكِّرُ تَجْهيز ابن أبي عامر الجيوش إلى زيري بن عطية من كلمة طويلة: [الطويل]

لَئِنْ صَدِئَتْ ألبَابَ قَومٍ ببغْيِهِم[3]	فَسيْفُ الهُدَى في رَاحَتيْكَ صَقِيلُ
وَإِنْ يحيى بَغْيُ[4] جَالُوتَ جدِّهِمُ	فأَحْجَارُ دَاوُدَ لَدَيْكَ مُثُولُ
هُدًى وَتُقَى يُؤَدِّي الظَّلاَمَ لدَيْهِمَا	وَحَقُّ بِدَفْعِ المبطِلِينَ كَفِيلُ
يَجْمَعُ لَهُ مِنْ قَائِدِ النَّصْرِ عَاجِلُ	إِلَيْهِ وَمِنْ حُسْنِ البَقِينِ دَلِيلُ
تَحَمَّلَ مِنْهُ البَحْرَ بَحْرًا مِنَ القَنَا	يَرُوعُ لَهَا أَمْوَاجُهُ وَيَهُولُ
بِكُلِّ مُعَالاَةِ الشَّرَاعِ كَأَنَّهَا	وَقدْ حَمَلَتْ أَسْرَ الحَقَائِقِ غِيُّلُ
ظِبَاءُ سِمَامٍ مَا لَهُنَّ مَفَاحِص	وَزُرْقُ حَمَامٍ مَا لَهُنَّ هَدِيلُ
سَوَاكِنُ فِي أَوْطَانِهِنَّ فَإِنْ سَمَا	بِهَا البَحْرُ خِلْتَ الرَّاسِيَاتِ تَسِيلُ
أَرَاقِمُ تُغْنِي نَاقِعَ السُّمِ مَا لَهَا	بِمَا حَمَلَتْ دُونَ الغَدَاةِ مُقِيلُ
إِذَا نَفَثَت فِي زَوْرِ زِيرِي حُمَاتُهَا	فَوَيْلٌ مِن ذِكْرِهَا وَأَلِيلُ

وبثّ عبد الملك عمّاله في أعمال فاس؛ فدانَ له أهلها وحَمَلوا إليها الخَراج، وأخرج محمد بن حسن بن عبد الودود السلمي إلى تادلا[5] وما يليها في جُند كثيف فحَملوا مالها، وأنفذَ يَصْلَى بن

1- تقابل سنة 1000م.

2- القسطلي: هو أحمد بن محمد بن درّاج أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي، كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وكان يُجيد ما ينظم ويقول، كان في وقته لسان الجزيرة شاعرًا، وآخر حاملي لوائها وبهجة أرضها وسمائها، وذكره ابن حيان فقال إنه: "سبّاق حلبة الشعراء العامريين وخاتمة مُحسني أهل الأندلس أحمعين"، مات قريبا من سنة 420هـ/1029م. ابن بسام- المصدر السابق- م1 صص34-36/الحميدي- المصدر السابق- صص113-116/أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري- يتيمة الدهر في محاسن العصر- دار الكتب العلمية- بيروت- ج2 ص103.

3- عند الثعالبي: بمكرهم. المصدر نفسه- ج2 ص110.

4- عند الثعالبي: فإن يحيى فيهم. نفسه- ج2 ص110.

5- تادلا: منطقة تمتد بين وادي العبيد ونهر أم الربيع عند منابع هذا الأخير، وتنتهي في الجنوب عند جبال الأطلس، وفي الشمال عند ملتقى وادي العبيد بنهر أم الربيع، وحاضرة تادلا هي تفزة الواقعة في منحدر الأطلس، ولها سور مبني من الحجارة. الحسن بن

حميد الكتامي[1]، أحد قوّاد البربر إلى مدينة سجلماسة[2] قاصية المغرب واليًا عليها؛ فملكها وأقام فيها الدعوة، ثم عقدها واضح بعد قُفول عبد الملك لوانودين بن خَزْرون وابن عمّه فَلْفول الزناتيين على مال ضَمِنا حَمْله، وعِدَّة من الخيل والدَّرَق، وأعطاهُ كلّ واحد منهما على ذلك كلّه ابنه رهينة، واتّصلت ولاية وانودين بسجلماسة وحمله ما ضمن إلى آخر الدولة.

ثم استقبل زيري بن عطية من النكبة، واجتمع إليه أصحابه، واقْتحم بلاد صنهاجة، وقد اضْطربَ حَبْلها باخْتلاف كلمتها على باديس بن منصور بن بُلُقين[3] الملك فيها بوفاة أبيه منصور، وانْتَزى أكثر عُمومَته عليه مع ماكْسَنْ بن زيري[4] وغيره؛ فأوْغَل زيري بن عَطِيَّة في بلادهم فاتحًا لما قدر عليه، واسْتَحلَّ في ذلك كلّه بدعوة المروانية.

واسْتَفْتَح لأول وقته من الظفر مُكاتَبة ابن أبي عامر يَسْتَقيله الزَّلَّة، ويَسأله العودة إلى الولاية، ويبذل إنفاذَ ابنه وابن أخيه رهينة، ويذكر أنه أقام الخطبة لابن أبي عامر وابنه فيما صار إليه من بلاد صنهاجة بعد دعائه للخليفة؛ فقبل ابن أبي عامر ورضي، وذلك في جُمادَى الآخِرة من هذه السنة.

وردّ ابن أبي عامر واضحًا واليًا على المغرب في صدر ربيع الأول، وقَفلَ عبد الملك، وخلّفَ مُعظم الجند مع واضح بفاس؛ فاحْتلَّ سبتة مدينة المَجاز يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الأول، وكانت

محمد الوزان- وصف إفريقيا- ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 1983م- ج1 ص176.

1- يَصْلى بن حميد الكُتامى: أحد وجوه قواد البربر، كان في الأندلس، وهو من المُشاركين في حملة عبد الملك المظفّر ضد زيري بن عطية، وبعد الانتصار عليه عيّنه المظفر عاملا على سجلماسة سنة 381هـ/991م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2083/ابن أبي زرع الفاسي- المصدر السابق- ص84-83.

2- سجلماسة: مدينة كبيرة بنيت سنة 140هـ/757م، كثيرة العامر كثيرة الخضر والجنات، ولا حصن عليها، وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتي إليها من جهة المشرق من الصحراء، ومنها إلى أغمات وريكة نحو من ثماني مراحل، ومنها إلى درعة ثلاث مراحل كبار. البكري- المسالك والممالك- ج2 صص835-837/الإدريسي- نزهة المشتاق- ج1 ص225-226.

3- باديس بن منصور: هو أبو مناد باديس بن المنصور بن بلقين، خلف أباه سنة 385هـ/995م، وجاءه التقليد الفاطمي سنة 387هـ/997م، وتوفي سنة 406هـ/1015م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1868/رابح بونار- المرجع السابق- ص190-191.

4- ماكسن بن زيري: بن مناد الصنهاجي، ثار مع إخوته ضد ابن أخيهم باديس بن منصور بن زيري، وفي سنة 391هـ/1000م كانت بينهم حرب شديدة قُتل فيها ماكسن وأولاده مُحْسن وباديس. ابن الأثير- المصدر السابق- ص1332/ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1868.

أيّام ارْتِجاج فتَلَوَّم على سكون البحر، ثمّ ركبَ على تَوقُّعٍ وهَيْبَة لأربع ساعات من يوم الثلاثاء لسبع خَلَوْن من ربيع الآخر؛ فوصل إلى مدينة الجزيرة في أوّل الساعة الثامنة منه، قطع البحر في ثلاث ساعات على أهْنَأ الحالات، وتلوّم على عُبوره أصحابه أيامًا قوي فيها ارْتِجاج البحر؛ فطال التعجّب من يُمْن طائره.

ووصل إلى قصره بالزّاهرة وسط النهار من يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، وهي تسع وثمانون [وثلاثمائة][1]، واستقبله الناس على طبقاتهم من وجوه أهل الدولة وأكابر أهل البلدة على مسافة بعيدة، وكان دُخوله فَخْمًا بهيًا، وكان أبوه ذلك الوقت غازيًا في غزاته الموفية خمسين ببنبلونة، ثم قَفَل بعد مدّة من قُفول عبد الملك؛ فتمَّتْ عليهم النعمة.

وضبط واضح كُوَر المغرب، واستقامت على تدبيره، وورد كتاب زيري بن عطية يذكر أن صنهاجة قد حَشَرَت عليه من أقْطارها بإفريقية وأعْمال المغرب، وقَصَدَته في جمع عظيم يرأسه حَمّاد بن بلقين[2]، عَمّ سُلطانهم باديس بن منصور ووزيره محمد بن أبي العرب[3]، وأنّه لقيهم بوادي مينَة[4] على عِشْرين مَيلا من مدينة تاهرت؛ فاشتدّت الحرب بينهم، وأظهره الله عليهم فهزم جميعهم، وقتل ألوفا كثيرة منهم، واحْتَوى على مَحلَّتهم؛ فحاز من ذلك ما يعظم قدره، وملك مدينة تاهرت وما يليها ثنتين وأعمالها، وأقام الدعوة في ذلك كلّه للعامريين بعد الخليفة.

1- تقابل سنة 998م.

2- حمّاد بن بلقين: كان عاملا على أشير والمسيلة من قبل أخيه المنصور، ثم استقلّ بالمغرب الأوسط سنة 387هـ/997م أيام باديس الذي كلفه بمحاربة بني زيري إخوته الثائرين عليه؛ فهزمهم وقتل أخاه ماكسن وأبناءه، إختطّ القلعة، ورفض التنازل عن عمل تجيس وقسنطينة فحاربه باديس، وتوفي سنة 419هـ/1028م، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 ص249 وما بعدها/ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي- ص67-68/نفسه- ص85-86/ابن خلدون- المصدر السابق - ج2 ص1875- 1876.

3- محمد بن أبي العرب: كان وزيرا لحمّاد بن بلقين، وشارك معه في حروبه ضد زناتة، ثم أصبح عاملا على إفريقية، وكانت وفاته سنة 396هـ/996م. ابن عذاري- المصدر نفسه- ج1 ص250 وما بعدها.

4- وادي مينة: يُسمّيه ابن خلدون وادي مناس، وهو مكان يقع على بعد 20 ميلا من مدينة تاهرت، أما ابن عذاري فيقول: إنّ الجمعان التقيا بموضع يُقال له آمَسَّار، وهو على مرحلتين من تاهرت. ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2083/ابن عذاري– المصدر نفسه- ج1 ص250.

ثم زحف بعد هذا بجمعه إلى مدينة أشير[1] قاعدة صنهاجة، وأناخَ على بابها مُحاصِرًا لها؛ فظهرَ عليهم واسْتَأْمن إليه في هذا الوقت زاوي بن زيري[2] ومن معه من أهل بيته المُعارضين لباديس رئيسهم، وباديس مشغول عن ذلك بما اتَّفق عليه من حرب فَلْفول بن سعيد[3] الزناتي المُنْتَزي عليه بأعلى عمله، وخروجه بنفسه لحربه.

ثم دعا أبو البهار للخليفة هشام ولابن أبي عامر، وأنفذَ رسوله إليه يَذْكُر قَديمَه، ويُشيره بجِدِّيَته، ويلتمسُ مَعونَته، وكانت مُوافاة رسوله سَلْخَ شوّال سنة تسع وثمانين [وثلاثمائة][4]؛ فعلم ابن أبي عامر غدره وسَوَّفَ به.

وابن عطية في ذلك كلّه مُحاصرٌ لأشير، آخذٌ بكظمها، يُغادي من بها القتال ويُراوحهم؛ فإن قعدوا عنه عَمَد إلى قبورهم الماثلة بباهم فيعرض لنَبْشِها فلا يصبرون على ذلك، ويخرجون لمنعه إلى أن أحضرت مَنِية ابن عطية وقَويَت علّته؛ فانْحاز عنهم، ورجع إلى أصحابه، إلى المغرب سنة إحدى وتسعين [وثلاثمائة] كما ذكرنا قبل، وأجْمعَ أصحابه على ولده المُعزّ بن زيري[5] فضبط أمرهم،

1- أشير: يُسمّيها الإدريسي أشير زيري، وهي مدينة حصينة ليس في تلك الأقطار أحصن منها، وهي بين جبال منيعة محيطة بها، بناها زيري بن مناد، وبنى سورها بلقين بن زيري سنة 367هـ/977م. البكري- المصدر السابق- ج2 ص724-725/نزهة المشتاق- م1 ص254.

7- زاوي بن زيري: هو عمّ باديس بن منصور بن بلقين، شارك مع إخوته في الثورة التي قاموا بها ضدّ ابن أخيهم، وبعد فرار فلفول بن سعيد إلتحق زاوي بالمغرب الأقصى على إثر الحرب التي دارت بينهم وبين حماد بن بلقين الذي عقد لهم السلم شريطة الجواز إلى الأندلس؛ فلحقوا بها، ودخلوا في خدمة المنصور ابن أبي عامر سنة 391هـ/991م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص.1880

1- فلفول بن سعيد بن خزرون: كان عاملا لباديس على طبنة التي فرّ منها بعد رفضه مساعدة باديس في حربه ضد زيري بن عطية، ثم رجع إليها وعاث في نواحيها وفي تيجس، وحاصر باغاية؛ فتوجه إليه باديس ففك الحصار عنها، وفر إلى جبل المناش ثم إلى حصن تبسة الذي فرّ منه أمام أعمام باديس، ثم تقدم إلى نواحي قابس وطرابلس التي ملكها سنة 391هـ/991م، وبعث بطاعته إلى الحكم المستنصر، وهلك سنة 400هـ/1009م. ابن خلدون- نفسه- ج2 ص2088-2089.

4- تقابل سنة 998م.

5- المعز بن زيري بن عطية المغراوي: ولي ملك المغرب بعد وفاة أبيه، وتوقف عن محاربة صنهاجة، وارتبط بالدعوة المروانية؛ فصالح المنصور بن أبي عامر، وبعد وفاته كتب له عبد الملك المُظفّر بعهده على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب، وذلك سنة 396هـ/1005م، وتوفي سنة 417هـ/1026م. ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص107-108/ابن خلدون- المصدر نفسه- ج2 ص2084.

وأقصر عن مُنازعة صنهاجة، واسْتَجْدى[1] لابن أبي عامر، وارْتَبطَ بالدّعوة المروانية؛ فصَلح أمره عندهم إلى أن قلّده عبد الملك فاسًا وجميع أعمال المغرب على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وانْتَدب للذبّ عن بلاد صنهاجة حمّاد بن بلقين بن زيري بن منّاد، وقد أفرده ابن أخيه باديس بولايتها؛ فشدَّها وحسن ميثاقه في دفع زناتة عنها، واقْتَعد لنفسه هنالك مُلكًا؛ فلم يعد إلى أرض القيروان بعدها، واتَّصلت أيّامه بالمغرب إلى وقت الفِتْنة الحادثة بالأندلس، وذلك بعد الأربع عشرة والأربعمائة؛ فورث ولده الأمر بعده إلى هذا الوقت.

وأخذ واضح نفسه، وهو إذ ذاك بمدينة فاس، يغزو كفّار برغواطة فيمن قبله من الأجناد ومن اجتمع إليه من أمراء النواحي ومن أهل الولاية؛ فعظم القتل فيهم والسبي منهم، ووردت كتب الفتوح فقُرِئَت على المنابر، وانْصرف واضح عن المغرب مَشْكور السَّعي جَميل الأثر، وذلك في شهر رمضان سنة تسع وثمانين [وثلاثمائة][2]، وردّه مولاه إلى ولايته بالشكر، وقد بَعُد صيته وعلا اسمه.

وخلف واضح على مدينة فاس عبد الله بن يحيى بن أبي عامر[3] أخي المنصور، ثم إسماعيل بن البوري، ثم ابن الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي[4] وغيرهم، إلى أن توفي محمد بن أبي عامر فصرفها عبد الملك إلى المُعز بن زيري بن عطية، وقد أستحكمت ثقته به، وحسن رأيه فيه، وضَمَّنها عليه سنة ست وتسعين [وثلاثمائة][5] على إثارة من الخيل؛ فحملها إلى الحضرة، وقبض على ولده معنصر[6] رهينة فاستقامت طاعة المعز.

1- استجدى: وتعني سأل حاجة من شخص وطلب جدواه. الزمخشري- المصدر السابق- ص53.

2- تقابل سنة 998م.

3- عبد الله بن يحيى بن أبي عامر: عند ابن خلدون عبيد الله، وهو ابن أخي المنصور محمد بن أبي عامر، وقد عيّنه عمّه عاملا على المغرب الأقصى في رمضان سنة 389ھ/998م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص2083.

4- في الأصل: ابن الأحوص، والصواب ما أثبتنا، وهو أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي، عيّنهُ المنصور بن أبي عامر على المغرب خلفا لإسماعيل بن البوري المكناسي. نفسه- ج2 ص2083.

5 - تقابل سنة 1005م.

6- معنصر: هو ابن المعز بن زيري بن عطية، وقد بعثه أبوه رهينة عند المظفر عبد الملك بن أبي عامر مقابل ولاية المغرب. ابن عذاري- المصدر السابق- ج1 ص253/ابن أبي زرع- المصدر السابق- ص117/ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي- ص160.

وأقام ابنه بقرطبة إلى أن نشأت الفتنة، وانقرضت الدولة العامرية؛ فانصرف معنصر إلى أبيه، ومضى أبوه على رأيه في موالاة من ظهر بالأندلس من المروانية إلى أن هلك بعد صدر من الفتنة، وأورث ولده ملك فاس فهم على ذلك إلى اليوم[1].

[ذكر الوزير أحمد ابن سعيد بن حزم بن غالب ونكبته][2]: إنّ المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر استوزره قبل سائر أصحابه في سنة إحدى وثمانين يعني وثلاثمائة[3] في خلافة هشام المؤيّد بالأندلس، واستخلفه أوقات مَغيبه على المملكة، وصيّر في يده خاتمه؛ فلمّا تناهت حاله في الجلالة، وأمَّلَتْه الخاصّة والعامّة، اتّهَمه المنصور بأنه قد زُهي[4] عليه برأيه، وأنِسَ منه عُجْبًا بشأنه؛ فصرفه عن الوزارة، وأقصاهُ عن الخدمة دون أن يُغيّر عليه نعمة.

وكان يقول: "والله إنّ ابن حزم لَلنَّصيحُ جيبًا، الأمين غيبًا، ولكنه زُهِيَ برأيِه، وظنّ أنّ سلطاني مُضطرّ إلى تدبيره؛ فتردّد في نكبته مدّة، ثمّ أخرجه لينظُر في كُوَر الغرب باسم الأمانة؛ فَرَئِمَ[5] المذلّة، وتَبرّأ من الدّالّة؛ فلمّا زَكِنَ[6] المنصور ذلك منه، أعادهُ إلى حُسن رأيه فيه، وصرفه إلى خُطّته[7].

[ذكر خبر المنصور بن أبي عامر مع عبد الملك ابن إدريس[8]:] وفي مثل هذا السبيل كان غضبه على كاتبه عبد الملك بن إدريس المعروف بالجزيري، وإقصاؤه له مرّة بعد مرّة، وتسييره إلى طرطوشة[9]، وكان أكثر من يُشركه أعطالاً من الآداب العربية لتوفرّهم على علم العدد، وانهماكهم في التعاليم

1- قال الإيلاني المصمودي في ختام هذا النص الطويل: "انتهى كلام ابن حيان رحمه الله". مفاخر البربر- ص139.

2- ذكر ابن الأبار القضاعي في بداية اقتباسه: " ذكر أبو مروان ابن حيان:" اعتاب الكتاب- ص191.

3- تقابل سنة 991م.

4- زُهي: يقال زهي الرجل بكذا تاه، تكبّر، والزهو الفخر، التيه، التكبر. المنجد في اللغة والأعلام- ص310.

5- رَئِم: رئم الشيء أحبه وألفه، ورئمت الناقة ولدها عطفت عليه. المرجع نفسه- ص243.

6- زَكِن: زكن الأمر فطِن له، تَفرَّسه، فهمه. المرجع نفسه- ص303.

7- ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- ص191.

8- قال ابن الأبار القضاعي في بداية اقتباسه عن ابن حيان: "وقال ابن حيان، وذكر قصة ابن حزم الوزير مع ابن أبي عامر في إدْلاله المُفْضي به إلى إذلاله: ...". المصدر نفسه- ص195.

9- طرطوشة: مدينة عظيمة من بنيان الأقاصرة، حصينة البناء، وكثيرة الخصب، وتقع بالضفة الغربية من نهر إبْرُو، وبها يقع في البحر عند بابها الكبير، وتتصل أحوازها بطركونة التي كانت آخر بلاد الإسلام، ولها سور عظيم على البحر. مجهول- تاريخ الاندلس- ص134- 135.

الديوانية التي استدرّوا بها الجباية، وحصلوا بها المراتب العالية؛ فكان الجزيري يُزري بهم، ويُحب الاشتمال على ابن أبي عامر، ويتصوّر فرط حاجته إليه في الإنشاء، ولم يكن من شأنهم؛ فسخط عليه المنصور، وأقصاه عن حضرته على فرط حاجته إلى خدمته، وقلّد كاتبه على الحشم ديوان الرسائل؛ فاسْتَجْزأَ به لذهاب مشيخة كُتّاب الرسائل في الوقت، ورضي بعد ذلك عن عبد الملك لما حمِد حاله في الرياضة، ولم يزل يتولى له ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور.

ويُقال: إنّ المنصور سجنهُ في مُطْبِق الزاهرة مدّة؛ فاسْتعطفهُ من الرسائل والأشعار[1] بما أثمر تسريحه؛ فكتب إليه:[السريع]

عَجِبْتُ مِن عَفْوِ أبي عامِر   لا بُـدَّ أنْ تَتْبَعَـهُ مِنَّـهْ
كَذَلِك اللهُ إذا مـا عَفَـــا   عَن عَبْدِه أدْخَلَهُ الجَنَّةْ[2]

فسُرَّ المنصورُ بذلك، وأعادهُ إلى حاله، وأطلق له ما اعتقل من ماله، ثمّ استوزرهُ بعدَهُ المُظَفَّر عبد الملك بن محمد ابن أبي عامر[3].

[ذكر خبر المنصور بن أبي عامر مع كاتبه خلف بن حسين بن حيان[4]:] بَكّتَني المنصور محمد ابن أبي عامر يومًا على بعض ما أنكره مني تبكيتًا بعث من فزعي ما اظطربتُ منه؛ فأشفق عليَّ وخفَّفَ عنّي، وأنْفذني للوجه الذي استنكر فيه بُطْئي؛ فعُدتُ بتمامه بعد أيّام؛ فاسْتَوقَفني وأخلى مجلسه، ثم أدناني فقال: "رأيتُ من ذعرك ما استنكرتُ، ومَن وثِق بالله بَرِيءَ من الحَوْل والقوة لله، وإنّما أنا آلةٌ من آلاته، أسْطو بقدرته وأعْفو عنْ إذنه، ولا أملكُ لنفسي إلا ما أملك من نفسي لسواي؛ فَطامِنْ جأشَك؛ فإنّما أنا ابن امرأة من تميم طالما تَقوَّتَت من غزلها، أغْدو به إلى السوق وأنا أفرحُ

1- أورد المقري مجموعة من هذه الأشعار. المصدر السابق- ج2 ص122- 123.

2- ورد البيتان عند ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص244/المقري- المصدر نفسه- ج1 ص401.

3- ابن الأبار القضاعي- اعتاب الكتاب- ص195-196.

4- قال ابن الأبار القضاعي في نهاية النص ما يلي: "ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في "أخبار الدولة العامرية" من تأليفه، وفي مناقب المنصور محمد بن أبي عامر وهيبته التي لا يُسامح في نُقصانها أحدًا من ولد ولا ذي خاصّة، حتّى حُشيت أحشاءُ النّاس ذُعرًا، ثم يأتي من كرم الإعتاب بهذا العَجب العُجاب.". المصدر نفسه- ص198.

الناس بمكانه، ثمّ جاء من أمر الله ما تراهُ، ومَنْ أنا عند الله لولا عَطفي على المُستَضْعَف المَظلوم، وقَهْري للجبّار الطاغي"[1].

[ذكر قصة الجوهري المشرقي مع المنصور ابن أبي عامر[2]:] ومن ذلك قصة الجوهري التاجر، وذلك أن رجلًا جوهريًا من تجّار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة؛ فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه، ودفع إلى التاجر الجوهري صُرّته، وكانت قطعة يَمانية؛ فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرَّمْلة على شطّ النهر، فلمّا توسّطها واليوم قائظٌ، وعرقه مُنصبٌّ دَعتهُ نفسه إلى التَبرُّد في النهر؛ فوضع ثيابه وتلك الصُرَّة على الشَّطّ؛ فمرّت حِدْأةٌ؛ فاختطفت الصرّة تحسبها لحمًا، وصاعدت في الأفق بها ذاهبةً؛ فقطعت الأفق الذي تنظر إليه عين التاجر؛ فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك [بعدوى ولا][3] بحيلة؛ فأسرّ الحُزن في نفسه، ولحقه لأجل ذلك عِلَّة اضطرب فيها.

وحضر الدّفعُ إلى التجار؛ فحضر الرجل لذلك بنفسه؛ فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة، وفقدَ ما كان عنده من النشاط وشدّة العارضة؛ فسأله المنصور عن شأنه؛ فأعلمه بقصته؛ فقال له: "هلّا أتيت إلينا بحَدَثان وقوع الأمر؟ فكنّا نستظهر على الحيلة؛ فهل هُديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها؟"، قال: "مرّ مُشْرِقًا على سَمْت هذا الجبل[4] الذي يلي قصرك"، يعني الرّملة؛ فدعا المنصور شُرطيّه الخاصّ به؛ فقال له: "جِئْني بمشيخة أهل الرّملة الساعة"؛ فمضى وجاء بهم سريعًا؛ فأمرهم بالبحث عمّن غيّر حال الإقلال منهم سريعًا، وانتقل عن الإضاقة دون تَدرُّج[5]؛ فتناظروا في ذلك ثم قالوا: "يا مولانا، ما نعلمُ إلا رجلًا من ضُعفائِنا كان يعملُ هو وأولاده بأيديهم، ويتناولون السّبق[6] بأقدامهم عجزًا عن شراء دابة"؛ فابْتاع اليوم دابة، واكْتَسى هو وولده

1- ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ص198.

2- قال المقري: "ثم ذكر المؤرخ- أي ابن حيان- قصة الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا رأينا إعادتها بلفظ هذا المؤرخ لأنه أتمّ مساقا إذ قال عطفا على دهائه"، ويقصد دهاء المنصور. المصدر السابق- ج1 ص394.

3- ساقط في الأصل، والزيادة من ابن عذاري. المصدر السابق- ج2 ص291.

4- عند ابن عذاري: الجنان. نفسه- ج2 ص291.

5- عند ابن عذاري: تدريج. نفسه- ج2 ص291.

6- عند ابن عذاري: السَّقْيَ، وفي نسخة أخرى: يتناوبون السبق. هامش2 ج2 ص291.

كسوة متوسطة؛ فأمر بإحْضاره من الغد، وأمر التاجر بالغُدُوّ إلى الباب؛ فحضر الرجلُ بعينه بين يدي المنصور؛ فاسْتَدْناهُ والتاجرُ حاضرٌ، وقال له: "سَببٌ ضاعَ منّا وسقطَ إليك، ما فعلت به؟ قال: "هو ذا يا مولاي"، وضرب بيده إلى حُجْزَة[1] سراويله؛ فأخرج الصُرَّة بعينها؛ فصاح التاجرُ طربًا، وكاد يطير فرحًا؛ فقال له المنصور: "صِف لي حَديثَها"؛ فقال: "بينا أنا أعمل في جِناني تحت نخلة إذْ سقطت أمامي؛ فأخذتها وراقني منظرها"؛ فقلتُ: "إنَّ الطائر اختلسها من قصرك لقُرب الجوار"؛ فاحترزتُ بها، ودَعَتني فاقتي إلى أخذ عشرة مثاقيل عيونًا كانت معها مَصْرورةً، وقلتُ: أقلّ ما يكون في كَرَم مولاي أن يَسمح لي بها؛ فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: "خُذ صُرّتك وانْظُرها، واصْدُقني عن عددها"؛ ففعل وقال: "وحَقِّ رأسك يا مَولايَ، ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها؛ وقد وهبتُها له"؛ فقال المنصور: "نحن أولى بذلك منك ولا نُنَغِّص عليك فَرْحَتك، ولولا جمعُه بين الإصرار والإقرار لكان ثوابُه موفورًا عليه".

ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضًا من دنانيره، وللجَنَّان بعشرة دنانير ثوابًا لتأنّيه عن إفْساد ما وقع بيده، وقال: "لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء"، قال: "فأخذ التاجر في الثناء على المنصور، وقد عاوده نشاطه"، وقال: "والله لأبُثَّنّ في الأقطار عظيم ملكك، ولأُبَيِّنَنَّ أنّك تملكُ طيرَ أعمالك كما تملكُ إنْسَها؛ فلا تعتصم منك ولا تمتنع، ولا تؤذي جارك"؛ فضحك المنصور وقال: "أقْصِدْ في قولك يغفر الله لك"؛ فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره، وحيلته في تفريج كُربته[2].

[ذكر خبر إبراهيم بن إدريس الحسني مع المنصور ابن أبي عامر[3]:] ومن أبناء الأدارسة الحسنيين: إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني المَنْبوز بالمؤبّل، كان أديبًا شاعرًا[4]، وكان في أيّام المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، وعاش إلى أيّام الفتنة، أصلُه من المغرب، وسكنَ قرطبة إلى أن سيّره ابن أبي عامر عن الأندلس فيمن سيَّر من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قَنُّون كبيرهم.

1- حُجْزة: يقال احتجز بإزاره على وسطه أي لاقى بين طرفيه وشده، والحجزة موضع التكة من السراويل. الزمخشري- المصدر السابق- ص114/المنجد في اللغة والأعلام- ص119.

2- المقري- المصدر السابق- ج1 ص394-395/ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص291- 292/ابن سماك العاملي- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة- تحقيق محمود علي مكي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1424هـ- 2004- ص104-105.

3 - ذكر ابن الأبار القضاعي في بداية نقله: "كذا قال فيه ابن حيان، وقال الحميدي...". الحلة السيراء- ج1 ص226.

4- ذكر الحميدي أنّه "كان حسن الشعر، خبيث الهجاء". المصدر السابق- ص151.

وهو القائلُ يُخاطب المروانية بقرطبة لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام المؤيّد واستبداده بالأمر دونه:[الكامل]

فِيمَـــا أَرَى عَجبٌ لمَــنْ يَتَعجَّبُ   جَلَّتْ مُصيبَتُنـا وَضـاقَ المَــذْهَبُ
إِنِّي لَأُكَـذِّبُ مُقْلَتَيَّ فِيمَــا أَرَى   حتَّى أَقــولَ غَلطتُ فِيمَـا أَحْسَبُ
أَيَكـونُ حَيًّـا مِـنْ أُمَيَّـــة واحِدٌ   ويَسوسُ هَذَا المُلْكَ[1] هَذا الأَحْدَبُ
تَمْشِي عَساكِرُهُم حَوالَيْ هَوْدَجٍ   أَعْـوادُهُ فِـيهِـنَّ قِـــرْدٌ أَشْهَـبُ
أَبَنِي أُمَيَّـة أَيْــنَ أَقْمـارُ الدُّجَـى   مِنْكُـمْ وَمَــا لِـوُجُـوهِهـا تَتَغَيَّبُ[2]

[الجباية على عهد المنصور بن أبي عامر[3]:] كتب إليّ أبو القاسم محمد بن مُرْشِد[4]، أحد بقايا وجوه الكُتَّاب المستأخِرين المُتمتّعين بالنظر والمعرفة على كِبَر السنّ، مُعرِّفًا بأشياء سألته عنها من هذا الباب سنة ست وثلاثين وأربعمائة[5]، أُثبِتُها نقلًا من كتابه، وهي:

مبلغ الجباية آخر أيام المنصور أربعة آلاف ألف دينار، سوى رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس كانت تجري على الأمانة[6]، وسوى مال السَّبْي والمغانم[7] على اتساعه في هذه المدة[8]، وسوى ما يتصل به السلطان من [أموال][9] المُصادرات، ومثل ذلك مما لا يرجع إلى قانون.

1- عند ابن عذاري: ضَخْمَ المُلْكِ. المصدر السابق- ج2 ص281.

2- وختم ابن الأبار القضاعي نصه هذا بالقول: "هذا ما أورده ابن حيان في أخبار الدولة العامرية من شعره". المصدر السابق- ج1- ص227-226، وووردت هذه الأبيات أيضا في الإيلاني المصمودي- مفاخر البربر- ص122/ابن عذاري- المصدر نفسه- ج2 ص281.

3- قال ابن الخطيب في بداية النص: "فذكر أبو مروان حيان بن خلف رحمه الله في كتابه الذي أنافت على المائة أسفاره، المُسمى ب"أخبار الدولة العامرية المنسوخة بالفتنة البربرية، وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة"؛ فقال: ...". أعمال الأعلام- ص98/أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الشهير بلسان الدين ابن الخطيب- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام- تحقيق سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م- ج2 ص92.

4- لم نهتد إلى ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

5- تقابل سنة 1044م.

6- الإمامة في ابن الخطيب- المصدر نفسه- تحقيق سيد كسروي حسن- ج2 ص92.

7- المغانم في تحقيق كسروي.

8- الفترة في تحقيق كسروي.

9- زيادة من كسروي- ج2 ص92.

وكانوا يعتدونها أربع بيوت[1]: تؤخذ النفقات السلطانية منها على المُشاهَرة بالزيادة والنقصان، ما بين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفا، إلى أن يدخل شهر يونيه العجميّ: فيتضاعف فيه الإنفاق من أجل الاستعداد لغزو الصائفة؛ فينتهي منه إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر منها، وما فضل من المال بعد جميع النفقات أحرَزَه السلطان في بيت ماله مع غير ذلك من ضُروب استفاداتِه.

وكتب أبو محمد عبد الله بن مروان: آخر[2] حذّاق كُتَّاب المُحاسبة اليوم؛ وممن لحق طرفا من تلك الدولة: أن محمد بن أبي عامر أحبّ الوقوف على حاصل الأطعمة في الأهراء عندما اعتزم على غزو برجلونة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة[3]؛ فارتفعت جُملته إلى مائتي ألف مُدْيٍ[4] ونيّف عليها؛ فلحقه العُجْبُ بذلك حتى قال: "أنا أكثر طعامًا من يوسف صاحب الخزائن"؛ فلم يُمْطِله بَغْيُ كلمته إذ برأها من الاعتصام من ربّه تعالى، واعتورته السِّنون الشِّداد المتوالية من سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة[5]؛ فانتسفت أطعمته باتصال الإنفاق وعدم الإغتلال حتى أشْفى على المجاعة، وهمّ بالجواز إلى العدوة لخَصبها يومئذ حتى أغاث الله بلاد الأندلس، وأخرج أرزاقها، وجعل بعد ذلك لا يستكثر شيئا من الأطعمة، ولا يقتصر على ما يجتنيه[6] منها حتى يُخْرِجِ المال في شرائها في سِني الخصب؛ فهلك وحاصلُه منها جُملة غليظة[7].

[عِدّة الجند وأنواع السلاح على عهد المنصور:] وكتب إليّ أبو عبد الله بن سعيد التيجاني[8] بما أُثْبِته فقال: "كان عدد جميع أجناد العامريين من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار،

1- صنوف عند كسروي- المصدر السابق- ج2 ص92.

2- عند كسروي: أحد. ج2 ص92.

3- تقابل سنة 984م.

4- مدي ساقطة عند كسروي- ج2 ص92.

5- تقابل سنة 988م.

6- يجتلبه في تحقيق كسروي- ج2 ص92.

7- ابن الخطيب- المصدر السابق- تحقيق ليفي بروفنسال- صص98-99/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- تحقيق كسروي- ج2 صص92- 98.

8- أبو عبد الله محمد بن سعيد التيجاني: لم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

وجميعهم مرتزقون في الديوان يُقام[1] لهم بالحُملان والحِلية والسلاح والمنازل والنفقة والعُلوفة على مراتب مختلفة إثني عشر ألف فارس ومائة زيادة.

قال: "وانتهى تحصيلُ المنصور بن أبي عامر لجميع من ضمّه عسكره في بعض صوائفه الحافلة من الفرسان خاصة إلى ستة وأربعين ألف فارس؛ فكان عدد فُرسان الحرس لحَمل العُدّة وخِدمة العساكر ستمائة فارس، وعدد الشُرَط والرُّوَّاد المُتصرِّفين في خدمة العساكر مائتي فارس، وعددُ الطبّالين مائة وثلاثين فارس، وانتهى عددُ الرجّالة معهم إلى ستّة وعشرين ألف راجِل.

وذكر[2] أن المنصور بن أبي عامر لما اعتدّ للصائفة التي توفي في قفوله عنها سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[3]، أنفذ الكتب إلى جميع الثغور بأن يلحق ببابه جميع طبقات المترَجّلين من فرسان الجند بسائر النواحي[4] ليشرف عن حملهم بنفسه؛ فعمَّهم جميعًا[5] بالإركاب لكثرة ما تكامل من الخيل يومئذ، وقاد مع نفسه في العسكر بعد ذلك سبعمائة رأس من الخيل أَعْراء عُدّة لما يحدث في طريقه، ومعه خمسون فرسًا من العِتاق لركابه إلى قريب من عِدّتها تَخلَّفها بقرطبة، وأفضل مع ذلك كله في الاصطبلات بقرطبة مقدار ألف فرس عدويّة كانت طريَّة العبور، استغنى عنها، وأمر بالقيام عليها.

قال: وواصل الابتياع[6] على ذلك في طريقه كله من الوفود وغيرهم إلى أن ورد مدينة سالم، [وفوده من الأمراء][7] نحو ألف فرس، وكان له من المطايا والبغلات سوى ما يحمل عليه مائتان وخمسون رأسًا، منها لركابه نحو خمسين.

وكان له من البِغال المُستخدمة في الأسفار نحو الف رأس سوى الزوامل الخادمة للخيل ومطايا الوُكلاء، وكان له من الجِمال المتصرفة في حمل الأثقال أربعة آلاف إلا مائة بمسارح كورة تُدْمير[1]،

1- في تحقيق كسروي: يقلع. المصدر السابق- ج2 ص92.

2- في تحقيق بروفنسال: وأذكر. أعمال الأعلام- ص99.

3- تقابل سنة 1001م.

4- في تحقيق كسروي: القوات. ج2 ص93.

5- في تحقيق كسروي: فجمعهم جميعا. ج2 ص93

6- في تحقيق كسروي: الاتباع. ج2 ص94.

7- في الأصل: وقوده من الأعراء. أعمال الأعلام- تحقيق بروفنسال- ص100.

وكان له من الرِّماك[2] المستنتجة بجزائر[3] إشبيلية المعروفة بالمدائن، على أجناسها ثلاثة آلاف فرس، يعدلها من فحول الخيل للضِّراب أوان الاستنتاج مائة رأس تعزل عند العلوف[4].

قال: وكانت حمولة ابن أبي عامر لغزاته الصائفة الحافلة ما بين أثقاله وأثقال غِلمانه خاصة تنتهي إلى ألفَي رأس في أعمِّ السِّنين، إلى مائة رأس كانت معه تحمل أرْحاءَ الطحن[5] المَوَزَّعة بجهات عسكره[6] لطحن الأزواد، وربّما قَصُر ظَهرُه هذا عن حُمولته في بعض الأوقات؛ فيحتاجُ إلى الاكتراء من الناس من بلد إلى آخر.

ثم قال: ومن تفصيل حُمولته، وفَصّل ألقابًا من السُّرادق الكبير، والمطبخ وآلات الوضوء، ودار الصناعة، وأغلال السجن، وحَمل[7] المال، وأرحل النِّساء الغَوازي، وأخبية الفتيان، وكان من جُملتها: مائة داخل السُّرادق ومائتان إلا ستة تُتحمّل[8] لمن لا قطيعة له من الجند، وثلاثمائة خِباء تُتَحمَّل للرجَّالة[9]، وثلاثون خِباءً فاضلة للأضياف والواردين.

ثمّ ذكر عددًا كثيرًا للغطاء والوطاء على صنوفه[10]، وآلات الطبخ والسقاء[11]، والوضوء والمائدة، وتوابيت الكِسَى والخلع، وآلات المَنْجَنيق وتوابيت النِّبال، وصناعات العسكر والزَّيت والنَّفط والقطران، والمُشاقَة وما يُستضاف إلى ذلك، وأحمال الدروع والعُدّة، وأَرْحُل الزَّمَّالين والمقدَّمين.

1- كورة تدمير: كورة بالأندلس تحوي على معدن الفضة. البكري- المصدر السابق-ج2 ص898/الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص538/الزهري- الجعرافية- ص83.

2- في تحقيق كسروي: الرباط، والرماك جمع رمكة، والرمكة جمع رَمَك ورِماك ورَمْكات وأَرْماك، وهي الفرس أو البِرْذَونة تُتَّخذ للنسل. المنجد في اللغة والأعلام- ص280.

3- في تحقيق كسروي: بحراز، والحرز الموضع الحصين. المصدر السابق- ج2 ص94/المنجد في اللغة والأعلام- ص126.

4- في الأصل: العلوق، والصواب ما أثبتنا من تحقيق كسروي.

5- في تحقيق كسروي: الأرحاء للطحن.

6- في تحقيق كسروي: على جهات العسكر.

7- في تحقيق كسروي: جمل.

8- في تحقيق كسروي: سنة تحمل.

9- في الأصل: الرجّالة.

10- في تحقيق كسروي: ضيوفه.

11- في الأصل: السقائين، وما أثبتنا من تحقيق كسروي.

ثم قال: وهذا كله زائد على ما كان يقدم إلى الثغر من العُدّة على دواب الأكرياء والمستأجرة لحمل[1] ستمائة تُرس عاميّ، وألف تُرس سُلطانيّ، وألفيْ حربة إفرنجية، وألفيْ وضم للرجم، وأربعمائة واثنين وعشرين خِباءً، ومائة وسبعة وسبعين خباء من الأخبية المعروفة بالفُرود، وخمسين رُبعًا من الزيت؛ وستة مجانيق من مدينة سالم، ومائتي ألف سهم، وخمسة ألاف تُرس سُلطانيّ من مدينة سالم، ومائتي زوج من أزواج المطاحن، وآلات الحديد، وكان يُدفع لأهل الحملان وللموالي فرسٌ ومَطية[2] وسرجٌ ولِجامٌ، ولكلّ واحدٍ نفقةٌ شهريةٌ[3] من الطعام والعُلوفة، وتُعَيَّنُ لهم الدورُ للسُّكْنى.

وكان الرَّسم أن يُصنع من الأخْبِية عِدَّة للجُند كل عام على أجناسها ثلاثة آلاف خباء، إلى ما يُقيمه السلطان لنفسه، ولمن يَتموَّن إيّاه من كبار خَدَمه وغِلْمانه.

وكان يُصنعُ بدار الترّاسين من أصناف التِراس كل سنة، حسبما تلقيته من يحيى الترَّاس أحد من بقي من مَشْيخة الترّاسين في وقتنا؛ فقال: كان الطَّريحة من التِراس في السنة ثلاثة عشر ألف تُرْس، وطَريحَة القِسيّ في السنة اثني عشر ألف قوس بشطرين عربيّة وتُركية: ستة آلاف من قِبَل أبي العباس البغدادي المُعلِّم الأكبر بقرطبة، ومثلها من قِبَل طَلَحة الصَّقلبيِّ بالزَّهراء، وكانت طريحةُ النبل في الشهر عشرين ألفًا.

قال التِّجاني: وكان بالزاهرة على ذلك كلّه من التِراس الحَفْصونِيّة[4] المُعدَّة للتوزيع على رجَّالة قرطبة وغيرهم من المَحْشودة أيّام البروز والزينة[5] أربعون ألفا، وكان فيها من أبدان الدروع المستعدَّة فيها لذلك سبعة آلاف دِرع، ومن أجناس الدروع السّوابغ والغلائل السابِريَّة[6] خمسة آلاف درع، ومن الجَواشِن التَّنَسِيَّة[7] والخُرسانِية سبعمائة قطعة.

1- في تحقيق كسروي: فحمل. المصدر السابق- ج2 ص95.

2- في تحقيق كسروي: من وطيئة. ج2 ص95.

3- في تحقيق كسروي: نفقة شهرين.

4- في تحقيق كسروي: الحصونية.

5- في تحقيق كسروي: البرور والترفيه.

6- في تحقيق كسروي: السامرية، والسابري درع دقيقة النسيج محكمة. المنجد في اللغة والأعلام- ص318.

7- في تحقيق كسروي: المتشية.

قال: وكان الجاري من اللحم على صقالبة ابن أبي عامر على طبقاتهم في الشهر وقِسط المياوَمة[1] سبعة وعشرين ألف رطل، والجاري على نسائه في قصره على طبقاتهنّ منه تسعة آلاف رطل، سوى وظيفة مَطْبَخة الخاصّة المُقامة كل يوم؛ فإنّه لم يقف عليها.

وزعم أن عدّة الفُرسان من البرابرة الغُرباء في ديوانه ثلاثة آلاف فارس، يَنْضاف[2] إليها من رجّالة الرَّقَّاصة السُّودان الداخلين في عدادهم ألفا راجِل[3] تتمة خمسة آلاف.

وذكر أحوال الطِّراز وما يُصنع فيها، ومقدار ما كان يَردُ على بابه من الرَّصاص والخشب؛ فرأينا أنّا نطولُ بجلب ذلك.

قال: وكان يُزدرع[4] لدوابّ السلطان من شعير القصيل[5] لقضيم خَيل الحملان وغيرها مُفْتَتَح الزريعة من كلّ شتوة بالأحقال[6] السلطانية في أعمّ السّنين خمسمائة مُدي[7] من الشعير، وكان حاصلُ الابتياع[8] من الخيل في أعمّ السّنين ثمانية آلاف فرس سوى ما يُبتاع من البغال بأرض الأندلس.

قال: ولما عزم على غزو مُنْتِمَيُور احتاج إلى الاستكثار من البغال؛ وأمر باستحضار ما يصلح منها، وقعد لما يُقاد بين يديه منها؛ فابتاع في سبعة أيّام متوالية من شوّال من هذه السنة ثلاثة آلاف رأس.

1- المياومة: من فعل ياوَمَ يِوامًا ومُيَاوَمة، وياومه أي عامله بالإيّام، والمقصود هنا التعيين الجاري يوميًا لا يتغير ولا يقف ولا ينقطع لأي سبب أو التموين اليومي. المنجد في اللغة والأعلام- ص927.

2- في تحقيق كسروي: فيضاف. المصدر السابق- ج2 ص96.

3- في تحقيق كسروي: رجل.

4- في تحقيق كسروي: يزد ربع.

5- القصيل: يُقال قَصلَ فرسه يَقْصِله أي علّفه القصيل، والقصلة الطائفة المنقصلة من الزرع. الزمخشري- أساس البلاغة- ص511/المنجد في اللغة والأعلام- ص634.

6- في تحقيق كسروي: بالأجعال.

7- في تحقيق كسروي: مُدٍّ.

8- في تحقيق كسروي: الابتداع.

وقال: شاهدت عند التقابض في خزانة[1] السلاح بين محمد بن إسماعيل المقريطي[2] وعبد الله بن اللباد[3]؛ فأذكر أن المقريطي دخل فيها من العُدّة على نحو خمسة عشر ألف جُنَّة، ما بين درع سابغة وجَوْشَن[4] وبَدَن خاصّة، وأمّا سائر الأسلحة من الدرق[5] والتراس والسيوف والرماح والبَيْض، والطَّشْتانِيّات[6] والسُّوق[7] والسواعد والدَّبابيس والطَّبرْزِينات[8] وغير ذلك.

ففات إحصائي كثرة، إلى ما شارفته في خزائن الحلية من أجناس المراكب المُفَضَّضة والمُذَهَّبة[9]، والحِزم والمناطِق والسُّروج واللُّجم المختلفة الصفات، وغير ذلك مما يحير اللُّب اتِّساعًا وكثرةً، كلُّ هذا أحاطَ به النَّهبُ يوم قيام ابن عبد الجبّار خطفةً[10] في ساعةٍ، لم يحصل منه على شِركة؛ فأَعْظِم بها نكبة[11].

[قرطبة وأرباضها على عهد المنصور:] وبلغت المدينة من الاتساع والانبساط وبُعد الأقطار إلى أن كانت أرباضُها إحدى وعشرين ربضًا: كلُّ رَبَض منها يُعدُّ أكبر مدينة من مدائن الأندلس.

1- في تحقيق كسروي: خزائنه.

2- محمد بن إسماعيل المقريطي: لم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

3- عبد الله بن اللباد: لم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

4- جوشن: جمعها جواشن، وهي الصدر أو الدّرع. المنجد في اللغة والأعلام- ص110.

5- الدرق: الصلب من كل شيئ، مفردها الدرقة، وهي الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس- تحقيق عارف أحمد عبد الغني ومحمود خلف البادي- دار سعد الدين ودار كنان- ط1- 1431هـ/ 2010م- ص289/المنجد في اللغة والأعلام- ص213.

6- الطشتانيات: الطشتانة والطلشانة هي الخَوذة الخشبية حسب المقري. المصدر السابق- ج1 ص366.

7- في تحقيق كسروي: السنون.

8- في تحقيق كسروي: الطبورنيات، والطبرزينات: مفردها الطبرزين، وهي كلمة تركية من أصل فارسي: طبر الفأس، زين السّرج، وهي فأس تعلق بالسّرج، وقد استعملت هذه الفأس، وتسمى البلطة الحادة، من قِبل الإفرنج، وتزن حوالي 1،2 كلغ وطولها حوالي 18 سم وحوالي 4سم في المقبض، ويُمكن القتال بها في دائرة من 4 إلى 12 مترا. محمد حناوي- النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط1- 2003م- هامش1 ص264.

9- في تحقيق كسروي: المُزَيَّنة.

10- في تحقيق كسروي: خطفه.

11- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص99-103/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- تحقيق كسروي- ج2 صص92- 96.

بالجهة الغربية منها تسعةٌ: ربض الرَّقَّاقين[1]، ربض مسجد الكهف، ربض حوانيت الرَّيحاني[2]، ربض مسجد الشِّفاء، ربض مسجد مَسْرور[3]، ربض بلاط مُغيث، ربض حمَّام الإلْبيري، ربض السِّجن القديم، ربض الرَّوض المُحْدَث.

وبالجهة الجوفية ثلاثة: ربض الرُّصافة، ربض باب اليَهود، ربض قُوتَ رَاشُه المسنوب إلى أمِّ سَلمَة[4].

وبالجهة القِبْليَّة إثنان: ربض شَقُنْدَة، وربض مُنْيَة المُغيرَة[5].

وبالجهة الشرقية: ربض مُنْيَة عبد الله، ربض فُرْن برِّيل، ربض فَحْص[6] الناعورة، ربض المدينة، القصبة العتيقة واسِطة البلدة، وكان ينقسم على رَبَضَيْن: الجامعُ وما حوله رَبَضٌ واحدٌ يتولاه عَريفُه ومَحارِسُه على حِدَه، وربضٌ آخر بذاته ينفرد به أيضًا عَريفُه[7].

وكان ذَرْعُ مسافة[8] الخَنْدَق المضروب على قرطبة أيّام قتال البرابرة من جهاتها الثلاث له، إذ أغنى[9] النهر الأعظم عن مدِّ الحَفير عليها من الجهة القِبْلِيَّة، سبعةً وأربعين ألف ذراع وخمسمائة ذراع، يجب لها ستة عشر ميلا غير سُدُسِ ميلٍ[10].

[**عِدَّة المساجد والحَمّامات على عهد المنصور**[11]:] إن عدّة المساجد عند تَناهيها في مُدّة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد، والحمامات تسعمائة حمام[12].

1- كذا عند المقري- المصدر السابق- ج2 ص12، وفي تاريخ الأندلس: الدقاقين- ص76.

2- في الأصل: الرياحاني، وما أثبتنا من تحقيق كسروي- ج2 ص97/مجهول- تاريخ الأندلس- ص76، ووردت باسم ربض حوانيت الريحان عند المقري- المصدر نفسه- ج2 ص12.

3- في تحقيق كسروي: سرور. المصدر السابق- ج2 ص97.

4- الفقرة من "وبالجهة الجوفية... أم سلمة" ساقط في تحقيق كسروي. نفسه- ج2 ص97.

5- ربض منية عجب في نفح الطيب- ج2 ص12.

6- في تحقيق كسروي: مجص.

7- وردت أسماء أرباض قرطبة مع بعض الاختلاف عند المقري- المصدر نفسه- ج2 ص12/مجهول- تاريخ الأندلس- ص76-77.

8- في تحقيق كسروي: مساحة.

9- في تحقيق كسروي: أعني.

10- ابن الخطيب- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال- ص103/ابن الخطيب- المصدر السابق- تحقيق كسروي- ج2 صص96- 97.

11- قال المقري في بداية النص: "وقال ابن حيان: ..." المصدر السابق- ج2 ص80.

12- نفسه- ج2 ص80.

[**عِدَّة الفِتْيان العامِريين وأسماؤهم:**] قال: وهلك[1] المنصور عن سبعة خُلفاء من فِتْيانه الأكابر، وكان شأنُهم في مُلْك الأمويّة كبيرًا، وهو يَسوءُ[2] بثقل كُلْفَتهم الباهِظة؛ فلما تولى ولده عبد الملك بعدَه الأمرَ، بلغ بهم ستّة وعشرين خليفةً؛ فضاعف مَؤنَتَهم أضعافًا كثيرةً، وكان من مشاهيرهم: واضِح، بَشير، نظيف، نجاء، شُعْلة، مُظفَّر، مُجاهِد، زُهير، خَيْران، نَصْر، نُصَيْر، طَرَفَة، شَفيع، يُمْن، واثِق، بَشير، واضِح، بُشْرى، الزَّاب، بُلَيْق، كَوْثَر، خَلَف، جَعْفَر، خَلَفٌ آخر. انتهى كلام التيجاني[3].

[**أحْمالُ الحَطَب الدّاخل إلى قرطبة:**] ومن خط الميزاني الكاتب[4] في تأريخه قال: أحبّ المنصور أن يتعرّف مقدار ما يدخل قرطبة من جِهاتها من أحمال الحطب في اليوم الواحد من أيّام دُرورِه للاحتكار؛ فوكل بإحصاء ذلك عِدّة من ثِقاته؛ فقعدوا[5] له راصِدين بسائر طرق قرطبة وأنْقابِها، وكتب كلُّ واحد منهم ما أحْصاهُ، ورفعوا جميعَه؛ فانتهى[6] إلى ستّة آلاف حِمْل وستّمائة حِمل على اختلافِها[7].

ذكر خبر وفاة المنصور بن أبي عامر[8]: وخرج المنصور إلى الغُزاة، وقد وقع في مرضِه[9] الذي مات منه، في صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[10]، واقتحم أرض جليقية من تِلقاء مدينة طليطلة[1]،

1- في تحقيق كسروي: وملك. المصدر السابق- ج2 ص97.

2- في تحقيق كسروي: يثور. نفسه- ج2 ص97.

3- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص103-104/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- تحقيق كسروي- ج2 صص97- 98.

4- الميزاني الكاتب: لم نعثر على ترجمته في المصادر المستعملة في التحقيق.

5- في الأصل: فأعدوا، وما أثبتنا من تحقيق كسروي. نفسه- ج2 ص98.

6- في تحقيق كسروي: فبلغ.

7- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص104/ابن الخطيب- المصدر نفسه- تحقيق كسروي- ج2 ص98.

8- قال ابن بسام في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- م4 ص46.

9- ذكر عبد الواحد المراكشي أن المنصور توفي في "أقصى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم مبطونا؛ فصحّت له الشهادة". المصدر السابق- ص37.

10- تقابل سنة 1001م، ذكر ابن الخطيب أن ابن أبي عامر توفي بعد انصرافه عن غزوته إلى بلد ابن غومس صاحب قشتالة بمدينة سالم...، محمولا إليها من بلد الحرب على الرؤوس، عزيزا...، ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة 392ه/1001م، أما عبد الواحد المراكشي فقال: إنّ وفاة ابن أبي عامر كانت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. أعمال الأعلام- تحقيق بروفنسال- ص80-81/المعجب- ص37.

ومرضهُ يخفّ وقتا ويثقل وقتا، ونفذ على عمل بني غومس إلى أرض قشتيلية، بلد شانجُة بن غَرسِيَة، وهو كان مطلوبه الذي ألّب عليه الجماعة؛ فأحلّ الغارات بأقطاره؛ فقويت عليه العلّة هنالك؛ فاتُّخِذ له سرير خشب ودَّع عليه أعضاءه، وسُوّيَ مهادهُ مُتطاولَ الشكل يمكنه الاضطجاعُ عليه متى خارت قواه.

وكان يُحملُ سريره على أعناق الرجال، وسِجْفُه[2] مُنسدلٌ عليه، وعساكره تحفُّ به وتُطيع أمره، وكان يُحملُ بين يديه شراعٌ خفيفٌ منصوبٌ يُنقل على الأيدي؛ فإذا حركته الخلفَة أُنزل سريره إلى جنب الشّراع ليقضي ما به من حاجة، وتناولُ وضوءه جاريتان من قُوّامِه كان حملَهما في غزاته؛ فكانتا تسيران وسط الفتيان.

وما كان بين نزوله واستقلاله إلا الفترة لقوّة الخلْفَة؛ بذلك قطعَ أربع عشر يوما حتى وصل إلى مدينة سالم، وكان هجَر الأطباء في عِلته تلكَ لاختلافهم فيها، واقتصرَ على أوصاف كاتبه الجزيري عبد الملك[3] وأيقنَ هنالك بالموت، وكان يقول: "إنَّ زِمامي يشتملُ على عشرين ألف مُرتزقٍ ما فيهم أسوأ حالاً منّي، ووددتُ أن أقال زلّتي وأنا كبعض هؤلاء السّودان الحاملينَ لسريري، وكان تحملُ السّودان الرَّقاصَةُ لِلينِ مشيهم، وكان يتأذّى بصُنان ريحهم مع ما كان حوله من الطّيب.

فاشتغل ذهنُه يومئذ بقرطبة وهو بمدينة سالم، وقد أيقن بالوفاة؛ فأمر ابنه عبد الملك بالنّفوذ لشدّها في طائفة من ثقات غِلمانه بعد أن أوصى كلّهُم أشتاتا وجماعة، ثم خلا بولده عبد الملك يوصيه ويودّعه ويقبض على يده، وكلما ذهب عنه استردَّه مستدركا بوصيَّتِه، وعبد الملك يبكي؛ فينكرُ ذلك عليه ويقول: "هذا أوّلُ العجز والفَشَل"؛ إلى أن قضى وَطَرَهُ مما بينهُ وبين عبد الملك، وأمرهُ أن يستخلفَ أخاه عبد الرحمن على العسكر إلى أن يُنْفِذ حُكْمَهُ فيه، وخرج عبد الملك

1- زاد ابن سعيد: "إلى أرض قشتالة، بلد شانجة بن غرسية، وهو كان مطلوبه، فأحال الغارة إلى بلاده".المصدر السابق- ج1 ص138.

2- سجفه: مفردها السِّجاف وهو السَّتر، والسِّجاف ما يُرَكَّب على حواشي الثوب. المعجم الوسيط- ص417.

3- تقابل سنة 1001م، ذكر ابن الخطيب أن ابن أبي عامر توفي بعد انصرافه عن غزوته إلى بلد ابن غومس صاحب قشتالة بمدينة سالم...، محمولا إليها من بلد الحرب على الرؤوس، عزيزا...، ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة 392هـ/1001م، أما عبد الواحد المراكشي فقال: إنّ وفاة ابن أبي عامر كانت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. أعمال الأعلام- تحقيق بروفنسال- ص80-81/المعجب- ص37.

إلى قرطبة ومعه القاضي ابن ذكوان؛ فدخلها في صدر شوال من العام؛ فسكَّنَ الإرجافَ[1] بموت والده، وعرّف الخليفة كيف تركه.

قال لي أبي خلف بن حسين[2]: ووجد المنصور بعض الرّاحة، وأمر أن تَدخُل عليه جماعةٌ فدخلتُ في جُملتهم ودنوت منه، وهو كالخيال لا يُبينُ كلامًا، وأكثرُ عمله بالإشارة كالمُسلِّم المُودِّع، وخرجنا فكان آخرَ العهد به، ومات ليلة الإثنين لثلاث بقين لرمضان من العام المؤرّخ، وعلينا في العسكر عبد الرّحمن ابنُه فعزَّيناهُ، وكان أوصى أن يُدفنَ حيثُ يُقبضُ ولا يُنقلُ تابوتُه؛ فدُفِن في قصره بمدينة سالم، ورأوا أنّه اختارَ اللهُ له، إذ كانت من أطيبِ ما بناه رحمه الله.

وتلوّم ابنه عبد الرحمن بالعسكر مدّة الأسبوع، وهو ينتظر رأي أخيه عبد الملك في القُفول، والغِلمان يضطربون عليه، وطمعوا في ردّ الدولة؛ فقال لهم عبد الرحمن: اصبروا؛ فكشفوا ما في أنفسهم له، وقالوا: وإنما نحن في حِجر آل أبي عامر الدّهرَ الداهِر؟ نلحقُ بباب مولانا الخليفة هشام ولا نتدَبَّرُ إلاَّ بأمره؛ فتقدّمه إلى قرطبة منهم نحو سبعمائة منهم عُبيد الله بن بدرٍ، ثم جاءه بعدُ إذنُ أخيهِ؛ فقدِم هو بسائر العسكر، وتجدَّد يومَ وردَ قرطبة من الحزن بابن أبي عامر، وحَرَّكه خَدَمُه، وقِيَّانُه قد ألبستْ المَسوحَ[3] والأكْسيَة بعد الوشي والحِبر ما لا شيء فوقه[4].

[ذكر وصية المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الملك[5]:] سمعت محمد بن أبي عامر يوصي ابنه عبد الملك في مَرْضَته تلك، ويقولُ في جُملة كلامه: يا بني، لستَ تجدُ أنصحَ لك [ولا أشفق عليك منّي][6]؛ فلا تُعدّينَّ مشورتي؛ فقد جرّدتُ لك رأيي ورَوِيَّتي على حين اجتماع من ذهني؛ فاجعلها مثالا بين

1- الإرجاف: أرجف خاض في الأخبار السيئة والفتن قصد أن يهيج الناس، وأرجف القوم بالشيء وفيه أي خاضوا فيه. المنجد في اللغة والأعلام- ص251.

2- قال ابن بسام: "قال ابن حيان: ..."، وذكر ابن سعيد أيضًا أن ابن حيان نقل الخبر عن أبيه خلف بن حسين. المغرب- ج1 ص138.

3- المَسُوح: المَسْح وجمعها أمْساح ومَسوحٌ الكِساء من شَعَر، وما يُلبس من نسيج الشَعَر على البدن تَقشُّفا وقَهْرًا للجسد. المنجد- ص760.

4- ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص46-47، وورد النص مُختصرا عند ابن سعيد- المصدر نفسه- ج1 ص138.

5- قال ابن بسام: "أخبرني أبي قال: ..."، ويقصد والد أبن حيان. المصدر نفسه- م4 ص47، وذكر ابن الخطيب النص دون التصريح بصاحبه حيث قال: "وحَدَّث من سمعه يوصي ابنه عبد الملك في مرضه الذي مات فيه". المصدر السابق- ص81.

6- زيادة من ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص81.

يديك[1]، وقد وطّأتُ لك مِهاد الدولة، وعدَّلتُ لك طبقات أوليائها، وغايرتُ لك بين دخْل المملكة وخَرجها، واستكثرتُ لك من أطعمتها وعُدَدها، وخَلَّفتُ جِباية تزيد على ما يَنوبُك لجيشك ونَفقَتِك؛ فلا تُطلِق يدكَ في الإنفاق، ولا تُقَيِّضْ لظَلَمَة العمّال؛ فيختلُ أمرُكَ سريعًا؛ فكلُّ سَرَفٍ راجعٌ إلى اخْتلالٍ لا محالة؛ فاقصدْ في أمركَ جهدكَ، واسْتثبِتْ فيما يرفعُ أهلُ السّعاية إليك، والرعِيّةُ قد استقصيتُ لكَ تقويمها، وأعظمُ مُناها أن تأمنَ البادرة، وتسكنَ إلى لين الجنَبَة، وصاحبُ القصر قد علمتَ مذهَبَه، وأنّه لا يأتيكَ من قِبَله شيءٌ تكرهُه، والآفةُ ممّن يتولاّه ويلتمسُ الوثوبَ باسمه؛ فلا تنم عن هذه الطائفة جُملة، ولا ترفعْ عنها سوء ظنٍّ وتهمة، وعاجل بها من خِفته على أقلّ بادرة، مع قيامكَ بأسباب صاحب القصر على أتمّ وجه؛ فليس لك ولا لأصحابك شيء يقيكم الحِنْثَ في يمين البيعة إلا ما تقيمه لوليّها من هذه النفقة؛ فأما الإنفرادُ بالتدبير دونَه مع ما بلوته من جَهلِه وعجزه عنه؛ فإني أرجو أني وإياكَ منه في سعةٍ ما تمسّكنا بالكتاب والسُّنة.

والمالُ المخزون عند والدِتك هو ذخيرةُ مملكتك، وعدةٌ لحاجة تنزلُ بك؛ فأقمْهُ مقام الجارحة من جوارِحكَ التي لا تبذلُها إلاَّ عند الشدّة تخافُ منها على سائر جسدكَ، ومادةُ الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة.

وأخوك عبد الرحمن قد صيّرتُ إليه في حياتي ما رجوتُ أني قد خرجتُ له فيه عن حقّه من ميراثي، وأخرجتُه عن ولاية الثغر لئلا يجدَ العدوُّ مَساغًا بينكما في خلاف وصيّتي؛ فيُسرع ذلك في نَقض أمري، ويَجلبَ الفاقِرةَ على دولتي، وقد كَفيتُك الحيرة فيه فاكْفِه[2] الحيفَ منك، وكذلك سائرُ أهلك فيما صنعتُ فيهم بحسب ما قدَّرتُ به خلاصي من مال الله الذي في يدي، وخلافتُك بعدي أجْدى عليهم ممّا صرفتُه [إليهم][3]: فلا تُضيِّع أمرَ جميعهم، والحظهم بعَينيك[4] فإنّك أبوهم بعدي؛ فخرّج ذكورهم باستخدامك، وألحِفْ إناثهم جناحَك جبرَ الله جماعتهم، وأحسنَ الخلافةَ عليكم[5].

1- يديك عند ابن الخطيب- المصدر السابق- ص81.

2- "فاكفني الحيف منك عليه" عند ابن الخطيب. المصدر نفسه- تحقيق بروفنسال- ص82.

3- زيادة من ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص82.

4- في الأصل: بعيني، ولعل الصواب ما أثبتنا.

5- عليهم عند ابن الخطيب- نفسه- ص82.

فإن انقادتْ لك الأمورُ بالحضرة فهذا وجهُ العَمل وسبيلُ السيرة، وإن اعتاصتْ عليك فلا تُلقينَّ بيدك إلقاء الأَمَةِ، ولا تُطَّبيك وأصحابك السلامة[1]؛ فتنسَوْا ما لكم في نفوس[2] بني أُمَيّة وشيعتهم بقرطبة؛ فإن قاومتَ من توثَّب عليك منهم فلا تَذْهل عن الحزم فيهم، وإن خِفتَ الضعف فانتبذْ بخاصتك وغِلمانك إلى بعض الأطراف[3] التي حصَّنتُها لك، واختبرْ غَدَك إنْ أنكرتَ يَومَك، وإيّاك أن تضع يدكَ في يد مَرواني ما طاوعتكَ بنانُك؛ فإنّي أعرف ذَنبي إليهم[4].

[وصيّة المنصور لغِلْمانه وطوائف جنده[5]:] وسمعته يقول لغلمانه عند هذه الوصية: "تنبّهوا لأمركم، واحفظوا نعمةَ الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم، ولا تَغرنَّكم بوارقُ بني أمية، ومواعيدُ من يطلبُ منهم شَتاتَكم، وقدِّروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم بقرطبة من الحقد عليكم؛ فليس يَرأسُكم بعدي أشفقُ عليكم من وَلدي، ومِلاكُ أمرِكم أن تنسَوْا الأحقادَ، وأن تكونَ جماعتُكم كرجلٍ واحدٍ فإنّه لا يُفَلُّ فيكم"[6]، ومازال يُكرّر هذا وشِبهُ لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضَعُف وشُغِل بنفسه[7].

[ذكر مدّة حِجابة المنصور ابن أبي عامر[8]:] وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة توفي المنصور ابن أبي عامر رحمه الله ليلة الإثنين لثلاث بقين لرمضان المعظم وهو ابن خمس وستين سنة وعشرة أشهر، وكان له من الولد الذكور يوم وفاته اثنان وهما عبد الملك وعبد الرحمن الناصر؛ فكانت مدة قيامه بالدولة منذ تقلد الحجابة إلى أن توفي خمسا وعشرين سنة وأربعة وأربعين يوما، وترك من الأموال

1- "ولا تُبْطرْ بك وبأصحابك النعمة والسلامة" عند ابن الخطيب- المصدر السابق- ص82.

2- "فتنسوا آمالكم في بطون بطون بني أمية" عند ابن الخطيب- نفسه- ص82.

3- "المعاقل" عند ابن الخطيب- نفسه- ص82.

4- ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص47- 48/ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص81-82/أحمد عزاوي- المرجع السابق- ص143-144.

5- قال ابن بسام: "قال"، ويعني به ابن حيان. المصدر نفسه- م4 ص48.

6- هنا ينتهي نص الوصية عند ابن الخطيب- المصدر نفسه- تحقيق بروفنسال- ص82.

7- ابن بسام- المصدر نفسه- ج4-ص47-48/ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص81-82.

8- قال ابن عذاري قبل بداية الفقرة: "قال حيان بن خلف: ... وجد بالمنصور... وفي سنة اثنتين وتسعين...". المصدر السابق- ج2 ص301.

الناصة بالزاهرة أربعة وخمسين بيتا، وكان عدد الفرسان المرتزقين بحضرته ونواحيها الذين حارب بهم الحروب عشرة آلاف وخمس مائة وأجناد الثغور قريبا من ذلك[1].

[ذكر خبر سهر المنصور على أمور دولته:] وحدّث فَتاهُ شُعْلَة مُلازِمُه قال: غلب عليّ السحرُ عند مولاي، وقد اختلف ما بَينه وبين الخليفة؛ فكان يفرُّ على الحرم، ويصعد إلى قُبَّته المُسمّاة بلؤلؤة وغيرها من مُسْتَشْرفاته يرعى النجوم، وينفرد بنفسه، ويكبُّ على الفكرة، والشّمعة بين يديه، والدَّرْج مُلقًى على الدواة إلى جانبه؛ فإذا ثابَ له رأيٌ أثْبتَه، ولا يزال كذلك إلى ان يدنو الفجر؛ فيستلقي على مهادٍ يَجدُه في كل وجهةٍ من أماكن خَلْوَته؛ فلا يتحصّل لأهله على الحقيقة مكانُ مَرقَدِه، ولا يزالُ قائمًا على القدم حتى تُدْنَى منه سِواكُه ووُضوءه، ويُؤذِّنه المؤذّن بالصلاة فيقضيها، ويربط الدَّرْج في مِنْديل كُمِّه، ويرفع السِّتْر عنه؛ فيُدْخِل من رَسْمُه البكورُ من الخاصّة والوزراء والصحابة؛ فيُناظِرُهم فيما رسمه ليلُه، ويأمرُ بتقييد ما شاء منه إلى أن يرتفع النهار ويجتمع الناس؛ فيأخذُ في النظر العامّ، ويُناوِلني الدّرج؛ فأقْطَعُه صِغارًا وأغرقُه في ماء وردٍ بحضرته حتى تخفى أجزاؤُه[2].

ولقد قلتُ له ليلةً: قد أفرط مولانا في السَّهر، وبَدنُه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم، وهو يعلم ما يُحرِّك عليه السّهر[3] من عِلَّة العصب؛ فقال: يا شُعْلة؛ حارس الدنيا[4] لا ينام إذا نامت الرعيّة، ولو استوفيتُ نومي لما كان في دُور هذا البلد [العظيم][5] عينٌ نائمةٌ[6]، ولو كنتُ من صاحب القصر، وأشار إلى ناحية الخليفة، على مِثْل مسافة بَسطة لأُحْرِمتُ النوم؛ فكيفَ وإنَّما بيننا مدى صيحةٍ[7].

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص301، وقال ابن الأبار القضاعي: "وكانت حِجابة المنصور خمسًا وعشرين سنة، وعُمره خمسًا أو ستًا وستين سنة". الحلة السيراء- ج1 ص277.

2- انفرد بهذه الرواية ابن الخطيب- المصدر السابق- ص76.

3- "يُحَرِّكُه عدم النوم" عند ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص298/المقري- المصدر السابق- ج1 ص399.

4- "إن الملك" عند ابن عذاري- المصدر نفسه- ج2 ص298/المقري- المصدر نفسه- ج1 ص399.

5- زيادة من ابن عذاري- المصدر نفسه- ج2 ص298/المقري- المصدر نفسه- ج1 ص399.

6- قال المقري: "انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور"، والنقل من ابن حيان كما ورد في نفح الطيب- ج1 ص393.

7- قال المقري: "قال ابن حيان: وحّدث شُعْلة"، المصدر نفسه- ج1 ص399، وعليه فهو من رواة ابن حيان، وقد أورد ابن الخطيب النص دون نسبته إليه. المصدر السابق- تحقيق بروفنسال- ص76.

[ذكر وزراء وكتاب الدولة العامرية على عهد المنصور محمد بن أبي عامر:]

[ذكر الوزير أحمد بن سعيد بن حزم[1]:] إن المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر استوزره قبل سائر أصحابه في سنة إحدى وثمانين- يعني وثلاثمائة[2]- في خلافة هشام المُؤَيّد بالأندلس، واستخلفه أوقاتَ مَغيبِه على المملكة، وصيّر في يده خاتمه؛ فلمّا تناهت حاله في الجلالة، وأَمَّلَته الخاصّة والعامّة، اتَّهَمه المنصور بأنّه قد زُهِي عليه برأيه، وأَنِس منه عُجْبًا بشأنه؛ فصرفه عن الوزارة، وأقصاه عن الخِدمة، دون أن يُغيّر عليه نعمة، وكان يقول: "والله إنّ ابن حزم لَلنَصيحُ جيبًا، الأمين غَيبًا، ولكنه زُهِي برأيه، وظنّ أنّ سلطاني مُضطر إلى تدبيره"؛ فتردّد في نكبته مدة، ثم أخرجه لينظر في كُوَر الغرب باسم الأمانة؛ فَرَثِمَ[3] المذلّة، وتبرّأ من الدّالّة؛ فلمّا زَكِنَ[4] المنصور ذلك منه، أعاده إلى حُسن رأيه فيه، وصرفه إلى خطّته[5]، وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة[6]، وصلّى عليه ابن وافد[7].

[ذكر الوزير الكاتب أبي عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد[8]:] كان أبو عامر[9] يبلغُ المعنى، ولا يطيلُ سَفَرَ الكلام، وإذا تأمّلتَه ولسَنَه، وكيف يجرُّ في البلاغة رَسَنَه[1]، قلتَ عبد الحميد في أوانه،

1- قال ابن الأبار القضاعي في بداية النص: "ذكر أبو مروان بن حيان: ...". إعتاب الكتاب- ص191، وهو أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو عمر الوزير، والد الفقيه أبي محمد وزير الدولة العامرية، كان من أهل العلم والأدب والخير، وكان له في البلاغة يد قوية. الضبي- المصدر السابق- ص 169/ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص24.

2- تقابل سنة 991م.

3- رثم: يقال رثم فلان؛ أي لم يُبِن كلامه لآفة في لسانه. المعجم الوسيط- ص328.

4- زكن: يقال زكن إليه لجأ إليه وخالطه وكان معه، وزكن الأمر ظنّه ظنًّا كان عنده بمنزلة اليقين، وزكن الشيء عَلِمه وفهمه. المعجم الوسيط- ص396.

5- ابن الأبار القضاعي- المصدر السابق- ص191.

6- تقابل سنة 1011م.

7- زيادة من ابن بشكوال، وجاء قبلها لفظ: "قال ابن حيان: ...". المصدر نفسه- م1 ج1 ص24.

8- قال ابن بسام في بداية النص: "قد ذكره أبو مروان بن حيان في غير ما موضع من كتابه فقال: ..."، وقال ابن سعيد: "قال عنه ابن حيان: ...". الذخيرة- م1 ص118/المغرب- ج1 ص42.

9- هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، كان من أهل العلم والأدب والشعر وأقسام البلاغة، ولم ير لنفسه في البلاغة أحد يجاريه، وألف كتابا سمّاه "حانوت عطّار"، وكانت سائر رسائله وكتبه نافعة الجدّ، كثيرة الهزل، وشعره كثير مشهور، توفي سنة 426هـ/1034م. الحميدي- المصدر السابق- ص124/الضبي- المصدر السابق- ص 179-177.

والجاحظ في زمانه، والعَجَب منه أنّه كان يدعو قريحتَه إلى ما شاء من نثره ونظمه في بديهته ورويّته؛ فيقودُ الكلام كما يريدُ من غير اقتناء للكتب، ولا اعتناءٍ بالطلب، ولا رسوخ في الأدب؛ فإنّه لم يوجَدْ له، رحمه الله- فيما بلغني- بعدَ موته كتابٌ يستعينُ به على صناعته[2]، ويشحذُ من طبعه إلّا ما لا قَدْرَ له؛ فزاد ذلك في عجائبه وإعجاز بدائعه، وكان في تَنميق الهَزْل والنادرة الحارَّة أقدَر منه على سائر ذلك، وشِعرهُ حسنٌ عند أهل النّقْد، تَصرَّف فيه تَصرُّف المطبوعين؛ فلم يُقصِّر عن غايتهم.

وله رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض والأهزال، قِصارٌ وطِوال، برَّز فيها شَأوَه، وبقّاها في الناس خالِدةً بعدَه، وكان في سرعة البديهة وحضور الجواب وحِدَّته، مع رِقَّة حواشي كلامه، وسهولة ألفاظه، وبراعة أوصافه، ونزاهة شمائله وخلائقه، آيةً من آيات الله خالقِه، من رجل غَلبت عليه البطالة؛ فلم يحفل في آثارها بضياع دين ولا مروءة؛ فحطَّ في هواه شديدًا حتى أسقطَ شرفَه، ووهّم نفسه راضيًا في ذلك بما يَلذُّه؛ فلم يُقْصِر عن مصيبة ولا ارْتِكاب قبيحة.

وكان مع ذلك من أصحّ الناس رأيًا لمن اسْتشاره، وأضلّهم عنه في ذاته، وأشدّهم جنايةً على حاله ونِصابه، وكان له في الكَرم والجُود انهماكٌ، مع شَرفٍ وبِطالةٍ حتّى شارفَ الإملاق؛ فمضى على هذه السبيل رحمه الله[3].

[ذكر وفاة عيسى بن أحمد الرازي[4]:] توفي في شعبان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة[5].

[ذكر خبر أبي مُضر زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني[1]:] كان شاعرًا، عالمًا بأخبار العرب وأنسابهم، شرب يومًا مع المنصور بن أبي عامر؛ فغنّت قَيْنَة بيتين من شعره:

1- الرسن: ما كان من الأزِمَّة على الأنف، ويُقال رُمِي برَسَنه على غاربِه أي خُلِيَّ سبيله فلم يمنعه أحد ممّا يريد. المعجم الوسيط- ص345.

2 - عند ابن سعيد: كتب يُستعان بها على ما جرت به عادة البلغاء والأدباء. المصدر السابق- ج1 ص42.

3- ختم ابن بسام نقله قائلا: "انتهى كلام ابن حيان"- المصدر السابق- م1 ص118-119، وقال ابن سعيد: "وقال عنه ابن حيان: ..."، وأورد مقتطفات من هذا النص. المصدر السابق- ج1 ص42.

4- هو عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الكاتب، يعرف بالرازي، من أهل قرطبة، كان عالما بالآداب والأخبار تاريخيا- وذكر ابن الأبار القضاعي انه ألف للحكم المستنصر بالله كتابا في التاريخ حافلا، وألّف للمنصور محمد بن أبي عامر كتابا في الوزراء والوزارة، وكتابا في الحُجّاب، وكانت وفاته في شعبان سنة 399هـ/1008م. ابن الأبار القضاعي- التكملة- م5 ج3 ص130.

5- قال ابن الأبار القضاعي: "نقلت وفاته من التاريخ الكبير لابن حيان". نفسه- م5 ج3 ص130، وتقابل سنة 989م.

صدفت ظبيــة الرُّصــافَـةِ عَنَّا وهِيَ أَشْهَى مِنْ كُلِّ ما يُتَمَنَّى

هَجَــرَتْنَـا فَـمـا إِلَيْهـا سَبيـلٌ غَيْرَ أَنَّـا نَقـولُ: كَانَتْ وَكُنَّـا

فاستعادها أبو مُضر؛ فأنكرَ ذلك المنصور، وعلم أن هيبته لم تملأ قلبه؛ فأَوْمَأَ إلى بعض خِصْيانه؛ فأخرجَ رأس الجارية في طستٍ، ووضعه بين يدي الطُّبني، وقال له المنصور: مُرها فلتُعِدْ؛ فسُقِطَ في يده[2].

وكان أبو مُضر نديم محمد بن أبي عامر، أمتعَ الناس حديثًا ومُشاهدةً، وأنصعَهم ظَرْفًا، وأحذقَهم بأبواب الشحذ والملاطفة، وآخذَهم بقلوب الملوك والجلّة، وأنظمَهم لشَمل إفادة ونجعة، وأبخلَهم بدرهم وكِسرة، وأذبّهم عن حريم نشَب ونعمة، له في كل ذلك أخبارٌ بديعة، من رجلٍ شديد الخَلابة، ظَريف الخَلْوَة، يُضحك مَن حضر، ولا يَضحكُ هو إذا نَدَّر، رفيع الطبقة في صنعة الشعر، كثير الإصابة في البديهة والروية[3].

[ذكر أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد صاحب الشرطة:[4]] توفي أبو القاسم بن سيد[5] صاحب الشرطة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[6].

[ذكر الكاتب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الخثعمي:[7]] كان أديبًا، كاتبًا بليغًا، مُقدَّمًا في الفهم والمعرفة، ومن أهل الشرف والمروءة، وتوفي في ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاثمائة[8].

[ذكر أبي عثمان سعيد بن عبد الله العروضي الشنتريني[9]:] كان عالمًا بالآداب، شاعرًا مجوّدًا، وله مسائل على كتاب سيبويه، ناظر فيها بمحضر جعفر المُصحفيّ، وكان من أهل التصنيف[1].

1- ذكر كل من ابن سعيد وابن بسام أنهما نقلا الخبر عن ابن حيان. المغرب- ج1 ص142/الذخيرة- م1 ص336.

2- ابن سعيد- المصدر نفسه- ج1 ص142.

3- واختتم ابن بسام نقله بقوله: "انتهى كلام ابن حيان". المصدر نفسه- م1 ص336.

4- قال ابن بشكوال: "قال ابن حيان: قرأت بخط القاضي أبي الوليد بن الفرضي ونقلته منه". المصدر السابق- م1 ج1 ص10.

5- روى عن أبي علي القالي، وكان مُعتنيًا بالأدب واللغات وروايتهما. الضبي- المصدر السابق- ص160/ابن بشكوال- نفسه- م1 ج1 ص9.

6- نفسه- م1 ج1 ص10، وتقابل سنة 992م.

7- قال ابن بشكوال: "ذكره ابن حيان". المصدر نفسه- م2 ج2 ص101.

8- تقابل سنة 999م، نفسه- م2 ج2 ص101.

9- قال ابن بشكوال: "ذكره ابن حيان". نفسه- م5 ج3 ص202.

[ذكر مِحْنَة حَكَم وعبد الملك ابني منذر بن سعيد البلّوطي:[2]] وفي شهر جُمادى الآخرة من سنة ثمان وستين وثلاثمائة[3]، دَبَّر قومٌ الوثوبَ بهشام بن الحَكَم وخَلْعه عن سُلطانه، وأن يُجْعل مكانه عبد الرحمن بن عُبيد الله ابن الناصر لدين الله، ودسّ هؤلاء القوم الطُّوطالِقيَّ[4] الأديب داعية عبد الرحمن بن عبيد الله ابن الناصر، وكان يَعرفه ويُداخِله بمعنى الأدب، وكان أديبه الذي نَظَر عليه، ودبّروا مع عبد الرحمن بن عُبيد الله الوثوبَ على هشام، واختاروا للقيام معهم صاحبَ محمد بن أبي عامر: جعفر بن عليّ بن حَمْدون المعروف بابن الأندلسيّ زعيمَ البرابرة، وقدّروا أنه- لدهائه وخوفه من غَدْر محمد بن أبي عامر في باطن أمره- سيَرغبُ جعفر بن علي في الوثوب عليه، ويطمعُ في أن يَحُلَّ مكانه وينزل منزلته، ونهض إليه الطوطالقيّ داعية عبد الرحمن، وهو الذي أرشَدَهم إليه، وكان يُداخِله بمعنى الأدب؛ فألقى إليه خبر عبد الرحمن وقيامَه، والانتصاب لابن أبي عامر على أنْ يُصيِّره عبد الرحمن بن عُبيد الله مكانَه؛ فأراه الرغبة في ذلك والإجابة، وسألهُ التَوثُّق من عبد الرحمن وأخْذِ يمينه؛ فأجابه الطوطالقيّ إلى ذلك، وانصرفَ عنه طامعًا في حصوله، واسْترابَ جعفر بما جاء به ولم يشُكّ أنّه دَسيسُ ابن أبي عامر إليه، وكان شديدَ الحذَر منه؛ فسار جعفر بن عليّ إلى محمد بن أبي عامر، وعرَّفه بما أوصَلَ إليه الطوطالقيُّ وصورة انصرافِه عنه، وتنَصَّح له فيما جاءه به؛ فعَظُم سرور ابن أبي عامر بوفاء جعفرٍ له، وسُرِّي عن قلبه بما انكشفَ له من تدبير عبد الرحمن وأصحابه، وسأله اسْتِجرارَ الطوطالقيّ حتى يَقِفَه على التَثبُّت من القصّة ففعل.

وجاءه عنه بما لم يَرْتَب فيه؛ فتعجَّلَ القبضَ على عبد الرحمن وأصحابه؛ فحصلَ في الاعتقال منهم صاحبُ الردِّ عبد الملك بن منذر، وهو رأسُ القوم، والفقيه الزَّهراويُّ الجُبَيري[5]، وجماعة،

1- ابن بشكوال- نفسه- م5 ج3 ص202.

2- قال أبو طالب المرواني: "وذكر أبو مروان بن حيان محنة حكم بن منذر وأخاه عبد الملك المصلوب فقال: ...". عيون الإمامة ونواظر السياسة- ص33.

3- تقابل سنة 978م.

4- الطوطالقي: هو أبو مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي النجوي، روى عن أبي علي البغدادي وأبي عبد الله الرباحي وابن القوطية، وتحقّق بالأدب واللغة، وألّف كتابا متقنا في اختصار المدونة استحسنه القاضي ابن زرب، قال ابن حيان: وكان مولده سنة 324هـ/935م وقال ابن الفرضي توفي سنة 386هـ/996م. ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص263.

5- الزهراوي الجبيري: هو قاسم بن خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير المعروف بالجُبيري، رحل إلى المشرق؛ فسمع بمصر وجدّة وحجّ، ودخل العراق، وانصرف إلى الأندلس بعد رحلة دامت ثلاث عشرة سنة، وكان فقيها عالما، استقضاه المستنصر بالله على

وهرب الطوطالقيّ داعيتهم وجماعةٌ سواهم، ودسَّ محمد بن أبي عامر إلى عبد الملك بن مُنذر صاحبَه عبد الله بن هَرثمة بن ذَكوان، وكان داهية عصره، يَضمنُ له عن محمد بن أبي عامر في صِدقه عن القصة واتّخاذِه السبيلَ إلى وَلِيِّها عبد الرحمن بن عُبيد الله، وتخليصه منها وترفيع منزلته، وذَكَر له أيْمانًا تبرَّع محمد بن أبي عامر على ذلك بتوكيدها، وشهد معه محمد بن حسين الطُّبْني على صحّتها؛ فوَثِق عبد الملك بقولهما لما كَتبَ الله عليه من الشِّقْوة؛ فأقَرَّ بالقصّة كلِّها، وكَشفَ له أصلَها وفَرْعَها؛ فتقدَّم محمد بن أبي عامر إلى قصر السُّلطان بقرطبة، وجَمعَ القاضي والفقهاء، واحتفلَ المجلسُ بأصناف الناس، وأُحْضِرَ عبد الملك وأصحابه فقُرِّروا على ما نُسِب إليهم؛ فمضى عبد الملك على إقراره، واغْترَّ بما جاءه عن محمد بن أبي عامر؛ فقال: قد كان ذلك وأستغفرُ الله؛ فقال له القاضي ابن زَرْب: انظُر ما تقولُ، وما الذي حَملكَ على نَكْث البَيْعة وتفريق الجماعة؟ فقال: الصِّبا والأَنَفَة. فقال القاضي: سبحان الله، وتعترفُ بالصّبا في وقت الكهولة، وبعد عشرينَ سنةً حَكَمْتَ فيها في الأنفُس والأموال، إنّ هذا لهو الضلال المُبين؛ فقال: إنّي تائب.

وكلّمه أبو عمر الإشبيليّ بمِعراضٍ يَبْغي به تشكيكَه؛ فقال له: أتقولُ هذا صادقًا على نفسك دون إكراهٍ لك؟ ففَهِمَها محمد ابن أبي عامر وقال له: يا فقيه، أتُحدِّثُه عن نفسك وتُشكِّكُهُ في يقينه؟ فوجِمَ الفقيه أبو عمر وقطعَ الكلامَ، وخاف عُقْبى قوله مدّةً، وحُمِل عنه أنّ إقرارَه وهو مُكْرَه لا يلزمه، وأنّه سُمِع منه وهو محبوسٌ في أيديهم مَقهور، وإنّما عرّض لعبد الملك لعلّه يستدركُ غَلَطه؛ فلم يأته لما أراد، ونفذَ أمرُ الله تعالى فيه.

وقُرِّر الشيخ أبو عبد الله الجُبيري فصرَّح بجَحْد ذلك، وقال: مَعاذَ الله أن أهُمَّ أو أفعلَ أو أطَّلِع فأكتُم، وقد سمعتُ كذا ورَوَيْتُ كذا، وجلبَ الآثار المَرْوِية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في نَكْث البَيْعة والسَّعْي في الفساد في الأرض فأكثرَ، ثم قال: ولو أطبَقَ النّاسُ كافّةً على خَلْع أمير المؤمنين- أعزّه الله- عن الخلافة لمَضَيْتُ وحدي على الوفاء ببيعته شُكرًا لولاء أبيه عندي، وإحسانه إليّ وإنعامه عليّ، واعترافًا بحقّ نِعْمته، ونحو هذا من الكلام؛ فلم يجدْ له ابن أبي عامر سبيلًا، وسَلكَ الباقون سبيله في الإنكار؛ فأمر بحبسهم جميعًا ونَجَوْا من القتل.

طرطوشة وأعمالها ثم استعفى، وكان صدرا في أهل الشورى، وتوفي سنة 371هـ/981م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص321-322/عياض- المصدر السابق- م2 ص188-189.

وخَرجَ أمرُ الخليفة هشام بن الحَكَم باستفتاء القاضي أبي بكر بن زَرْب ومن معه من أهل الشُّورى في عبد الملك وإقراره؛ فأفتَى القاضي محمد بن زرب عليه بالحِرابة[1]، وجعله من المُفْسِدين في الأرض، وردَّ الأمر إلى الخليفة هشام في العقوبة؛ فخرجَ الأمرُ بقتله، وأشار صاحبُ المدينة زياد بن أفلح بأن يُصْلبَ، اسْتِبْلاغًا في المُثْلة؛ فعُمِل برأيه[2].

وأُخْرِج عبد الملك إلى مكان الصَّلْب على شَطِّ النّهر، وهو في هذا لا يظنُّ أنّه ينفذ عليه؛ فرُفِع ونُحِر؛ فاسْتَعظم النّاس ذلك، وصار عِظَةً لهم، واسْتَرْهَبوا محمد بن أبي عامر وخافوا سطوته، واستتر عبد الرحمن بن عبيد الله في جَوْف منزله؛ فوقعَ التفتيشُ عليه؛ فزعموا أنه دَلَّ عليه أخصُّ جواريه به، وقد تغيَّرت عليه بإيثار سِواها عليها؛ فأُخرِجَ عبد الرحمن من نفق قد كان تَطمَّرَ فيه ببعض شُفوف داره فقُتل، وحُمِل رأسه إلى ابن أبي عامر؛ فنظرَ إليه، ثم أعيد إليه؛ فأُمِروا بمُواراته في داره كما فُعِل بعمّه المُغيرَة قبله؛ فعُمِل بذلك، وتشدّد محمد بن أبي عامر على بني عمّ الخليفة ولدِ النّاصر؛ فأغلظ التوكيل بمنازلهم، وقُطِعَت الأرزاقُ السُّلطانية عن جميعهم، ووَكَلهم إلى ما في أيديهم، وهانوا واخْتَلُّوا.

وقبضَ محمد بن أبي عامر على أموال عبد الملك وأهله وأصحابه؛ فحاز من ذلك ما يجلُّ خطرُه، واستترَ أخَوَا عبد الملك: حَكَمٌ وسعيدٌ، واتّصل النّداء عليهما حتى عُثر عليهما بعدَ حين؛ فسُيِّرا إلى العُدوة؛ فلَحِقا بمصر، وأقاما بها حياةَ محمد بن أبي عامر، ثم شُفِع لهما إلى وَلَده المُظفَّر؛ فأذن لهما في العبور الى الأندلس؛ فرجَعا إلى أوطانهما، وردّ عليهما منازلَهما؛ فأقاما بقرطبة إلى أن هلكًا بعد انقراض الدولة العامرية، وأما الفقيه الجُبَيريّ فمازال محبوسًا بمُطْبَق الزَّهراء إلى أن توفي في محبسه بعد مدة.

1- الحرابة: من فعل حَرَبَ حَرَبًا أي سلبه جميع ما يملك، ويُقال حَرَبَ فلانا ماله؛ فالفاعل حارِبًا والمفعول مَحْروبٌ، وحَرَب حَرَبا أخذ جميع ماله. المعجم الوسيط- ص163

2- ذكر ابن الأبار القضاعي أن زياد بن أفلح إنّما فعل ذلك ابتغاء التقرّب إلى ابن أبي عامر، ونفي التّهمة عنه لأنه كان مشتركا في المؤامرة. الحلّة السيراء- ج1 ص280.

[1]وكان عبد الملك بن مُنذر يُرمَى بالقَدَر، ثم تُحُدِّث عنه أنّه رجعَ عن ذلك يوم مِحْنَته، وسُمِع عبد الملك وهو في جِذْعه يقول: اللهمَّ إنْ كنتَ كَشَفت سِتري في الدّنيا فلا تكْشْفْه في الآخرة يا أرحمَ الرّاحمين.

[2]وأمّا الطُّوطالِقيّ الأديبُ فأظهر نفسه لابن أبي عامر بعد يأسه من الظهور عليه، وقصدَ ابن أبي عامر مُحَكِّمًا في نفسه؛ فتَجافَى له عن دمه، وأمرَ بحبسه في المُطْبَق؛ فلبثَ هنالك مدّةً طويلة إلى أن أمرَ ابن أبي عامر بإخراج عدّة أسرى من الجَلالِقة كانوا في المُطبَق ليَعرضَهم على السّيف؛ فانْدَخلَ الطوطالقيّ في جُملتهم، وكان قد طال سِبالُه[3] وسَدَل شعرَه فأَشبَه العُلوج؛ فلمّا أنتهى إليه عرّف بنفسه وابنُ أبي عامر يسمعَ، ويشكو طولَ الصّبر على الحَبْس؛ فرَقَّ له بن أبي عامر وكسَاه وأطلَقَه؛ فأقام بقرطبة إلى أن مات بعد مُدَيدة من انطلاقه.

[4]وذُكِر عن محمد بن مُفَرّجِ القاضي[5]، قال: تَذاكرنا يومًا اختلافَ أحوال الدنيا ولعِبَها بأهلها، وذلك بعقب مِحْنة عبد الملك بن مُنذر؛ فقال محمد بن فَرَج: إنّ عندي من ذلك لهذا المُمْتحَن، يعني عبد الملك، خبرًا عجيبًا، قال: كنتُ في مجلس أمير المؤمنين الحَكَم يومًا في خاصّة له نتذاكرُ الحديثَ والعلم، وفيهم عبد الملك بن مُنذر، وكان مُتقدِّما عندَه بسابقة أبيه ألحَقَه بخاصّته، إذ طلعَ علينا ابنه هشامٌ وهو صبيٌّ كما تحرّك وفَهِم، وهو يسوقُه فائقٌ النظاميُّ خادمُ أبيه الكبير؛ فاسْتَشرفَ الحَكَم لمَوْرِده، وابتدرنا نحن القيامَ إليه وجعلنا نُفَدّيه؛ فازْوَرَّ عن جميعنا، وانْبَسَط إلى عبد الملك بن مُنذر وهشّ له؛ فالْتَزَمَه عبد الملك وفَدّاه وأجلَسَه في حِجْره؛ فأطال المقامَ عندَه إلى أنْ

1- قال المرواني: "قال: ..."، ومازال ينقل من ابن حيان- المصدر السابق- ص36.

2- قال المرواني: "قال: ..."، ولا يزال ينقل عن ابن حيان. المصدر نفسه- ص36.

3- سباله: مفردها السَّبْلَة، وسَبلة الرجل الدائرة التي في وسط شفته العليا، وهي طرف الشارب من الشعر، والسبلة هي مُقدّم اللحية، وهي المقصودة هنا. المعجم الوسيط- ص415.

4- قال المرواني: "قال: ..."، ومازال ينقل عن ابن حيان. المصدر نفسه- ص36.

5- محمد بن مُفَرّج: هو القاضي محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرِّج، سمع بقرطبة، وكانت له رحلة إلى المشرق سنة 337هـ/948م سمع خلالها بمكة وبالمدينة المنورة والشام ومصر، وعاد إلى بلده سنة 345هـ/956م، واتصل بالحَكَم وألف له عدة دواوين، واستقضاه على إستيجة ورية، كان حافظا للحديث، عالما به، بصيرا بالرجال، سمع الناس منه كثيرا، وكانت وفاته سنة 380هـ/990م. للمزيد عنه ينظر ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 صص85-87/الحميدي- المصدر السابق- ص47/الضبي- المصدر السابق- ص48-49.

كلّمهُ فائقٌ في تَخْليةِ سبيله، وقال: خَلِّ سبيلَ الأمير فقد شغلته عنّا؛ فسَمعتُ الحَكَم يقولُ له: مهلًا يا فائق؛ فلستَ تصرفُ أبا الوليد إلى أخصَّ به وأحنَى عليه وأولى بتأنيسِه من عبد الملك؛ فهو الوَليُّ ابنُ الوَليِّ المُصْطنَعُ لدولتنا الذي لا سُهمةَ فيه لغيرنا، وكلامًا معناه هذا شَكَرَه عبد الملك عليه، ثمّ نهضَ هشامٌ عنه نحوَ أبيه وعبدُ الملك يؤدّي إلى أُذُنه بكلام يُحَفِّظُه إيّاه، ويُودِعُ يدَه كتابًا يَشُدُّها عليه؛ فنظرَ الحَكَمُ إليه وهو يُعالجُ ذلك منه؛ فقال له الحَكَم: يا عبد الملك، وما الذي تريدُ أبا الوليد عليه؟ فقال: حَسَنةٌ يا أمير المؤمنين أحبُّ أن يُنقِّله الله أجرَها، ونظرَ الحَكَمُ في الكتاب فأطْرَقَ ثمّ قال: وقعتْ عنايتُك بصاحب الكتاب مَوقعَها ووافَقتْ وَسيلتُك مذهبَنا؛ فأطنَبَ عبد الملك في شُكره.

ثم إنّي سألتُ عبد الملك عن صاحب تلك الشّفاعة التامة العناية؛ فقال: ذلك البائسُ جعفرُ بن علي ابن الأندلسي وأخوه، قد طال حبسُهما، وقَصَدني أهلُهما وتكرَّروا عليَّ في الحيلة لهما، ووصفوا لي من سوء حالهما في مَحبَسِهما ما أشفقتُ له، وذكرتُ غُربتَهما ولعِبَ الأيّام بهما؛ فأجْهدتُ نفسي لهما كما رأيتَه؛ فشكرتُ له رغبتَه في الخير.

وضربَ الدَّهرُ ضَرَبانَه وقد تخلَّص جعفرٌ من نكبته بهذه الشفاعة ونال بأسبابها الرِّياسة؛ فلم تطُل المدة حتى عُثر لعبد الملك على ما أحلَّ به العاقرة؛ فلم يُنظَرْ في أمرِه ولا أُجْمِلَ في حاله، وصار أمرُ عبد الملك إلى ما تَروْنَ؛ فاعْجَبوا لرَيْب الدَّهر.

[1]حكى الفقيه أبو محمد عبد الله بن دَحُّون أنّ محمد بن أبي عامر أمرَ القاضي أبا بكر بن زَرْب وأصحابه الفُقهاء بأن يشهدوا صَلْبَ عبد الملك بن مُنذر، قال: فلمّا أُمِروا بالركوب وحَفَّ بهم الشُّرَطُ تَغيَّرتْ وجوهُهم، وجعلَ القاضي ابن زَرْب يقول: وما الذي يُرادُ بنا؟ وقد فَزِعَ ويُكْثِرُ الالتفاتَ جَزَعًا وحَيْرة، ولم يُخَلَّ عن القوم حتى أُقيموا تحت جِذْع عبد الملك وَسطَ العالَم الذين حَضروا، إلى أنْ فُرِغَ من شأنه؛ فأرادوا الذهابَ؛ فحُبِسوا حتى أُسيلَتْ مُهجتُه، ثم الانصرافَ إلى دُورِهم فأُمِروا بالانصرافِ إلى قصر السُّلطان؛ فزادَ رَوْعُ القاضي وجعلَ يقول: وإلى أين يُذهبُ بنا؟ فأُعيدوا إلى مجلسهم بالقَصْر، وقُرِّر سائرُ أصحاب عبد الملك فلم يوجَدْ إليهم سبيل، وخَرجَ الأمرُ بحَبْسِهم إلى أن تَتَبَيَّنَ الحُجَّة فيهم فنفذَ ذلك، وعلى إثر ذلك أُذِنَ للقاضي ابن زَرْب والفقهاء بالانطلاق، وكان

1- قال المرواني: "قال أبو مروان حيّان بن خلف: ...". المصدر السابق- ص38.

أشدَّهم جَزعًا من مُشاهدة الحال الفقيهُ أبو عمر الإشبيليُّ؛ فَما انصرفَ إلاّ طائشَ العقل، وبَدا منه اختلاطٌ أيّامًا لهول ما عايَنه، لا لزَجْرٍ زَجرَهُ محمد ابن أبي عامر في شأن التلقين لعبد الملك كما زَعَمَ بعضُ النّاس، والله أعلم بحقيقة ذلك[1].

[ذكر القاضي أبو بكر محمد[2] بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد[3]:] سمعتُ المشيخة رضي الله عنهم يقولون إنه: لما وليّ القضاء احتبسَ خواصّ أصحابه المُشاوَرين وقد جاءُوه مُهنِّئين؛ فأمر غلامه؛ فكشف عن مال عظيم [صامت] في صندوق، وقال: يا أصحابنا قد عرفتم ما امْتُحن به من تولي القضاء قديمًا من سوء الظنّة، وأخشى إن أطرقَ[4] الناس على عِرْضي، وهذا حاصلي ورزقي هذا من الصندوق، وفي مخازني ما يفي بقيمته، وحَظّي من التجارة ما عرفتم[5]؛ فإن فَشى من مالي ما يُناسب هذه الجملة فلا لوم، وإن تَباعَد ذلك فقد وجب مَقْتي؛ فاسألوا الله تخليصي مما تَنَشَّبتُ فيه؛ [فدعوا له][6].

وكان ابن زرب لا يجلس للحكومة حتى يأكل، وكان موصوفا بطيب الطعام، له منه ومن الحلوى والفاكهة وظيفة معلومة، وكان لا يؤاكل أحدا إذا قرّب طعامه، قرمًا[7] عليه دون أن يستدعي أحدًا؛ فلما كان أحد الأيام حضره المتطيّب الترجلي، وكان يخف عليه؛ فقرع عليه وقال: "لا أريد"؛ فقال المتطيب: "فما قولك لمن يريده"؛ فقال: نعمى عين ومسرّة، وعلى أن تأكل وحدك فلا فضل في الأكل"؛

1- أبو طالب المرواني- المصدر السابق- صص33- 38.

2- أبو بكر محمد: هو أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد بن مَسْلَمة، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد ابن أبي دليم وعني بالرأي فتقدم فيه، وكان من أحفظ أهل زمانه لمسائل مذهب مالك، ولي قضاء الجماعة سنة 367هـ/977م إلى أن مات سنة 381هـ/991م. ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص88-89/القاضي عياض- المصدر السابق- م2 صص233-255/النباهي- المصدر السابق- صص91- 95.

3- قال القاضي عياض في بداية النص: "قال ابن حيان". المصدر نفسه- م2 ص234.

4- عند النباهي: "أن أطلق". المصدر السابق- ص92.

5- عند النباهي: "ما علمتم". المصدر نفسه- ص92.

6- زيادة من النباهي الذي أورد النص مع اختلاف طفيف، وقال في بدايته: "قال ابن حيان: ...". المصدر نفسه- ص92.

7- قرما: قرم الصغير قرما وقروما وقرمانا أكل أكلا ضعيفا وقرم الطعام أكله. المعجم الوسيط- ص730.

فقال المتطيب: "تكفاه"؛ فضحك وأمر فتاه بإخراج المائدة؛ فقدّمها عليها ثريدة صغيرة من درمك[1] مُكلَّلة بلحم خروف حسنة الصنعة، ثم بعدها جنب خروف مشوي برغيف درمك؛ فقال: "هذا طعامي الذي يكثر عليّ فيه، لونان كل وقت لا أزيد عليهما، ولا سرف في لونين"؛ فقال له: "أيها القاضي أمن أصل تقوله؟"، قال: "نعم"، ورفع فيه حديثًا لبعض السلف لم يذكره الراوي[2].

[ذكر وفاة فاتن الحكمي، الخادم المعروف بالصغير وبالخازن[3]:] توفي يوم الأحد لأربعة عشر ليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[4]،إثر خلع مولاه هشام المؤيد[5].

[ذكر إبراهيم بن إدريس الحسني[6]:] إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني المنْبوز بالمُؤبَّل، كان أديبًا شاعرًا، وكان في أيّام المنصور ابن أبي عامر، وعاش إلى أيّام الفتنة، أصله من المغرب، وسكن قرطبة إلى أن سيّره ابن أبي عامر عن الأندلس فيمن سيّر من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنُّون كبيرهم، وهو القائل يُخاطِب المروانية بقرطبة لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام المُؤيَّد، واستبداده بالأمر دونَه: [الكامل]

فِيمَا أَرَى عَجَبٌ لِمَنْ يَتَعَجَّبُ ... جَلَّتْ مُصِيبَتُنَا وَضَاقَ المَذْهَبُ

إِنِّي لأكَذِّبُ مُقلَتِي فِيمَا أَرَى ... حَتَّى أَقُولَ غَلِطْتُ فِيمَا أَحْسَبُ

أَيَكُونُ حَيًّا مِنْ أُمَيَّةَ وَاحِدٌ ... وَيَسُوسُ هَذَا المُلكَ هذَا الأَحْدَبُ

تَمْشِي عَسَاكِرُهُمْ حَوَالَيْ هَوْدَجٍ ... أَعْوَادُهُ فِيهِنَّ قِرْدٌ أَشْهَبُ

1- الدرمك: من فعل دَرْمَكَ الشيء أي دقّه وطَحَنه، وهو دُقاق كل شيء، والدَّرمك التراب الناعم، والدّرمك الدقيق الأبيض، ولعلّه المقصود في النص. المعجم الوسيط- ص282.

2- القاضي عياض- المصدر السابق- ص 234.

3- ابن الأبار القضاعي: "قال ابن حيان:...". المصدر السابق- م5 ج3 ص174.

4- تقابل سنة 1008م.

5- وذكر ابن الأبار القضاعي أنه: "كان في علم اللسان والبصر باللغة أوحد لا نظير له، اعترف له بذلك أبو بكر الزبيدي، وعليه عوّل المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر في مُذاكرة صاعد اللغوي فقطعه، وازداد ابن أبي عامر عجبًا به، وكان ضابطا لكتب اللغة، قائمًا عليها، حسن الخط، راجح العقل، واسع المعرفة، فصيح اللهجة مع عفاف الطعمة ونزاهة النفس ومتانة الأمانة". المصدر نفسه- م5 ج3 ص174.

6- قال ابن الأبار القضاعي: "كذا قال فيه ابن حيان، وقال الحميدي: ...". الحلة السيراء- ج1 ص226.

أَبَنِيَ أُمَيَّةَ أَيْــنَ أَقْمَـــارُ الدُّجَى   مِنْكُمْ وَمَــا لِوُجُـوهِهَـــا تَتَغَيَّبُ؟[1]

أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي اللغوي[2]: ولقد خَبَرْته وقت قِرائتي عليه؛ فوجدتهُ في غاية القوّة والصحّة، وذلك أنّي كنتُ أَقرأُ عليه "إصلاح المنطق"[3]؛ فأقطعُ القراءةَ مرّاتٍ في فصول مُشتبِهة ثمّ أقول: لِيصِلَ الشيخُ ما قَطعتُه؛ فيَمرُّ في ذلك أصحَّ مرٍّ ويَسردهُ أتمَّ سَرْد، وكذلك فعلتُ في "الغريب المصنَّف"[4] وغيرِه من الأمّهات، وأما غَزارةُ الحِفظ لِما لم يَتضَمَّنْه التأليفُ؛ وحضورُ الذِّكْر له وجمعُ النظائر عليه؛ فما رأيتُ أحدًا يُشبِهُه فيه[5].

[6]سألتُ صاعدًا عن تاريخ دخولِه الأندلس فذكرَ أنّه دخَلها في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[7] وسِنُّه يومئذ ثمانٍ وثلاثون سنة، وخرجَ صاعدٌ عن الأندلس عند اخْتلالِ حالِه بارتجاج الفتنة

1- وختم ابن الأبار القضاعي نقله عن ابن حيان قائلا: "هذا ما أورد ابن حيان في أخبار الدولة العامرية من شعره". الحلة السيراء- ج1 ص226-227، وأورد صالح بن عبد الحليم الإيلاني نفس الأبيات الشعرية كما أوردها ابن عذاري دون ذكر قائلها مكتفيا بـ"فقيل في ذلك". مفاخر البربر- ص122/المصدر السابق- ج2 ص281.

2- قال أبو طالب المرواني: "قال حيّان بن خلف: أقول: وكان شاهدهُ على ما يَدَّعيه من كثرة الحِفْظ في الوقت الذي لقيته فيه، وهو أنقص وَقْتَيْ الحِفظ بحلول الشيخ". المصدر السابق- ص158.

3- إصلاح المنطق: لابن السكيت، وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، إمام في اللغة والأدب، ، المتوفى سنة 244هـ/ 858م، يُعتبر هذا الكتاب معجمًا لغويًّا من أقدم المعاجم التي تضبط اللغة بالصيغ، وهو أحد مصادر التراث اللغوي، يعالج ما طرأ على اللغة العربية من اللحن والخطأ، وجمع فيه الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى، وما يعل وما يصح، وما يهمز وما لا يهمز، وما إلى ذلك من فصول الضبط اللغوي. ابن السكيت- إصلاح المنطق- شرح وتحقيقي أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون- دار المعارف- القاهرة- د.ت- ص12/ابن خير الإشبيلي- فهرسة ابن خير- ص297-298.

4- الغريب المصنف: أو مُصَنَّفُ الغَرِيبِ معجم موضوعي ألّفه أبو عبيد القاسم بن سلاّم المتوفى سنة 224هـ/838م، أورد فيه كل ما يتعلّق بأسماء وصِفَات الأشياء والمخلوقات بحسب الموضوع والمعنى، إذ حرص أبو عبيد على تصنيف المفردات اللغوية في حقول دلالية موضوعية، وهو يُعدّ أقدم معجم موضوعي عربي معروف. أبو عبيد القاسم بن سلام- الغريب المصنف- حققه وقدمم له وصنع فهارسة رمضان عبد التواب- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1989م- ج1 ص129/فهرسة ابن خير- ص294-295.

5- هذه شهادة مهمة تدفع ما نسبه بعض الناس إليه من الدعاوى والكذب؛ حيث أكّد ابن حيان ذلك حين قال: "ولما دخل قرطبة دفعوه بالجملة عن العلم باللغة، وأبعدوه عن الثقة في علمه وعقله ودينه، ولذلك ما رضيه أحد من أهلها أيام دخوله إليها، ولا رأوه أهلا للأخذ عنه ولا للأقتاد به، وغرّقوا كتابه المترجم بـ"الفصوص"؛ فها هو إلى اليوم في نهرهم يغوص". ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص4.

6- قال أبو طالب المرواني: "قال: ..."، وما زال ينقل عن ابن حيان. نفسه- ص158.

7- تقابل سنة 987م.

واشْتدادِ المجاعَة في آخر سنة اثنتَيْنِ وأربعمائة[1]؛ فاضْطربَ بالعُدوةِ وقَصدَ ابنَ أبي الحسين صاحبَ صِقلّيةَ المُسمَّى بتاج الدَّولة، وهو جعفر بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين[2] مادِحًا ومُستَجديًا؛ فصارتْ له به خاصّةٌ وَكيدَة، ثم نالَ من تاج الدّولة، وانتقل إلى أخيه أحمد[3]؛ فانْكفأَ صاعدٌ في ذلك الوقت إلى ساحل الأندلس، ومدحَ مَن هنالك من الملوك[4]، وعاد إلى أرض صقلية، ومكثَ فيها إلى أن وَرَدني نَعْيُه في سنة سبعَ عشرة وأربعمائة[5]، وذُكِرَ لي أنّ بصرَه كُفَّ قبل موته بمُدَيْدة، ولم ينتقلْ عن حاله من الذّكاء وجَوْدة الشِّعر، لقد أنشدني له في هذه الحال أبو محمد عليُّ بن حَزْم وغيرُه من أهل الأدب قِطعًا مدحَ بها مقصودَه، وفِقَرًا استعملها في مُخاطبتهم تُخْجِلُ الرَّوض حُسنًا، وأجْمَعوا، مع ذلك، على أنّه تابَ قبل موته توبةً حسنة وأقصرَ عن الشّعر، وأكثرَ من القراءة والصلاة والبُكاء على ذنوبه، وختمَ الله بخير عمله، تجاوز الله عنه برحمته[6].

[**من شيوخ صاعد البغدادي**[7]:] وصفَ لي صاعدٌ شيخَه أبا سعيد الحسن بن عبد الله السِّيرافي؛ فقال: إنّه كان أعلمَ أهل زمانه بصنوف العلم من القُرآن والفقه على مذهبِ أهل العراق، والنّحو على مذهب أهل البصرة، وحِفْظ اللّغة والنّفاذ في معاني الشِّعر وعِلَله وسائر علوم اللّسان، مع التقدُّم في علم الحساب، والبَصَر بالفلسفة والمعرفة بعلوم الأوائل، إلى الوَرَع والعِفَّة، وكان مع ذلك

1- تقابل سنة 1011م.

2- ابنَ أبي الحسين صاحبَ صِقلّيةَ المُسمَّى بتاج الدَّولة: وهو جعفر بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين (388- 410هـ/998- 1019م)، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر النويري- المصدر السابق- ص476- 477/إحسان عباس- معجم العلماء والشعراء الصقليين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1994م- ص33/إحسان عباس- العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1975م- ص47.

3- أحمد: هو أحمد الأكحل بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين الملقب بتأييد الدولة (410- 427هـ/1019- 1035م)، تولى الحكم بعدما ثار أهل صقلية على أخيه تاج الدولة، وكانت نهايته على يد الجيش الذي بعثه المعز بن باديس إلى صقلية سنة 427هـ/1035م. النويري- المصدر السابق- ص478- 479/إحسان عباس- العرب في صقلية- ص47-48.

4- قال ابن بسام: "ثم رجع إلى الأندلس إثر غلبة سليمان والبرابر على قرطبة مُستخرجًا لمن تخلّف بها من أهله وولده، وتعرّض أيضا لمديح سليمان فما أنجحَ معه ولا أفلحَ، وقد كان استطرف أول دولته؛ فرَئِمَه رِئْمان العَلوقِ، ولم يَقْرِه قرضًا لاستحالته عن فعل الجميل جُملة"، وقال أبو طالب المرواني نقلا عن ابن حزم: "وعاد إلى الأندلس مُطالعًا لأهله بعد ضيعة؛ فضمّ نَشْرَهم، وتردّد بساحلها الشّرقي مُتضَيِّفًا لمُجاهِد صاحب دانية، مُتَردّدا ما بينه وبين مُنْذِر بن يحيى صاحب سرقسطة، وقد تناغيا فيما يُهدِيانه ويَصِلانِه". ابن بسام- المصدر السابق- م1 ص34/المرواني- المصدر السابق- ص160.

5- تقابل سنة 1026م.

6- أبو طالب المرواني- المصدر نفسه- صص158- 159.

7- قال أبو طالب المرواني: "قال أبو مروان حيان بن خلف: ...". نفسه- ص160.

بَخيلًا جمّاعًا للمال، ووَلِيَ القضاء، وكان يأسفُ على ما تَقلَّده منه ويقول: اللهُ بيني وبينَ من حَرَمني نَشْر الفضائل، وشَغَلَني عن إفادة الطُّلاب، وكان مع يَسارِه يَتعرَّضُ لصِلات الملوك ويَنْسخُ للجِلَّة منهم ما اسْتَحسنوهُ منهُ من كُتبه ورِوايته بالثمن الجَزِل، وكان حَسنَ الخطِّ جيّدَ الضَّبطِ سريعَ اليد، يتنافَسُ الملوكُ والأشرافُ في كُتبه، وكان سِعْرُ ما يَكتبهُ لهم ورقةٌ بدرهم؛ فكان أصحابُه يَصِفون عنه أيّام تَقلُّده الحُكْمَ أنه، لفَرْطِ جَمعِه، لم يكن يجلسُ للقضاء حتى يكْتبَ خمسَ ورقات يَعُدُّها بخمسة دراهم، ثمّ يخرجُ إلى مجلسه.

[1]وفي هذه السبيل عملَ "شَرْحَ كتاب سِيبَويْه" لملك خُراسان[2]، وأرسله إليه بخطِّه؛ فأجازَه عنه بمالٍ كثير، وأنفَذَ إليه هدايا عظيمة.

[3]وكان علي بن عيسى الرُّمّاني النَّحوي صاحبُه شديدَ الورع متقشِّفًا لا يُداخل الملوكَ ولا يَقبلُ جوائزَهم ولا يَقصِدُهم، بل يقصِدُه وجوهُ الناس وأشرافُهم؛ فربّما حَجبَ من لم يُحبَّ لقاءه منهم؛ فيُحتَملُ ذلك لوَرَعه وفضله، وكان مع ذلك فقيرًا مُقِلاًّ مُتهاونًا بأمر دُنياه يلبَسُ من الثياب أدناها.

[4]وتوفي أبو سعيد السِّيرافي ببغداد في آخر سنة سبع وستين وثلاثمائة[5]، وكان موته إثر دخول الفَسَويِّ بغداد؛ فانفرد ببغداد وعلا شأنُه، وأول أبي علي هذا من كُورة فَسَا من أرض فارس، وإليها يُنسبُ، وسمعتهُ يقول: إنّها كانت بلد أبي بِشْر عَمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه إمام الناس في العربية، وإنّ سيبويه كان فارسيًا أيضًا، وكذلك كان هو وأبو سعيد السِّيرافي؛ فكان يُعْجَبُ من اتِّفاق هذا في الفُرس.

1- قال أبو طالب المرواني: "قال: ..."، وما زال ينقل عن ابن حيان. المصدر السابق- ص161.

2- خراسان: قطر معروف، معنى خُر: كل، واسان معناه سهل، أي كلٌّ بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل، وخراسان من فارس، وتشتمل على كور عظام وأعمال جسام منها نيسابور وهراة ومرو، ويحيط بها شرقا سجستان والهند، للمزيد عنها ينظر الإصطخري أبو إسحاق- المسالك والممالك- تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- القاهرة- 1381هـ/1961م- ص145-146/المقدسي البشاري- المصدر السابق- 234-235/ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج2 ص350-351/عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفدا- تقويم البلدان- دار صادر- بيروت- د.ت- ص441- 442/الحميري- المصدر السابق- ص214-215.

3- قال أبو طالب المرواني: "قال: ..."، ولا يزال ينقل عن ابن حيان. المصدر نفسه- ص161.

4- قال أبو طالب المرواني: "قال: ..."، ومازال النقل مستمرا عن ابن حيان. نفسه- صص46-48.

5- أبو طالب المرواني- نفسه- صص46-48.

وكتاب "الفصوص" لصاعدٍ في النوادِر والآداب ألَّفه لمحمد بن أبي عامر مُعارضًا لأبي علي البغدادي في كتابه "النوادر" المعروف بـ"الأمالي؛ فلم يَقْصُر عنه، ابتدَأهُ بالتأليف بمدينة الزّاهرة عقب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة[1]، وأكْملهُ في شهر رمضان من العام المُؤرَّخ، واخْتَتَمهُ بحديثٍ من روايته بسَنَدٍ عن أبي هريرة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "الحمدُ لله ثمنُ كلِّ نِعمة، ومن قال: لا إلهَ إلّا الله دَخَلَ الجَنَّة"[2].

[**من خِدع وحِيل صاعد مع الملوك**:] [3]قال لي صاعدٌ يومًا: ما خَلقَ اللهُ أخْدعَ منّي للملوك ولا أحْيَلَ في أخْذِ جوائزهم، جَمعتُ خِرَقَ الأكياس والصُّرَر التي قَبضتُ فيها صِلاتِ ابن أبي عامر إلى مُدَيْدة من مَقْدمي الأندلسَ فقَطعتُ منها لكافور غُلامي الأسودِ قميصًا كالمُرقَّعة، وبَكَّرتُ به معي إلى قَصْر ابن أبي عامر فاحْتلتُ في تَنْشيطِه حتى مَزَحَ وطابَتْ نفسُه؛ فقلتُ: لعبدِك حاجةٌ وَكيدَة، قال: اذْكُرها؛ فقلتُ: وصولُ غُلامي كافور الأسود إلى ها هنا؛ فقال: لِمَ؟ وما في ذلك من الفائدة؟ فقلتُ له: على ذلك كلِّه لا أقنَعُ بسِواه؛ فقال: أدْخِلوه؛ فمَثَلَ قائمًا بينَ يديه في مُرقَّعَتِه تلك وهو كالنَّخلة؛ فقال: قد حضرَ، وإنّه لبادي الهيئة؛ فما لكَ أضَعْتَه؟ فقلت له: هناك الفائدة، وليس يُؤدِّي شُكر عظيم الإحسان إلا بالمُعايَنَة دونَ الصِّفة، اعْلَمْ يا مولاي غيرَ كذوب، أنّك وَهبتَ لِيَ اليومَ مِلْءَ جِلْدِ كافورٍ مالاً، ووصَفْتُ له أنّ قميصَه من خُروق البِدَر الموهوبة؛ فتَهَلَّل وقال: لله دَرُّكَ مِن شاكر، ما أَنْبَطكَ لغوامضِ الشُّكر وأَبحثكَ عن دقائقه، وأمَرَ لي بمالٍ واسع وكسْوةٍ حَسنة، وكَسا كافورًا الأسودَ أحْسنَ كسْوة[4].

[**ذكر اللغوي صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي**[5]**:**] وجمع أبو العلاء للمنصور محمد بن أبي عامر كتابًا سمّاه "الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار"، وكان ابتداؤه له في ربيع الأول

1- أبو طالب المرواني- نفسه- صص46-48.

2- عن أنس بن مالك: "التوحيد ثمن الجنة، والحمدُ ثمن كل نعمة، ويتقاسمون الجنّة بأعمالهم". أبو شجاع شيراوية بن شهردار بن شيرويه الديلمي- الفردوس بمأثور الخطاب- دار الكتب العلمية- بيروت- 1406هـ/1986م- الحديث رقم 2415- ج2 ص74، ولا يصحّ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

3- قال أبو طالب المرواني: "قال حيّان بن خلف". المصدر السابق- ص162.

4- أبو طالب المرواني- نفسه- صص158-162.

5- قال ابن بشكوال: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- م1 ج1 ص210.

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة[1]، وأكمله في شهر رمضان من العام، وأثابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة، وأمره أن يُسمِعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة، واحتشد له من جماعة أهل الأدب ووجوه الناس أمة، [2]وقرأته عليه مُنفردًا في داره سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[3].

[ذكر الوزير خلف بن حسين بن مروان بن حيان[4]:] توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة[5]، ودفن بمقبرة أم سلمة، وصلى عليه القاضي يونس بن عبد الله، وشهده جمع كبير من الناس، وكانت سنّة ثمانية وثمانين عاما، مولده سنة أربعين وثلاثمائة[6]، وكَفَّ بصره قبل وفاته بإحدى عشرة سنة لزم فيها بيته[7].

[قصّة] أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي[8] القرشي الزّهري[9]: ولحقتهُ تُهمة وَهْن في دينه بعهد محمد بن أبي عامر مدبّر خلافة هشام بن الحكم في جملة من تَتَّبَعه من الأطبّاء بذنبه ممن شُهرَ ذكرهم؛ فطلبه ابن أبي عامر وأخافَه، وتوارى عنه، ثم ظفر به فحُبِس في المُطْبَق مدة، ولم يتَوثَّق عليه فيما قُذِفَ به شهادةً؛ فخلّى سبيله.

[10]ورُمِي إبراهيمُ بن محمد المعروف بابن الإِفليليّ بالزَّنْدقة وقام عليه الطلبُ الحَثيث عليه؛ فلاذَ بالاستخفاء، ولم يُوقَفْ للعامَّة كما وُقِف أصحابُه الذين رُمُوا بالزَّندقة، منهم قاسم بن محمد بن إسماعيل بن هشام بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

1- قال ابن بشكوال: "قال ابن حيان: ...". نفسه- م1 ج1 ص210.

2- تقابل سنة 995م.

3- نفسه- ص210.

4- قال ابن الأبار القضاعي: "أخبر عنه ابنه أبو مروان بحكايات، وقال: ...". التكملة- م3 ج1 ص204.

5- تقابل سنة 1035م.

6- تقابل سنة 951م.

7- ابن الأبار القضاعي- المصدر نفسه- م3 ج1 ص204.

8- أبو القاسم إبراهيم الإفليلي: هو إبراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري كان حافظا للأشعار واللغة قائما عليهما وكان ذاكرا للأخبار وأيام الناس، توفي سنة 441هـ/1049م. ابن بشكوال- نفسه- م1 ج1 ص84-85/الحميدي- المصدر السابق- ص150-151.

9- قال المرواني: "قال: ..."، وعلق المحققان في الهامش: القائل هو ابن حيان. المصدر السابق- ص46.

10- قال المرواني في بداية النص: "قال حيان بن خلف: ...". المصدر نفسه- ص46.

المعروف بابن الشَّبَنْسي[1]، وهو الذي نجا من القتل باختلاف الفقهاء، وهو الذي أفتى فيه الإشبيلي ألاّ يُقتلَ، وقد ذكر هذه القصّة أبو بكر بن مُفرّجِ القُبَّشيُّ[2] في تاريخه، ومن المتهمين محمد بن مسعود البجّاني الشاعر[3] وسعيد بن فتحون المعروف بالحمار[4] وعبد العزيز المعروف بابن الخطيب[5] الشاعر؛ فأُقيم هؤلاء على غرفة دار الصداقة ونودي بهم على رؤوس النّاس ليُشْهدَ عليهم بما رُموا؛ فاستخفى ابن الإفليلي ولم يُوجَد فلم يُوقَفْ للعامة مع من ذُكِر، وطال أمره مُستَخفيًا إلى أن عُثِر عليه، فأُخِذ وحُبِس بمُطْبَق الإفتاء وأُطيل سجنهُ، ثم أطلق بعد مدّة.

[6]وجدت بخطّ بعض أصحابنا، قال: لما أقام محمد بن أبي عامر الرَّهْطَ المتَّهمين بالدَّهر[7] للناس بعُلِّيّة باب الصدقة غرب المسجد الجامع بقرطبة، واتّصل النداء على رؤوسهم، سقطت يومًا من كُمِّ سعيد بن فتحون السرقسطي الملقب بالحمار رقعة فيها هذه الأبيات: [من البسيط]

يـا رَبِّ يا رَبِّ أنت الواحِـدُ الصَّمَدُ   وأنْتَ في مَـلَـكُـــوتِ العِــــــــزِّ
وأنْتَ تَعْلَـمُ إيـمَـــاني وأَنّــيَ لِلتَّــ   ــوْحيدِ والدِّيـن بالإسْـلامِ معتَقِدُ
وأنَّ هــذَا الـذي نَـــمَّ العَــدُوُّ بِـــهِ   إلى الإمَـامِ المُـعَـلَّى المُرْتَضَـى فَـنَـدُ

1- قاسم بن محمد ابن الشّبَنْسي: هو أبو محمد قاسم بن محمد بن إسماعيل القرشي المرواني، روى عن أبي بكر ابن القوطية وغيره، وكان من أهل المعرفة بالآداب طلق اللسان حسن البيان، توفي منتصف صفر من سنة 430هـ/1038م، ذكره ابن حيان. ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج 2 ص93.

2- أبو بكر بن مفرّج القُبَّشي: هو الحسن بن محمد بن مُفَرّجِ بن حمّاد بن الحسين المَعافِري المعروف بالقُبَّشِي، عُنِيَ بالحديث وروايته عن الشيوخ وسماعه منهم، وتقييد أخبارهم، وجمع كتابا سمّاه "الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء"، ابتدأ بتأليفه سنة 417هـ/1026م بمرسية، وأتمّه سنة 420هـ/1029م، وتوفي بعد سنة 430هـ/1038م. ابن بشكوال- المصدر نفسه- م1 ج1 ص122-123.

3- محمد بن مسعود البجاني: هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن يحيى بن سعيد الأموي، كان بارعًا في الأدب، مطبوعا في الشعر، مقدّمًا فيه، توفي سنة 431هـ/1039م. ابن بشكوال- المصدر نفسه- م2 ج2 ص142-143.

4- سعيد بن فتحون: هو أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبي السرقسطي، له أدبٌ وعلمٌ، وتَصرُّفٌ في حدود المنطق، يُعرف بالحمار، وهو مشهور، امْتُحِن من قِبَل المنصور مِحْنةً أدّت إلى سجنه مدة، وبعد إطلاقه انتقل إلى صقلية؛ فأوطنها إلى غاية وفاته. الحميدي- المصدر السابق- ص226/الضبي- المصدر السابق- ص288/أبو عبد الله بن عبد الملك- الذيل والتكملة- السفر 4 ص40- 41.

5- عبد العزيز المعروف بابن الخطيب: هو أبو الأصبغ عبد العزيز بن الخطيب، أديب شاعر. الحميدي- المصدر نفسه- ص280/ الضبي- المصدر نفسه- ص357.

6- قال المرواني: "قال حيان بن خلف: ...". المرواني- المصدر السابق- ص47.

7- لمزيد من التفاصيل عن الدهرية ينظر أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني- الملل والنحل- أشرف على تعديله وقدم له صدقي جميل العطار- دار الفكر- بيروت- 1426هـ/2005م- ص389.

فَـاعْطِفْ عـليَّ قُلوبَ المُسْلِمينَ فقَدْ   تَــرَى مَقَـامي وتَـدْري حَرَّ مَـا أَجِـدُ

[1]وكان ابن أبي عامر قد حظر على السّجّانين أن يُدخِلوا إلى عبد العزيز ابن الخطيب دَواةً ولا صَحيفَة؛ فكان السَجّانون يُفَتِّشون طعامه وإناء شَرابِه؛ فلا يجدون شيئًا؛ [2]فاحتال أهله بإيصال المِداد إليه في إناء الزيت مُطبَقًا بينهما بحاجز، وسَقَوْا مِنْديله بالنَّشا؛ فكان يكتبُ عليه أشعارَه ويُخْرِجُها إلى أهله؛ فتُنْقَلُ وتُرْفَع إلى ابن أبي عامر؛ فيَطولُ بذلك تَعَجُّبُه؛ فلم يَزلْ يمْتَدِحُه ويتَذَّلل له إلى أن رَقَّ له؛ فأخْرَجَه من المُطْبَق، وصار أمرهُ إلى ما تقَدَّم[3].

[قصة المنصور بن أبي عامر مع سجين[4]:] وكان لمحمد بن أَشْعَثْ[5] قريب له، من كُتّاب محمد بن أبي عامر؛ فعرضَ له مع ابن أبي عامر عارضٌ غريبٌ من طريق الرُّؤيا.

[6]عُرِضَ على محمد بن أبي عامر اسم الكاتب المعروف بابن أشْعثْ في جُمله المَسجونينَ، وكان حاقدًا عليه، وكان في ذاته عَفيفًا جميلَ الطّريقة، رَطْبَ اللِّسان بالذِّكْر؛ فاشْتدَّ عليه غَضَبُه، وأبَى من إطلاقه حتّى يلحقَ بأُمِّه الهاوِية؛ فاغْتمَّ ابن أشعث لذلك، وأجْهدَ نفسَه في الدُّعاء والمُناجاة والرَّغبة إلى الله، وتقدّم إلى أهله بمثل ذلك، وطلبَ محمد بن أبي عامر النّومَ بإثْرِ هذا فتعذَّرَ عليه، وأتاهُ في مَنامه آتٍ كريهُ الشّخص عَنيفُ الأخْذِ يأمرُهُ بإطلاق ابن أشعثْ ويُوعِدهُ على حبسه؛ فاسْتَدْفَعَ شأنَه مرارًا إلى أنْ عَلمَ بأنّه نَذيرٌ من رَبِّه؛ فانقد لأمره ودعا بالدَّواة، وهو في مَرْقَده؛ فكتبَ بإطلاق ابن أشعث بيَدهِ، وقال في كتابه: هو طليقُ الله على رَغْم ابن أبي عامر؛ فانْطلقَ من السِّجن، وتحدَّث النّاسُ زمانًا بقصَّته، وبما كان من شأنه[7].

1- قال المرواني: "قال: ..."، ويقصد ابن حيان الذي ما زال ينقل عنه. المصدر السابق- ص47.

2- قال المرواني: "قال: ..."، وهو يتابع النقل عن ابن حيان. نفسه- ص47.

3- أبو طالب المرواني- نفسه- صص46-48.

4- قال أبو طالب المرواني: "قال: ..."، وينقل الخبر عن ابن حيان. نفسه- صص46-48.

5- محمد بن أشعث: هو أبو عامر محمد بن حفص بن أشعث، كان من الفقهاء المُشاوَرين بقرطبة، وكان عدلا متصاونا وممن يحمل اسم الوزارة مع تسميته بالشورى، مشاركا في الأدب. أبو طالب المرواني- نفسه- ص170.

6- قال أبو طالب المرواني: "قال ابن حيان: ...". نفسه- ص171.

7- نفسه- ص171، وتشبه قصة رواها ابن حزم عن ابن البشتي، وأوردها الحميدي- المصدر السابق- ص128- 129/الضبي- المصدر السابق- ص169- 170.

[ذكر خلفاء المنصور محمد بن أبي عامر]

قيام عبد الملك ابنه بالدولة[1]: ولمّا وَرد النَبَأ بموته ركب عبد الملك[2] إلى هِشام، ونَعَى إليه المنصور أباه؛ فأظهرَ الإشْفاقَ، وعَرَّفه بما اضْطربَ من أمر الفِتْيان وعِصيانهم؛ فخرجَ هشام وأمَرهُ بتدبير أمرهم بحسب ما يَسْتقيمُ به أمرُ الدّولة، وحذَّره مُواقَعة الدّماء وتَلقيح الفتنة، وخلعَ عليه، وأخرج معه كتابَه بولاية الحِجابة مكان أبيه[3]، وقُرِئ على الكافّة، وأنشئ به الكُتبُ إلى الأقطار، وعاقبَ بعض الفتيان العاصين، وأخرجَ بعضهم إلى سبتة[4]؛ فما قفلوا عنها إلا عند وثوب المهديّ بن عبد الجبار[5] على الدولة العامرية، ثم وافى العسكرُ الكبير مع أخيه عبد الرحمن، واجتمع الشملُ، وتمكّنت الطاعةُ، وأَيِسَ الأعداءُ من دولة بني عامر، وعلموا أنها وِراثة.

وأسقطَ عبد الملك سُدُس الجِباية لأوّلِ ولايته في جميع أقطار الأندلس عن الرعية؛ فراقت أيّامُه، وأحبّهُ الناسُ سرًّا وعلانية، وأنْصبَّ الإقْبالُ والتأييدُ عليه انْصِبابًا لم يُسمعُ بمثله، وسكنَ الناس منه إلى عفافٍ ونزاهةِ نفسٍ؛ فباحوا بالنعمة، وأخذوا في المكاسب والزينة من المراكب والملابس والقِيان، حتى سَمَتْ أثمانُ هذه الأشياء في مُدَّته.

1- يواصل ابن بسام النقل عن ابن حيان الذي ذكر عند إيراده خبر وصية المنصور لغلمانه أنه ينقل الخبر وما يليه عن مؤلف الكتاب. المصدر االسابق- م4 ص48.

2- ذكر ابن الخطيب أنّ الأمر آل بعد محمد بن أبي عامر إلى ولده عبد الملك يوم الإثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة 392هـ/1002م. المصدر السابق- ص83.

3- ذكر مؤلف تاريخ الأندلس أن عبد الملك المظفر دخل على هشام المؤيّد وأَعْلَمه بوفاة أبيه، و"جدَّد له عهدًا على عمل أبيه من الحجابة". ص236.

4- سبتة: مدينة على ضفة البحر الرومي، وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدًا، وهي مدينة كبيرة مُسَوّرة بسور صخر مُحكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر، وبها حمّام قديم، ولها ربض من جانب الشرق، لمزيد من التفاصيل عنها ينظر ابن حوقل- المصدر السابق- ص78-79/البكري- المصدر السابق- ج2 ص779-781.

5- المهدي بن عبد الجبار: هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، يكنى أبا الوليد، أمه أم ولد تسمى مونة، ولد في سنة 366هـ/976م، قام على هشام بن الحكم في جمادى الآخرة من سنة 399هـ/1008م؛ فخلعه وتسمى بالمهدي، واستولى على قرطبة، توفي مقتولا سنة 400هـ/1009م من طرف حاجبه العامري. لمزيد من التفاصيل عنه ينظر الحميدي- المصدر السابق- ص30-31/الضبي- المصدر السابق- ص30-31/مجهول- تاريخ الأندلس- ص237.

وبلغت الأندلس في أيّامه إلى نهاية الجمال والكمال وسَعَة الحال، في كَنَف ملكٍ مُقْتبِلِ السَّعْد، مَيمون الطّائر، غافلٍ عن الأيّام، مسرورٍ بما تنافس فيه رعيّتُه من زُخْرف دُنياها؛ فاجتمع الناس على حُبّه، ونجا من الفتن، وأخبارُه في ذلك مأثورة.

وكان على أهل الأندلس أسعدَ مولودٍ وُلِد[1]، بلغني عن أحمد بن فارس البصريّ المنجّم[2] زعيم الصناعة بها على عهد الحَكَم أنه نظرَ في مولِد عبد الملك هذا وهو طفلٌ فأشار من بُعد سعادته إلى أمر كبير لم يُدرك هو آخره؛ فعجِبَ مَن شاهدَه من جودة إصابته، وذلك أنّه قال: "لم يُولد قطُ بالأندلس مولودٌ أسعدُ منه على أبيه وعلى نفسه وحاشيته، نَعَم، وعلى أهل الأندلس[3] طُرًّا[4]، وعلى أرضِها فضلاً عن ناسِها، وأنّها لا تزالُ بخيرٍ حياتَه، وإذا هلكَ ما أراها إلاَّ بالضدّ"[5].

سمعت هذا الحديث[6] عن ابن فارسٍ من غير ما طريق؛ فكان كما قال، لقد حدث بالأندلس إثر مَهْلكِه ما هو مشهور.

وكان عبد الملك من أحيا الناس؛ فإذا كانت الحربُ عُوينَ منه الأسدُ المُحَرِّبُ في بَراثِنِه[7] حَطْمًا وشِدّة، من رجل عديم الفهم والمعرفة جُملة، صفرٍ من الأدب والتعاليم، حتى ما كان يُسايرُه ويُنادِمُه إلاّ العجمُ من الجلالِقَة والبرابرة ممّن لا يهشُّ لسماعٍ، ولا يطربُ لإيقاع؛ فارتفعتْ بذلك عن مجالسِ لَهوِه طبقةُ المعرفة، وقُوّضَ عنها كلُّ فاضل وعالم، واعتاضَ منها بجُفاة البرابر والأعاجم.

1- وردت نفس العبارة عند ابن الخطيب، وذكر قبلها: "قالوا". المصدر السابق- ص84.

2- ابن فارس: هو أحمد بن فارس المنجم. ابن سعيد المغرب- المصدر السابق- ج1 ص146.

3- ذكر المقري في نفحه أن أيّامه كانت أعيادًا دامت مدّة سبع سنين، وكانت تسمّى بالسابع تشبها بسابع العروس، ولم يزل مثل اسمه مُظفّرا إلى أن مات، وقال عبد الواحد المراكشي عنه: "وكانت أيامه أعيادا في الخصب والأمان، دامت سبع سنين إلى أن مات". نفح الطيب- ج1 ص405/المعجب- ص38.

4- طرا: يقال جاؤوا طرًّا أي جميعا. المنجد- ص462.

5- وردت أيضا عند ابن الأبار القضاعي نقلا عن ابن حيان، وعند ابن سعيد وردت كما يلي: "لم يولد بالأندلس قط أسعد من المظفر على نفسه وعلى أبيه وعلى حاشيته، نعم، وعلى أهل الأندلس طرّا، وأنها لا تزال بخير حياته؛ فإذا هلك لم تفلح؛ فكان كذلك". الحلة السيراء- ج1 ص270/ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص146.

6- ورد قبلها لفظ "قال ابن حيان: ...". ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص49.

7- براثنه: هي مخالب السبع. المعجم الوسيط- ص46.

إلاّ أنّه مع زُهده في الأدب تمسَّكَ بمن كان استخلصَه أبوه من طبقات أهل المعرفة من خطيبٍ وشاعرٍ، ونديمٍ وشِطْرَنجيّ، ومُعدِّلٍ وتاريخيّ وغيرهم، حِفظًا لصنائع والده وقيامًا برسومه؛ فقرّرهم على مراتبهم، ولم ينقصهم سوى الفوز بخُصوصيته، وكانت تُرفع إليه بطائقُ أهلِ الشّعر، ويَصِلُهم على تساهلهم في مديحه لأمانهم من نَظَره فيها، وأحرزَ لهم مع الفائدة عفو القريحة، وذلك بَيّنٌ لمن تأمَّلَه في أشعار مادحيه لفُتورها.

ثم أغرقَ عبد الملك النّزْع في دولته، وانهمكَ في طلب الآلات الملوكية حتى جُلِبَ إليه من ذلك كلُّ عِلْقٍ[1] خطير، وتأنّق في مراكبه هو وأصحابُه بالحِلية التامة بخالص اللُّجَين[2].

عهدي به يوم فُصوله لغزوته سنة ثمان وتسعين [وثلاثمائة][3] التي احتفلَ فيها لشانْجُة بن غرسية، واستكثر فيها من العُدّة والعَدد؛ فبرز على جوادٍ من مُقرباته المنسوبة بأفخم تلك المراكب المُسَلسلة، ولَبوسِ درعٍ فضيّة مُطرَّزة بالذهب، وعلى رأسه خوذةٌ مُثمَّنةُ الشّكل، مُحدّدةُ الرّأس، مُرصَّعة الطّرق بدُرٍّ فاخِر، واسطتُه حجرُ ياقوتٍ أحمر مرتفعُ القيمة، قد لزِمَ وسَط الجيش؛ وطُرِحَ الشعاعُ على سُنّة وجهه؛ فما رأى الناسُ بعدَه مَلِكًا يعدِلُه في البهاءِ والبهجة.

وكانت ممّا راقت به دولتُه في الجمال ما تلاحقَ فيها من غِلمان أبيه العامريّين الناشئين في دولة المنصور، وكان قد وفّر عنايته بهم، وجدّ في تدريبهم، ووقَّف حُذّاقَ المُناقفين[4] على تخريجهم؛ فأثمر غرسُهم، وأمكن جناهُم، وراقت جُملتُهم في الفروسيّة والرِّماية، وبَلغوا ألفَيْ غُلام[5].

[ذكر اصْطِناع المُظفَّر للبربر ووفود بني زيري:] وانْهَمكَ أيضًا في اصطناع البرابرة العُدْويّين، ودعا القبائل منهم إلى الدخول إليه والخدمة له، وكان من أعظم من هاجر إليه منهم زاوي بن زيري[6] بن

1- العِلق: النفيس من كل شيء. المعجم الوسيط- ص622.

2- اللجين: الفضة. المعجم الوسيط- ص816.

3- أضاف ابن الخطيب قائلا: "وفي سنة 398هـ/1007، استدعى الخليفة إلى قصره بالزاهرة لنزهة أنشأها هنالك في قصوره؛ فركب إليها من قصر الخلافة على سبيله المعهودة من الاستخفاء عن أعين الناس، وطردهم عن طريقه بكل جهة، والحاجب المظفر بين يديه في الجيش على العادة...". أعمال الأعلام- تحقيق بروفنسال- ص88.

4- المناقفين: يُقال رجلٌ نقاف أي صاحب تدبير ونظر في الأشياء كأنه ينقُف عنها أي يبحث. الزمخشري- المصدر السابق- ص652.

5- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص49-50.

6- زاوي بن زيري: كاتَبَ المنصور ابن أبي عامر ليلحق به، ولكنه لم يأذن له، وبعد وفاته خلفه المظفّر، وأذن له بالجواز إلى الأندلس هو وطائفة من قومه، ومنهم حبوس وحباسة ابني أخيه ماكسن، وكان ذلك سنة 392هـ/1002م، وظلّ زاوي رفيع المكانة في

مناد الصنهاجي عمُّ أبي المعز باديس بن منصور[1] صاحب إفريقية وصاحب الفرقة الخارجة عليه من أهل بيته، "وكان المنصور أيامه قد التوى في الإذن له بالدخول إلى الأندلس حذرًا من دهيه[2] ومكره وبُعد صيته في المغرب؛ فأضربَ عبد الملك عن الفكر في شأنه، وطلب السّمعة باستخدام مثله؛ فأدخله بمن معه من إخوته، وهم من سَعة النّعمة وبُعد الهِمم واستصغار الرغائب فيما يكون عليه أشباههم من أبناء الملوك"[3]؛ فاستقلوا ما وصلهم به عبد الملك على كثرته، وما استقرّوا الدار إلا على قُلعَةٍ ولا [...] معروفهم، ولا لبسوا أعالي المراتب السلطانية إلا على ابتذال ومحقرة، ولا قطعوا أمدَ المُقام بالأندلس إلا بذكر الرّحلة والتماس التسريح بُكرةً وعشيّة، جهلاً وفَرْط أنَفَة، والأقدارُ موكّلَةٌ بثَنْيِ عزم عبد الملك عن إسعافِهم بسراحِهم لما كان قدّره -عزّ وجهه- من الفتنة وتفريق شَمل الأندلس بأشباههم؛ فلم يخرجوا عنها إلى أن قاموا على الجماعة، وشغّبوا عليها بعد عبد الملك.

وكان شيخُهم زاوي أول دخوله بالأندلس يُظهر من أنواع البِرّ والبِشْر للناس ما لا شيء فوقه، وكان شأنه في الدّهْي والمكر والخلابة عجبًا، وكان يرجعُ في إقامة ما اعتاده من سَعة إنفاقه إلى ما جاء به من بلده من عقود وذخائر؛ فيبيعُ من ذلك النفيسَ والخطير، وربّما اشترى من ذلك عبد الملك فيزيد في حسرته.

الأندلس إلى أن نشبت الفتنة؛ فخاض غمارها، والتف به الصنهاجيون، وهو مؤسس دولة بني زيري بغرناطة عام 403هـ/1012م، وكانت وفاته بإفريقية سنة 410هـ/1019م. ابن الخطيب- الإحاطة، م1 ص238- ص294/ابن سماك العاملي- الزهرات المنثورة- هامش 5 ص126/ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1868/المقري- المصدر السابق- ج2 ص29.

1- المعز بن باديس بن المنصور: بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي، بويع له سنة 406هـ/1015م، وعمره يومئذ ثمانية أعوام، وهو أول من صرف دعوة العبيديين إلى بني العباس وأزال أسماءهم من السكة سنة 441هـ/1049م، وعلى إثر ذلك تعرضت إفريقية لنقمة العبيديين من خلال إرسال الأعراب الذين عاثوا في البلاد فسادا، ولمزيد من التفاصيل ينظر ابن الخطيب- أعمال الأعلام- تحقيق السيد كسروي حسن- ج2 ص323-324/ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1868-1869.

2- دهيه: الدهي أو الداهية هو البصير بالأمور، والدهي العاقل. الزمخشري- المصدر السابق- ص200/المنجد- ص228.

3- وردت هذه الفقرة عند ابن سماك العاملي في الزهرة الحادية والثمانين بنفس الألفاظ؛ دون تصريحه بالنقل عن ابن حيان، وأضاف قائلا: "فبالغ عبد الملك في رفع منزلته، وولّاه الوزارة أرفع خطط أصحاب السلطان بالأندلس، ووصل إليه الرسول بالصك في ذلك، وتوقف لعله أن يصله عليه؛ فقال له: يا هذا، لو جئتنا بمال لأسهمناك، وإنما أتيتنا بقرطاس هو لك إن شئت، وكل امرئ وما خلق له، وإنما خطتنا الإمارة لا الوزارة، وأقلامنا الرماح، وصحائفنا الأجساد". الزهرات المنثورة- ص127.

وكان عبد الملك راغبًا في رفعةِ منزلته، وولاّه الوزارةَ أرفعَ خطط أصحاب السلطان بالأندلس، ووصل إليه الرسولُ بالصكِّ في ذلك وطلب أن يصله عليه؛ فقال: "لو جئتنا بمال لأسْهَمْناك؛ وإنما خُطّتنا الإمارة لا الوزارة، وأقلامنا الرّماحُ وصَحائِفُنا الأجْسادُ".

ولم يمتنع عبد الملك مع غَطرسة زاوي هذا من إقامة الحد على مَن وَجب عليه من أهله: عدا ابنُ أخيه على مولى لهم فقتله؛ فأقادَهُ عبد الملك لحينه، وأسلمَه أهلُه السيفَ فضُرِبت عُنقهُ على قتيله ذلك بمقبرة كلاعٍ بمشهدٍ عظيم من الناس، وأُسلمتْ جثته إلى أهله، ونَبتِ الأندلس بعدُ بأخي زيري أبيه؛ فقوّض عنها أول المقوّضين من صنهاجة بسراحٍ من عبد الملك[1].

[ذكر حال هشام المُؤيَّد بالله على عهد المُظفّر[2]**:]** وانبَسَطتْ حاشيةُ الخليفة هشام على عبد الملك طول مدته في جميع أحوالها؛ فحملهم على مرادهم، وانهمك هشام طول أيّامه فلم يظهر وقتًا فيها، ولا شهدَ صلاة، واحتجبَ في نُزَهِ الباطنة على رَسمه في أيّام أبيه المنصور، وبلّغه منها عبد الملك بُغيتَه، وجعل يُخرجه منها مع حُرمه مُسْتَخفيًا بعد طرد الناس عن طريقه؛ فيضربُ به إلى كل ناحية، ثم يعودُ إلى قصره.

ونال[3] في مدة هذا الانْهماك والدَّعة أهلُ الاحْتيال من الناس عندهم الرغائب النفيسة بما ازدلفوا به من أثر كريم، أو زخرفوه من كذب صريح، حتى لقد اجتمع عند نساء القصر ثمانيةُ حوافرَ عُزيَ جميعها إلى حِمار عُزَيْر[4] المُسْتَحْيَى بالآية الباهرة، واجتمع عندهنّ من خشب سفينة نوح عليه السلام وألواحها قطعة، وظَفِرن من نَسل غنم شُعيب عليه السلام بثلاث، وكَلِفْن من هذا ومثله لعِفّتهنَّ وزُهدِ صاحبهنَّ بأشياء توجّهتْ على أموالهن من قبلها أعظم حِيلة، ولَهِجْن[5] مع ذلك

1- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص50-51.

2- قال ابن بسام في بداية الفقرة: "قال ابن حيان: ...". نفسه- ج4 ص51.

3- في الأصل: قال، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

4- عُزَيْر: إشارة إلى الآية الكريمة: "**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ- مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**". سورة البقرة- الآية 259.

5- لهجن: لهج بالأمر لهجًا، أي أوقع به؛ فثابَر عليه واعْتاده. المعجم الوسيط- ص841.

بطلب ذوي الأسماء الغريبة من الناس، المُوافِقة أسماؤهم لمن اجتباهُ الله من خَلقِه، مثل عبد النور وعبد السميع وعبد اللطيف وعبد المؤمن وحزب الله ونصر الله وفضل الله، ومثل ياسين واليَسَع ومن جانَسَه، يصيرُ الرجل من هؤلاء في الحاشية، ويُستعملُ على وكالة جهة، ولا يَبعدُ أن يَتموّل في أقرب مدّة، وإن اتّفقَ مع ذلك أن يكون ذا لحية عثولية[1]، وصاحب سِبال وهامةٍ؛ فقد تمّت له السعادة، ولا سيما إن كانت لحيته حمراء قانية؛ فإنّها أجدَى عليه من دار البطيخ غلّة، ثم لا يُسألُ عمّا وراء روائه من أصل ولا فضيلة، ولو كان مُردّدًا في بنى اللخناء، وعاريا من جميع الخصال، والأخبار في مثل هذا عنهنّ كثيرة مأثورة؛ فباهتْ حُرمُ هشام بمثل هذه المعاني الشاذّة، وبَذلنَ من الأموال في التماسِها بما لم يُسمع مثلها، ولم تزل الدولة تزدادُ انهماكًا إلى أن ماتَ عبد الملك، وكَبَتْ كَبوةً لم تَستقِلْها آخر الدهر[2].

[**أوضاع النصارى على عهد عبد الملك**[3]:] وكانت ولاية عبد الملك وفِرقُ النصرانية بأسرها مُنتقضةٌ، وعهدُها قريبٌ بالاجتماع على المسلمين، وأطماعها بموت حَتْفِها المنصور ثابتة، وكانت الإفرنجةُ في آخر وقت المنصور قد تمسّكتْ بالمُسالمة؛ فلمّا سمعت بموته طمِعتْ، واحتاج عبد الملك إلى التثاقل عنه توطيدًا للحضرة، إلى أن اعتدلت فيها الدولة، وأخبار الثغور توافيه كلّ وقت بما لا يوافقه.

وكان أهمَّ جموع طوائف الطواغيت عليه يومئذ أميرًا، شيطانهم الرجيم ومُغويهم الزعيم شانجُة بن غَرسية بن فَرْذْلَنْد صاحب قَشْتيلَة، وكان يليه في النِّكاية مِنَنْدس بن غُنْدشِلب[4] قومَس غليسية، وكافلُ ملِكهم أذْفونْش بن برمُند، وسائر القواميس عندهما سَقَطٌ وحاشية؛ فقدَّم عبد الملك الحذَرَ منهما؛ فألقى مولاه واضحًا الفتى صاحب مدينة سالم على شانجُة؛ فصالحَه واضحٌ سنة ثلاث وتسعين [وثلاثمائة][5]، ولاطفه إلى أن تمهّدت قواعد الدولة.

1- عثولية: كبيرة كثة. المعجم الوسيط- ص584.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص51-52.

3- قال ابن بسام في بداية الفقرة: "قال ابن حيان". ابن بسام- نفسه- م4 ص52.

4- مننندس بن غندشلب: هو زعيم جليقية، والوصي على ملك ليون الطفل ألفونسو الخامس البالغ من العمر 10 سنوات، وقد ظلّ وصيًّا عليه حتى قتل غيلة سنة 398هـ/1008م. محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الأول- القسم الثاني- ص611.

5- تقابل سنة 1002م.

وجرّد عبد الملك يومئذ إلى ثغر قُلُمْرية[1] قاصية الثغر الجَوْفيّ المواجه لأرض غَليسْية، جيشًا كثيفًا، وبقى في وجه مننَدس بن غُندشلب، وصمد عبد الملك بلدَ الإفرنجة إذ لم تَزل عند ولاة الأندلس مبدأ كل عِلّة؛ فاستعدّ لقصدهم، واقتحم أرضهم في جموعه، وأوغل في بسيط بَرْشلونة، وحطّم غير ما مدينة، وعاد قافلا سالمًا غانمًا؛ فهابَته الإفرنجة وأذعنتْ إلى السلم، وجاء رسولها إلى قُرطبة، وقد أعدَّ عبد الملك لوروده أكملَ العُدَّة من ترتيب الجنود؛ فكان يوم دخلَ ذلك الرسولُ بقرطبة آخر أيام الزينة، إذ انتقضَ الملك على أثره سريعًا ووقعت الفتنة[2].

[ذكر الغزوة الأولى للحاجب عبد الملك بن أبي عامر:[3]] وأظهر عبد الملك الجدَّ في أمر هذه الغزوة غُرَّة رجب من السنة[4]، ودَفعَ في دَفْعِ[5] المعاريف والصِّلات إلى طبقات الأجناد الغازين معه فيها أوَّلا، ووافت الحضرة لأول هذا الوقت طوائف كثيرة من مُطَّوِّعة العُدوة المُجاهدين للحسبة، فيهم جماعة كبيرة من أمرائهم وزعمائهم وعصابة كثيرة من فقهائهم، يبغون مُشاهدة هذه الغزوة المُحْتَفَل لها في هذه السنة؛ فتسابقوا إلى الوُرود قبل حضورها بمُدَّة.

وتعرّض قومٌ من أمراء هذه القبائل ورؤسائهم لصلة عبد الملك؛ فأطلق لهم عند تكامُلهم ببابه نحو خمسة عشر ألف دينار عينًا صِلَة لهم، وزّعها عليهم بحسب مقاديرهم؛ مَعونة على جهادهم؛ قَبلُوها منه بالتأوُّل، وتَحَرَّج آخرون ممّن وافى معهم عن فِعْلهم، واتصل ورود أمداد المُطَّوِّعة من كل قوم وكل ناحية؛ فتكاملت الحشود بالحضرة، ودَنا وقت الحركة فوقع الجدُّ وصُبّ المالُ صبًّا، وعهد

1- قلمرية: من بلاد برتقال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وهي على جبل مستدير، وعليها سور حصين، وبينها وبين شنترين ثلاثة مراحل، وهي صغيرة متحضرة عامرة، كثيرة الكروم والتفاح والقراصيا. الحميري- المصدر السابق- ص471.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص52.

3- قال ابن عذاري عند بداية النص: "قال ابن حيان". المصدر السابق- ج3 ص4.

4- كان خروجه لفتح حصن مُمَقْصَر- مَنْغَص من ثغر برجلونة عند ابن الخطيب- عام 393هـ/1002م نظرا لخطورته وتمرده، وحصن ممقصر يقع بالقرب من برشلونة، ويسمى بالإسبانية Monmagastre، ومما يلفت النظر مشاركة أعداد كبيرة من المتطوعين منهم من العدوة المغربية لأهمية الحملة. ابن عذاري- المصدر نفسه- ج3 ص4/ابن الخطيب- المصدر السابق- تحقيق ليفي بروفنسال- ص87/محمد بشير حسن راضي العامري- تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي- دار الكتب العلمية- بيروت- ص156.

Dolores Bramon Planas- Nous Textos d'historiadores Musulmans referents a la Catalunya Medieval- tesis doctoral- departament d'historia medieval paleotologia, diplomatica- Universitat de Barcelona- 1998- p. 304

5- كذا في الأصل.

عبد الملك إلى خُزَّان الأسلحة بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بَيْضة[1] وخمسة آلاف مِغْفَر على طبقات الأجناد الدّارِعين في جيشه.

وركب عبد الملك إلى المسجد الجامع بحضرة قرطبة لشهود عَقْد الألْوِية لهذه الغَزاة، على عادة أمراء الأندلس قبلهُ يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان من هذه السنة، ثم خرج الحاجب عبد الملك يوم الاثنين لإحدى عشر ليلة خلت من شعبان؛ فكان خروجه على باب الفتح الشرقيّ من أبواب مدينة الزاهرة، وقد اجتمع الناس لرؤيته؛ فخرجَ عليهم شاكِيَ السلاح في دِرْع جديدة سابغة، وعلى رأسه بَيْضَة حديد مُثَمَّنة الشّكل مُذهَّبةٌ شديدة الشُّعاع، وقد اصطفّت القوّاد والموالي والغِلمان الخاصَّةُ في أحسن تعبئة؛ فساروا أمامه وقد تكَنّفه الوزراء الغازون معه، وسار الحاجب عبد الملك إلى أن نزل بمُنية أرملاط أولى محلاّته، ثم رحلَ في جيوشه عن أرملاط غداة يوم الثلاثاء بعده سائرا لوِجْهَته وعساكرُه مُحْدِقةٌ به، إلى أن وصل طليطلة لسبع بقين من شعبان؛ فتلوّم بها يومَ الجمعة، ورحل يوم السبت إلى أن وصل مدينة سالم؛ فوافاه هنالك عِدّة زعماء من وُجوه النصارى وفرسانهم، أرسل بهم ملك القوط يومئذ أذفونش بن أرْدون المعروف بابن البَرْبَرِيَّة، ومعهم آخرون ممّن أرسل بهم خالُه شانجُه بن غَرْسية زعيم الجلالقة وصاحب قَشْتيلَة وألبة، وحضر هؤلاء الأرهاط[2] للغزو بين يَدَيْ عبد الملك على ما تضمّنه شرطُ سلمهم المنعقد صدر هذه الدولة، وأول هذه السنة المؤرّخة، وافينَ بالعهد حافظين للحُرمة؛ فأحسن عبد الملك قَبولَهم وأوسع إنزالَهم، وأصعدَ عن مدينة سالم نحو الثّغر الأعلى؛ فاحتلّ سرقسطة ثم رحلَ عنها.

وأخرج عبد الملك مولاه واضحًا في نُخبة من رجاله إلى حصن مدنيش[3] بمقربة من حصن مُمَقْصر الذي عُمِل على قصده لانتهاز فرصة من أهله؛ فسار واضح لذلك؛ فصَبَّح بهذا الحصن مع إسفار الصبح، وأحاط بأهله، ورحلَ الحاجبُ آمًّا الحصن المذكور؛ فتلَّقته رُسل واضح فبشّروهُ بالفتح؛ فاستبشر بذلك، وأشرف المسلمون على حصن مُمَقْصر؛ فكبّروا لما نظروا إليه تكبيرًا عاليًا

1- البيضة: هي الخوذة. المعجم الوسيط- ص79/السيد عبد العزيز سالم- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع- الإسكندرية- 1985- ص330.

2- الأرهاط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة. الزمخشري- المصدر السابق- ص261/المعجم الوسيط- ص377.

3- يسمى بالإسبانية حصن مية Meya. محمد عبد الله عنان- المرجع السابق- ص610 هامش610.

كادت الأرض ترجُف له، وتتابع قَرعُ الطّبول من جهات العسكر، وطمَّ[1] هوله؛ فذُعِر الكَفَرَة لأوّل وقتهم، واحتلّ الحاجب وعسكرُ المسلمين بساحتهم؛ فأحاطوا بالحصن من جميع جهاته، وأقام مراتب الحرس بنواحيه، وصمّم المسلمون نحو أعداء الله صاعدين إلى الحصن لحربهم فوجًا إثر فوجٍ، وقد برز المشركون إلى الرَّبَض يُمانِعونهم عنه بزعمهم؛ فنشب القتال بين الطائفتين، وصبر المشركون؛ فلم يُمْهِلهم المسلمون إلا رَيْثَ ما كشفوهم عن الربض بأسره، وأقحموهم خلف السور، واضْطرّوهم إلى التحصّن به، ثمّ جدَّ الكَفَرة في الدفاع، وصَدَقوا القِراع: فتجرّعوا أَكْؤُسَ الحِمام دِراكًا، وضرب الليل رَواقه فحجز بين الفريقين، وقد ثَلَمَ[2] المسلمون في السور ثُلَمًا كثيرة، ثمّ غدا المسلمون على قتال الكَفَرة إثر صلاة الفجر من يوم الثلاثاء بعدَه؛ فناهضوا أعداء الله بأصحّ عزيمة، وقامت الحربُ على ساق، وحَمِيَ وَطيسُها[3]؛ فصبرَ المسلمون على مُباشرتها أكرم صبر سُمع به، حتى ولّى الكفرة الأدبار؛ فاقتحموا عليهم الأسوار، وأخذوا كثيرًا منهم، وملكوا عِيالهم وأبناءهم، وصاروا فَيْئًا للمسلمين، واشْتغل المسلمون بنهب أموالهم.

وركب الحاجبُ عَجِلاً بنفسه مع أكابر فتيانه وأهل مَركبه؛ فارتقى إلى باب قصبتهم، واقتحم الناس على أعداء الله القصبة فملكوها، وخلصت طائفةٌ منهم إلى محلٍّ مَنيع بهذه القصبة؛ فساورهم أولياءُ الله بذروة ذلك المحلّ؛ فأيقنوا بالهلاك، وسألوا النزول على حُكم الحاجب؛ فأنزلهم على ذلك، وحكمَ فيهم بحُكم ابن عمِّه سعد بن مُعاذ[4] رضي الله عنه؛ فقتل جميعَهم، وملكَ الحِصنَ، وحاز الغنائم.

1- طمّ: طمَّ الشيءُ كَثُر، وطمَّ الأمرُ عَظُم وتَفاقَمَ. المنجد- ص471.

2- ثلم: أحدثوا فيه شقا. الزمخشري، المصدر السابق، ص76/المعجم الوسيط- ص99.

3- في الأصل: وَطيسًا، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

4- سَعْد بن مُعاذ: هو سَعْد بن مُعاذ بن النُّعْمان بن امْرِئِ القَيْس بن يزيد ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس، يكنى أبا عمرو، شَهِد بدرًا وأحدًا والخندق، ورُمِي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم في بني قريظة، وأُجيبت دعوته في ذلك، وكان حكمه فيهم أن يُقتل رجالهم ويُسبى نساؤهم وذريتهم، ثم انتقض جرحه فمات سنة 5هـ/626م. ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت- ج2 ص35/القرطبي المالكي- الاستيعاب في أسماء الأصحاب- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت- صص25-30.

وعهد الحاجب وقت الفتح إلى المسلمين ألا يحرقوا منزلا، ولا يهدموا بناء؛ لما ذهب إليه من إسكان المسلمين فيه؛ فشرع للوقت في إصلاحه، ونادَى في المسلمين: مَنْ أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشّهر على أن يستوطن في هذا الحصن فعلَ، وله مع ذلك المنزل والمَحْرَث؛ فرغب في ذلك خلقٌ عظيمٌ، واسْتقرّوا به في حينهم.

ولما اسْتكملَ الحاجبُ ما أراده من تكميل أمر هذا الحصن، وإقامة كلمة الإسلام فيه بأرض لم تَرَ الإسلام قطّ، رحل عنه يُريد السّياحة في بسيط برشلونة، والإثْخانَ في أرضها؛ فدوّخ بلاد الكَفرَة، وانْبسَط المسلمون في عَرَصاتهم[1]؛ يَحْرِقون ويَهدِمون ويَحْطِمون، وانبسطتْ خيلُ المُغيرة في بَسائطهم، وأوْغلَ بهم قوّادهم إلى أن أتى بسيطًا كثيرَ العِمارة فاحْتلّوه، وعَمُّوا جميعَه انْتِسافًا وغارةً، ووقعوا على كثير من عِيال الجالية من هذه الحصون؛ فردُّوهم سَبْيًا إلى المحلَّة، وأبلغوا في النِّكاية، وأحْرَزوا الغنائمَ والأجْرَ الجزيل والسلامة.

وعَيَّد الحاجبُ والعسكرُ عيد الفطر بأرض برشلونة، ثم رَحل سائرًا يوم الثلاثاء، وهو يوم عيد الفِطر غُرَّة شوّال من السنة المؤرّخة؛ فأدركه وقت صلاة العيد وهم سائرون في فِجاج سهلٍ؛ فنزلوا للصلاة، ولما أنْ قضَى الحاجب صلاته؛ تَبوّأ بمُصلاّه مَقْعدًا للصلاة؛ وتهنئته بما سَنَّى الله له من التَعييد في سبيل جهاده وطاعة خالقه؛ فتقدّم إليه أكابر الناس على مَراتبهم، ثمّ ركب فرسه؛ فتقدّم إليه طبقات الأجناد طبقةً بعد طبقة مُسلِّمين عليه؛ ومُبتهلين بالدُّعاء له، وسار العسكر عند انقضاء ذلك كلّه؛ فنزل بالبَطْحاء، ثمّ رحل من منزل إلى منزل؛ فعمَّ ذلك كلَّه انْتِسافًا وغارةً.

ورأى[2] الحاجبُ عبد الملك أنْ قد بلغ الغاية من التَّدويخ لأرض العدوّ والوَطْءِ لها وإبادتها وتركها بلقعًا[3] خرابًا وقَفْرًا يَبابًا[4]؛ فرحل العسكر مُنكفئا نحو أرض الإسلام، وأمر كاتب الرسائل أحمد بن

1- عرصاتهم: الدار الخالية أو البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها. الزمخشري- المصدر السابق- ص414/المعجم الوسيط- ص593.

2- قال ابن عذاري قبل بداية النص: "قال حيّان بن خلف". ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص8.

3- بلقعا: الخالي من كل شيء. المعجم الوسيط- ص77.

4- يبابا: الخراب والخالي لا شيء فيه. المرجع نفسه- ص1062.

بُرد[1] أن يكتب بالفتح نَظيرَيْن: أحدهما إلى الخليفة هشام المُؤيَّد بالله؛ والآخرُ يُقرأ على كافة المسلمين بقرطبة، وتنفذُ نسخته إلى الأقطار؛ فعجّل ذلك، وأنفذه نحو حضرة قرطبة.

وكان جُملة ما تضمّنه كتاب الفتح من عَدَد السَّبْي خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأسًا، وعَدد الحُصون التي افْتُتحت عنوة فقُتلت مُقاتلتها وسُبيت ذراريُّهم وغُنِمت أموالهم ستة حصون، وعِدَّةُ الحصون التي أخلاها العدوّ فخُرِّبت ودُمِّرت خمسة وثمانون حصنًا، وكلّهم مُسمّون في كتابه، وأَذِن الحاجب لجميع المُطَّوِّعة في القُفول إلى بلادهم، إذ قَضوا ما قصدوا له من جهاد عدوّهم، ووُصولهم إلى مَآمِنهم؛ فقَفَلوا فرحين مُستبشرين.

ورحلَ العسكر من مدينة لارِدة[2] يوم الثلاثاء لثمان خلون من شوّال قافلا إلى قرطبة، وسار في مَرْكَبه فدخل قرطبة يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة من السنة؛ فتلقاهُ أهل قرطبة وعلماؤها ووُجوهها مُسَلِّمين داعين مُهَنِّين شاكرين، ثم دخل الحاجب إلى الخليفة هشام؛ فرَفعَ مَجلسه وأعلى مَكانه، وكساه من ملابسه السنيّة ثلاث رُزَم قَرَنَ بها سبعين من خاصِّ سُيوفه؛ فأظهر عبد الملك السرور بذلك، وشكر الخليفة وقَبَّل يده، ثمّ رحل عنه مُنصرفا إلى قصوره بالزّاهرة.

وجلس يوم الأربعاء ثاني يوم وُصوله مجلسَ التهنئة في أبّهة فخمة، وأَذِن للناس في الوصول على مراتبهم؛ فوصل في أوائلهم كبار قُرَيش من بيت الخليفة المَرْوانيُّون، ثم القُضاة والحُكّام والفقهاء وأهل العدل، ثم وُجوه أهل الأرباض والأسواق من أهل قرطبة، ووصل بعدهم الشعراء والأدباء بما صاغوه من أشعارهم؛ فأنشدَ منهم مَن رَسْمُه الإنشاد، ووضع سائرُهم الأشعارَ بين يديه، وانفضَّ الجَمْعُ عن سُرور وغِبْطة وحُبور.

وفي قُفوله[3] من هذه الغزوة يقول ابن دَرَّاج القَسْطَلِّي[1] رحمه الله: [الطويل]

1- أحمد بن برد: هو أبو حفص الوزير، كان يملك حظا وافرًا من الأدب والبلاغة والشعر، رئيسا مُقدّمًا في الدولة العامرية وبعدها، توفي سنة 418هـ/1027م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص34/الحميدي- المصدر السابق- ص122/الضبي- المصدر السابق- ص162/ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج2 ص271/ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص52.

2- لاردة (Lerida): مدينة قديمة أزلية، وهي في جوف طركونة، وقبلة من سرقسطة، لم يكن في شرق الأندلس أكبر منها، ولها أسوار منيعة، وهي على نهر كبير، ومنها إلى وشقة سبعون ميلا. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص554/مجهول- تاريخ الأندلس- ص131.

3- قال ابن عذاري في بداية النص: "قال حيان بن خلف: ...". المصدر السابق- ص 9.

بَـدا رِيحُ[2] السَّعْدِ واسْتُقْبِلَ[3] النُّجْحُ   فَبِاللهِ فَـاسْتَفْتِحْ فَقَدْ جـاءَكَ الفَتْحُ

وقَـدْ قَـدّمَ النَّصْـرُ العَزيـزُ لِـواءَهُ   وَقَبْلَ طُلُـوعِ الشَّمْسِ يَنْبَلِجُ الصُّبْحُ

فَـقُـدْ في سَبيـلِ اللهِ جَيْشًـا كَـأنَّـهُ   مِنَ اللّيْلِ قِطْعٌ طَبَّقَ الأَرْضَ أو جُنْحُ

كَتائِبٌ في إقْـدَامِهَـا الحَـقُّ والتُّقَى[4]   وَأَلْوِيَـةٌ في عَقْدِهـا اليُمْـنُ والنُّجْحُ

وجرت على الحاجب في هذه الغزوة محنة عظيمة وقاه الله منها وقاية عجيبة، صنع له بها خاصة وللمسلمين عامة، وشاع حديثها في الناس مدّة، وذلك أنه انعكس حَجر من حجارة المَنْجَنيق على مجلسه تحت الشّراع الذي كان يُشارف الحرب منه، ووجوه أهل الدولة بين يديه، والخُدّام والأكابر قيام على رأسه؛ فأخّره الله سبحانه بقُدرته عن رأس عبد الملك قيد شبرين أو أقلّ، وصَبَّه على رأس جعفر الفتى الكبير صاحب الأبنية في موقفه إزاءه؛ فشَدخهُ لوقته، وحُمل للحين ميتا مُنتشر الدماغ؛ فووري في غيابة من الأرض، واستهول عبد الملك والناس ما عاينوه من ذلك[5].

[علاقة عبد الملك بمملكة جليقية:] ولما أحكم عبد الملك الشدَّ لفتن الفرنجة دبّر قَصدَ شانجُة؛ فخرج نحوه صائفة سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة][6]، وأوغلَ في أرضه، وخامَ[7] عنه شانجُة ولم يظهر له، وقفلَ عبد الملك إلى قرطبة؛ فاضطرّ شانجُة إلى السلم، ووفدَ بنفسه إلى قرطبة؛ فأعظمَ عبد الملك مَوْرده، وضمن أن يغزو معه قومه؛ فخرج مع عبد الملك سنة خمس وتسعين [وثلاثمائة][8]؛

1- ابن دَرّاج القسطلي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي الأندلسي، كان كاتبا من كُتّاب الإنشاء في أيام المنصور ابن أبي عامر، وهو معدود في جُملة الشعراء المُجيدين والعُلماء المُتقدّمين، وشعره كما ذكر الحُميدي كثير ومجموع، وهو ما يدلّ على علمه، وكان أول من مَدَح من الملوك المنصور محمد بن أبي عامر، توفي سنة 421هـ/1030م، لمزيد من التفاصيل يُنظر ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص36/الحميدي- المصدر السابق- صص113-116/المقري- المصدر السابق- ج2 ص28/ ابن دراج القسطلي- ديوان ابن دراج القسطلي- حققه وعلق عليه وقدّم له محمود علي مكي- المكتب الإسلامي- ط2- 1389هـ- صص21- 88.

2- في الديوان: بدا لك هجم السعد. ص394.

3- في الديوان: النُّجْحُ. ص394.

4- "الهُدَى" في الديوان- ص394.

5- ابن عذاري- المصدر نفسه- ج3 صص4-10.

6- تقابل سنة 1003م.

7- خام: خام عنه جبن ونكص، وخام القوم في القتال لم يظفروا بخير. المنجد- ص203.

8- تقابل سنة 1004م.

فاقتحم جلّيقية وغادر أعمال بني غومس مُصطلِمة، وهدَى المسلمين شانجُة إلى عورات قومه، وانتهى بهم إلى مدينة ليون، وهي من أمنع المعاقل، ولم يكن المنصور بلغها لصعوبتها، وطمع عبد الملك فيها ونازَلها فأعيت عليه، وقَفلَ إلى قرطبة.

وبقي شانجُة في مُسالمته ثلاثة أعوام يستعدُّ لحربه؛ فأحسّ عبد الملك بغدره؛ فسابقهُ بالغزو سنة ست بعدها[1]، وضَحّى عبد الملك يومئذ بمدينة سالم[2].

[**ذكر وفود رسول الروم إلى المظفر**:] ووافاهُ هنالك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه يسأله المواصلة على سبيل سلفه مع ملوك المروانيّة، وساقَ له هدية وعدَّة من أُسارَى الأندلس طيرَ عليهم بأطراف جزائره البحرية؛ فسُرّ عبد الملك بذلك، وإذا كتابه مكتوبٌ بالذّهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة، وذكر صاعد ورود ذلك الرسول في شعر قال فيه:

زلزلتَ بالمُرْهَفاتِ صاحبَ قسـ طَنْطِينَ حَتّى اتَّقاكَ بالكُتُبِ

يَطْلبُ فيهــا رِضــاكَ مُجْتَهِـدًا مـن قبلِ أنْ يَتَّقيكَ بِالهَرَبِ

فَلَيسَ بِالفائِتِ البَعيدِ مـعَ اللّـ ـهِ إذا مــا هَمَمْتَ بِالطَلَبِ[3]

[**أوضاع الأندلس على عهد المظفر**[4]:] سمعتُ بعضَ المشايخ يومئذ يقول: إنّه ما كان بالأندلس مثل ذلك في أمد الدولة بما اجتمع له من كثرة الجمع والزينة والعزّة السلطانية، وأما التجار الغرباء فدخلوا يومئذ إلى موضع هيئة التجافيف[5] والأعلام المصورة وسائر القطع العَجميّة، والقنا الهنديّة، وموقف خيل الركاب بالسروج الثِقال، والتّراس المُذهبّة والمُفضّضة، معها بِغالُ الركاب الرائقة في زيّها المشهور، وما اتصل بذلك من عُدَّة غريبة، وتوصّل أولئك التجار إلى ذلك المكان قبل إباحته

1- يقصد سنة 396هـ/1005م.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص53.

3- نفسه- ج4 ص53.

4- قال ابن بسام في بداية الفقرة: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج4 ص52.

5- التجافيف: يُقال جَفَّف الفرس أي ألبسه التِّجْفاف والتَّجفاف، جمعها تجافيف، وهي آلة للحرب يُتقّى بها كالدِّرْع للفرس والإنسان. المنجد- ص94.

للنظارة بإذن التمسوه من عبد الملك؛ فلم يختلفوا في استيساع ما عاينوه، واتفقوا- وكانوا جملة عراقيّين ومصريّين وغيرهم- على أنّه ما شاهدوا لأحدٍ من ملوكهم مثله[1].

[**وصف مدّة حِجابَة المُظفر**[2]:] انْصَبَّ منه الإقبال والتأييد على دولته انصبابا ما عُهِد مثلُه في دولة، وسكن الناس منه إلى عفاف ونزاهة ونقي سريرة، ووثوقٍ في بُعْد هِمَّتِه، اطْمأنّوا بها إلى جنبه في السرِّ والعلانية؛ فباحوا بالنِّعَم، واستثاروا الكنوز، وتناهَوْا في الأحوال، وتناغَوا في المكاسب، وتحاسَدوا في اقتناء الأصول وابتناء القصور، وغالَوْا في الفرش والأمتعة، واسْتَفْرَهوا المراكب والغِلمان، وغالَوا في الجَواري والقِيّان؛ فسَمَتْ أثمان ذلك في تلك المدّة، وبلغت الأندلس فيها الحدّ الذي فاق الكمال؛ فمهّد تلك الدولة في احتشاد النِّعم عندها، وارتفاعِ حوادث الغَيْر عنها، نذرًا لعرمان قضاه، وأسبوعًا بعُرسِه تملاَّه في كَنَف مَلِكٍ مُقْتَبِل السّعد، ميمون الطائر، غافل عن الأيّام، مسرورٍ بما تتنافسُ فيه رعيَّتُه من زُخْرُف دُنياها؛ فاجْتمعَ النّاس على حبّه، ولم يُدْهِنوا في طاعته، ورضي بالعافية منهم، وآتوهُ إيّاها فصفا عيشه، وانْشرحَ قلبُه، وخلَّصهُ الله من الفتنة[3].

[**إطراء دين المُظفّر**[4]:] كان في سرِّ أمره عفيفًا مُتواضعًا على رفعة حاله، يبكي على ذنبه، ويُحبُّ الصّالحين، ويَسْتَهدي أدْعِيتهم.

وحَكى الأستاذ أبو القاسم المُقْرئ[5] فقال: طرقهُ عبد الملك ليلا، وأحْسَسْنا بذلك لقُربِنا من منزل الشيخ؛ فامتلأت المقبرة بخيل المظفر، وقصد باب الشّيخ في خِفٍّ من غِلمانه، والقاضي أبو العباس ابن ذكوان معه؛ فقرع الباب عليه، وهو قائمٌ يُصلي؛ فآذَنَتْهُ زوجته بمكانه، وكانت فاضلة، وقالت: يا أبا أيّوب أوجز في صلاتك؛ فهذا صاحبُ البلد واقفٌ على بابك، يَبْغي الدخول عليك؛ فانظُرْ ما جناه عليك ابن ...[6]؛ فانصرف، وقال لها: يا هذه بَلوى حَلَّت تُسْتَدْفع بالصّبر، إِئْذَني له وقانا الله

1- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص52-53.

2- قال ابن الخطيب: "قال أبو مروان في الكتاب المتين؛ فقال يصف مدته: ..."، وهو هنا يجعل أخبار الدولة العامرية جزءا من كتاب المتين بينما ذكره منفصلا عنه عند حديثه عن أبيه محمد بن أبي عامر المنصور. المصدر السابق- تحقيق بروفنسال- ص84.

3- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص84-85.

4- قال ابن الخطيب: "وقال: ..."- أي ابن حيان- "في إطراء دينه". المصدر نفسه- ص85.

5- أبو القاسم المقرئ: لم نعثر على ترجمته في المصادر المستعملة في التحقيق.

6- بياض في الأصل، وقال مُحقّق الكتاب لعله "ابن الفاعلة". ابن الخطيب- المصدر السابق- ص85.

فتنته؛ فدخل وكلَّمهُ، فوعظه، ثمّ تناول كَفَّه مُصافحًا؛ فقال له: يا مُظَفَّر، إنّ لك كفًّا ناعمةً رخصةً؛ فاتّقِ الله عليها من لَفْحِ الجحيم؛ فأقبل عبد الملك على البكاء والنّحيب، ثم دعا له ويَدُه في يَدِه فقال: بَسَطها اللهُ في الجهاد وأطالها بالصدقة، ما يَبْلُغُني عنك بنعمة الله عليك إلا ما يسرّ، وقد وَجبَ عليَّ نصحُك؛ فاتَّقِ الله ربّك فيمن اسْتَرْعَيْتَ أمرهم، وتذكَّر من بَعُد عنك وعَجزَ عن قصدك؛ فاكْشفْ عن مظالمهم جَهدك، وتَوقَّ سوء دُعائهم ما اسْتطعتَ، واحْتَرسْ من بِطانتك أشدّ من عدوّك؛ فإنّهم أقرب إلى ضرِّك، يُزيِّنون لك شهواتك لينالوا رِضاكَ، ولا يُغْنونَ عنك من الله شيئا، والله الله في الجهاد، فبِهِ أعزّ الله أباك رَحمةُ الله عليه، وعليك بإصلاح السبيل فهي أهمُّ ما ترك إليك، وتَقْوَى الله أول وآخر ما أوصيك به؛ فأشْعرها قلبك؛ فإنّك تأتي إليه وَحدكَ، ولا يُغْني عنك أحدٌ شيئًا[1].

[**نظره في السجون**[2]:] وكان ممّا سَلك فيه عبد الملك مَسلكَ والده من الأعمال الزكيّة نظرُه في السجون وكَشفُه عمّن طال منهم سجنُه وتَعذَّر خلاصُه؛ فيُطْلِقُ من يُؤْمَن إضْراره ويُرَجِّي سِواهم[3].

[**من صفات المُظفَّر**[4]:] وكان عبد الملك لصحّة عقده مع قلّة عقله لا يحلفُ بالله البتَّة، ولا يحلفُ به تعظيمًا لله، كتبَ عنه الكاتبُ يومًا شيئا من ذلك في وعيد؛ فلمّا مرَّ بسمعه أنكَرَه، وأمر بمَحْو اليمين، وقال للكاتب: ومَهْما عَهِدْتَني حَلاّفًا؟[5].

[**ذكر حَياء وعِفَّة المظفر**[6]:] كان لا يكادُ يرفعُ طرفَه إلى سائلٍ ولا مَعْذورٍ حياءً ورقَّةً، وكان أعفَّ خَلقِ الله إزارًا، وأسْتَرَهم لعَوْرتهم، وأبْعَدهم عن جميع ما يَتدنَّس في الملوك من وَهْنة وعَهْر خَلْوة[7].

1- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص85-86.

2- قال ابن الخطيب: "قال: ..."، والنقل دائما عن ابن حيان. المصدر نفسه- ص86.

3- نفسه- ص86.

4- قال ابن الخطيب: "قال: ..."، والنقل من ابن حيان. المصدر نفسه- ص86.

5- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص86.

6- قال ابن الخطيب متحدثا عن ابن حيان: "وذكَرَ أنّ عبد الملك كان أبرّ خلق الله بوالده، وحكى عنه في ذلك خلقا شريفا ألحفه الله رضوانه، وذكر حياءه وعفته فقال: ...". المصدر السابق- ص86.

7- ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص86.

[رجع إلى حَياء وشجاعة المظفر[1]**:]** وكان من أحسن الغرائز في الناس ما جَمع الله فيه من الحياء والشجاعة؛ فقلد اسْتحقَّ وصف القائل:

فَتًى هُو أَحْيَى مِن فَتاةٍ حَيِيَةٍ وأشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بخفان خادِرِ[2].

[ذكر منزلة عبد الملك المظفر عند ملوك الأعاجم[3]**:]** وفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[4] احتكمت ملوك الرّوم إلى الحاجب عبد الملك بن أبي عامر، وانتهى المظفّر عند ملوك الأعاجم في دولته إلى منزلة عظيمة مثل منزلة والده المنصور، وأحلّوه محلّه في الإصغاء له والتعظيم لجلاله، والهيبة من سخطه، والطلب لمرضاته، حتى صار أعاظِمُهم يحتكمون إليه فيما شَجَر بينهم؛ فيفصل الحكم فيهم، ويرضون بما قضاهُ، ويقفون عنده[5].

[ذكر خبر الآفات التي ظهرت في دولة المُظفّر:] وفي دولة المظفّر ظهرت فصول مختلفة من الآفات، منها في هذه السنة كُسوفُ الشمس في الساعة السابعة من يوم الاثنين لليلة بقيت من ربيع الأول، وبعد ذلك ظهر النجم الذُؤَابي، وكانت في المنجِّمين فيه أقوالٌ عظيمة وإنذاراتٌ مرهوبة (...)[6] شنيعة[7].

[ذكر خبر الوزير أبي مروان عبد الملك الجزيري[8]**:]** وكان عبد الملك بعد أبيه قد فوّض إلى عيسى بن سعيد القطّاع وزيره أمرَه؛ فصار عيسى قيّم الدولة؛ فحسده رجال العامريّة، وحملوا طَرَفة فتى عبد الملك على مُناوأته؛ فسمَتْ نفس طرفة لذلك لفَضل همّةٍ كانت له، وحظّ أدبٍ ميّزهُ عن طبقته؛ فاستخلص من أعداء عيسى لُمَّةً، منهم عبد الملك الجزيريّ[9] وأبو العباس ابن ذكوان؛ فزُيّنَ

1- قال ابن الخطيب: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ص87.

2- نفسه- ص87.

3- قال ابن عذاري: "قال محمد بن عون الله: ..."، وهو من رواة ابن حيان. المصدر السابق- ج3 ص10.

4- تقابل سنة 1003م.

5- ابن عذاري- المصدر نفسه- ج3 ص10.

6- كلمة مطموسة في الأصل. ابن عذاري. المصدر نفسه- ج3 ص11/ابن عذاري المراكشي- نفسه- تحقيق آل عوّاد- م2 ج2 ص302.

7- نفسه- ج3 ص10-11/نفسه- تحقيق آل عواد- ج2 ص302.

8- قال ابن بسام في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج4 ص31.

9- الجزيري: هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الكاتب، عالم أديب، شاعر كثير الشعر، غزير المادة، معدود في أكابر البُلغاء، وله في ذلك رسائل وأشعار مروية، قال ابن حيان: وتوفي بالمطبق في سخطة المظفر عبد الملك بن أبي عامر في ذي القعدة

له التقدّم عليه، وعرَّفهُ الجزيري ما تهيّأ لكافورٍ الأسود[1] مولى محمد بن طُغجٍ[2] صاحب مصر من المُلك باسم مولاه تلك المدة الطويلة، وأنّ مَحلّه فوقَ محلّ ذلك بابْيِضاض النفس والجلد، واكْتِمال الفضل والمعرفة؛ فأصغى له طرفة وتدبّرَ برأيه، وحملَ مولاه على أن قدّمَ عبد الملك الجزيريّ إلى خطّة الوزارة؛ فعارض عيسى في كل أمرٍ حتى كاد يُسقطُه لولا اسْتخذاءُ عيسى له.

ثم اعتلّ عبد الملك المظفر؛ فانفرد طرفة بخدمته، وكثر الإرجاف به؛ فجمَّلَ له ابن الجزيري بغيه وسوء رأيه، وجسّره على أن يضبطَ الأمرَ لنفسه باسم الطفل مولاه، على رسم كافور الذي ذكرناه.

ثم رأى المظفّر أن يُخرج عسكرًا إلى شرقي الأندلس لإنفاذ ما فيه من الأطعمة؛ فهشَّ فتاهُ طرَفة لذلك، وسأل مولاه أن يُخرج معه عيسى الوزير وقد أسرّ الإيقاع به؛ فأجابه مولاه لذلك؛ فأخذ في التجهّز وأسرف فيما أتاه، ولم يُبق من وجوه القوّاد وصنوف العُددِ والحَلْي وكرائم النجائب عند مولاه إلا ما لا قدْرَ له حتى صار في أبّهة الملوك، وأخذ الوزيرَ عيسى في الخروج معه؛ فتثاقلَ له، وأحسَّ بالشرّ في صحبته، ورامَ الانفرادَ بالمظفّر في ذلك؛ فلم يُمكنه لضَبْط طرفة بابَ مولاه؛ فألقى

سنة 394هـ/1003م، وهو يومئذ في أحد غزواته، ولم يخلف مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعرا وفهما ومعرفة، وبه خُتِم بُلغاء كُتّاب الأندلس. ابن بسام- المصدر السابق- ج4 صص28-33/ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص4/الحميدي- المصدر السابق- ص261/الضبي- المصدر السابق- ص347/ابن الأبار القضاعي- إعتاب الكتاب- ص193.

1- كافور الأسود: استبد بالأمر في مصر بعد وفاة على بن الإخشيد سنة 355هـ/965م، وكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين، وكان من أعاظم الملوك جوادًا ممدوحًا سَيوسًا، وكان يُداري المعز صاحب المغرب ويُهاديه، وتوفي سنة 357هـ/967م. ابن خلدون- المصدر السابق- ج2 ص1276/ابن فضل الله العمري- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي- دار روائع الأثير- الرياض- ط1- 1429هـ/2008م-م2 ص178- 179/السيوطي- المصدر السابق-ج1 ص461-462.

2- في الأصل محمد بن طفج، والصحيح ما أثبتنا، وهو صاحب مصر والشام، ولي مصر إحدى وعشرين سنة، وكان الإخشيد من الشجعان المذكورين، مات بدمشق سنة 334هـ/945م. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- دول الإسلام- تحقيقي وتقديم حسن إسماعيل مروة ومحمود الأرناؤوط- دار صادر- بيروت- ط3- 2012م- ج1 ص308/العمري- المصدر السابق- م2 صص157-158/السيوطي- المصدر السابق- ج1 ص461.

عيسى بنفسه إلى مفرَّجٍ[1] صاحب مدينة الزاهرة ثِقة المظفّر واستغاثه لمحنته؛ فوصَّل له رقعةً إلى المظفّر شرحَ فيها مُرادَ طرفة.

عند ذلك أُتِي طرفة من مأمنه، واستعفى الخروج جُملةً؛ فلم يُساعِفُه مولاه؛ فنفذ لطِيَّتِه[2]، والعُجْبُ يقودُه، والحَيْنُ يسوقه، وخلا وجهُ المظفّر لعيسى بعدَه، وذكر له أشياء حَنِقَ بها على طرفة، وتَعجّل المظفّر الخروجَ إلى غزوَته إثر طرفة؛ فخرج معه وزيرُه عيسى، والجزيري يُغالطه القدح في طرفة، وفي قلبه من عيسى النارُ المُتَضرّمةُ، وعيسى أعلمُ الناس بنفاقه، وأحبُّهم في سفك دمه؛ فلمّا صار عبد الملك إلى بعض الطريق دبّر عيسى على ابن الجزيريّ أن ينصرف إلى الحضرة ليحصل قبضَ بقايا الخراج والنفقات، ولم يحسَّ بما دُبِّرَ عليه وعلى صاحبه.

فلما وصل المظفّر سرقسطة، وطرفةُ مرتقبٌ قدومَ مولاه على مقربة منها، دخل في أبّهته وتعبئته وصار إلى قصر مولاه مُدلاً بمنزلته؛ فعُدِّلَ به عن مجلسه، ولم تقع عين المظفّر عليه، وقُيِّدَ لوقته، وأُخْرِجَ إلى الجزائر الشرقيّة[3]؛ فلم يكن بين دُخوله سَرَقُسْطَة أميرًا وخُروجه عنها أسيرًا إلاَّ ساعة.

واتّخذ الناس حديثه عجبًا، ثم أنفذ المظفّر إلى الحضرة بضمّ عبد الملك الجزيري إلى المطبَق بالزّاهرة، وكتب عيسى الوزيرُ إلى مُفَرّجِ العامريّ وإلى عبد الملك بن مَسْلَمة، وكانا من أعداء ابن الجزيريّ؛ وحَرّضهما على إبادته؛ فأُدخِل عليه في مُطبَقه قوم من السّودان وخَنَقوه؛ وأُشيعَ موته، وأُخرج ميتًا بعد أيّام، وأُسلِم إلى أهله ولا أثر به، ودُفن في شوّال سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة][4]؛ فصُرِعَ منه- رحمه الله- يومئذ فارسُ نثرٍ ونظام، ومُزِّقَ بقتله وَشْيُ الكلام، وكان يُشبهُ في ذكائه وأدبه مع عَقْرَبيّة الطبع، وكثرة الضرِّ وقلة النّفع، محمد بن الزيّات في ذلك الصّقع.

1- مفرج: هو مفرج بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسن المعافري، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، وهو من بيت فضل وعلم، ذكر ابن حيان أنه توفي يوم الجمعة منتصف ربيع الأول من سنة 406هـ/1015م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص227

2- لطيته: يقال وبعُدَت عنّا طِيَّتَه، وهي الجهة التي إليها يطوي البلاد، ولقيته بِطِيَّات العراق أي في نواحيه وجهاته. الزمخشري- المصدر السابق- ص399.

3- الجزائر الشرقية: وهي ميورقة ومنورقة ويابسة؛ وهي جزر في البحر الزقاقي، تسامتها من القبلة بجاية من برّ العدوة، ومن الجوف برشلونة، ومن الشرق جزيرة سردانية، وغربها مدينة من بر الأندلس، بينهما في البحر سبعون ميلا، وميورقة هي أم هذه الجزر. الحميري- المصدر السابق- ص 576.

4- تقابل سنة 1003م.

أخبرني أبي خلفُ بن حسين قال: سألت الذي تولَّى قتلَ ابن الجزيريّ في محبسه؛ فجعل يصفُ لي سُهولة ما عاناهُ منه لقَضافته[1]، وضُعف أسره؛ ويقول: ما كان الشقي إلا كالفرُّوج في يدي، دقَقت رقبته بركبتي؛ فما زاد أن نفخَ في وجهي؛ فعجبتُ من جهل هذا الأسود[2].

[ذكر خبر غزوة عبد الملك بن أبي عامر الثانية إلى جليقية[3]:] وفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[4] كانت غزوة عبد الملك بن أبي عامر الثانية إلى جِلِّيقية، دمّرها الله، من عمل بني غومس[5] وبني أذفونش معًا؛ فخرج من قصر الزاهرة في يوم الاثنين لستٍّ خلون من شوّال من العام المؤرّخ، واستخلف وزيره على استخراج العسكر غداة هذا اليوم، وسارت العساكرُ وقد اصْطفّ لها النَّظَّارةُ من أهل قرطبة، ومَن طرأ إليها من الجهات في خلائق لا يُحصيهم إلا الذي أحصى آجالهم وأرزاقهم، واستقرّ نزول العسكر بأرملاط[6]؛ فرحل الحاجب عبد الملك من الغد نافذًا لوجهته، مُنتقلًا في محلاّته المعهودة إلى أن وصل طليطلة؛ فأمر الناس بالتَزوُّد والتَأهُّب، ثم خرج عنها قاصدًا لغَزوه إلى أن خرج من بلاد الإسلام.

وأخرج واضحًا فتاه على سَرِيَّة من خمسة آلاف فارس، سَرَوْا ليلتهم؛ فصبَّحوا مدينة سَمُّورة الخراب من فتح المنصور بن أبي عامر غَداة يوم السبت بعده؛ فأصابوا بها قوما من النصارى يأوُون إلى أبراج اتَّخذوها بعد الفتح بمُدَّة؛ فقتلوا رجالهم وسَبَوْا نساءَهم وذُريّتهم، وانبسطوا بالغارة على بسائط سمّورة وذلك الصُّقْع كلّه؛ فعَمُّوه غارة.

ولم يزل العسكرُ يرحلُ في بلاد العدوّ يحرق ويهدم ويسبي ويقتل، وبالغ في كلّ نكاية، وأتى واضح في بعض تلك الأيّام إلى مكان آخر فيه جمعٌ عظيم من أهل هذه البسائط المُستباحة لجأ إليه؛

1- قضافة: رجل قضيف أي قليل اللحم، وقضف دقّ ونحف. الزمخشري- المصدر السابق- ص512/المعجم الوسيط-ص742.

2- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 صص31- 33.

3- قال ابن عذاري ابن عبد الملك المراكشي: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- ج3 ص11.

4- تقابل سنة 1004م.

5- في الأصل بني قرمس، والصحيح ما أثبتنا من ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص53 .

6- أرملاط(Guadimellato): من أحواز قرطبة. ابن الخطيب- المصدر السابق- ص89.

فسرى عليهم وأوقع بهم؛ فقتل منهم خَلقًا، وحاز من سَبْيِهم نحو ألْفَيْ رأس، واسْتاقَ من أموالهم ما ملأ الأرض، وسُرَّ الناس بذلك، والحمد لله[1].

خبر نزول الصاعقة بالعسكر[2]: وركب عبد الملك غداة يوم الاثنين قبل [الشروق][3] ينوي [بذلك][4] وصوله قاصية هذه البلاد الموصوفة، وقد غَيَّمت السماءُ وعصفت أهواؤها، واستغلظ سحابُها وتوالى الرَّعد؛ ثم تلَتْه قَصْفَةٌ شديدة، ووقعتْ صاعقةٌ في ميسرة العسكر في ناحية الأثقال أصابت دوابًا[5] لعبد الله بن علي[6] ولهشام بن علي[7]، كانت مجتمعةً معها أعوانٌ لهما[8] بينهَم رجلٌ من جُملة الحشود؛ فأحرقتهم جميعًا، وارتاعَ الناسُ لذلك، ثمَّ إنَّ اللهَ سبحانه جَلَّى ذلك بفضله، وسكن الرعدُ وارتفع الظلام بشمسٍ مُشرقة، حتى استوفت العسكرُ على القلعة المقصودة[9].

[ذكر خبر الغزوة الرابعة لعبد الملك المظفر[10]:] وفي سنة ستٍّ وتسعين وثلاثمائة[11] خرج الحاجب عبد الملك غازيًا إلى بَنْبَلونة، وهي الرابعةُ من غزواته في دولته، في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شوّال، ورحل سائرًا إلى مدينة سَرَقُسطة، ثمّ إلى وَشْقَة[12]، ثمّ إلى بَرْبُشْتَر[13]؛ فمنها أمرَ عبد

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص11-12/نفسه- تحقيق آل عواد- ج2 ص303.

2- قال ابن عذاري في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". المصدر نفسه- ج3 ص12.

3- يقول محققا البيان: في الأصل الشروع، وما أثبتناه أصوب. نفسه- ج2 ص303.

4- زيادة في تحقيق بروفنسال وكولان، وساقطة في تحقيق آل عواد.

5- في تحقيق آل عواد: دوابَّ. نفسه- ج2 ص303.

6- عبد الله بن علي: لم نعثر على ترجمته في المصادر المستعملة في التحقيق.

7- هشام بن علي: لم نعثر على ترجمته في المصادر المستعملة في التحقيق.

8- في تحقيق آل عواد: لها.

9- ابن عذارى- المصدر نفسه- ج3 ص12/نفسه- تحقيق آل عواد- ج2 ص303-304.

10- قال ابن عذاري في الفقرة التي قبلها: "قال ابن حيّان: ..."، ومازال النقل عنه. نفسه- ج3 ص12.

11- تقابل سنة 1005م.

12- وشقة(Huesca): مدينة متوسطة أزلية، ظريفة البناء وطيبة الماء والهواء، حسنة متحضرة، ذات متاجر وأسواق عامرة وصنائع قائمة، ومنها إلى سرقسطة خمسون ميلا، ومنها إلى لاردة سبعون ميلا. الأدريسي- المصدر السابق- م2 ص733/مجهول- تاريخ الأندلس- ص130.

13- بربشتر(Bobastro): مدينة من بلاد بربطانية بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجه من عين قريبة منها، وهي من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع. الحميري- المصدر السابق- ص90.

الملك بالدخول إلى أرض العدوّ؛ فدخل أرض العدوّ لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، وابتدأ بالغارة من بسيط حِصْن[1] أبنيونش وقد فرّ أهلُه وخَلَّوه فهدمه؛ فرحل عنه إلى شَنْت يوانش؛ فجالت الخيل في بسائطه؛ فبلغت من انْتِسافها أبعدَ غاية، ومازال العسكرُ يجولُ في بلاد العدوّ يَسبي ويَقتلُ ويَحرق ويهدم.

وأصاب الناسَ في هذه المحلَّة هولٌ عظيم من مَطَرٍ شديد أصابهم بِبَرَدٍ كثير وبَرْق مُتتابع ورَعْدٍ قاصف ارْتاع به الناس جدًّا، وتوالى البَرقُ، وجاءت في أثره قَصَفاتٌ مُفْزِعة ألبست الناس خُشوعًا واسْتِكانة، وخافوا حُلولَ العذاب؛ فجَهَروا إلى الله ضارعين في كَشْف ما بهم، وألَّا يُشمِت بهم عدوَّهم الذي جاهَدوه من أجله؛ ففعل ذلك سبحانه سريعًا، ورحم تضرُّعَهم، ونَشَر رحمَته عليهم، وشكر الناسُ مولاهم على ما جدَّد عندهم من فَضله، وأراهم من آيات قدرته، والله سبحانه لطيفٌ بعباده.

وكانت العامّة بقرطبة أَزْرَتْ بغزوة عبد الملك هذه؛ إذ لم يُرَحْ[2] عليهم سَبْيٌ طَرِيٌّ[3] [يَسْتجِدُّون التَلَذُّذَ به][4] على عادتهم[5] أيّام والده؛ فتكلّمت في استقصار سَعْيِه بَطَرًا بقَدْر النِّعمة وسابِغ الطَّوْل والعافية، وتولَّع نخَّاسُ الرَّقيق بكلمة تَعْريض وهي: "مات الجَلَّاب، مات الجَلَّاب"، يعني المنصورَ، حتى رُفعت إلى الحاجب عبد الملك؛ فأقلقتْه على سَعَة صدره، وتقدّم في زَجْر العامّة عنها، وجَوَّد[6] عبد الملك في كتاب الفتح فَصْلا أبان فيه عن وجه إخْفاقِه، وكان أهلُ قرطبة على الجُملة من قلّة الرِّضى[7] عن أملاكهم العامريّين بحالٍ من الجَوْر عظيمةٍ، إلى أن وَثَبوا عليهم فأهلكوا الدولة، وبها حانَ حَيْنُهم، والله يَحكُم لا مُعقِّب لحُكْمه[8].

1- في الأصل: حَضْر، وما أثبتنا من ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق آل عواد- م2 ص304

2- في الأصل: "يُرَحْ عليهم سبيًا طريًّا يستلذ"، وما أثبتنا من المصدر نفسه- م2 ص304.

3- في الأصل: عهدهم، وما أثبتنا من تحقيق بشار عواد ومحمود بشار- م2 ص304.

4- فراغ في الأصل بمقدار ثلاث كلمات حسب محققيّ الكتاب، والزيادة من التحقيق الثاني. ابن عذاري- نفسه- ج3 ص13/ابن عذاري- نفسه- تحقيق بشار عواد ومحمود بشار- م2 ص304.

5- في تحقيق آل بشار: وجرَّد، وهو تصحيف، وجود الشيء أي أجاده. المعجم الوسيط- ص145.

6- في تحقيق آل بشار: جَرَّدَ. المصدر نفسه- م2 ص304.

7- في تحقيق آل عواد: الرضا.

8- البيان المغرب- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص13/نفسه- تحقيق آل بشار- م2 ص304.

[خبر الغزوة الخامسة للمظفر[1]:] وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة[2] خرج عبد الملك غازيًا إلى بلاد قَشْتيلَة من عمل الطاغية شانجُة بن غَرسية بن فَرْذْلند، وهي غَزاةُ قَلُونِيَة[3]، الخامسةُ من غزواته المعروفة بغَزاة النصر التي لقي فيها شانجُة بجميع النصرانية على اختلافها؛ فهَزمَه الحاجب عبد الملك هزيمةً عظيمة رَزَق الله المسلمين فيها النصرَ المُبين، وعلى إثْرِها تَسمَّى عبد الملك بالمُظفَّر، وشرح هذه الغزوة يطول، ووصلَ إلى قرطبة كتاب الفتح، وقُرِئَ على العامّة بحسب العادة، وقد كان أهلُ الحضرة من الإرجاف بعساكر المسلمين والإشفاق عليهم لِمَا بَلَغهم من زَحْف جميع النصرانية إليهم على حالٍ غليظة سَكَّنها وُرودُ هذه البُشرى؛ فاجتمع لسماعها خَلْقٌ عظيم، وجَلَتْ عنهم الكَرْبَ، وملأتهم سرورًا، وأصبح أهل العسكر في سرور لا كِفاءَ له، قد أقرّ الله عيونهم وشفى صُدورَهم، وكتب أجورهم، وأعْظَم الفتحَ لهم، وتَمَّم النِّعمةَ عليهم؛ فانبسطوا في نَهْبِ محلّة المشركين، ورجعوا لديارهم مُطمئنِّين.

ثم رحل الحاجب عبد الملك قافلًا إلى قرطبة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت لذي الحجّة من السنة، وكان القِرانُ الواقعُ في الأسَد في هذه السنة التي اجتمعت فيها الدَّرارِيُّ السَّبعة، ووصل إلى السُّنْبُلة، وهي العَذْراءُ صاحبة قرطبة التي وضع أقادِمُ حُكمائِهم صورتَها فوق باب مدينتها القِبْليِّ، وهو باب القنطرة، وكان الاستعلاء فيه- زعموا- لزُحَل؛ فدلّ على انتقاض الدولة، وكَثُر كلامُ المُنجِّمين فيه، وأنْذَروا بأشياءَ عظيمةٍ كان الناس عنها في غفلة.

قال محمد بن عَوْن الله[4]: فحكى لي حينئذ صديقٌ لي ولمَسْلَمةَ الفيلسوف أنّه باحَثهُ عن تأثير هذا القِران؛ فقال له: أهونُ ما فيه انقلاب هذه القَصَبة[5] بأسْرِها، وانتقال الدولة إلى غير أهلها،

1- قال ابن عذاري في الفقرة التي سبقت هذا النص: "قال ابن حيان: ..."، ومازال ينقل عنه. المصدر السابق- ج3 ص12/البيان المغرب- تحقيق آل عواد- م2 ص303.

2- تقابل سنة 1006م.

3- قلونية (Clunia): وتقع في قشتالة على ضفة نهر دويرو. E. LEVI-Provençal- op.cit- tome II p288.

4- محمد بن عون الله: هو محمد بن عون الله بن حُدير القرطبي، وهو من مصادر ابن حيان في كتابيه المتين وأخبار الدولة العامرية. ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- 1973- ص93.

5- في تحقيق بروفنسال وكولان: النصبة، وهو تصحيف. البيان- ج3 ص15، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- م2 ص305.

وتسلُّطُ الخَراب على هذه العِمارة بجُمْلتِها؛ فينال هذا الخلق قتلٌ ذريعٌ ومجاعةٌ لا عَهْد لهم بمثلها؛ فهلكَ هو قبلَ ذلك سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[1].

[ذكر الغزوة السادسة لعبد الملك المظفر:] وفي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة خرج الحاجب المظفر بالشاتِية التي لم تكن له شاتية سواها، وهي السادسة من غَزواته، من قرطبة يوم الاثنين لاثنتَيْ عَشْرة ليلةً خَلتْ من صَفَر من السنة المُؤرَّخة، ورَحل حتى احْتلَّ حصنَ شَنْت مَرْتين[2]؛ فأمر عبد الملك بحطّ الأثقال، ونهض المسلمون نحو الحصن لوقتهم؛ إذ كان الكَفَرة سكّانَه برزوا أمامه يقدّرون المنعَ منه بزعمهم والقتالَ دونه، ثم لم يلبثوا فولّوا مُدْبرين، ونالت السيوف بعضَهم إلى أن وصَلوا إلى حَرَم حِصنهم؛ فلاذوا بسوره، وراموا مُراماة المسلمين بالنَّبْل والحِجارة من أعلاه؛ فلم يكنْ أحدٌ منهم يُخرجُ يدَه حتى تَنْتَظِمها السَّهْمان والثلاثة؛ فانْحَجَروا سِراعًا تحتَ الخشب، وظَهرَ المسلمون لوقتهم على الرَّبَض؛ فنَهَبوا ما وجدوا فيه، وأطْلَقوا النيرانَ عليه، وغدا المُظَفَّر على حربِ الحِصن، وأرسل البنَّائين والنقّابين مع عُرَفائِهم لحَفْر السّور المُحْدَث، وحلِّ حِجارته من بين نُطُق الخَشَب، ودَأبوا في ذلك حتى أوسعوا الثَّلْم، ثمّ حَشَوْه حطبًا مُضرَّجًا[3] بالقَطْران، وأطلقوا فيه النار فاضْطَرمت تحت السطح فأحْرَقتْه؛ فجَزَع الكَفرة لذلك، ويَئِسوا من الحياة، وندموا على وقوفهم في وجه عبد الملك والمسلمين، ثم عاوَدَهم عبد الملك بالقتال يومًا آخر، وأمر الناظرينَ على الوَقُود بالعسكر أن يأخذَ الناس بانتقالِ حُزَمِ الحَطب إلى قُرب الثَّلْم؛ فجَلَبوا منه أكْوامًا عظيمة، وتوالى على عداة الله قذفُ المَنْجَنيق ورَشْقُ النِّبال، حتى ظلَّ الرّجلُ منهم لا يقدرُ أن يتحرّك من مكانه؛ فاتَّصلت الحربُ الضَّروس عليهم تسعةَ أيّام؛ فلمّا عايَنَ الكَفرة الغَلَبة عليهم، وأضرَّ العطشُ بهم، عزموا على إسلام الحِصن إلى عبد الملك بأمان أنفسهم؛ فأمر عبد الملك بالدُنوّ إليهم ومعرفة ما يَبْغونَه من سؤالهم؛ فسألوا أن يأخذوا الأمان منه، ويخرجوا عن الحصن وينصرفوا منه؛ فأبى إلّا

1- تقابل سنة 1007م، والنص عن ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 صص13-15/ابن عذاري- المصدر نفسه- م2 ص304-305.

2- شنت مرتين (San Martin de Rubiales): مدينة تبعد عن مُنْتِ مَيُور بستة أميال، وعن قشتال لورنت بثلاثة أميال، وتقع على الضفة اليمنى لنهر دويرو ما بين مدينتي رُوَا وبينافييل. الإدريسي- المصدر السابق- ج2 ص289/774 .Levi-Provençal- op.cit- p

3- مُضرّجا: من فعل ضَرَج أي شَقَّه، وضَرَج النار فتح لها عينًا،وضرَج الثّوب ونحوه صبغه بالحُمرة ولم يُشْبِعه، ويُقال ضَرَجه بكذا لطّخه، وضَرَّجَ مُبالغة ضَرَج. المعجم الوسيط- ص537.

أنْ ينزلوا على حُكمه إذ لم يكن لهم مُناضل؛ فانعقد ذلك، وفتح الكَفرة باب حِصنهم؛ فأمر عبد الملك أخاه عبد الرحمن وفتاه شَفيعًا بالدّخول إليهم؛ ففعلوا ذلك، وأمروا أهلَ الحِصن بالخروج؛ فخرجوا مُزْعَجين قد سُقِط في أيديهم.

ولما اجتمع أهلُ الحِصن بساحته ولم يبق منهم أحدٌ داخِله، أمر عبد الملك بتَمييز المُقاتلة والرِّجال عن الذُّرّيّة والعِيال، وإقامة كلّ فريق منهم ناحية؛ ففُعِل ذلك، وأُعْلِم به؛ فركب من مجلسه، والتفَّ به جماعة المسلمين يَدعون له ويبْتهِلون بالشّكر والثناء؛ فوقفَ بساحة الحِصن على جواده يتأمَّلُه، ثمّ انتهى إلى الموضع الذي مُيِّز فيه أهلُ الحِصن؛ فنهض نحو الرّجال، وقد اسْتَشْرفوا له ورَجَوْا عَطفه عليهم بأن يأسِرَهم؛ فنظرَ إليهم وحَكَم فيهم بحُكم سعد بن مُعاذ رضي الله عنه، وأَوْمَأ إلى من حوله من الأجناد؛ فوضعوا فيهم الأسلحة وصَبَّرُوهم في ساعة، ثمّ أمرَ بتوزيع سبيهم على أهل الرّباط وفرسان الوفود على العادة؛ ففُعِل ذلك كلّه، وأمرَ بالشُّروع في بناء ما تثَلَّم من السّور، وأمر كاتب الرسائل أحمد بن بُرد بإنفاذ كتابه بالفَتح إلى الحَضْرة على نَظيرين بحسب العادة، وقَفل الجيش راحلًا إلى قرطبة إلى أنْ أشرفَ عليها، ثم دخلها مُسْتهلَّ ربيعٍ الآخر.

وكان من غريب ما جرى له يوم دخوله من غَزاتِه هذه أن استثار غِلْمانه في انتشارهم بفَحْص بدر خنزيرًا وسط المزارع طردته خيلهم؛ فاقتحمَ شوارع قرطبة، وأكثرُ أهلِها يومئذ لا يعرفون ما هو لسَعَة عِمارتهم وعدمِ الوَحْش ببَاديتهم، فضلا عن حاضرتهم؛ فلم يَزلْ ذلك الخنزيرُ راكبًا وجْهَه يخترقُ الناسَ، وقد تسابقَت الخيلُ في طَلَبه إلى أن لَحِقَته بالشطِّ قبالةَ قصر الخلافة؛ فأطال الناس وقتًا في حديثه، وأَكثروا الخَوْضَ في شأنه والتَطيُّر منه[1].

ذكر تسمية الحاجب عبد الملك بالمُظَفَّر بالله[2]: قال ابن عون الله: وسما الحاجب عبد الملك آخرَ وقته من طلب اللَّقب السلطانيِّ الذي أُولِع الناس به؛ فلا حيلةَ في إزالتهم عنه، وابتغى ذلك من قِبَل الخليفة هشام المؤيَّد بالله مَخْدومِه إلى الذي سَما إليه أبوه المنصور قَبْله، وعلى سبيله في التدريج له ورياضتِه المدَّةَ قُدَّامَه والاستطرادِ لحُلوله، إلى أنْ مَضَت لحِجابَته حِجَجٌ خمس[3] وأشهرٌ ثلاثة

1- ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 صص 21-23/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 صص310-312.

2- قال ابن عذاري في بداية النص: "قال ابن حيان: ...". المصدر نفس- ج3 ص17.

3- يقصد المؤلف خمس سنوات.

ارْتُضِيَت فيها سيرته في أحكامه، وحُمِدت مقاماتُه في الضَّبط لسُلطانه، وبَعُد في الناس صِيتُه، وهابَ الأعداءُ حَوْزَته؛ فالتمس اللّقب لدى الخليفة بعد نظرٍ ومشورة إثْرَ قُفوله من غزوة قَلُونِيَة التي فضَّ فيها جُموع المشركين وجيوش النصرانيّة أجمعين، وانقلب منها بفتح الفتوح [خلاله][1]، وطلبَ[2] مع ذلك ترشيحَ ابنه الغلام محمّد، وتَنقيلَه في المراتب العالية، [والتنويةَ باسمِه][3] في الدولة، وهو يُقَدِّر فيه ما قدَّره الآباءُ في بَنيهم قَبْله من توريثه المرتبة الجليلة؛ فداخلَ الخليفة هشامًا في ذلك، وسأله إخراج الأمر له بأن يَتسمَّى بالمظفَّر اسمًا تَخَيَّره وآثرهُ، وأن يُكَنّى في جميع ما يجري به ذكره بأبي مروان، ولم تزل كُنيتَه، وأن يُثنِّي وزارة ابنه محمد فيُصَيِّرَه بها ذا الوزارتين، ويُعْلي بذلك مرتبتَه على سائر الوزراء؛ فأجابهُ الخليفةُ إلى ما سأل من ذلك كلِّه، وزاد فيه أن يُكنّى ابنُه بأبي عامر كُنْيَة جدِّه، وألْحقَه في شُهرته بمنزلة أبيه عبد الملك إبلاغًا في مَسرَّته.

وكان الخليفة يومئذٍ مُقيمًا عند الحاجب بقصر الزاهرة في النُّزهة التي أنشاها في قصوره صَدْر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة[4]؛ فلمّا كان في نصف المحرّم منها ركب الخليفة نحو قصر ناصح من الزاهرة على سبيله المعهودِ من الاسْتِخْفاء عن أَعْيُن الناس، وطَرْدِهم عن وجهه بكلّ سبيل، وحاجِبُه في الجيش سائرٌ أمامه على العادة، حتى نَزَلا منزِلَهما من القصر، واستدعى الخليفةُ حاجِبه في هذا اليوم إلى مجلسه إثْرَ نزوله، وفاوَضَهُ فيما احتاج إليه؛ فلمّا انصرف من عنده أتْبَعهُ رُقْعَته بالتَكْرِمة التي أناله إيّاها من التسمية وما اقترنَ بها، مُظهِرًا أنّه ابتدأه بها من غير مسألة، وأنّه كافأه بها عن غَنائِه وحُسن مَنابه فيما قلّده؛ فأظهرها عبد الملك للناس، وأوعزَ إليهم بامتثالها، وأمرَ بإنفاذ الكُتب[5] إلى الآفاق بالعمل بها.

وكانت نسختها، وزعموا أنها بخطِّ الخليفة هشام، وهي:

1- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد.

2- في تحقيق آل عواد: وأحبّ. م2 ص306.

3- كلام ساقط في الأصل حسب مُحقِّقَيْ كتاب البيان المغرب، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص306.

4- تقابل سنة 1007م.

5- في تحقيق بروفنسال وكولان: وأمر بالكتب، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

"بسم الله الرحمن الرحيم، من الخليفة هشام بن الحَكَم المؤيّد بالله، أتمّ الله عليك نِعمه، [وهَنّأكَ قِسَمَه][1]، وألبسكَ عَفْوَه وعافيته، إنّا أريناك [سَلَمَّك الله من صُنْع][2] الله الجسيم، وفضله العظيم، لنا عليك ما شَفى الصدور وأقرَّ العيون؛ فاسْتَخرْنا الله سُبحانه في أن سمَّيْناك المُظفَّر؛ فنسألُ الله تعالى سُؤالَ إلحافٍ وضراعةٍ وابتهالٍ إليه أن يُعَرّفَنا وإيَّاك بَرَكةَ هذا الاسم، ويُحليَّكَ مَعْناه، ويُعطينا وإيّاك وكافَّةَ المسلمين فَضلَ ما حملتَ منه، وأن يَخيرَ لنا ولهم في جميع أقْضِيَته، ويَقْرِنه بِيُمْنه وسعادته بمَنّه وخَفِيّ لطفه[3]، وكذلك أَبَحْناك التَّكَنّي في مجالِسنا ومحافِلنا، وفي الكُتُب الجارية منك وإليك في أعمال سُلطاننا وسائر ما يجري فيه اسْمُكَ معنا ودوننا، إناقةً بمحلِّك لدَيْنا، ودلالةً على مكانِك مِنّا، وكذلك ما شَرَّفْنا فتاكَ أبا عامِر محمّد بن المظفَّر تلادَنا، أَسْعدَهُ الله، بالإنهاض إلى خُطَّة الوزارَتين، وجَمعْناهُ بها في التكَنّي على المَشْيَخة والترتيب إثرَك في الدولة، وأنت الحقيقُ مِنّا بذلك كلِّه، وبجميل المزيد عليه لأنّك تَرْبِيتُنا، وسيفُ دولتنا، ووليُّ دَعْوتنا، ونشأة[4] نِعْمتنا، وخِرّيجُ أدَبِنا؛ فأَظْهِر ما حَدَّدْناهُ لك في المَوالي وأهلِ الخِدمة، واكْتُبْ به إلى أقطار المملكة، وتَصَدَّ فيه لِشُكْر[5] النّعمة، أَحْسنَ اللهُ توفيقَك، وأمْتَعَنا[6] طويلاً بمُعافاتِك، وآنَسَنا مَلِيًّا بدوام سَلامتِك، إنَّه وَلِيٌّ قادِر، عزيزٌ قاهِر، [إن شاء الله تعالى][7]".

وعُنوانُ ما كَتَب به عبدُ الملك: "من الحاجِب المُظفَّر سَيْف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور"؛ فكان أوَّلَ من اجتمع له لَقَبان من مُلوك الأندلس، وسلكَ من جاء بَعدَه من ملوك الفتنة سبيله في ذلك.

1- ساقط في البيان المغرب، والزيادة من ابن الخطيب- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال- ص88.

2- بياض في البيان المغرب- تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص306، وابن الخطيب- نفسه- ص88.

3- عند ابن الخطيب: صنعه. نفسه- ص88.

4- عند ابن الخطيب: نشءُ. نفسه- ص88.

5- عند ابن الخطيب: وتصدقه بشكر. نفسه- ص88.

6- عند ابن الخطيب: متّعَنا. نفسه- ص88.

7- زيادة من ابن الخطيب- نفسه- ص88/أحمد عزاوي- المرجع السابق- ص141- 142.

وكَسا عبد الملك جميع الأجناد في هذا الوقت ثوابًا لمسرّة هذه التسمية، وكَثُرت الأشعار في هذه التسمية جدًّا، وأطلق لهم صِلات جَزْلة، وكان من غريب النَّوادر اشتراكُ أكثرهم في ابتداءاتِ أشعارهم فيها، من ذاك ابتداء مروان الطليق[1] في شعر في مدح المظفَّر: [الكامل]

[تِـهْ][2] في الدُّنَا وافْخَرْ فمِثْلُكَ يَفْخَرُ   فَأَبُـوكَ مَنْصـورٌ وأَنْتَ مُظَفَّـرُ

ولقاسم بن الشَّبانِسي[3]، رحمه الله، في مدحه شعرٌ أوّله: [الطويل]

دَعـاكَ أَميـرُ المُؤْمِنينَ المُظَفَّـرَا   وَسَمّاكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المُتَخَيَّـرا

ولعبد الله بن زيّاد[4] الكاتب شعرٌ أوّله: [الطويل]

تَسَمَّيْتَ لمّا أنْ ظَفِرْتَ المُظَفَّـرا   وَصِرْتَ عَلى الأَعْداءِ لَيْثًا غَضَنْفَرا

ولهشام بن جعفر [بن عثمان][5] رحمه الله شعر أوله: [الطويل]

ظَفِرْتَ فَسَمَّاكَ الإمامُ المُظَفَّرا   ومَازِلْتَ سَيْفَ النَّصْرِ في الشِّرْكِ مُظْهِرا

ولأحمد بن محمد[6]، رحمه الله، شعرٌ أوّله: [الخفيف]

ظَفِـرَ الدِّينُ إذْ دُعِيتَ المُظَفَّـرْ   وَبَـأَى[7] المُلْكُ وازْدَهَـى وَتَبَخْتَـرْ[8]

1- مروان الطليق: هو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، من بني أمية، يُعرف بالطليق، كان أديبًا شاعرًا مُكثرًا، وأكثر شعره في السجن، سجنه المنصور بعد قتل والده بسبب جارية ثم أطلق سراحه بعدها، سُجن وهو ابن ستة عشر سنة، ومكث في السجن ستّ عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه منه ستّ عشرة سنة، ومات قريبا من الأربعمائة. الحميدي- المصدر السابق- ص333- 334/الضبي- المصدر السابق- ص428.

2- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص18، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص307.

3- في تحقيق بروفنسال وكولان: الشباسي، والصحيح ما أثبتنا من تحقيق آل عواد، وقاسم الشَّبانِسي هو قاسم بن محمد بن إسماعيل القرشي المرواني المعروف بالشَّبانسي، من أهل قرطبة، شاعر أديب في الدولة العامرية، روى عن أبي بكر ابن القوطية، وشُهِد عليه عند القُضاة بما يُوجب القتل فسُجن، وكتب إلى المنصور يستعطفه فأمر بالعفو عنه، وتوفي منتصف صفر سنة 430هـ/1038م، ذكره ابن حيان. ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص93/الحميدي- المصدر السابق- ص323.

4- عبد الله بن زياد: لم نعثر على ترجمته في المصادر المعتمدة في التحقيق.

5- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد، ولم نعثر على ترجمته في المصادر المعتمدة في التحقيق.

6- أحمد بن محمد: لم نعثر على ترجمته في المصادر المعتمدة في التحقيق.

7- بأى: يقال بأى عليهم أي فخر وتكبّر. المنجد في اللغة والأعلام- ص25.

8- ابن عذاري- المصدر السابق- ج3 ص17- 18.

[ذكر جَمْع المظفَّر الشعراء لوصف الزهور[1]:] واقترح المظفَّرُ عبد الملك ابن أبي عامر على شعرائه في بعض أوقات الربيع من دَوْلته قِطعًا نُوّارِيَّة في المنثور، وهو الخيريُّ، وفي الزَّهر وغير ذلك من أنواع النوَّار، وكان شديد الإعجاب بذلكَ، كثيرَ الطلب لأنواعه في مَظانّه، وأحبَّ أن يُدخلَها قِيانُه في أغانيهنَّ، واكتتب الناسُ كثيرا منه في وقته لحُسنه وغرابته في معناه، وكان من مُستحسَنِه قولُ أبي العلاء صاعد بن الحسين البغداديّ النَّديم رحمه الله؛ فقال في الآس: [بسيط]

مَـــنْ كَـان في وُدِّه لِلْآسِ مُتَّهَمـاً   فَـإنَّ عِـنــدِيَ وُدٌّ غيــرَ مُتَّهَـمِ

نِعْمَ الصَديقُ فمـا يُخْشَى تَلَوُّنُه   عَلى مُعـاقَبَةِ الإصْبـاحِ والظُّلَـمِ

أَوْراقُــهُ مِثْـلُ أَذانِ الجِيــادِ إذا   تَشَوَّفتْ في مَجـالِ الطَّعْنِ لِلبُهُمِ

إذا رآهُ أبُــو مَـــرْوانَ ذكَـــرَهُ   تَهافُتَ الرُّكْنِ في القِيعانِ والأَكَمِ

اللهُ صَوَّرَ هَـذا الخَلْقَ مِـنْ حَماٍ   قِدْمًا وصَوَّرَهُ مِـــن طِينَةِ الكَرَمِ[2]

وقال في التُّرُنْجان[3]: [البسيط]

لمْ أَدْرِ قَبْلَ تُرُنْجـانٍ عَبَثْتُ[4] بِـهِ   أنَّ الزُّمُـــرُّدَ قُضْبــــانٌ وأَوْراقُ

مِـن طِيْبِه سَرَقَ الأُتْـــرُجُّ نُكْهَتَهُ   يا قَومِ حَتّى مِـنَ الأشْجـارِ سُرّاقُ

يُشارِكُ الخَمْرَ في نَفْيِ الهُمومِ إذا   مـا شَمَّهُ مُوثَـرٌ بالهَجْـرِ مُشْتــاقُ

كَأنَّمـا الحـاجِبُ المَيْمُـونُ عَلَّمَـهُ   فِعْلَ الجَميلِ فَطابَتْ مِنهُ أَخْلاقُ

وقال في النَّرجس: [الكامل]

جُمَـلُ الفَضيلَـةِ للبَهَـارِ بِسَبْقِه   وَلَطالمَا خَلَفَ البَهارَ النَّرْجسُ

أَرْبَـى عَلَيْــه طِيبُـه وَنَسيمُـه   لَكِنَّــه عَـنْ نَشْـرِهِ يَتَنَفَّسُ

1- قال ابن عذاري في بداية النص: "قال حيان بن خلف: ...". المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص18/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص308.

2- قال بروفنسال وكولان: هذا البيت غير مقروء في الأصل بسبب الأخطاء الواردة فيه من بدايته إلى نهايته. البيان المغرب- ج3 ص19، وما أثبتنا من ابن عذاري- المصدر نفسه- تحقيق آل عواد- ج2 ص308.

3- التّرنجان: نبات من فصيلة الشفويات عطري الرائحة ينبت برّيًا في أوروبا الجنوبية والشرق الأوسط يستعمل كالمشروبات الروحية وله فوائد طبية. المنجد- ص61.

4- في تحقيق بروفنسال وكولان: علمت. البيان المغرب- ج2 ص19، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد. م2 ص308.

كَالحاجِبِ المَيْمونِ شُبِّهَ في العُلَى بِأبيهِ لكن فِعْلُ هذا أَنْفَسُ

وقال في البَنَفسَج: [الكامل]

سَقْيًا لِأَيّامِ البَنَفْسَجِ إنَّها لَو أُنْصِفَتْ لَم تَقْتَرِنْ بِنَظيرِ

طالَتْ وِلايَتُهُ وطابَ نَسيمُهُ وزَكا على المَعْسورِ والمَيْسورِ

يُزْري إذا احْتَسَتْ المَعاطِسُ رِيحَه بِنَسيمِ غالِيَةٍ وفَوْحِ عَبيرِ

يَحْكي قَميصَ الفَجْرِ لونُ أَديمِهِ والقَرْصَ في خَدِّ المِلاحِ الحُورِ

إنّي لَأَشْكُرُ صَبْرَه ووَفاءَه شُكْري لِسيفِ الدَّوْلَة المَنْصورِ

وقال في الخَيْرِيِّ[1]: [الخفيف]

قَدْ نَعِمْنا في دَوْلَةِ المَنْثُورِ ووَصَلْنا صَغيرَنا بالكَبيرِ

وَسَأَلْناهُ لِم تَضَوَّعْتَ لَيلًا قالَ: فَتْكُ الشُّجْعانِ بِالدَّيْجُورِ[2]

وقَرَنَّا احْمِرارَه باصْفِرارِ فَعَجِبْنا من لُطْف صُنْعِ القَديرِ

ما عَلِمْنا الياقوتَ للشَمّ حَتّى نَفَحَتْنا رَوائِحُ المَنْثورِ

حاجِبَ المُلْكِ لا عَداكَ بَشيرٌ بِفُتُوحٍ أو قادِمٍ بسُرورِ

وقال في الورد: [البسيط]

لَيَصْرِفَنْ قائدُ المَنْثورِ عَسْكَرَهُ وَيَنْهزِمْ أنَّ جيشَ الوَرْدِ قد وَردا

في مَعْرضٍ سَجَدَ الرَّوْضُ الأَنيقُ لهُ ولَوْ أتاهُ فَتِيتُ المِسْك ما سَجَدا

شَبَّهْتُه وسَقيطُ الطَّلِّ تُحدرُه عنهُ الرِّياحُ وقدْ مَدَّتْ إليه يَدا

بِخَدّ ذي خَجَلٍ أَبْكَتهُ خَجْلتُه حَتى تَفَرَّقَ فيهِ دَمْعُه بَدَدا

في غَيْرِ أيّامِه يُشْنَى الصَّبُوحُ وفي أيّامِه فَلْيكُنْ غَيُّ الهَوَى رَشَدا

وقال ابن درّاج في الورد أيضًا: [الكامل]

ضَحِكَ الزَّمانُ لنا فَهاكَ وَهاتِهِ أوَ ما رَأيتَ الوَرْدَ في شَجَراتِهِ؟

1- الخِيرِيُّ: نباتٌ له زهر، وغلب على أصفره لأنه الذي يستخرج دهنه، ويدخل في الأدوية، ويقال للخُزامَى خِيرِيُّ البرّ لأنه أزكى نبات البادية، ويسمى المنثور الأصفر. المعجم الوسيط- ص264/المنجد في اللغة والأعلام- ص201.

2- الدّيجور: الظُّلمة، ووَصفوا به فقالوا: ليلٌ ديجور، وديمة ديجور أي مُظلمةٌ بما تحمل من الماء، وترابٌ ديجور أي أغبرُ يضرب إلى السّواد. المعجم الوسيط- ص271.

قَـدْ جـاءَ بِالنَّارَنْجِ مـن أَغْصانِه وبخَجْلَةِ المَعْشوقِ منْ وَجَناتِهِ

وَكَسـاهُ مَوْلانـا غَلائِـلَ سُنْـدُسٍ[1] يومًـا يُسَرْبِلُه دِمـاءَ عُـدَاتِـهِ[2]

وقال ابن درّاج في السوسن: [المنسرح]

إنْ كانَ وَجْهُ الرَّبيعِ مُبْتسِمًا فـالسَّوْسَـنُ المُجْتَلَى ثَنَايـاهُ

يا حُسْنَه سِنَّ ضاحِكٍ عَبِقٍ يَطيبُ رَيَّـا[3] الحَبيبِ رَيَّـــاهُ

خافَ عَليْهِ الحَسودَ عاشِقُهُ فاشْتَقَّ مِـن ضِـدِّهِ[4] فسَمّـاهُ

وهُـــوَ إذًا مُـغْـرَمٌ تَنَسَمَّــهُ خَـلَّى على الأَنْفِ مِنْه سِيْماهُ

كَمـا يُخَلِّي الحَبيبُ غَـالِيـةً في عـارِضَـيْ إلْفِـه لِـذِكْـراهُ[5]

يا حاجِبـًا مُـذْ بَـرّاهُ خالِقُهُ تَـوَّجَـــهُ بِـــالعُلَـى وحَـلَّاهُ[6]

وقيل في عبد الملك المظفر[7]: [المتقارب]

زَمـانٌ جَديدٌ وصُنْعٌ جَديـدُ ودُنْيـا تَــروقُ ونُعْمــى تَزيـــدُ

وغَيْثٌ يَصوبُ وعَيْشٌ يَطيبُ وَعِـــزٌّ يَــدومُ وعِيــــدٌ يَعــودُ

ودَهْــرٌ[8] يُنيـــرُ بِعبــدِ المَليكِ كشمس الضحى ساعدتها السعودُ[9].

[رجعٌ إلى علاقة المظفر بجلّيقية:] وتمادى استعدادُ شانجُة سرًّا لغزو عبد الملك؛ فسابقَه سنة سبع وتسعين [وثلاثمائة][10]، وظهر المسلمون عليهم، ثم قَفلَ إلى قرطبة آخر ذي الحجّة منها، ثم غزا سنة

1- سيفه في ديوان ابن دراج- ص35.

2- وردت المقطوعة كاملة في ديوان ابن دراج- ص35.

3- في الديوان: ريح، والريا تعني الريح الطيبة. المعجم الوسيط- ص384.

4- في تحقيق برونسال وكولان: صَدِّه. البيان المغرب- ج2 ص21، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- المصدر نفسه- م2 ص310.

5- وردت المقطوعة بكاملها في ديوان ابن دراج- ص36.

6- وردت المقطوعة كاملة في ديوان ابن دراج- ص36، ووردت سبعة أبيات منها في الحميري- الروض المعطار- ص480.

7- الأبيات الثلاثة من قصيدة قالها ابن دراج القسطلي. ديوان ابن دراج- ص22.

8- وملكٌ في ديوان ابن دراج- ص22.

9 - ابن عذاري- المصدر نفسه- ج3 صص18-21/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 صص308-310.

10- تقابل سنة 1006م.

ثمان[1] غزوته الأخيرة في شوال[2]؛ فاعتلّ في مدينة سالم، ورجعَ إلى قرطبة مُحرّم سنة تسع وتسعين [وثلاثمائة][3]؛ فكانت آخر غُزاةٍ[4] نَفذتْ إلى بلاد الحرب لِوَشَكان موته في صفر منها، وضبط أخوه عبد الرحمن الأمر بعدهُ لنفسه[5].

[ذكر خبر غَزَاة العِلَّة، وهي آخر صائفة له[6]:] ومن كبار عِلَل عبد الملك ومُنْكراتها على الإسلام ومُوذِناتِها بما جرى عليه بعد من الإنثلام، عِلَّتُه الشديدة بمدينة سالم مَخْرجه إليها سنة ثمان وتسعين [وثلاثمائة][7]، مُحتفِلا لقصد عدوّ الله شانجُه بن غَرْسية بن فرذلند؛ فصدّته عن الدخول إليه بجُموع المسلمين، واشتدّت به مدةً تفرّق عنه فيها أكثر المُطَّوِعة، وصارت على الإسلام مُصيبةٌ بما أوْهنت من بَطش عَضُده؛ ونَقصت من حَفيل عَديده ورامَ- مع ذلك كلّه- الإقْتحام على أعْداء الله في حال نُقوهِه طمعًا في إتمام غَزوه؛ فكانت، آخِر صائفة نَفذت من الحَضْرة، إذْ هلكَ عبد الملك، وألْقَت بَركها الفتنة، وخبرُ هذه العِلَّة وشُؤمُها مَشْهور في الناس إلى أبعد غاية[8].

[ذكر خبر قتل طرفة الفتى الصقلبي[9]:] وفي هذه السنة قُتِل طَرَفَة الفَتى الصَقْلبي[10]، وكانت حالُه تناهت في الجلالة، وكان عبد الملك؛ لانهماكه في لذّته ومُواصلته لشُربه ومَسَرَّته؛ اسْتعان على التدبير بخواصّ خَدَمه وأكابر رِجاله؛ فسعى بعضهم على بعض عندَه حتى هلكَ جميعُهم بيده،

1- أي سنة 398هـ/1007م.

2- ذكر ابن الخطيب أن هذه الغزوة كانت صائفة، ووصل الحضرة منتصف المحرّم في أعقاب علته. المصدر السابق- ص89.

3- تقابل سنة 1008م.

4- لم تكن هذه الغزوة هي الأخيرة، بل خرج عبد الملك المظفر من قرطبة في النصف من صفر سنة 399هـ/1008م، وزاد به مرض الذّبحة؛ فوقع العمل على إعادته إلى قصره في العمّارية، وكانت وفاته بها في الطريق قُبالة دير أرْمَلاط. ابن الخطيب- المصدر نفسه- ص89.

5- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 صص49-54.

6- قال ابن عذاري نقلا عن محمد بن عبد الرحمن: "وقال عن ابن حيان: قال: ...". المصدر السابق- ج3 ص23/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص312.

7- تقابل سنة 1007م.

8- ابن عذاري- نفسه- ج3 ص23-24/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص312.

9- قال ابن عذاري في بداية النص: "قال: ..."، وهو يواصل النقل عن ابن حيان. نفسه- ج3 ص24/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص312.

10- في تحقيق بروفنسال وكولان: الصقلي، وما أثبتنا هو الصحيح من تحقيق آل عواد.

ومَضى سريعًا خَلفهم؛ فأوّلُ ذلك مَقْتَل طرَفة المذكور، وكان المُظفَّر فوَّض أمره أوّل ولايته إلى أبي الأصْبُغ عيسى بن سعيد اليَحْصُبيّ وزير أبيه محمد بن أبي عامر، ولّاه الإشرافَ على المملكة، وقدّمه على كافّة رجاله، وصيَّر أمرَه في يده، وكان شَهْمًا ماهرًا بالحساب، لكنّه كان عاطلًا عن الآداب[1]؛ فأسند إليه النظرَ في أشغاله وأحواله؛ فنابَ فيها أحسنَ مَناب، وعَرفَ له عبد الملك حقَّه؛ فأمْضاهُ على خاصَّته وعامَّته؛ [فطافَ النّاسُ ببابِه][2] وغَلَّقوا أسبابَه؛ فسارعَ رجالُ العامِريَّة إلى مُنافستِه وحسَدِه، وحملوا طرفة[3] الصَّقْلَبي[4] خادم عبد الملك الأكبر على مُناوَأة عيسى والاعتراض عليه.

ولم تزلْ حالُ طَرَفَة تعلو في الدولة، ومولاه يُؤْثِرُه ويَزيدُه حُظوةً إلى أن غَطَّى عيسى وزيره، وأخذ الغَرَض عنه بجملته[5]، وخلاّه يُدبِّرُ الدّيوان مع أصحابه، ثمّ عارَضَه في كثير من أمورها، واسْتبدَّ عليه بتدبير ولاتِها؛ فكاد يُسْقِطُه، ومضَى طَرَفَة على غَلْوائِه، واعْتلَّ مولاهُ المُظفَّرُ في جُمادى الآخرة من السنة- وحالُ طَرَفَة فيها على ما وَصَفْناهُ-[6] عِلَّتَه الطويلة؛ فانْفردَ طَرَفَة به فيها، وأغْلظَ حِجابَته مدّتَها، وهابَ الجندُ فيها طَرَفَة الخادمَ في هذا الوقت، وخافوا سَطْوَتَه وطَلبوا مُوافَقته.

[7]وتناهت حال طرفة في الجلالة؛ فعطّل عيسى وزيرَ الدّولة، وصارَ النّهي والأمرُ إليه والقَبضُ والبَسْط في يدَيه، [وزِمامُ المُلك في قَبضَته][8]؛ فتقدّم أصحابُه، وتناولوا الأمرَ بقوّة، وذهب بطَرَفَة العُجْبُ مَذهبَه، والنّاسُ في ذلك كلِّه يزْدَرونَه وعُيونُهم تقتحِمُه لما كان عليه من الطَّيش والذَّمامة والتَبذُّل للخدمة، حتّى قال النّاسُ فيه أَهاجِيَ كثيرةً.

1- "من الإحسان" في تحقيق بروفنسال وكولان- المصدر السابق- ج3 ص24، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص313.

2- فراغ في تحقيق بروفنسال وكولان- المصدر نفسه- ج3 ص24، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص313.

3- ساقط في تحقيق آل عواد.

4- في تحقيق بروفنسال وكولان: الصقلي.

5- في تحقيق آل عواد: بحَشَمِه.

6- ما بين العارضتين ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

7- قال ابن عذاري في بداية هذه الفقرة: "قال ابن حيان: ...". نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص25/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص313.

8- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد.

[1]وأفاق الحاجبُ من علّته عقب رجبٍ وقد اسْتولى طَرَفَة هذا على أمره، وأنْفذَ أشياء بغيرِ علمه، ولمّا أبلَّ الحاجِبُ من مرضه اسْتَعْجلَ الخروجَ للغَزْو في شهر رمضان من هذه السنة، ووزيرُه عيسى معه، وعبد الملك بن إدريس صاحبُ طَرَفَة يكتبُ له الرسائلَ في وقته، ولا يَشُكُّ أنّ حالَ طَرَفَة باقيةٌ عندَ مَولاه.

وانفرد عيسى في طريقه بالحاجِب المُظفَّر؛ فأحكَمَ التدبيرَ على عدوِّه طَرَفَة، ومكَّن فسادَه في نفسِ المُظفّر[2]، وقوّى [عَزْمَه على إبادَتِه][3]، وصاعَدَ الحاجبَ نحوَ سَرَقُسْطَة، وواعَدَ خادمَه طَرَفَة [ومن معه][4] الالْتِقاءَ بها؛ فاتّفق دخولُ الجيشَيْن معًا إليها في يوم واحد، وكان يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان؛ فدخلَ طَرَفَة، وتقدَّم إلى قصر مَوْلاه في أُبَّهةٍ مُدِلًّا بحالهِ وخاصَّته، وقد نَفَذَ القضاءُ عليه وهو لا يشعرُ به؛ فلمّا دخلَ الدارَ عُدِلَ به عن مجلس مَوْلاه دونَ أنْ تقعَ عينُه عليه؛ فقُيِّدَ لوقتِه بقَيْدٍ ثقيل وُكِّل به جماعةٌ من وجوه الغِلمان مَضَوْا به نحو السّاحل، وحُمِل على بَغْلٍ ورجلاهُ في ناحية، خُرِج به كذلك على جميع النّاس؛ فلم يكنْ بينَ دُخولِه سَرَقُسْطَة أميرًا مُعَظَّمًا وخُروجه منها أسيرًا مُقَيَّدًا [مُهانًا][5] غيرُ لمحة؛ فاتَّخذَ النّاسُ حديثه عَجبًا في سرعة الاسْتِحالة، وأدّاهُ الغِلمانُ إلى الجزيرة إلى حَبْسٍ بها، ثمّ لم يُفارقْه جميلُ ظنّه بمولاه إلى يوم أرسلَ في قتله، وذلك عند إكمال الحاجب لغَزاتِه وقُفولِه إلى الحضرة، ووزيرُه عيسى غالبٌ على أمره ومُصَرِّفٌ لدولته؛ فهو لا يزال يُحرّكُه على طَرَفَة هذا حتّى ساقَه إلى قتلِه[6].

[ذكر خبر قتل المُظفَّر لعبد الملك بن إدريس:] وفي هذه السنة[7] قَتلَ المُظَفَّر عبد الملك بن إدريس الجَزيريّ الكاتب البليغ[8]، وكان الوزيرُ عيسى مكّن في قلب المُظَفّر على هذا الكاتب من صحَّة

1- قال ابن عذاري في بداية هذه الفقرة: "قال: ..." أي ابن حيان.

2- في تحقيق بروفنسال وكولان: في نفسه، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

3- فراغ في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد.

4- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من آل عواد.

5- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان- البيان- ج3 ص26، والزيادة من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص314.

6 - ابن عذاري- نفسه- ج3 ص25-26/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص313- 314.

7- أي سنة 398هـ، وتقابل سنة 1007م.

8- سيرد ذكر ابن حيان لسنة وفاته في الجزء الخاص بالتراجم، أما الحميدي والضبي فذكرا أن أبا مروان الجزيري مات قبل الأربعمائة بمدة. جذوة المقتبس- ص273/بغية الملتمس- ص348.

مُشايَعتِه للخائن[1] طَرَفَة على المعصية، ومُظاهَرتِه إيّاهُ على غِشِّ الدّولة ما أوجَبَ عندَه قتلَه[2]، وإلحاقَه بصاحبِه طَرَفَة[3].

ذكرُ مقتلِ عيسى بن سعيد وزير الدّولة وصاحبُه هشام بن عبد الجبّار المتهم بالقيام معه على آل عامر وما انبعثَتْ لذلك من الفتنة المُبيرة[4]: ولمّا مضَى طَرَفَة لسبيله وكُفِي عيسى شأنَه، انْفردَ بِصاحبِه المُظفَّر، واشْتَملَ على دولته، ودبَّر أمرَها كما أراد؛ فانْقادَ له جميع [أهلُ][5] الدّولة ورَهبوا صَوْلَته وتدَبَّروا أمرَه؛ فعُنِيَ لأول وقته [واغْترَّ بِما][6] تهيأ له من وضح[7] عداتِه، وألَحّ عليهم بأذاهُ وسِعايتِه، وأعمل [في إسْقاطِهم][8] وجوهَ حيلته، وأعْتَق صنائِعَه؛ فأعْلَى منازلهم واسْتأثَرَ عليهم بدُنياه، وابْتغَى المالَ من مَبْغَاه؛ فبلغَ في ذلك مَداه، حتّى ما كان أحدٌ يَلي عملًا للسُّلطان ولا يتولَّى جهةً إلا أسْهَمَ عيسى في فائدته، وتَناولَه بمِرفَقِه وهبتِه، وهو لا يزالُ في ذلك يسْتَقصي على أعمال السّلطان وأهلِ خِدمته، ويُدقِّقُ حِسابَهم، ولا يَخْلُون في كل وقت من مكروه يُجَدِّدُه عليهم؛ فَحابَوْهُ، وشارَكَهم في مَجابيهم؛ فاسْتقام أمرُ عبد الملك بنظِره، وهابَهُ كلُّ مرافق[9] من رجال السُّلطان من أصحابِ السُّيوف والأقلام؛ فلَزِموا السّلامةَ، واستقاموا على الطاعة والطّريقة.

1- في تحقيق آل عواد: للحائن، وتعني الأحمق. المنجد- ص165.

2- لم يورد ابن بسام قتل المظفر لعبد الملك بن إدريس بل قال إنه قام بسجنه في مطبق الزاهرة حيث قتله قوم من السودان. ابن بسام- المصدر السابق- م4 ص32/القحطاني- المرجع السابق- ص118.

3 - ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص26/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص314.

4- قال ابن عذاري: "قال حيان بن خلف: ...". نفسه- تحقيق بروفنسال- ج3 ص27/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص314.

5- فراغ في تحقيق بروفنسال وكولان- نفسه- ج3 ص27، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص314.

6- فراغ في تحقيق بروفنسال وكولان- نفسه- ج3 ص27، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص314

7- في تحقيق آل عواد: وقم، وتعني القهر والإذلال، والحزن أشد الحزن والرّ بأقبح الردّ. المعجم الوسيط- ص1052.

8- فراغ في تحقيق بروفنسال وكولان، والزيادة من تحقيق آل عواد- م2 ص314

9- في الأصل: مرفق: وهو ما يُرتفق به ويُنتفع ويُستعان به، ومنه مرافق المدينة، وهي ما ينتفع به السكان عامة كأجهزة النقل والشرب والإضاءة. المعجم الوسيط- ص362، ولعلّ الصواب ما أثبتنا، وفي تحقيق آل عواد: فريق. نفسه- م2 ص315.

[1]ولمّا نظر الناس إلى عبد الملك وغَلبة عيسى على سُلطانه واستئْثاره بدُنياه، سارَعوا إلى حَسده ونَقَموا عليه اعتلاءَ منزلته حسبما لا يزالُ يجتمعُ عليه أصحاب السُّلطان من عَداوة من يعلوهم عندَه.

[2]وقد كانت الدنيا غيَّرت من عيسى آخر وقته وعند تناهي حالته؛ فاستخفَّ بجميع الناس وتركَ إسعافَهم، وزَوى وجهَه لهم، وأغلظَ حجابَه فأحنَقَهم، وعمّروا بشكواهُ نَجْواهم، وكان يسير من داره إلى الزاهرة راكبًا دابّته لا يقفُ على أحدٍ من الناس لتقدُّمه لهم لا يَلقَوْنه إلَّا في دار سُلطانه، وكانوا يُناولونَه رَقائِعَهم؛ فربّما أخذَ وربّما تركَ، ولا يُخلصون في ذلك من نَجْهه[3] وتَضاجُرِه، وكان من أقبح ما فعله في بعض رَكباته يومئذ أن كثر عليه مُناولةُ الكُتب يومئذ وهو يجمعها في كفّه حتى ضاقت عنها؛ فرمى بها جُملة في الخندق والناسُ ينظرون إليه؛ فتحدّثوا بقُبحه.

[4]فكثُر أعداءُ عيسى في وقته هذا، وأحْصَوا أفعالَه وجميعَ سَقَطاتِه ...[5]؛ فذهبَ الاحْتراسُ منهم جُهدَه وسعَى في ...[6] قومًا من وجوه أهل الدّولة اسْتخْلَصهم لنفسه وصيَّرهم من بِطانته واستكثرَ بهم، وصاهرَ منهم آل حُدَيْر وآل فُطَيْس يبغي تكثيرَ عدده وإعزازَ رُكنه؛ فسما بجماعةٍ من رجال هذين البَطنَيْن في هذا الوقت إلى منازل عَلِيَّة.

[7]ولما استراح عبد الملك إلى كفاية عيسى واستقلاله، انهمكَ في ابتغاء لذَّاته ومُواصلة شُرْبه الذي لم يكن يصبرُ عنه؛ فاغتنم عيسى ذلك منه وأقبل على جَمْع المال واكتساب الضِّياع؛ فبلغَ من ذلك أكثرَ ما بَلَغه وزيرٌ قبلَه، وكان من أعظم الآفات على عيسى لأوّل وقته مُداخلتهُ الجُندَ، وإحاطتُه بهم حتى صيَّر أرفعَ طوائِفهم المدعوّينَ بالموالي في قيادته؛ فاعتزُّوا على الأجناد بالضمِّ إليه، واعتقدَ هو

1- قال ابن عذاري في بداية هذه الفقرة: "قال:..."، أي حيان بن خلف. نفسه- م2 ص315.

2- قال ابن عذاري في بداية هذه الفقرة: "قال: ..." أي حيان بن خلف.

3- نجهه: نَجَهَ فلانًا نَجْهًا أي ردّه أقبحَ ردّ، واستقبله بما يكره، ونَجهَ على القوم طلع، ونجهَ البلد دخله فكرهه. المعجم الوسيط- ص905/المنجد- ص793.

4- قال ابن عذاري: "قال: ..."، أي حيان بن خلف.

5- قال محققو طبعتي البيان: كلمة واحدة ناقصة، وقال آل عواد: بعد هذا غير مقروء. نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص28/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص315.

6- قال بروفنسال وكولان: ثلاث كلمات ناقصة، وقال آل عواد: كذلك قدر ثلاث كلمات. نفسه- ج3 ص28/نفسه- م2 ص315.

7- قال ابن عذاري: "قال: ..." أي حيان بن خلف.

الاستظهارَ بهم على أمره، على أنه في ذلك كلّه لم يحمل السيفَ ولا نَبذَ قلمَه، وتلك حالٌ أهلكَت الوزراءَ قديمًا، وفتحت لملوكهم أبوابَ الاتّهام لعيوبهم، لم يحترسْ عيسى منها؛ فأَوْدَى كما أَوْدَوْا.

[1]ولما تَمالأ أصحابُ عبد الملك على عيسى ونَصبوا لهُ العداوةَ، دبُّوا عليه بالقَدْح والسِّعاية بكلّ وجه وحيلة، واستَظْهَروا على ذلك بالحُرَم والحاشية لأشياءَ استحقَّها عندَهم من الاعْتِساف[2] وقلّة الإنصاف، استَفْسَد بذلك كثيرًا منهم ولا سيّما الذَّلْفاءَ والدةَ الحاجب عبد الملك وجواريَه؛ فإنّهنَّ احتَمْلنَ عليه أحقادًا مَحضْنَهُ بها العداوة، ومكَّنَّ لأعدائه في قلب عبد الملك عُلوقَ[3] السّعاية، حتى نَفذت عليه المحنةُ المكتوبة.

وكان عبد الملك في الأغلب من حالِه شديدَ التمسُّك بعيسى والمعرفةِ برَجاحتِه والردِّ لما يُنهَى إليه عنه، حتّى رُمي بالتي لا فوقَها من السعي على دمِه ودولةِ سُلطانِه، وذُكِر لهُ على ذلك أدلَّةٌ أزالت شكَّه؛ فلحِقَه من الإشفاق[4] ما يلحَقُ مثلَه؛ فوَثبَ على وزيرِه عيسى فقَتلَه، [5]ولم يُمَنَّ وزيرُ مملكةٍ علمناهُ بأعظمَ ممّا مُنِّيَ به عيسى من نُظرائه على حَسَدِه وعَداوتِه، وكشْف جِناياتِه وبثِّ مَساويه، وعبدُ الملك يرُدُّ أكثرَ ذلك منه ولا يقبَلُه، حتّى زاد الأمرُ عليه ورسَخَ بخَلَدِه؛ فأخذ في التغيُّرِ على عيسى بالاتّهام لهُ والحَذر منه، مُكاتِمًا بذلك لا يُبْديه.

ولمّا فهِم عيسى ذلك وأحسّ بالشّر وأيسَ من إصلاح ضميرِ عبد الملك له؛ فسمَا عند ذلك- زعموا- إلى الغَدْر بالعامريّين والانْقِلاب على المَرْوانيّينَ الموتورينَ دولتَهم، وإقامةِ هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن الناصر على الخليفة هشام بن الحَكَم بن الناصر، وصَرْف الخلافة لهشام بن عبد الجبّار لضَعْف استقلال هشام المؤيد، والتدمير بذلك على آل عامر قوّام دولته تدميرًا لا بقيَّة بعدَه، وقد كان عيسى خليطًا لهشام هذا محمولًا ما بينَهما على السلامة بالجُملة، لثقة عيسى عند أصحابه، حتّى أن هشام بن عبد الجبّار لَيَسْتنجِزُ حوائجَه في الدولة بعيسى؛ فلما تغيّر ضميرُ عيسى عليهم في هذا الوقت، ورَهِب سطوةَ عبد الملك لإدْنائِه لأخيه عبد الرحمن ضدًّا عليه، قدَّر بزَعْمه

1- قال ابن عذاري: "قال: ..."، أي حيان بن خلف.

2- الاعتساف: الظلم. المعجم الوسيط- ص601.

3- العُلوق: المنيّة وما يعلق بالإنسان. الزمخشري- المصدر السابق- ص433/المعجم الوسيط- ص623.

4- فراغ بقدر كلمة حسب بروفنسال وكولان. البيان- ج3 ص29، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- م2 ص316.

5- بياض في تحقيق بروفنسال وكولان، وفي تحقيق آل عواد: "قال ابن حيان: ...".

أنه يُلجئُ الأُمّة بهشام بن عبد الجبّار إلى سنَد يضبِطُ لها شأنها، ويَنجو هو مع ذلك من النكبة؛ فدعا هشامًا إلى ما عَزَم عليه من ذلك سرًّا، ولَقِيه خُفْية، وقرّب عليه بأخذ ما بيده لمنزلته من أولياء العامريّين، وأن قُوَّادهم لا يُخالفونهُ بحيلة؛ فاستجابَ له هشامٌ لذلك فيما زَعَموا، وأخذ بيعته عليه، وواطأَه على إيقاعه، وكشفَ ذلك على خواصّه من قُوّاد العامريّين والإستعانة بهم على دعاء مَن خلفَهم إلى الدخول؛ فساعده على ذلك جماعةٌ من الطائفتَين: الأندلسيّين والبرابرة، وأعطَوهُ بيعتهم لهشام بن عبد الجبّار، وقاموا معه في التدبير على عبد الملك، وتَأتَّوا لذلك تحت احتراس شديد[1]، ومراقبة صعبة يلتقون فيها ليلًا، ويتلقَّوْنَ رمزًا قد انتصبَ لدعاء الثِّقاتِ[2] إليه، وأخذِ أيْمانِهم، وأكتَتَم أمرُهم مُدَيْدة الردِّ لعيسى التدبير فيها؛ فكاد يُشارِفُ التّمام لولا حارسُ المدَّة.

وذلك أن عيسى ومن معه دبَّروا أن يستدعيَ عيسى عبدَ الملك ومَن معه وأخاه عبدَ الرحمن وأصحابَه إلى المُنْيَة التي كان عبدُ الملك وَهَبَه إيّاها هذه الأيّام بالرَّمْلة قرب قصر الزّاهرة، بحضور دعوةٍ يُهَيّئُها له هناك عظيمة لعَقيقةِ مولودٍ رُزِقَه ابنُه عبد الملك بن عيسى صاحب السِّكَّة كانوا منهُ في أفراح مُتَّصلة؛ فالتمسَ عيسى من أميره عبد الملك بإتيانِه لها زيادةَ التشريف وإقامةَ المنزلة، ويُقدِّرُ أنّه لا يختلفُ عنه أخوه عبد الرحمن عدوَّه ولا أحدٌ من خاصَّتِه، وهم كانوا أوكدَ عليه.

ودَبَّر في تكمين جَمْع من الأجناد الرَّجّالة قد كان أعدَّهم للحادثة معهم السّلاحُ والعُدَّة ببعض جهات تلك المُنية؛ فإذا حَصل فيها عبد الملك وأصحابُه واطمأنّوا خَرجَ عليهم أولئك الرَّجّالة فابْتَدَروهم فلم يخرج منهم أحد، ومشَّى بصاحبه هشام بن عبد الجبّار إلى قصر الزّاهرة من قُرب فأجْلَسَه هناك، وأخذَ عليه البيعةَ بالخلافة من غير أن يحترم شيئًا من دولة العامريِّينَ أو تَعْدوهم القاصمةُ[3]، ثم يدعو الناسَ إلى خَلْع هشام بن الحَكَم الظاهرِ عَجزُه عمّا حُمِّل من أمر الخلافة، ويكشفُ لهم مَساوِيَه المستورة، ويُعوِّضُهم منه بابن عمّه هشام بن عبد الجبّار الخليق لها، ولا يخافُ أن يَخْتلفَ عليه منهم اثنان لجلالة عيسى في نفوسهم، ورضاهم عن تدبيره، وتَأتَّى لعيسى سؤالُ عبدِ الملك مُشاهدةَ دعوتِه تلك؛ فأجابه عبدُ الملك إلى ذلك وارتبط بموعده؛ فأشرف على

1- نقص من خمس إلى ستّ كلمات حسب بروفنسال وكولان- البيان- ج3 ص31، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص317.

2- كلمة ناقصة في تحقيق بروفنسال وكولان- المصدر نفسه- ج3 ص31، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص317.

3- القاصمة: المصيبة الشديدة. المعجم الوسيط- ص741.

حتفه لولا حارس أجله "الكاشف له عن التدبير عليه بين يدي وقوعه وتواليه عليه من جهات أزاحت شكه"[1].

قال ابنُ عَوْن الله: بلغني أنّ أوّل معرفته ما دَبَّر عليه وزيرُه كان من جهة المعروف بابن القارح أحد المَوالي صنائع ابن أبي عامرٍ الأندلسيّين، واسمُه خَلَف بن سَعْد[2]، وكان عيسى كَشفَ له عن القصّة بعد التَوثُّق من يمينِه وأخْذِ بَيْعَته ودَفْع الجائزة إليه؛ فصار من فَوْره إلى نظيفٍ الخادم فخَلا به وأطْلَعَه على القصّة، وأراه الجائزة التي قَبَضها وخاتَمَ عيسى عليها؛ فدخلَ نظيفٌ لوقته إلى عبد الملك، وأعلمه بخبر ابن سَعْدٍ هذا، وأوصَلَه سرًّا إليه؛ فخَلا به عبدُ الملك، ووَعَدَه الغَناءَ والحُظْوةَ على نصيحتِه، وأنهى إليه من طريق صاحب المظالم في ذلك، وهو أبو حاتم بن ذَكْوان، ما شدَّه وقَوّاه؛ فقلِقَ عندَ ذلك ووَثَبَ على عيسى لوقته فقَتَلَه.

[3]وقد أخبرني الفقيه أبو المطرِّف عبد الرحمن بن عون الله[4] أنّ أبا حاتم بن ذَكْوان لم يُشافِهْ عبدَ الملك بالقصّة، وإنَّما عرَّضَ له رَجُلًا مُتفقِّهًا عَدْلًا؛ فألقى إليه أبو حاتم ما سَقَط له من تدبير عيسى، وكان عند الذَّلْفاء والدة عبد الملك بمَحَلٍّ عظيم من الثِّقة، يصلُ إليها من وراء حِجاب؛ "فتسمع منه النصائح في دولة ابنها، وتَنْتهي إليها الرَّغائبُ من حَوائج الناس"[5]؛ فلما سمع ذلك من ابن ذَكْوانَ قام من وقته فوصلَ إلى والدة عبد الملك هامِيَ العَبْرة؛ فوَصفَ لها الحال؛ فدَخَلَت إلى ابنها فصَدَقَتْهُ عن تُهمة عيسى، وعَزَمَتْ عليه في قَتْله؛ فلم يشك في صحة ذلك، "وخَرج لوقته فأمر بقتله"[6].

1- ما بين مزدوجتين ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- البيان المغرب- م2 ص318.

2- خلف بن سعد: لم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

3- قال ابن عذاري في بداية هذه الفقرة: "قال حيان بن خلف: ...". ابن عذاري- نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص32/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص318.

4- في تحقيق بروفنسال وكولان: أبو المطرف بن عون الله، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد، وهو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن عون الله بن حُدير، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق سنة 378هـ/988م، ثم انصرف إلى الأندلس، وكان أحد العدول فيها، وكان فاضلا ناسكا ورعا زاهدًا صدوقًا، وإماما بمسجد عبد الله البلنسي، توفي سنة 441هـ/1049م، ذكر ذلك ابن حيان، وقد تكرّر نقل ابن حيان عنه في العديد من المرات. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص288-289.

5- ما بين المزدوجتين ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان- نفسه- ج3 ص32، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- نفسه- م2 ص318.

6- ما بين المزدوجتين ساقط في تحقيق آل عواد.

[**رجع إلى خبر قتل عيسى بن سعيد**:][1] لما عَزَم عبدُ الملك على قتله شاوَرَ في ذلك أخاه عبد الرحمن؛ فقَوَّى عَزمه على ذلك، وكان مُناهُ الذي ينتظرُه، "وأكثر عليه في المعنى الذي رُمي به"[2]، وحَذَّره من التواني في أمره؛ فأشعَلَه عليه؛ فعَقدَ عبدُ الملك مَجلسًا للشُّرب ليلة السّبت لعشْرٍ بَقين من ربيع الأوّل من سنة سبع المتقدّم ذكْرُها؛ فلمّا مضَى صَدْرٌ من الشُّرب أرسلَ بعضَ خَدَمه من الصَّقالبة يستحضرُ[3] عيسى؛ "فطَرَقَه الرسولُ" وهو يشربُ أيضًا في قوم من خواصِّه، منهم أبو الحسن بن بُرد كاتبُ الرسائل؛ فذكَر أبو الحسن هذا أنه بادرَ بالركوب والرُّسُل تحُثُّه والقضاءُ يجذِبُه؛ فانطلقنا إلى منازلنا فلم نعلم بشيءٍ من أمره إلَّا من الغد.

[4]وذلك أنه لما دخل على عبد الملك أظهر له الاستبشارَ بحضوره، وأقبلَ عليه بوجهه، وحثَّ السُّقاةَ عليه؛ فلمّا مضَتْ أدوارٌ أخذَ عبدُ الملك في مُعاتَبته واتّهامه والتعريض له بغَدْرِه، وعيسى ينزعجُ لقوله، ويوكي[5] إيكاءً من[6] ملامَته، إلى أن صرَّح عبد الملك وألقى له ما في نفسه، وألقى مِن يده القَدَح، وأقبلَ على سبِّ عيسى والإفحاش عليه؛ فأيْقنَ عيسى بالشّر ورابَهُ ذلك، وأقبلَ يعتذرُ إلى عبد الملك ممّا قُذِف به ويسألُه التثبُّتَ في أمره؛ فقال عبد الملك: الحمد لله الذي أمكنني منكَ أيُّها الغادر، وتَناولَه أخوهُ عبد الرحمن والجماعة بالمكروه، وتَوثَّبوا عليه من كلّ ناحية.

وعلا الكلامُ إلى أن توقَّدت جمرةُ عبد الملك فسَلَّ سيفَه ووثبَ به على عيسى؛ فاستقبلَ صَفْحةَ وجهه فشَقَّه إلى ذقنه، وكبا عيسى لفِيه ثمّ نهضَ مُتَحامِلًا بضربةٍ أخرى؛ فنَثرَ حَشْوتَه، وخَرَّ صَريعًا، وخَبَطَه أصحابُ عبد الملك بسيوفهم حتى هَبَّروه، وأمرَ بحَزِّ رأسه؛ فوُضع جانبًا، وأمرَ عبد الملك في مقامِه بقتل صاحبَيْه: خلف[7] بن خليفة[8]، وحسن بن فَتْح[1]؛ فجالت عليهما الجماعةُ فقُتلا، وأمرَ

---

1 - قال ابن عذاري: "قال: ..." أي ابن حيان. نفسه- تحقيق بروفنسال- ج3 ص32/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص319.

2- ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

3- في تحقيق بروفنسال وكولان: بشخص، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

4- قال ابن عذاري قبل هذه الفقرة: "قال ابن حيان: ...". البيان- تحقيق آل عواد- م2 ص319، ولم ترد في تحقيق بروفنسال وكولان.

5- يوكي: يقال فلان يوكي فلانا أي يأمره أن يسدّ فاه ويسكت. المعجم الوسيط- ص1055.

6- كذا في تحقيق آل عواد، وفي تحقيق بروفنسال وكولان: ويولي الكأس. البيان- ج3 ص33.

7- في تحقيق آل عود: يخلُف. البيان- م2 ص319.

8- خلف بن خليفة: لم نجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

عبد الملك بطَرْح أجساد القتلى ثلاثتهم في عدوة[2] النهر في زَنابيلَ مُثقَّلةٍ بالحجارة، وقام عن الشّراب مُتغيِّرًا، ثمَّ لم يعُدْ إلى الشراب- زَعَموا- مدَّة حياته.

[وكنتُ في جُملة من نظرَ إليه واسْتَبَنتُ الضَّرْبة بخدِّه الأيمن][3]، وأحضرَ في الليل[4] صاحب الزّاهرة مُفرجًا؛ فقلَّده عبد الملك قبضَ نعمة عيسى، وأمره بالمسير[5] إلى داره ودور ولده، واعتقال ما فيها قبل سَوْق الخبر إليهم، والإحاطة بمنازل كُتَّابهم ومَواليهم، وأرسلَ معه "ثقات"[6] خَدمِه الأكابر للهجوم على حُرَمِهم؛ فقام في ركائبه وطَرَقَ القومَ ليلًا وهم في غَفْلة؛ فريعَ سِربُهم، وكان حديثُهم في عالم القارعة عِبرة، وأمرَ عبد الملك بنَصْب رأس عيسى على باب مدينة الزّاهرة لينظُرَ الناسُ إليه؛ فأصبح ماثِلًا للأَعْيُن آيةً بيّنة ومَوْعِظةً وازِعة؛ فما زال هنالك إلى أن ذهبت الدولةُ العامرية.

[7]وقد سمعتُ "من جهات"[8] أنّ هذا المولود الذي شأم[9] أهلَ بيته هو هذا الرجلُ الضَّخمُ المِراس في آخر هذه الفتنة، المُرتقي بغير أسباب متينةٍ إلى سماء العِزَّة، حتى نال سامي ذروة خُطَّة الوزارة من غير أدبٍ ولا صَنْعةِ كتابة؛ فاغْتدَى عَجبًا من أعاجيب هذه الفتنة، وأمّا هو فمُنكِرٌ لولادته في تلك الأيّام، بل يقول: بعدُ[10].

1- حسن بن فتح: لم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

2- في تحقيق آل عواد: غمرة، والغمرة الماء الكثير. المعجم الوسيط- ص661.

3- وردت عند ابن بسام بلسان ابن حيان- المصدر السابق- م1 ص78.

4- في تحقيق بروفنسال وكولان: القتل. نفسه- ج3 ص34.

5- في تحقيق بروفنسال وكولان: بالسير.

6- كلمة ساقطة في تحقيق بروفنسال وكولان.

7- قال ابن عذاري في بداية الفقرة: "قال ابن حيان في كتابه: ...". البيان- تحقيق آل عواد- م2 ص320، وفي تحقيق بروفنسال وكولان: "قال: ...". نفسه- ج3 ص34.

8- ما بين مزدوجتين ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان.

9- ثأم في بروفنسال وكولان- نفسه- ج3 ص34، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد- م2 ص320، يقال شأم شأما أي جرّ عليهم الشؤم. المعجم الوسيط- ص469.

10- ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص27-34/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 صص314-320، وورد النص ملخصا عند ابن بسام ذكر في نهايته: "انتهى ما لخّصته من كلام ابن حيان في خبره". المصدر السابق- م1 صص76-79.

[ذكر الرؤيا المتعلقة بمحنة عيسى:] ومن أغرب ما ورد في الرؤيا المتعلقة بمحنة عيسى أنّ رجُلًا من ذوي الصِّدق كان يَتأمَّلُ رأسَه في المنام؛ فسَمِعه فوقَ خشَبته يُنشدُ هذا البيتَ بصوتٍ يُغَنّيه: [من الكامل[1]]

بـانَ الخَليطُ وشَفَّنِي وَجْدِي   وَبَقَيْتُ أَنْدُبُ رِبْعَهِمْ وَحْدِي

فأَوَّلتُ هذه الرؤيا يومئذ على بَيْن آل عامر إثرَ وزيرِ دولتِهم عيسى، وصَحَّت إلى مُدَيْدة[2].

[ذكر الشعراء خبرَ قتل عيسى:] وذكرت الشُّعراء قتلَ عيسى، ورفعتْ أشعارَها إلى الحاجب عبد الملك مُهَنِّئَةً بالصُّنع فيه؛ فأكثرتْ على عادتها؛ فمن ذلك قول أبي العلاء صاعدٍ البغداديّ من قصيد: [البسيط]

يا مَـنْ أَعادَ لَنا مِـنْ عَدْلِه عُمَرَا   حَتَّى حَسِبْناهُ من مَّلْحودِهِ نُشِرَا

وهي طويلة.

ومن ذلك قول أبي عمر بن درّاج القسطلي: [الكامل]

شُكْرًا لِمَنْ أَعْطـاكَ مَـا أَعْطاكَا   مَلِكٌ[3] أَذَلَّ لِمُلْكِكَ الأَمْـلاكَا[4]

[ذكر حال المظفر في أمور الدولة بعد قتل وزيره:] ولما انفرد المُظفَّر بنفسه بعد مهلك وزيره، استيقظ من غَفْلتِه، واسْتلَذَّ بالاستبداد والإشراف على أمور سُلطانه، وإحياء رَسْم والده؛ فأخذَ في حَرْفٍ من ذلك، وحَسَمَ أطماعَ الكُتَّاب في تدبيره، ووالى الجلوسَ للكشف عليهم، وأورثَه ذلك الرّغبةَ في توفير المال، ودعاهُ إلى القصد في الإنفاق؛ فبلغَ من ذلك في المدّة القصيرة ما رُجِيَت فيه البركة، وقَضَى اللهُ تعالى باخْتِرامِه عندَ تَوقّيه في ذلك أسدَّ ما كان في رأيه وأضبطَ ما كان لشأنه؛ فمضى حامدًا غادرَ الأسف عليه نَصَفةً، واضْطربَ الأمرُ بعدَه، ونَسَخَت الفِتْنةُ دولته، وكان من عظيم عادِيتِها بالأندلس ما يأتي الآن ذكره، والحول لله والقوة سبحانه[5].

1- من السريع عند بروفنسال وكولان.

2- نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص35/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص321.

3- في ديوان ابن دراج القسطلي: ربٌّ. ص28.

4- ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص35/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص321، ووردت القصيدة كاملة (30 بيتا) في ديوان ابن درّاج القسطلي- صص28-30.

5- ابن عذارى- نفسه- ج3- ص36

خبر مقتل هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله المتهم بالقيام على المظفر[1]**:** وتَحسَّس المظفَّرُ غَداة قَتْل وزيره عيسى على الولد أبي بكر هشام المذكور، المتّهم في قصّته: هل هو في دارِه أو هو في مُنْيَتِهِ؟[2]؛ فعرفَ أنه في المُنية؛ فوضَع الأرصادَ عليه لما يكونُ منه؛ فأقام هشام على حاله ثلاثةَ أيّام بعد مقتل عيسى، ثمّ أقبلَ إلى داره والعينُ واقعةٌ عليه، وأُنْهِي إلى عبد الملك خبرُه؛ فلمّا جَنَّ اللّيل عليه أنْفَذَ أخاه عبد الرحمن ومولاه مُفَرِّجًا في طائفة من وجوه الغِلمان للقَبْض على هشام المذكور؛ فأحاطوا بداره؛ فحملته هَشاشَتُه على الظهور وتَرْك اللِّياذ عنهم؛ فاختطفوهُ للحين وحَملوهُ إلى الزّاهرة، ولم يتعرَّضوا لأهله بمكروه؛ فأمرَ عبد الملك باعتقال هشام في حُجرةٍ قد كان تقدّم بإعدادِها[3] له بما يَصلُح فيها؛ فمكثَ بها يومين ثمّ نُقل إلى حَبْس ابْتُنِي له؛ "فغاب عن العين"[4]؛ فكان آخر العهد به[5].

ذكر وفاة الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر رحمه الله: كان قفولُ المُظفَّر من غزوة صائفة ثمان وتسعين وثلاثمائة[6] عن بلاد عدوّ الله شانجُه بن غَرْسية، ووصولُه إلى الحضرة مُنتَصف المحرّم من سنة تسع وتسعين[7]، في عَقابيل[8] عِلَّته التي عكَّست أملَه في وَقْم هذا الطاغية، مُخبرًا على ما أوهنتْ من بَطْشه، مُتحدِّثًا بالانكفاء إلى أرضه؛ فلم يستقرَّ إلا رَيْثَ ما تراجعت قوَّتُه إلى أن صحَّ عزمُه على مفاجأة عدوِّ الله شانجُه بالشاتية، وقُدِّر أن يُصيبَ منه غِرَّة؛ فأمرَ بالتأهُّب لذلك والاستعداد على حدّ الانكماش، وتخفيف الوطأة لسُرعة النهضة؛ فخرج بسرعة من قرطبة للنّصف من صَفَر من سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وقد بدأ به في السَّحَر وَجَعُه الذي هلكَ به؛ فصمّم وركبَ مُتحاملًا يطمعُ أن يخفَّ مرَضُه في أثناء سَفَره، وقد آذَتْه الحركة في يومه، فزاد مرضُه، وكان

1- قال ابن عذاري: "قال: ..."، أي ابن حيان. المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص34/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص320.

2- في تحقيق بروفنسال وكولان: قيلته، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

3- في تحقيق بروفنسال وكولان: أعدّها، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

4- ما بين المزدوجتين ساقط في تحقيق بروفنسال وكولان.

5- ابن عذارى- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3- ص.34-35/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص320.

6- تقابل سنة 1007م.

7- تقابل سنة 1008م.

8- عقابيل: مفردها العُقْبول والعُقْبولة، وهي الشدائد وبقايا العِلّة أو العداوة، وما يخرج على الشفة من الحُمّى. المنجد- ص518.

به ذَبْحَةٌ تَقْوَى مع الساعات حتى خَنقَتْه؛ فوضعَ جنبَه، واشتغلَ بتدبير نفسه، وأقاموا به في منزله ذلك مُؤمِّلين[1] راحته، وأوعَزوا عنه إلى أهل العسكر بالمقام بمنزلهم؛ فأنكَروا ذلك وتأوَّلوا فيه.

ووصلَ القاضي ابنُ ذكوان ثاني يوم خروجه؛ فأوْقَفوهُ على حاله؛ فأشار عليهم بصَرف المُظفّر في العمّارية إلى قصره؛ فنادوا بالرّحيل إلى قرطبة؛ فأخذوا فيه لا يَلْوي أحدٌ على أحد، وانفرد بعبد الملك أهلُ موكِبه الخاصّون[2] به من الغِلمان؛ فحَملوهُ في العمَّارية؛ فزعمَ قومٌ منهم أنّ وفاتَه كانت وهو جآءٍ في الطريق قُبالةَ دَيْر أرملاط، وسِيرَ به على حاله حتى أُدخِل القصرَ بالزّاهرة ميّتًا، وأقام أخوهُ عبد الرحمن مع خَواصّ أهل الدولة ليلتَه بقصر الزّاهرة؛ فلم يَحدُثْ به حادث، وأصبح في عزٍّ ومَنْعَة.

[3]وما تركَ الناسُ لأوّل وفاة عبد الملك وسرعة فجأتِها أنْ قالوا: إنّه احْتيلَ عليه بشَرْبة دُسَّت له مَسمومةٍ[4] من قِبَل أخيه عبد الرحمن بيدِ أحدِ خَدَم عبد الملك المظفّر فاضَتْ نَفسُه منها، على اختلافهم في وجه الحقيقة في سَقْيها، والله أعلم بذلك[5].

[ذكر وزراء وكتاب الدولة العامرية على عهد المظفر:]

[ذكر نظام الكاتبة[6]:] كانت بقصر الخلافة بقرطبة في أيام هشام المؤيّد بن الحَكَم المستنصر بالله، وكان بليغة مُدركة، مُحَبِّرة للرسائل، ومن إنشائها كان الخطاب الذي عَزَّى فيه المظفر عبد الملك

1- في تحقيق بروفنسال وكولان: مأملين، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد.

2- في تحقيق بروفنسال وكولان: الخاصين. نفسه- ج3 ص37، وما أثبتنا من تحقيق آل عواد. نفسه- م2 ص322.

3- قال ابن عذاري: "قال: ..."، ومازال ينقل من ابن حيان.

4- اتفق ابن الأثير مع ابن عذاري في سرد هذه الرواية حيث قال: "وكان سبب موته أن أخاه سمّه في تفاحة قطعها بسكين كان قد سمّ أحد جانبيها؛ فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم، وأخذ ما يلي الجانب الصحيح؛ فأكله بحضرته؛ فاطمأن المظفّر، وأكل ما بيده منها فمات"، وكذلك ابن الخطيب الذي قال: "وكان من قدر الله أن اتهمت أمُّه الذّلفاء، حظية المنصور بالتدبير عليه وقتله بالسمّ، أخاه عبد الرحمن المتأمّر بعده"، وذكر ابن الكردبوس أنه "أخذته ذبحة ليلا فمات من حينه"، وربما يكون قوله هو الأرجح حيث أن عبد الملك كان يُعاني من مرض الذَّبحة الصدرية قبل قيامة بغزوته الأخيرة. ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص1283/ابن الخطيب- المصدر السابق- ص109/أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري- الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م- ج1 ص388.

5- ابن عذاري- المصدر نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص36- 37/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص321- 322.

6- قال ابن الأبار القضاعي: "ذكرها ابن حيان في تاريخه الكبير، ومنه نقلت ذلك". التكملة لكتاب الصلة- م5 ج3 ص298.

المنصور بن محمد بن أبي عامر عن أبيه، وجدّد له العهد بولايته، وذلك في شوال سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[1].

[ذكر الوزير أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي[2]:] توفي الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد ليلة الأحد، ودفن يوم الأحد بعده لأربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة[3]، وكانت مَنِيته من ذبحة أصابته، وكانت سنه يوم توفي السبعين.

وكان له بالإنذار بها رؤيا عجيبة، وذلك أنه أري في منامه صدر نشأته، أنّه كان يبلغ سبعين دينارًا ذهبًا، بعدها عدًّا كلما بلغ منها واحدًا تبعه بآخر، إلى أن تمت السبعون؛ فقصت له على أحذق مُعبّر كان في الوقت؛ فأوّلها عمرًا عدد كل ما بلغ منها، أعجبت عبد الملك في حال الشباب، ثم ساءته لما دنا منها؛ فجعل يُشكّك نفسه في عدد تلك الدنانير، ويقول لنا: أحسبها كانت أكثر مما سبق إليّ؛ فيُلبِّس أمرَه عليه، طالب رضاه إلى أن عاجلته المنيّة بعد استكمالها بشهورٍ؛ فجزع للموت جزعًا عظيمًا، وله تاريخ جامع للأخبار[4] جمّ الفائدة[5].

[ذكر وفاة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الأزدي ابن الجزيري[6]:] وتوفي بالمطبق في سخطة المظفر عبد الملك ابن أبي عامر، في ذي القعدة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[7]، وهو يومئذ في أحد غزواته، ولم يخلف مثله كتابة وخطابة، وبلاغة وشعرًا، وفهمًا ومعرفة، وبه خُتم بُلغاء كُتّاب الأندلس رحمه الله[8].

1- المصدر نفسه- م5 ج3 ص298.

2- قال ابن بشكوال: "قال ابن حيان: وجدت بخط أبي الوليد بن الفرضي: ...". الصلة- م2 ج2 ص3. وأن ابن شهيد كان قد ألف كتابا سماه "التاريخ الكبير في الأخبار على توالي السنين"- المصدر نفسه- م2 ج2 ص3.

3- تقابل سنة 1002م.

4- قال ابن بشكوال: "وهو مؤلف كتاب التاريخ الكبير في الأخبار على توالي السنين، بدأ به من عام الجماعة سنة أربعين، وانتهى إلى أخبار زمانه المنتظمة بوفاته رحمه الله، وهو أزيد من مائة سفر". نفسه- م2 ج2 ص3.

5- نفسه- م2 ج2 ص3.

6- قال ابن بشكوال: "قال ابن حيان: ...". نفسه- م2 ج2 ص4.

7- تقابل سنة 1003م.

8- نفسه- م2 ج2 ص4.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن الحسين التَّميمي الطُّبْني[1]:] ولد سنة ثلاثمائة[2]، دخل الأندلس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة[3]، ولم يصل إلى الأندلس أشعر منه، وكان واسع الأدب والمعرفة، وكان له اتصال بآل عامر وحظوة عندهم، وتولى الشرطة بعدهم، وتوفي في سلخ ذي الحجة سنة أربع وتسعين وثلاثمائة[4]، وشهد المظفر عبد الملك بن أبي عامر [جنازته][5] في أهل دولته، وصلّى عليه ابن فطيس[6].

1- قال ابن بشكوال: "ذكره ابن حيان: ...". المصدر السابق- م2 ج2 ص206.

2- في الأصل: ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وما أثبتنا من ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص108/الضبي- المصدر السابق- ص67.

3- في الأصل: خمس وعشرين وثلاثمائة، وما أثبتنا من ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص108/الضبي- المصدر السابق- ص67.

4- كذا عند ابن الفرضي- نفسه- ج2 ص108/الضبي- نفسه- ص67، وتقابل سنة 1003م.

5- زيادة منا حتى يستقيم المعنى.

6- ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص206.

[ذكر أخبار عبد الرحمن بن أبي عامر شنجول]

ولاية عبد الرحمن بن أبي عامر الحِجابة لهشام بن الحكم، وإسراعه إلى تغيير السيرة بالجَهل على نفسه[1]: لما دُفِن المُظفَّر رحمه الله تأهّبَ أخوه عبد الرّحمن الملقّب بشَنْجول، اسم غَلبَ عليه من قِبل أمّه عَبْدَة بنت شانْجُه[2] النَّصراني الملك تَذكُّرًا منها لاسم أبيها؛ فكانت تدعوهُ في صِغَره بشنجول، وكان أشبَه النّاس بجدّه شانْجُه؛ ففرّق الأموال وثقّفَ المدينة الزّاهرة، وجلسَ في مجلس أخيه المُظفَّر، ودخلَ النّاسُ عليه من كلّ طائفة يُهَنُّونَه؛ فوعدَهم بكلِّ جميل، ثمّ ركبَ إلى قصر الخليفة؛ فدخل إليه وأخذ بيده؛ فعزّاهُ الخليفة في أخيه، وأقام عنده بُرْهة ثمّ انصرف وقد خَلَعَ عليه خِلَعًا سُلطانيَّة وقلَّده الحِجابة؛ فوصلَ إلى قصر الزَّاهِرة وجلسَ مَجْلسًا عامًّا، ودخلَ الأعْيان من كلّ طبقة يُبايعونَه، وتلقَّب للحين بالناصر ثمّ بالمأمون؛ فكان يُدْعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصِر الدّولة؛ فنَظرَ في الأمور نَظرًا غيرَ سديد، وأنْفقَ الأموال في غير وَجْهها، وأغارَ على كثير من النّاس، وبَسَط يدَه عليهم وأخذَ أمْوالَهم، ونَسبَ إليهم أباطيل من القول والفعل حتّى قَلِقَ النّاس به وأَبْغَضوه في الله، وابتهلوا لله تعالى في الدّعاء عليه.

ولما مَضى لوقته شهرٌ ونصفٌ تصنَّع للخليفة هشام بن الحَكَم، وطلبَ منه أن يُولِّيَه العهدَ من بعدِه، وأنْ يتسمَّى بوليِّ عهد المسلمين؛ ففعل ذلك هشامٌ معه لضعفه وسوءِ نظره ونُقْصان فطرته؛ فولَّاه عهدَه؛ فكان ذلك سبب انْحِراف أكابر الأندلس عن عبد الرّحمن لِما تبيَّن لهم من سُخْف عقله وسُرعته إلى نقل المملكة عن خُلفائها إليه دون غَزاة ولا نُصرة في حرب، وأمّا الخليفةُ فخارجٌ عن تدبير النّاس لضَعفه وحَجْرِه، وخاطبَ عبد الرّحمن الطاغيةَ بمثل ما خاطَبه به أخوهُ قبلُ؛ فوصَله عنه أنّه قال: والله لو أنّي نائم، وأقبلَ عبد الرحمن بجميع جيوشه ما اسْتَيْقَظْتُ له؛ فاغْتاظَ لذلك عبد الرحمن وعَزَم على الغزو، وخاطبَ جميع البلاد يسْتَنفِرُهم للجهاد؛ فأجابهُ جميعُ المُرتَزَقة ويسيرٌ من المُطوّعة، وخرجَ من قرطبة؛ فتركَ الطريقَ الذي كان أبوه وأخوه يَسْلُكانه، وأخذَ على الطريق المدعوِّ بالعُرْيان؛ فتفاءل له قومٌ من الناس وقالوا: أُعْرِيَ هذا الفتى؛ فكان كذلك[3].

1- لا يزال ابن عذاري ينقل الخبر عن ابن حيان وقد صرّح بذلك قبل هذه الفقرة.

2- في الأصل: شنحة، والصحيح ما أثبتنا.

3- ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص38-39/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص322- 323.

[ذكر خبر البيعة لعبد الرحمن بن أبي عامر[1]**:]** ورحل الخليفة هشام بن الحَكَم عن قصر ناصح إلى مدينة الزّهراء مُستَخْفيا في رَسْمه بأهله يوم السبت لإحدى عشرةَ ليلةً من ربيع الأول من هذه السنة[2]، وحاجبُه عبد الرحمن في مقدّمته؛ فنزلَ قصرَه بها أشْأَمَ منزلٍ عظُمت الفِتَنُ منه على الأندلس، ونزلَ حاجبُه منزلَ سَلَفِه؛ فأقامَ الخليفةُ هناك يومين، ثمّ تحرّكَ في اليوم الثالث إلى مُنْيَة جعفرٍ بأهله على سبيله في تستُّرِه وحاجِبُه معه، وقد اشْتدَّ به عُجْبُه، وأوصلَه إلى نفسه هذا اليوم؛ فأطال الخَلْوةَ به والتقرُّبَ منه حتى اسْتَدْنَى نَسبهُ منه بالخُؤولة؛ إذ كانت أُمَّاهُما بُشْكَنْشِيَتَيْن؛ فقدَّرها عبد الرحمن بجهله قرابةً سما بها إلى ميراث الخلافة.

وخرجَ شَنْجول إلى أصحابه عشِيَّ هذا اليوم يَزعمُ أنّ الخليفةَ ولّاه عهدَه صراحًا، واختارَه للخلافة دونَ بني عمِّه وأهلِه، إذ ليس له ولدٌ يُؤمِّلُ خِلافَته؛ فتلقَّفها منهُ أصحابُه وخَدمُه لوقتهم؛ فطاروا بها كلَّ مَطارٍ وغَبَطوهُ بأخْذِها وشدِّ اليدِ عليها، يحسَبُون بجهلِهم أنّ مَرامَها سَهلُ المُتناوَل، وأنّ فيها نَجاتَهم ممّن كانوا يخافونَه من بني مروان آخِرَ دَهرِهم؛ فأعلنوا البُشْرى بمكانهم، ووَردَ من ذلك على الناس ما حيَّرَ عُقولَهم؛ فكثُرَ خَوْضُهم لأوّل هذا الوقت، واهْتَبلَ بنو مروان وشيعتهم بالبلد غَرَّة العامريّين فيما ارتكبوه من ذلك؛ فدَبَّت عَقارِبُهم إلى الناس، وقاموا في قلبِ الدولة العامريّة بجِدٍّ وبصيرة؛ فلم يَخذُلْهم النّاسُ وظَفِروا بالبُغْيَة[3].

ذكرُ عَقْدِ عبد الرحمن بن أبي عامرٍ لنفسِه ولايةَ عهدِ المسلمينَ على الخليفة هشام بن الحَكَم جَهالةً منهُ[4]**:** وقد تقدّم القول في سبب تَعلُّق[5] هذا الجاهل بدَعْوَى الخلافة، عَجْرفِيَّة من غير تأويل ولا عقيدة، وكيف اسْتَهْواه كيدُ الشيطان، وغَرَّته قوَّةُ السُّلطان إلى أن رَكِبها عمياء مُظلِمةً، لم

1- قال ابن عذاري: "قال ابن حيان: ...". المصدر السابق- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص42/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص326.

2- وهي سنة 399هـ/1008م.

3- ابن عذارى- المصدر نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص42-43/نفسه- تحقيق آل عواد- م2 ص236.

4- قال ابن الخطيب في بداية النصّ: "قال أبو مروان ابن حيان: ...". المصدر السابق- ص91، وأورد ابن عذاري النص ذاته نقلا عن ابن حيان. البيان المغرب- تحقيق آل عواد- م2 ص326/نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص42، كما أورده النويري دون الإشارة إلى مصدره. تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب- ص126.

5- في البيان المغرب: توصّل.

يُشاوِر فيها نَصيحًا، ولا فَكَّر في عاقبةٍ، بل جَبَرَها بالعَجَلَة، ولم يمهل الخليفةُ بعد مُنْصرَفِهِم من نُزْهَتِهم التي أوقعوا فيها هذه الوَهلة، حتى غَدا عليه اليومَ الرابعَ في جيوشه المُتكاثِفة وعُدَده المُتظاهِرة؛ فأخذ عليه أنقاب قصر الخِلافة، بعد أن أحضر مَن شاءَ من طبقات أهل الحَضْرة؛ فأَجلسَ لهم هناك، وأَشْهَدَهم فيما أمْضاهُ من الوِلاية، وأخْرجَ كتابًا قُرِئَ بحَضْرَته من إنشاء كاتب الرّسائل أبي حَفْص أحمد بن بُرْد- رحمه الله-.

وهذه نُسْخة العهد بالبيعة[1]:

"[بسم الله الرحمن الرحيم][2]، هذا ما عهِدَ به أميرُ المؤمنينَ هشامٌ المؤيد بالله أطال الله بقاءه، إلى النّاس عامّة، وعاهَدَ الله عليه من نفسه خاصّة، وأعطى عليه صَفْقة يمينه بِبَيْعة[3] تامة، بعد أن أمْعَنَ النظر، وأطال الاستخارة، وأَهمَّه ما جعله الله إليه من إمامة المسلمين، "وخَصَّه[4] به من إمْرَة المؤمِنين"[5]، واتَّقى حلولَ القَدَر بما لا يُؤمَن، وخاف نزولَ القَضاء بما لا يُصْرَف، وخَشِيَ إن هَجَم مَحْتومُ ذلك عليه، ونَزل مقدورُ ذلك[6] به، ولم يَرْفع لهذه الأُمَّة عَلَمًا تأوي إليه، ولم يُوردها[7] مَلْجأً تَنْعَطفُ عليه، أن يكون يَلْقى الله[8] مُفَرِّطًا فيها، ساهِيًا عن أداء الحقّ إليها، ونفضَ عن[9] ذلك طبقات الرّجال من أحياء قريش وغيرها ممّن يَستحقُّ أن يُسْنَدَ الأمر إليه، ويُعوّلُ في القيام به عليه، "ممّن يستوجبه بدينه وأمانته وهَدْيِه وورعِه"[10]، بعد اطّراح الهَوادة، والتَبرّي[11] من الهَوى، والتَحرّي للحقّ،

1- زيادة من ابن الخطيب- المصدر السابق- ص91.

2- زيادة من النويري- المصدر السابق- ص126.

3- في البيان المغرب: بيعَةً.

4- في الذخيرة ونهاية الأرب: وعَصَب. المصدر السابق- م1 ص64/المصدر نفسه- ص126.

5- ما بين المزدوجتين ساقط في البيان المغرب.

6- في الذخيرة: مَقْدورُه.

7- في الذخيرة: ولم يُوجِرْها، من الفعل أوجَرهُ أي أدخله الوِجار، وهو الحجر أو الملجأ. المعجم الوسيط- ص1014.

8- في الذخيرة: بلقاء الله تعالى.

9- عند ابن عذاري: نظر عند، وعند ابن بسام: وتقصّى عند. المصدر السابق- تحقيق آل عواد- ج2 ص327/نفسه- تحقيق بروفنسال وكولان- ج3 ص44/المصدر السابق- م1 ص64.

10- ما بين مزدوجتين ساقط في البيان المغرب.

11- في الذخيرة: والتبرؤ.

والتزلُّف إلى الله عزّ وجلّ[1] بما يرضيه، وإن قطعَ الأواصِر وأسْخطَ الأقارب، عالمًا بأن لا[2] شفاعة عنده أعلى من العمل الصّالح، ومُوقنًا أن لا وسيلة إليه أرضى[3] من الدّين الخالص؛ فلم يجدْ أحدًا هو أجدرُ أن يُقلِّده عهده[4]، "ويُفوِّض إليه النظرَ في أمر الخِلافة بعده"[5]، في فضل نفسه؛ وكرم خَيْمِه، وشرفِ همته[6] وعلوّ منصبه، مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغَيْب، النّاصح الجَيْب، النازح عن كلّ عَيْب، ناصر الدولة أبي المطرِّف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر محمّد بن أبي عامر، وفَّقه الله[7]، إذ كان أميرُ المؤمنين قد ابتلاهُ واختبره، ونظرَ في شأنِه واعتَبَره؛ فرآهُ مُسارعًا للخيرات[8]، مُستوليًا على الغايات، جامعًا للمأثُرات، وارثًا للمَكرُمات، يجذبُ بضَبْعَيْه[9] إلى أرفع منازل الطاعة، ويسمو[10] بعينيه إلى أعلى دُرُج النصيحة.

أبٌ منقطعُ القَرين، وصِنْوٌ معدومُ الغريم[11]، ومن كان المنصورُ أباه والمظفّرُ أخاه فلا غَرْوَ أن يبلغ في سبيل الخير[12] مداهُ، ويَحوي من حلل المجد بما[13] حواه، [14]مع أنَّ أمير المؤمنين أكرمه الله[15] لما اطّلعه[16] من مكنون العلم، ورعاه من مخزون الأثر ، أمَّلَ أن يكون وليُّ عهده القَحْطاني الذي

1- في البيان المغرب: جلّ جلاله، وفي الذخيرة: إلى الله تعالى.

2- في البيان المغرب: عاملا بألا.

3- في البيان المغرب والذخيرة: أزكى.

4- عند ابن الخطيب وابن عذاري: الخلافة، وما أثبتنا من ابن بسام.

5- ما بين المزدوجتين ساقط في البيان المغرب.

6- في البيان المغرب: موكبه، وفي الذخيرة: مَرْكَبه.

7- هنا تنتهي الفقرة الأولى التي أوردها ابن بسام.

8- في البيان المغرب: إلى الخيرات.

9- في البيان المغرب: بضَبُعِه.

10- عند ابن الخطيب: ينمو، وما أثبتنا من البيان المغرب.

11- في البيان المغرب- تحقيق آل عواد: النظير، والجملة من "أبٌ" إلى "النظير" ساقطة في تحقيق بروفنسال وكولان.

12- في البيان المغرب: سُبُل البرّ.

13- في البيان المغرب: خلال الخير ما.

14- بداية الفقرة الثانية التي أوردها ابن بسام من عهد البيعة.

15- في الذخيرة: أيّده الله.

16- في البيان المغرب: أبقاه الله، لكثرة ما طالعه.

حدّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص[1]، وأن يتحققّ به ما أسندَه أبو هُريرة[2] إلى النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أن "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطان يَسُوقُ العَرَبَ بِعَصَاه"[3]؛ فلمّا استوى له الاختبار[4]، وتقابلت عنده [فيه][5] الآثار، ولم يجد عنه مذهبًا ولا على غيره مَعْدِلًا[6]، خرج إليه من تدبير الأمر في حياته، وفَوَّض إليه النظر في [أمور][7] الخلافة بعد مماته[8]، طائعًا راضيًا، ومُجتهدًا مُتَخَيِّرًا غير مُحابٍ له ولا مائلٍ له بهَوادة[9]، ولا مُتَّرِكٍ نُصحَ الإسلام وأهلِه فيه، وجعلَ إليه الاختيارَ لهذه الأمّة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين أعزّه الله، وأمْضى أميرُ المؤمنين أعزّه الله عهده هذا، وأنْفذَه وأجازه وبَتَّلَه، لم يشترط فيه مَثْنَويَّةً ولا خِيارًا، وأعطى على الوفاء بذلك في سرّه وجهره، وقوله وفعله، عَهْد الله وميثاقَه وذمَّة نبيِّه [محمد][10] صلى الله عليه وسلم، وذمّة[11] الخلفاء الراشدين من آله وآبائه، وذمّة نفسه بأن لا يُبدّل، ولا يُغيّر، ولا يُحوِّل، ولا يَتأوَّل، وأَشْهدَ

1- عبد الله بن عمرو بن العاص: هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، يكنى أبا محمد ويقال أبا عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه، وكانت وفاته بالشام سنة 65هـ/684م وقيل غير ذلك، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن حجر العسقلاني- المصدر السابق- ج2 ص343-344/ابن عبد البر القرطبي- المصدر السابق- ج2 صص338-341.

2- في البيان المغرب: "الذي جاء فيه الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم"، وذكر بروفنسال وكولان في الهامش أن الجملة "حدّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ..." وردت في النسخة ف، ولم يشر آل عواد إلى ذلك. وأبو هُريرة هو أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب ابن كعب الدوسي، واختلف في نسبه واسمه، كما اختلف في تاريخ وفاته، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن حجر العسقلاني- المصدر السابق- ج4 صص300-308/ابن عبد البر القرطبي- المصدر السابق- ج4 صص300- 307.

3- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- صحيح البخاري- المكتبة العصرية- بيروت- صيدا- 1424هـ/2003- باب ذكر قحطان- كتاب المناقب- الحديث رقم 3517- ص621/أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- صحيح مسلم- دار ابن الجوزي- القاهرة- 2010م- كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...- الحديث رقم 2910- ص677.

4- في البيان المغرب: استولى عنده الاختيار، وفي الذخيرة: استوت له به الأخبار.

5- زيادة من الذخيرة.

6- في البيان المغرب: ولا إلى غيره مَعْرَجًا.

7 - زيادة من البيان المغرب.

8 - في البيان المغرب: وفاته، وهنا تنتهي الفقرة الثانية التي أوردها ابن بسام.

9- في البيان المغرب: ولا مائل بهوادة إليه.

10- زيادة من البيان المغرب.

11 - في البيان المغرب: وذمم.

على ذلك الله وملائكته، وكَفى بالله شهيدا، وأشهد عليه من أوقع اسمَه في هذا الكتاب، وهو، أعزّه الله[1]، جائزُ الأمر ماضي القولِ والفعل، بمحضر من وليِّ عهده المأمون ناصر الدّولة أبي المُطرّف عبد الرحمن بن المنصور وفَّقه الله، وقبولِه لما قلَّده، والتزامه ما أَلْزَمَه[2]، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وثلاثمائة".

وهذا الكتابُ نسختان، أول الشّهود فيه قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن ذكوان، ويليه من الوُزراء خاصّة أسماءُ تسعةٍ وعشرينَ رجلًا [منهم][3]، يليهم[4] أسماءُ مائة [وستّة][5] وثمانينَ رجلًا من أصحاب الشرطة وسائر[6] أهل الخدمة، ومن الحُكّام والقُضاة والفُقهاء المُشاوَرين وغيرهم[7].

[ذكر أقوال الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد[8]:] ومن مُختار ما قالته الشعراء في تهنئة عبد الرحمن بولاية العهد قولُ أبي العلاء صاعد البغدادي: [الطويل]

قَرَأتَ كِتابَ الجُـودِ وَحْـدَكَ أوَّلًا   وَأوْضَحْتَ منه كُلَّ مـا كانَ مُشْكَلا

فَلَمّـا تَجَلَّى الحُسْنُ مِنْـه لَبِسْتَهُ   فَأَحْسَنْتَ في الأَقْــوامِ أنْ تَتَفَضَّلا

أمَــا والَّذي أَعْطَى الخِلافَةَ رَبَّهـا   أَغَـــرَّ مُعِمًّـا في التَبـايُـعِ مُخْــوِلا

لَقدْ حازَهَـا مُـرْخٍ عَلَيْها جَناحَــهُ   عُقابٌ إذَا مَا أعْلَقَ الصَّيْدَ جَلْجَلا

وقال أبو منصور زيادة الله الطُبْني[9] في ذلك بديهة: [البسيط]

1- في البيان المغرب: أبقاه الله.

2- في البيان المغرب: لما التزمه.

3- زيادة من البيان المغرب.

4- عند ابن الخطيب: يليه، وما أثبتنا من البيان المغرب.

5- زيادة من البيان المغرب.

6- في البيان المغرب: رجلا من طبقات.

7- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص91-93، وورد النص عند ابن بسام الشنتريني دون نسبته إلى ابن حيان وباختلاف يسير مع النص الوارد عند ابن الخطيب- المصدر السابق- م1 ص63-64، وأورده ابن عذاري مع مجموعة من الفراغات في تحقيق بروفنسال وكولان. المصدر السابق- ج3 صص 44-46/نفسه- تحقيق آل عواد- ج2 صص326- 328، كما أورده النويري مع اختلاف طفيف- المصدر السابق- ص126-127، وأورده ابن خلدون أيضا مع اختلاف طفيف. المصدر السابق- ج1 ص1156.

8- قال ابن الخطيب في بداية الفقرة: "قال ابن حيان: ....". المصدر السابق- ص94.

9- في الأصل: الضبي، والصحيح ما أثبتنا، وهو أبو مضر زيادة الله بن علي بن الحسين التميمي الطبني نسبة إلى مدينة طُبْنَة، كان من أهل العلم بالآداب واللغات والأشعار، كثير الغرائب، ألف كتاب "الحمام" للمنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، وتوفي سنة

تَخَيَّـرَ اللهُ والسُّلْطـانُ لِلأُمَــمِ   وَلِيَّ عَـهْـدٍ يَـراهُ اللهُ مِـــنْ كَـــرَمِ

لا يَعْدِم المُلْكُ مِنْه أنْ يَشِيدَ لَـهُ   عِزًّا شَديدًا بِضَرْبِ السَّيْفِ والقَلَمِ

اخْتَـارَهُ اللهُ للإِسْـلامِ يَحْفَظُــهُ   وَخَـصَّــهُ بِعُلُــوِّ القَـدْرِ والهِمَــمِ

وقال أيضا: [الكامل]

بِــوَلِيِّ عَهْدِ المُسْلِمينَ سَما التُّقى   وابْيَضَّ وَجْهُ الدِّينِ حَتَّى أَشْرَقَا

الآنَ أُبْلِغَت الخِلافَــةُ سُــؤْلَـهـــا   وَغَـدا لَهــا رَأْيُ الإمـامِ مُـوَفَّقَـا

عَقَدَ الإمــامُ لَهــا فَأَثْبَتَ عِزَّهَـا   بِوِلايَـةِ المَأْمـونِ عَهْـدًا مُوَثَّقَـا

مَلِكٌ تَـرَى نُــورَ الهُــدَى بِجَبِينِه   مُتَبَلِّجًـا وَسَـنَى التُّــقَى مُتَأَلِّقَا

زَانَ المَـغـارِبَ في وِلايَــةِ عَهْــدِهِ   بِالبِرِّ والتَّقْوَى فَشَـاقَ المَشْرِقَا

لَــوْ أنَّ مَكَّــةَ تَسْتَطِيــعُ زِيــارَةً   لَأَتَتْ إلَيْـه مَــوَدَّةً وَتَشَـوُّقَـــا

وقال قاسم بن محمّد المرواني[1]: [الطويل]

لَقَــدْ وَفَّــقَ اللهُ الإمـــامَ المُؤَيَّـدَا   وَأَلْهَمَـهُ للْحَــقِّ فِيـكَ وَأَرْشَـــــدَا

فَقَلَّدكَ العَهْدَ الَّذِي مَــدَّ عَقْـدَه   لَكَ اللهُ مِنْـه في الرِّقَــابِ وَأَكَّـــدَا

شَهِدْتُ بِـأَنَّ الله ولَّاكَ خَيْـرَ مَـنْ   بِـه أَسَّس الدِّيـــنَ الحَنيفَ وشَيَّدَا

وَإِنَّــكَ يـا مَأْمــونُ أَفْضَلُ مُنْتَقَى   وَأَجْـدَرُ مِــنْ عَهْـدِ الخِلافَــةِ قُلِّـدَا

وهَلْ ذخْر الرَّحْمَنُ ذا المُلْكَ لامْرِئٍ   سِــواكَ وأهْـــداهُ إلَــيْــكَ وَمَهَّــدَا

أَلا يـــا وَلِيَّ العَهْــدِ وُفِّيْتَ عِــزَّةً   بأَيْمَـنِ وَقْتٍ في الزَّمـــانِ وأَسْعَــدَا

تَقَلَّــدْه وَابْشِــرْ بالخِلافَـــةِ بَعْـدَهُ   وذَوِّقْ ذَوي الغِـلِّ الحُســامَ المُهَنَّدَا

فَأَنْتَ الّذِي جاءَتْ بِـه النُّذُرُ الَّتي   أَتَى الأَثَـــرُ المَــرْوِيُّ فِـيها مُــرَدَّدَا

415هـ/1024م. ابن بشكوال- المصدر السابق- م1 ج1 ص171/الحميدي- المصدر السابق- ص214/الضبي- المصدر السابق- ص274.

1- في الأصل: قاسم بن محمود، والصحيح ما أثبتنا، وهو أبو محمد قاسم بن محمد بن إسماعيل القرشي المرواني المعروف بالشبانسي، شاعر أديب في الدولة العامرية، شُهِد عليه عند القُضاة بما يُوجِب القتل فسجن، وكتب إلى المنصور بن أبي عامر بقصيدة طويلة يستعطفه فيها فعفا عنه، وكانت وفاته سنة 430هـ/1038م، ذكره ابن حيان. لمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن بشكوال- المصدر السابق- م2 ج2 ص93/الحميدي- المصدر السابق- ص323/الضبي- المصدر السابق- ص414- 415.

وأنْتَ أَمينُ اللهِ مَهْدِيُّ يَعْرُب بن قَحْطــانَ فيها طِبْتَ نَفْسًا ومَحْتِدَا

لَكُمْ كانَ هَـذا الأمْـرُ بَدْءًا وفِيكُمْ يَكونُ مَدَى مُسْتَأْنَف الدَّهْرِ سَرْمَدَا

وقال كاتب الرسائل، وأفرطَ في قوله، وهو مولى بني مروان: [الكامل]

الآنَ عـادَ الدَّهْــرُ غَضًّا مُشْرِقًا وتَمَكَّنَتْ أَرْجــاؤه واسْتَوْسَقَـــا

وغَـدا هِلالُ الحَقِّ بَدْرًا بَعْدَ مَــا قَــدْ كـانَ أَصْبحَ شَمْلهُ مُتَفَرِّقَـا

بِوَلِيِّ عَهْـدِ المُسْلِمينَ ومَـنْ غَــدا في المُشْرِكيـنَ إذا تَقَحَّـم فَيْلَقـا

فَـاللهِ يَشْهَـــدُ للمُـؤَيَّـــدِ أنَّـــهُ قَـدْ حـاطَ أُمَّـةَ أَحْمَد مِنْه بَقَـا

وَأَحَلَّـهُـــمْ في بــــاذِخٍ مُتَمَنِّـــعٍ صَعْبٍ حَـواشيـهِ عَسيـرَ المُلْتَقَـا

أَمْسَـى يُفَتِّـشُ قَوْمَـه وعَشيـرَه شحًّـا عَلَيْهـا والحَميـمَ الأَلْصَقَـا

ورَجـا بِـأَنْ يُلْفي إذَا مَـا فَتَّشُوا في عَبْـدِ شَمْسٍ للخِلافَـةِ مَعْلَقَـا

فَرَآهُــم مُتَخَلِّفيـنَ عَـنِ العُــلا لا يَصْلُحونَ لأَنْ يَسُوسُوا جَرْدَقَا[1]

فَرَمَى إلى المَأْمونِ أمْـرَ جَميعِهِم إذْ لَـمْ يَـزَلْ حدبًا عَلَيْها مُشْفِقَا

قَالُوا إذَا ضَعفَت قُرَيْشٌ أُخِّـرَتْ وأَبُـو هُرَيْـرَة قـالَ ذاكَ مُصَدِّقَا

وَأَتى عَــن الفارُوقِ أَكْـرَم أُسْوَةٍ خَبَـر غَــدَا لِلْخـافِقيــنَ مُطَبِّقَا

لَــوْ أنَّ فِيكُـمْ سالِمـًا قَـدَّمتــه لِيَلِـي الأُمُـورَ مَغْرِبًـا ومَشْرِقَـا

وهذا الذي جلبنا: بعضٌ من كلٍّ وقليلٌ من كثيرٍ، ولو أننا رأينا أخبار العامرية غير مستثقلة، لذهبنا في الاختصار أقرب من هذا المذهب[2].

[ذكر خبر غزوة عبد الرحمن شنجول شاتية[3]:] وتحرّك للغزو شاتية سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[4] التي اجْتثّت أمرَه، وكان فتاهُ الأكبر نصح له في ترك الغزو، وخوّفه من اضطراب الناس، وأبلغه عن بعض المروانيّين نصيحة في مُحاولة رجل منهم القيام عليه، واستجابة خَلق من الجند إليه؛ فأعرض عمّا ذكر، واستهان به وقال: والله، لو اجتمع بنو مروان إلى مَرْقدي وأنا نائم ما أيقظوني، وهذه

1- الجردق: كلمة فارسية معربة، وتعني الغليظ من الخبز والرغيف. المعجم الوسيط- ص116/المنجد- ص86.

2- ابن الخطيب- المصدرالسابق- ص94- 96.

3- النص تابع لما سبق، وهو نقل عن ابن حيان.

4- تقابل سنة 1008م.

سبيلُ القرون التي سلك عليها معظم أهل الدول، إلا القليل من الحزَمة كالمنصور؛ فإنّ الحازم من لا يأمن الدّهر؛ فإنّه جمُّ العجائب، ولا يبطل طبيعة المُمْكِن؛ فإنّ القريب في الدنيا بعيدٌ والبعيدَ قريبٌ، والحازمُ مَن يَزِن كُلًّا بميزانه، ويُعدُّ له عُدَّته، ويعطيه حظّا من فكره وكفلا من احتياطه؛ فإن اتَّسق حالُ السلامة لم يضرّ حازمًا حزمه ولا مُحتاطا احتياطُه، ولو لم يكن في ذلك صلاحٌ، إلّا أنّه شَجا للعدوّ، وكمِدٌ للمكايد في أن يبصره بعيدًا عن الغفلة؛ فيتهيّب رأيه، ويترك مُهايجته، ويغتنم السلامة معه والنجاة منه وضَبْط القطر بأولي غناءٍ من رجاله وذوي كفايةٍ من بِطانته.

ونفذ لسبيله في وقت لم يسمع بأشدّ منه قوّة برد وكَلَب مطرٍ، [واسْتِقلاقَ طريق وزُخورَ مُدودٍ كابَدَ الناسُ منها مشقّاتٍ هي منهم إلى الآن مذكورةٌ مشهورة][1]، واقْتحم جِلّيقيَّة من ثَغْر طُلَيْطُلَة على سبيل مُنكرة من اللهو والبطالة، وكان يوعز إلى صاحب شُرطته في المَحلَّة أن يُنادي في الناس: "يأمُرُكم أمير المؤمنين بِكَذا وكَذا"؛ فيفعل، ويقول له إذا عاد: "كيف رأيتَ الناس؟ هل أنكرَ أحدٌ منهم شيئا؟ فيقول: "لا"؛ فيقول: "عاوِدْ ذلك مِرارًا كثيرةً" إلى أن وصل طُلَيْطُلَة، وبها اتَّصل به أنّ محمّد بن هشام بن عبد الجبّار[2] قام بقرطبة، واستولى على القصر، وفتحَ مدينة الزاهِرة، وأخذ أموالها، ثمّ أحرقها وهدمها؛ فهاله ذلك، وضبط الجيش، وأتى قلعة رباح[3]؛ فأقام بها حائرًا بنفسه، لا يدري ما يصنع إلَّا أن يَسْتَحْلِف الجندَ عند المنبر.

وكان قد صحبه في مَوكبه قُومِسٌ كبيرٌ من زُعماء النصارى المُتوسِّلين إليه بقُرْبى أمّه من عُمومة المَلِك؛ فلما رأى اضْطرابه عرض عليه رأيَ الخلاص من اللِّحاق والنجاة، وبَيَّن له الأمور؛ فقال له: "أنا على عِلمٍ من أنّي إذا ظهرتُ لأهل قرطبة لا يبقى أحدٌ على ابن عبد الجبّار"؛ فقال له الروميُّ: "أنا على عِلمٍ من أنّكَ مَغْرورٌ، وَاهًا لك، ولكنْ لا يُوسِعُني الوفاء لك إلّا الموتَ معك، مع أنَّني قد

1- زيادة من ابن عذاري- المصدر السابق- تحقيق آل عواد- م2 ص332.

2- محمد بن هشام بن عبد الجبار: بن عبد الرحمن الناصر أبو الوليد الملقب بالمهدي، وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق، ولي مرتين الأولى في جمادى الأولى سنة 399هـ/1008م، وخلعه سليمان المستعين في ربيع الأول سنة 400هـ/1009م،وكان قتله في ذي الحجة سنة 400هـ، ولمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن عذاري- المصدر نفسه- م2 ص333 وما بعدها/النويري- المصدر السابق- ص128/ابن الخطيب- المصدر السابق- صص109-116.

3- قلعة رباح: قريبة من مدينة سالم، وهي رائعة البقعة، حصينة شديدة المنعة، كثيرة الأشجار والثمار، كثيرة الخصب رخيصة الأسعار، وهي قريبة من مدينة دروقة، بينهما ثمانية عشر ميلا. الحميري- المصدر السابق- ص469.

أمكنني خلاص نفسي؛ فدونك وما شئْتَ"، [1]ودعا أهْل العسكر إلى مُبايعته على حرب أهل قرطبة، ونَصْر الخليفة المظلوم؛ فلم يمتنع عليه أَحَدٌ، وأقبلوا يحلفون له أيّامًا مُتَوالية.

وقال ابن يَعْلى الزَّناتي: دَعاني وقال لي: "أصْدقني عن نفسك وعن قومك؛ فلا رأي للمكذوب"؛ فقلت: "نعم؛ لا تَغْترّ؛ فليس يُقاتل عنك أحدٌ من زناتة، والناس تَبَعٌ لهم"؛ فشقَّ عليه ذلك وقال: "ما الدليلُ على قولك؟"؛ فقلتُ: "تأمُر بتقديم مَطْبَخَتِك إلى طريق طُليطلة، وتُظْهِر الرحيل؛ فتعلم مَنْ يَتْبعكَ ومَنْ يتخلف عنك"؛ فقال: "صدقتَ"، ثم لم يفعل.

ورحل إلى قرطبة، وقد زيَّن له عُداتُه دخولها عُنوةً، وأخرج إليه ابن عبد الجبّار حاجبه ابن ذَرى، وقد فرّ عنه الناس؛ فقُتِلَ رحمه الله وقُتِل معه ابن غُومِس، وذلك بمنزل هانئ من أَرْمِلاط أدنى مَحلّاته إلى قرطبة، يوم السبت لأربع خَلَوْن من رجب من السنة[2].

[ذكر وزراء وكتاب الدولة العامرية على عهد عبد الرحمن شنجول:]

[ذكر عجوز الملك هند بنت عبد الرحمن الناصر:] كان لها في الشرف والجلالة والأدب والحجا والرجاحة آثار مخبورة وأخبار مأثورة، وعمّرت طويلا، وتوفيّت إثر قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[3].

1- قال ابن الخطيب: "قال: ..."، ويقصد ابن حيان الذي مازال ينقل عنه. المصدر السابق- ص97.

2- ابن الخطيب- المصدر السابق- صص96- 98، وأورد ابن عذاري بعض الفقرات من هذا النص دون نسبته إلى ابن حيان. المصدر نفسه- م2 صص332- 346.

3- ذكر ابن الأبار القضاعي أنّ ابن حيان كناها بـ"عجوز الملك". المصدر السابق- م5 ج3 ص298، وتقابل سنة 1008.

خــاتمـة

خاتمة: وفي ختام هذه الدراسة توصلنا للنتائج التالية:

- يعتبر ابن حيان من أعظم مؤرخي إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط،حيث أن معظم الذين ترجموا له أجمعوا على أنه كان إمام المؤرخين في الأندلس؛ لما تميزت به كتاباته التاريخية من سعة ودقة وتفصيل وجودة وجمال وأسلوب، ولذا حَظِيَ بتقدير كبير من المؤرخين القدامى والمحدثين، وأغلب الكتاب ببلده يعتمدونه في تدوين الأخبار واقتباس التراجم.

- ينتمي ابن حيان إلى أسرة عُرفت بقربها من السلطة؛ فقد كان جدّه الكبير حيان مولى للأمير عبد الرحمن الداخل بن معاوية، كما كان والده خلف بن حسين كاتبا للمنصور ابن أبي عامر، وهذا ما ساهم في إثراء رصيده المعرفي في التأريخ للدولة العامرية، وتمكن من الحصول بواسطته على العديد من الوثائق التي ساعدته في إثراء مكتبته، وهي وثائق يندر وجودها في مصادر أخرى، وتغطي مساحة مهمة من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأندلس، وقد استعان بالعديد منها بين ثنايا مؤلفاته.

- تحصل ابن حيان على نصيب وافر من المعارف في العلوم القرآنية واللغوية والأدبية، حيث كانت حاضرته قرطبة حافلة بمشايخ العلم، غنية بمراكز التلقي، وقد اجتمع فيها صفوة العلماء والأدباء الأندلسيين، كما قصدها كبار علماء المغرب والمشرق، كما أن ابن حيان لم يغادر مدينة قرطبة أيام الفتنة إلى أي مدينة من قواعد ملوك الطوائف، ولا لأي بلد عكس العديد من العلماء.

- عاصر ابن حيان القرطبي في مطلع شبابه وحدة الأندلس ومنعتها على عهد الدولة العامرية، ثم شهد قيام الفتنة وزوال الخلافة الأموية في قرطبة، ثم عايش عصر ملوك الطوائف في الأندلس، وقد آلمه كثيرًا ما آلت إليه حال الأندلس من تمزق وفرقة؛ بعد أن نعمت بالوحدة والمنعة أيام الخلافة الأموية- وضمنها الدولة العامرية- التي يسميها هذا المؤرخ بأيام الجماعة، وفي هذا الوقت العصيب أخذ في تدوين تاريخ عصره بعمقٍ وإسهاب.

- لاحظنا اتّباع ابن حيان منهجا مخالفا لكل المناهج التي أتت من قبله، بحيث كان مميزا بحد ذاته، إذ أنه قام بمزج كل المناهج في منهج واحد، بعدما رأى أن المناهج التي اتبعها المؤرخون الذين سبقوه تكمّل بعضها البعض، ولذلك ارتأى أن يستفيد من كل هذه المناهج، كما أنه تجنب اللغة المألوفة التي جرى المؤلفون والعلماء على استعمالها حين يكتبون؛ فذهب إلى استعمال لغة أدبية راقية جعلت من كتابه "أخبار الدولة العامرية" أقرب شيء إلى أدب ممزوج بالتاريخ.

- يعتبر كتاب أخبار الدولة العامرية من أهم مؤلفات ابن حيان، ويعدّ المصدر الرئيس لتأريخ هذه الدولة التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976- 1008م، وقد ورد ذكره عند المؤرخين القدامى

والمحدثين، وإن كان هؤلاء قد أجمعوا على موضوعه؛ فإنهم اختلفوا في كونه قسمًا من "التاريخ الكبير" لابن حيان أو أنه كتاب مستقل عنه، غير أن ابن الأبار وفّر علينا مؤونة البحث والتخمين، وترك لنا الخيار بين ضمّه أو خزله من كتاب "التاريخ الكبير".

- تضمّن كتاب "أخبار الدولة العامرية" الأحداث التي وقعت بالأندلس في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ/976م، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم، وهو لا يزال طفلا لم يبلغ الحلم، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول بن محمد بن أبي عامر المنصور ثاني أبناء الحاجب العامري سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس، وظهور ما عُرف بممالك الطوائف.

- تضمن الكتاب كذلك بمعلومات انفرد بها ابن حيان عن غيره مثل إيراده لأسماء الشهود الذين حضروا بيعة هشام المؤيد بالله، والتي لا نجد لها ذكرا في بقية المصادر، وأغلبهم من القُضاة والمُشاوَرين، وبلغ عددهم مائة وأربعين (140) شاهدًا ذكرهم بأسمائهم ووظائفهم وشيوخهم ومؤلفاتهم.

-انفرد أيضا بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها بينما اكتفت بقية المصادر بذكر البعض منها كما فعل العُذري في كتاب ترصيع الأخبار أو ابن عذاري في البيان المغرب، واكتفى بقية المؤرخين بذكر عددها مثل قولهم بلغت عدّة غزواته خمسين غزوة ونيفا، كما انفرد بذكر بدايات المنصور ابن أبي عامر، إلى غاية وصوله إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء.

- أورد لنا ابن حيان مجموعة من الأخبار الهامة كالمؤامرات التي وقعت داخل القصر الخلافي عقب وفاة الحكم المستنصر بالله، والتي تزعمها الصقالبة، ودور محمد بن أبي عامر في بيعة هشام المؤيد بالله، إضافة إلى التحالفات السياسية التي قامت بين كبار رجالات بني أمية، ودهاء وحنكة المنصور في التخلص من كل أعدائه.

- كما تضمّن كتاب "أخبار الدولة العامرية" معلومات في غاية الأهمية عن العلاقات السياسية بين العدوتين المغربية والأندلسية، ومن ذلك حروب المنصور بن أبي عامر في بلاد المغرب ضد الأدارسة بقيادة الحسن بن قنون، والزناتيين بقيادة زيري بن عطية، وانفرد أيضا بإيراده لنص بيعة عبد الرحمن شنجول، كما أورد لنا أيضا تراجم لأعلام برزوا على عهد العامريين.

- تضمّن الكتاب أيضا أخبارا هامة تخصّ الجانب الاقتصادي، ومنها ذكر ابن حيان للجباية على عهد المنصور ابن أبي عامر وعدة الفرسان والسلاح، وكمية الحطب التي كانت تدخل إلى مدينة قرطبة على عهده.

- اعتمد ابن حيان في بعض الأخبار التي عاصرها على تسجيل ما شاهده مباشرة، كذكره لرواية مقتل سعيد بن عيسى القطاع سنة 397هـ/1006م من طرف الحاجب عبد الملك المظفر ابن المنصور ابن أبي عامر التي كان حاضرا فيها، ووصفه لموكب الحاجب المظفر العامري أثناء خروجه لغزو أراضي قشتالة سنة 398هـ/1007م، بحيث كان بارعا في دقته بوصفها.

- وُفّق ابن حيان في استخدامه لمختلف المرجعيات، سواء الروايات الشفهية أو المكاتبات الموثوق في مصدرها، أو حتى المؤرخين الذين سبقوه، بالإضافة إلى مشاهداته المباشرة، وهو بهذا حفظ لنا أخبارا قيّمة لم ترد عند غيره من المصادر المعاصرة له، بل وكان مصدرا موثوقا لمن جاؤوا من بعده.

الملاحق

« صدقتَ ! » ثمّ لم يفعل ، ورحل إلى قرطبة وقد زيَّن له عُداتُه دخولَها عنوةً . وأخرج إليه ابنُ عبد الجبّار حاجبَه ابن ذَرى ، وقد فرَّ عنه الناسُ . فقُتِلَ — رحمه الله — وقتل معَه ابنُ غُومِس ، وذلك بمَنزِل هانيء من أرْمِلاط ، أدْنى محلّاته إلى قرطبة ، يوم السبت لأربع خَلَوْن من رَجَب من السنة .

* * *

وانقضى أمْرُ العامِريّة . وإلى دَوْلَتِهم بلَغَتْ حدودُ التناهي في دُوَل ملك الأندلس ، بحسب ضِيق الخُطّة وبُعْد النجعة ، إذ الأمور لا تُقاس إلاّ بأشكالها ، ولا تناظَر إلاّ بأمثالها . فذَكَر أبو مَرْوان حيّان بن خَلَف — رحمه الله — في كتابه الذي أنافَتْ على المائة أسفارُه ، المسمى بـ « أخبار الدولة العامِريّة ، المنسوخة بالفِتْنة البربريّة ، وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة » ، فقال : كتب إليّ أبو القاسم محمّد بن مُرْشِد ، أحَدُ بَقايا وجوهِ الكُتّاب المستأخِرين المتمتّعين بالنظر والمعرفة على كِبَر السِّنّ ، مُعرّفاً بأشياء سألتُه عنها من هذا الباب سنة ٤٣٦ ، أثبتُّها نقلاً من كِتابهِ ، وهي :

مَبْلَغُ الجِباية آخِرَ أيام المنصور أربعة آلاف ألف دينار ، سِوَى رُسوم المَواريث بقُرطُبة وكُوَر الأندلس كانت تجري على الأمانة ، وسِوَى مالِ السَّبْي والمَغانم على اتساعه في هذه المُدّة ، وسِوَى ما يتّصِلُ به السلطان من المُصادَرات ومِثْل ذلك ممّا لا يرجع إلى قانون . قال : وكانوا يعتدونها أربعَ بيوتٍ : تُؤخَذُ النَّفَقات السلطانيّة منها على المُشاهَرة بالزيادة والنقصان ، ما بين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفاً ، إلى أن يدخل شهر يُونْيُه العَجَميّ : فيتضاعَف فيه الإنفاق من أجْل الاستعداد لغَزْو الصائفة ؛ فينتهي منه إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر منها . وما فضل من المال بعد جميع النفقات أحْرَزَهُ السلطانُ في بَيْت مالِه مع غير ذلك من ضُروب استفاداتِه .

٩٨

ذكر العنوان الكامل لكتاب "أخبار الدولة العامرية" في كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب

أَشْوَس اللَّحْظ، أَعْجَميّ اللَّفْظ؛ لاذوا منهم بأذيال لَبيب وزُهَير وفائق وواضِح ، يشمُّون عليهم رائحة ابن أبي عامِر ، بعد أن كانوا يستظلون أيّام النّصْر ، وإقامة رسوم القَصْر ، وأوقات العافية التي سَمَتْ عن الحَصْر . اللّهمّ ! لا تؤاخذنا ببَطَر العافية التي مُدّت ظِلالُها ، وسُوّغت زِلالُها ! يا أَرْحَم الراحمين !

وصِنفٌ همُّه الآخِرة ، بعيدٌ من تعريجٍ على شيءٍ من الدنيـا ، لا يَتكَلّم في مِثْل هذا ، ولا يُتَكلّم معه ، ولا يفتح فيه باباً ؛ إنّما هو مشغولٌ بربّه خاصّة . وهذا جيلٌ قليلٌ ؛ وإنّما ذُكِر مُراعاةً للتقسيم . ولا تخلو الأقطار منهم ؛ فَهُمْ بركات الله بين عِباده ، وأولياؤه منهم .

***

قال ابن حَيّان في الدولة العامِريّة : وأجْلِس هِشامُ بن الحَكَم للخلافة صبيحة يوم الإثنين بعده، لثلاث خَلَوْن من صَفَر سنة ٣٦٦. ودعا الناس إلى البيعة ؛ فاستوسقوا إليه ، ولم يختلف فيها منهم إثنان . واتّصل أخْذُها على الناس أيّاماً ، وكتب بها إلى الأقطار ؛ فلم يَرُدّها أحدٌ .

وكان على عَهْد بيعة هشام بن الحَكَم من الأعلام هضابٌ راسية ، وبحارٌ في العلم زاخرة، وأعلامٌ قَوْلُهم مسموع ، وبِرُّهم مشروع، وأثَرُهم متبوع ، مِثْل قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن محمد بن زَرْب ، وحسبك به شهرةً وجلالة ؛

والقاضي أبي المُطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطَيْس ، قاضي القُضاة بقُرْطبة ؛

والقاضي محمّد بن إسحاق بن السَّليم ، قاضي القُضاة على عَهْد الحَكَم وصَدْراً من دولة ولده ؛

والقاضي أبي علي حَسَن بن محمّد بن ذَكْوان ؛

٥٩ — خلف بن حسين بن حيان

كان من كُتّاب المنصور [ابن] أبي عامر ، وهو والد أبي مروان حيّان بن خلف[١] صاحب التاريخ ، وأخبر عن نفسه قال : بكّتني المنصور يوماً على بعض ما أنكره مني تبكيتاً بعث من فزعي ما اضطربتُ منه ، فأشفق عليّ وخفف عني ، وأنفذني للوجه الذي استنكر فيه بُطئي ، فعُدتُ بتمامه بعد أيام[٢] ، فاستوقفني وأخلى مجلسه ، ثم أدناني فقال : رأيتُ من ذعرك ما استنكرت ، ومن وثق بالله بريء من الحَوْل والقوة لله ، وإنما أنا آلةٌ من آلاته ، أسطو بقدرته وأعفو عن إذنه ، ولا أملك لنفسي إلا ما أملك من نفسي لسواي ، فَطامِنْ جأشَك فإنما أنا ابن امرأة من تميم ، طالما تقوّتت من غزلها ، أغدو به إلى السوق وأنا أفرح الناس بمكانه ، ثم جاء من أمر الله ما تراه ، ومن أنا عند الله لولا عطفي على المستضعف المظلوم ، وقهري للجبار الطاغي ! ذكر هذه الحكاية ابنه أبو مروان في (أخبار الدولة العامرية[٣]) من تأليفه ، وفي مناقب المنصور محمد بن أبي عامر وهيبته التي لا يُسامح في نقصانها أحداً من ولد ولا ذي خاصة ، حتى حُشيت أحشاءُ الناس ذعراً ، ثم يأتي من كرم الإعتاب بهذا العجب العجاب .

---

١ — مات سنة ٤٦٩ هـ . انظر الحلة الاسلامية : ٢ / ٤٠٥ — ٤٠٦ .

٢ — رواية (س) و (ر) ، وفي (ق) : تمام .

٣ — لم يصل إلينا ، وابن عذاري ينقل عنه في البيان المغرب (١ / ٢ — ٣) والمراكشي يذكر لابن حيّان كتاباً بعنوان (المآثر العامرية) انظر المعجب : ٢٦ .

ذكر ابن الأبار- إعتاب الكتّاب- لكتاب أخبار الدولة العامرية

[بعد أن][1] استقدمه من المغرب ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبى حفص هذا يذم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوَّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبى عامر — وهى بنت أخته « بُرَيْهَة » — من عبد الملك بن قند مولاهم :

عــــربىٌّ مزوِّجٌ عبدَه بنتَ أختهِ
قبَّحَ الله فعلَ ذا ورماه بمقتــــهِ

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

١٠٣ — زياد بن أفلح
مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفى فى أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيّان فى تاريخه الكبير ، وذَكر فى « الدولة العامرية »[2] أنه كان على المدينة ، وأن جُوْذَراً الفتى الحَكمى تحيَّن ركوبَ

(١) أضفت هاتين الكلمتين للسياق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب فى أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذارى فى البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد فى أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شعر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفِتيان =

ذكر ابن الأبار- الحلة السيراء- لكتاب الدولة العامرية، وتعليق حسين مؤنس على ذلك

غَناء ولا دفاع ، ضَمِن محمد بن أبي عامر لصبح أم هشام سكونَ الحال وزوالَ الخوف واستقرارَ المُلك لابنها ، على أن يُمَدَّ بالأموال ويُجمِلَ إليه قودُ الجيوش ، إلى ما كان بيده من الخطط السنية . وهو — بقوة نفسه وسعادة جَده — / [١٢٦-ب] يَعِدُ النصر ولا يمترى فى الظهور ، ويستعجل الأسباب المعينة على الفتح ، حتى أُسعفَ ولقى العدو فهزمه . ووالى غزوَ بلاد الروم عالىَ القدم ، منصورَ العلم ، لا يُخفق له مسعًى ولا يؤوب دون مغنم — كَرةً بعد أخرى — إلى أن صار صاحب التدبير ، والمتغلبَ على جميع الأمور . فدانت له أقطار الأندلس كلها ، وأُمِنتْ به ، ولم يضطرب عليه منها شيء أيامَ حياته ، لحسن سياسته وعظم هيبته .

وكان ربما أنذر خاصته بما يكون وراءه من الفتن ، حتى ليكدِّر عليهم مجالس أنسه بما يلقى من ذلك إليهم ، فوقع الأمر على ما توقع ، وجرى القدر بما قدر على ذلك . فما زال يبطش بأعدائه ، ويسقط مَن فوقه بقهره واستيلائه ، إلى أن صار الخليفةُ حينئذ — هشام بن الحكم — ليس له من الأمر غير الاسم خاصة ، فما ظنك برجاله ومواليه الذين منهم[1] كان يرهب وبهم كان يتمرس ؟ هذا ونصرته على النصارى متوالية ، وغزواته فى كل صائفة متصلة ، أزيد من خمسين — عدَّها ابنُ حَيَّان فى كتابه الموضوع فى أخبار الدولة العامرية[2] ، وجعله لمن شاء خزَلَه عن تاريخه الكبير أو ضمه إليه — حتى أذعن له ملوك الروم ورغبوا فى مصاهرته . تناول ذلك كلَّه بتأييد إلهى مدة طويلة ، وأورثه بنيه وقتاً قصيراً .

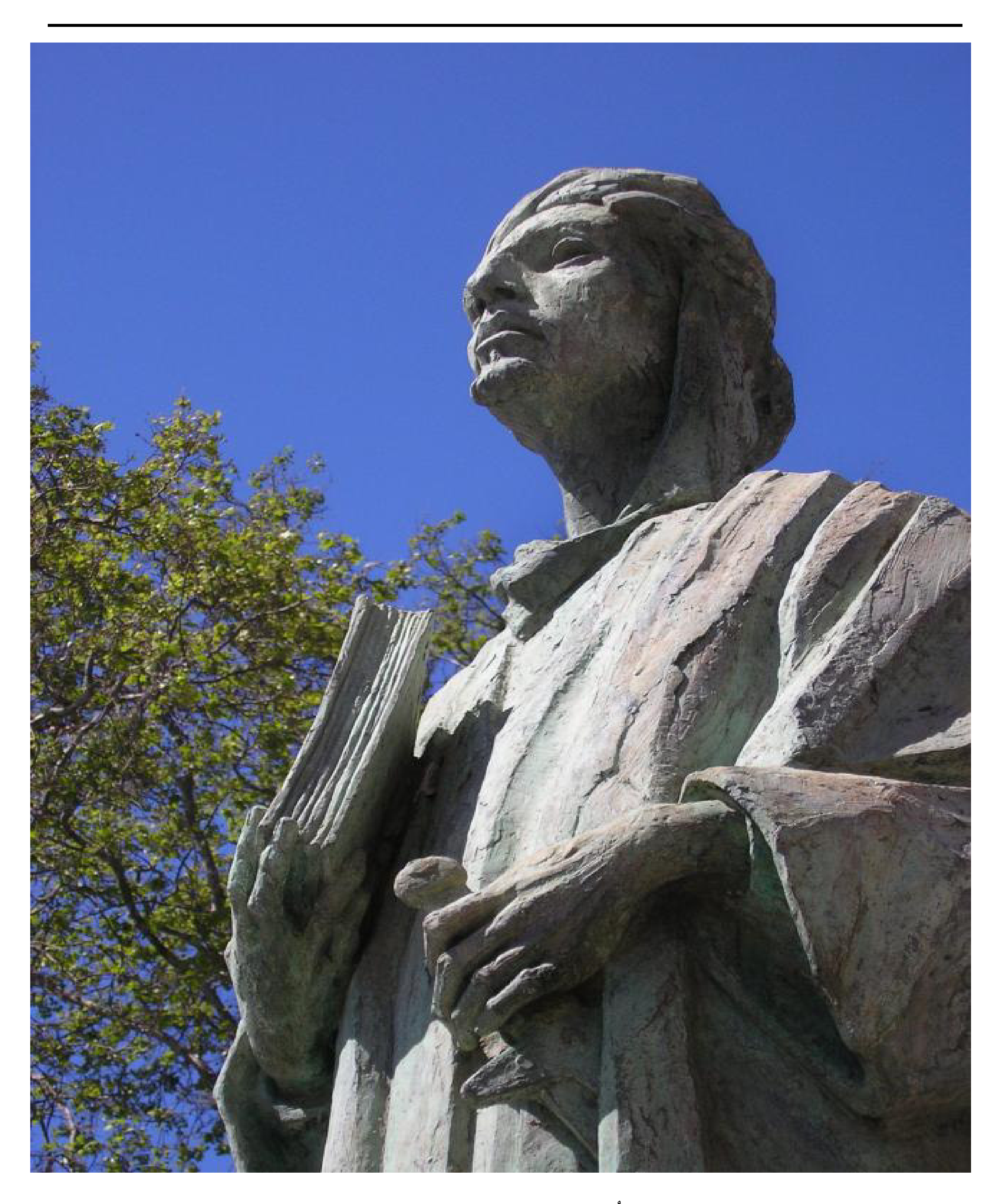
فأما أبو مروان عبد الملك المظفر منهم ، فقام بالدولة مقام أبيه ، وأغنى فى غزو

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصح هنا : الذين بهم كان يرهب .

(٢) فى الأصل : الناصرية ، ولم نسمع أن ابن حيان كتب كتابا خاصا عن عبد الرحمن الناصر ، ولكن الثابت أن له كتاباً فى أخبار سقوط بنى جهور يسمى « البطشة الكبرى » وعنه نقل ابن بسام ما أورده فى « الذخيرة » من تاريخ محمد بن أبي عامر .

ذكر ابن الأبار- الحلة السيراء- لكتاب الدولة العامرية



تمثال للمنصور محمد بن أبي عامر أُنْجِز في الجزيرة الخضراء احتفالا بمرور 1000 سنة على وفاته



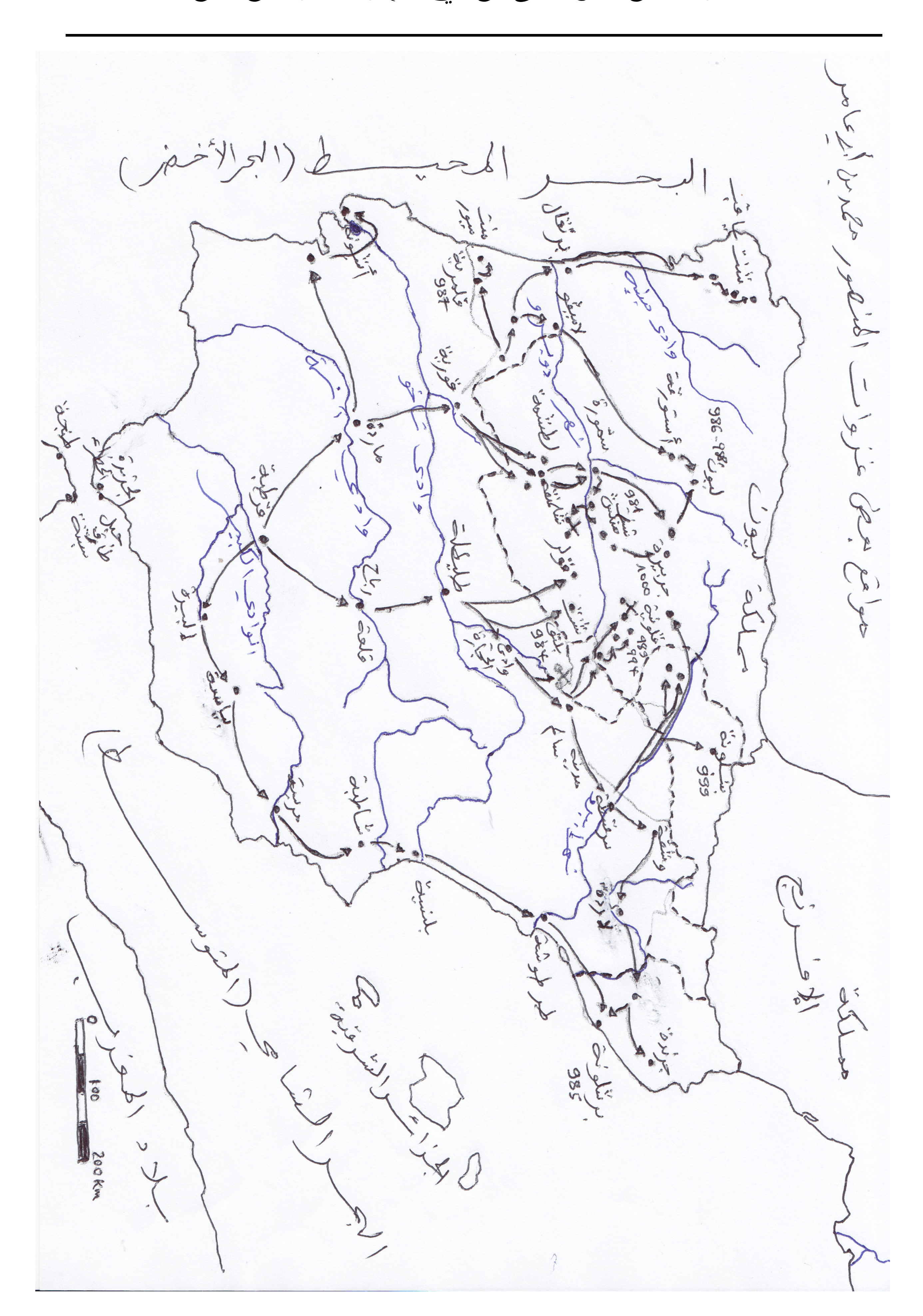
تمثال للمنصور في مدينة سالم التي توفي بها



طابع بريدي أصدرته حكومة إسبانيا بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة المنصور



قلعة النسور التي شهدت آخر غزوة للمنصور محمد بن أبي عامر


مواقع بعض غزوات المنصور محمد بن أبي عامر
مملكة الإفرنج
مملكة ليون
البحر المحيط (البحر الأخضر)
البحر الشامي (المتوسط)
الجزائر الشرقية
بلاد المغرب
شنت ياقب
ليون 986-988
أستورقة
سمورة
برتغال
قلمرية 987
قورية
طليطلة
ماردة
أشبونة
قرطبة
قلعة رباح
البيرة
بياسة
مرسية
شاطبة
بلنسية
طرطوشة
برشلونة 985
جرندة
لاردة
وشقة
سرقسطة
مدينة سالم
بنبلونة 999
جربيرة 1000
وادي الحجارة
الجزيرة الخضراء
جبل طارق
سبتة
طنجة
وادي تاجو
الوادي الكبير
وادي دويرو
نهر إبرو
0 100 200 Km


LAS CAMPAÑAS DE ALMANZOR (981-1002)
REINO FRANCO
REINO DE LEÓN
REINO DE PAMPLONA
CONDADO DE RIBAGORZA
CONDADOS CATALANES
CALIFATO DE CÓRDOBA
Santiago de Compostela (997)
San Cosme
Iria Flavia
León (986, 988)
Astorga
Sahagún
Carrión
Burgos (1000)
Peña Cervera (1000)
San Millán
Silos
Nájera
Pamplona (999)
Clunia (989, 994)
San Esteban de Gormaz (989, 994)
Osma (989)
Huesca
Zaragoza
Manresa
Gerona
Lérida
Barcelona (985)
Zamora (981, 984, 986, 988)
Toro
Simancas (981)
Cuéllar
Sepúlveda (984)
Medinaceli
Atienza (981)
Rueda (981)
Oporto
Lamego
Salamanca
Baños de Ledesma
Alba de Tormes
Viseu
Guarda
Montemayor
Coimbra (987)
Coria
Toledo
Guadalajara
Tortosa
Valencia
Mérida
Calatrava
Játiva
Lisboa
Alcacer do Sal
Córdoba
Baza
Murcia
Elvira
Algeciras
0
100
200 km

الفهارس الفنية

فهرس الأيات القرآنية والأحاديث النبوية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة والآية	الآية القرآنية
158	سورة المائدة- الآية 32	"وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"
237	البقرة- الآية 259	"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ- مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	رواته	الحديث النبوي
228	رواه أنس بن ملك	"الحمدُ لله ثمنُ كلِّ نِعمة، ومن قال: لا إلهَ إلّا الله دَخَلَ الجَنَّة".
281	رواه البخاري ومسلم	"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطان يَسُوقُ العَرَبَ بِعَصَاه"

فهرس الأعلام البشرية

فهرس الأعلام البشرية

فهرس القبائل والجماعات

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

الصَّقْالبة	270-206-191-169-143-132
صنهاجة	236-196-195-194-193-191
العبّاسية	172-131-95
العجم	247-233
العراقيون	245
القبط	162
قريش	242
القوط	239-155
المصريون	245
النصارى	285-256-253-250-239-237-169-162-160-159-158-141-133

فهرس الأعلام الجغرافية

فهرس الأعلام الجغرافية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

أنَّ الزُّمُـــرُّدَ قُضْبـــانٌ وأَوْراقُ	البسيط	صاعد بن الحسين البغداديّ	259
وَلَطالمَا خَلَفَ البَهارَ النَّرْجسُ	الكامل	صاعد بن الحسين البغداديّ	259
لَـو أُنْصِفَتْ لَـم تَقْتَـرِنْ بِنَظيـرِ	الكامل	صاعد بن الحسين البغداديّ	260
ووَصَلْنـا صَغيرَنـا بـــالكَبيـرِ	الخفيف	صاعد بن الحسين البغداديّ	260
وَيَهْزِمُ أنَّ جيشَ الوَردِ قـد وَردا	البسيط	صاعد بن الحسين البغداديّ	260
أوَ ما رَأيتَ الوَرْدَ في شَجَراتِـهِ؟	الكامل	ابن درّاج القسطلي	260
فالسَّوْسَـنُ المُجْتَلَى ثَنَـايـاهُ	المنسرح	ابن درّاج القسطلي	261
ودُنْيــا تَــروقُ ونُعْمــى تَزيـــدُ	المتقارب	ابن درّاج القسطلي	261
وَبَقَيْتُ أَنْدُبُ رِبْعَهمْ وَحْدِي	الكامل	؟	272
حَتَّى حَسِبْناهُ من مَّلْحودِهِ نُشِرَا	البسيط	أبي العلاء صاعد	272
مَلِكٌ أَذَلَّ لِمُلْكِكَ الأَمْلاكَا	الكامل	ابن درّاج القسطلي	272
وَأَوْضَحْتَ منه كُلَّ مـا كانَ مُشْكَلا	الطويل	أبي العلاء صاعد	282
وَلِيَّ عَهْـدٍ يَـراهُ اللهُ مِـــنْ كَـــــرَمٍ	الطويل	أبو منصور زيادة الله الضبي	283
وابْيَضَّ وَجْهُ الدِّينِ حَتَّى أَشْرَقَا	الكامل	أبو منصور زيادة الله الضبي	283
وَأَلْهَمَـهُ للْحَـقِّ فِيـكَ وَأَرْشَـــــدَا	الطويل	قاسم بن محمّد المرواني	283
وتَمَكَّنَتْ أَرْجـاؤه واسْتَوْسَقَـــا	الكامل	كاتب الرسائل؟	284

فهرس الكتب الواردة في المتن

فهرس الكتب الواردة في المتن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم:

ب- **كتب الحديث النبوي**:

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/869م)- صحيح البخاري- المكتبة العصرية- بيروت- صيدا- 1424هـ/2003م.

2- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين (ت 261هـ/874م) - صحيح مسلم- دار ابن الجوزي- القاهرة- 2010م.

ج- **المصادر العربية والمعربة**:

1- ابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت658هـ/1260م)- إعتاب الكتاب- حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- ط1- 1380هـ/1961م.

2- ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1429هـ/2008م.

3- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م.

4- ابن أبي زرع- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (كان بقيد الحياة سنة 731هـ/1331م)- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1973م.

5- ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم(ت668هـ/1269م)- عيون الأنباء في طبقات الأطباء- ضبطه وصحّحه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م.

6- ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد ابن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت630هـ/1233م)- الكامل في التاريخ- اعتنى به أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية- عمان- د. ت.

7- الإصطخري أبو إسحاق ابراهيم بن محمد(ت346هـ/957م)- المسالك والممالك- تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- القاهرة- 1381هـ/1961م.

8- الإيلاني المصمودي أبو علي صالح بن عبد الحليم (كان بقيد الحياة سنة 712هـ/1312م)- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط2- 2008م.

9- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م)- المسالك والممالك- حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن وأندري فيري- بيت الحكمة- قرطاج- الدار العربية للكتاب- تونس- 1992م

10- الثعالبي النيسابوري أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت 429هـ/1038م)- يتيمة الدهر في محاسن العصر- دار الكتب العلمية- بيروت- د. ت.

11- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت542هـ/1148م) - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م.

12- ابن بشكوال الأنصاري أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن سعود (ت 578هـ/1183م)- الصلة- ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1429هـ/2008م.

13- ابن بلقين عبد الله الزيري الصنهاجي- كتاب التبيان- تحقيق أمين توفيق الطيبي- منشورات عكاظ- الرباط- 1995م.

14- الجياني أحمد بن فرج (ت. بعد سنة 366هـ/976م)- الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس وديوان بني فرج شعراء جيان- جمعه ورتّبه وشرحه محمد رضوان الداية- نادي تراث الإمارات- أبو ظبي- 1423هـ/2003م.

15- ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م)- الإصابة في تمييز الصحابة- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت

15- ابن حزم الأندلسي علي بن محمد (ت456هـ/1064م)- جمهرة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- مراجعة لجنة من العلماء- بيروت- ط3- 1424هـ/2003م.

16- ابن حزم القرطبي علي بن أحمد بن سعيد- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م

17- ابن حزم القرطبي علي بن أحمد بن سعيد- رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ضمن رسائل ابن حزم- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م.

18- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد- طوق الحمامة في الأُلْفة والأُلّاف- دار صادر- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م.

19- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي (ت 626هـ-1230م)- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم- تحقيق ودراسة التهامي نقرة وعبد الحليم عويس- دار الصحوة للنشر- القاهرة.

20- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت488هـ/1095م)- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1425هـ/2004م.

21- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت750هـ/1349م)- الروض المعطار في خبر الأقطار- حققه إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- الطبعة الثانية- 1984م.

22- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم(ت380هـ-990م)- كتاب صورة الأرض- دار صادر- بيروت- د. ت.

23- ابن حيان الأندلسي أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ-1076م)- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ /2006م.

24- ابن حيان القرطبي- السفر الثالث من كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس- حققه وقدّم له وعلق عليه محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- 1430هـ/2009م.

25- ابن حيان بن خلف بن حيان القرطبي- السفر الثاني من كتاب المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- 1422هـ- 2002م

26- ابن حيان القرطبي أبو مروان حيان بن أبي القاسم خلف بن حسين بن مروان- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ/1973م.

27- ابن حيان القرطبي- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- دار الثقافة- بيروت- 1983م.

28- ابن حيان القرطبي- المقتبس- نشر ب. شالميطا وف. كورينطي وم. صبح- المعهد الإسباني العربي للثقافة- مدريد- كلية الآداب- الرباط- مدريد- 1979م.

29- ابن حيان القرطبي- كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب- ط1- 1411هـ- 1990م.

30- ابن حيان القرطبي- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس- نشر الأب ملشور أنطونية- بولس كوتنر الكتبي- باريس- 1937م.

31- ابن خاقان الفتح بن محمد (ت 529هـ-1135م) - مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس- دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة- دار عمار- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط1- 1403هـ/ 1983م.

32- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي(ت 776هـ/1774م)- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام- تحقيق سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/2003م.

33- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني- الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدّم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ-2003م.

34- ابن الخطيب السلماني لسان الدين- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1426هـ/2006م.

35- ابن الخطيب لسان الدين- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- من كتاب أعمال الأعلام- تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1964م.

36- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى (ت 780هـ-1378م)- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات- تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات- عالم المعرفة- الجزائر.

37- ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي (ت 808هـ/1406م- تاريخ ابن خلدون- اعتنى به وراجعه درويش الجويدي- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1428هـ/2007م.

38- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد- مقدمة ابن خلدون- ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني- دار الكتاب العربي- بيروت- 1425هـ/2004م.

39- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- حقق أصوله وكتب هوامشه يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 1433هـ/2012م.

40- ابن خير الإشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت575هـ/1179م)- فهرسة ابن خير الإشبيلي- وضع حواشيه محمد فؤاد منصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/1998م.

41- الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1467م)- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- تحقيق محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 2006م.

42- ابن دراج القسطلي (ت 421هـ/1030م)- ديوان ابن دراج القسطلي- حققه وعلق عليه وقدّم له محمود علي مكي- المكتب الإسلامي- ط2- 1389هـ.

43- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1347م)- دول الإسلام- تحقيقي وتقديم حسن إسماعيل مروة ومحمود الأرناؤوط- دار صادر- بيروت- ط3- 2012م.

44- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان- سير أعلام النبلاء- تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط1- 1417هـ/1997م.

45- الزُهْري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد سنة 546هـ/1151م)- كتاب الجعرافية- اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د.ت.

46- ابن السائب الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد (ت 204هـ/819م)- جمهرة النسب- تحقيق ناجي حسن- عالم الكتب- بيروت- 1425هـ/2004م.

47- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ-1274م)- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى- دار الكتب الإسلامية- دار الكتاب المصري- القاهرة- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط2- 1400هـ/1980م.

48- ابن سعيد علي بن موسى الغرناطي الأندلسي- المغرب في حلى المغرب- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ/1997م.

49- ابن السكيت- إصلاح المنطق- شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون- دار المعارف بمصر- القاهرة- د.ت.

50- ابن سلاّم أبو عبيد القاسم- الغريب المصنّف- حققه وقدّم له وصنع فهارسه رمضان عبد التواب- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1989م.

51- ابن سماك العاملي (كان بقيد الحياة في الربع الأول من القرن التاسع الهجري-الخامس عشر ميلادي)- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة- تحقيق محمود علي مكي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1424هـ- 2004م.

52- ابن السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م)- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط1- 1426هـ/2005م.

53- الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت حوالي سنة 558هـ/1163م)- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1414هـ/1994م.

54- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم- الملل والنحل- أشرف على تعديل الكتاب وقدّم له صدقي جميل العطار- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- 1426هـ/2005م.

55- شيرويه الديلمي أبو شجاع شيراوية بن شهردار (509هـ/1115م)- الفردوس بمأثور الخطاب- دار الكتب العلمية- بيروت- 1406هـ/1986م.

56- صاعد الأندلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـ/1070م)- طبقات الأمم- تحقيق وتعليق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- 1998م.

57- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م)- الوافي بالوفيات- دار الفكر- بيروت- ط1- 1425-1426هـ/2005م.

58- الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت599هـ/1202م)- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2005م.

59- ابن عبد البر القرطبي المالكي أبو عمر (463هـ/1070م)- الاستيعاب في أسماء الأصحاب- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت.

60- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله محمد الأوسي (703هـ/1304م)- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ط1- 1973م.

61- ابن عبد الملك المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق محمد بن شريفة- دار الثقافة- بيروت- د. ت- السفر الأول- القسم الأول.

62- عبد الواحد المراكشي أبو محمد بن علي (ت 625هـ/1228م)- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/2006م.

63- ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد (كان بقيد الحياة سنة 712هـ-1312م)- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب - حققه وضبط نصه وعلق عليه- بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1- 1434هـ/2013م.

64- ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ج. س. كولان- إ ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م.

65- العذري أحمد بن عمر ابن الدلائي (ت 478هـ/1085م)- نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد- 1965م

66- ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي (ت 1091هـ/16م)- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الكتب العلمية- بيروت- د.ت.

67- العمري ابن فضل الله (ت 749هـ/1348م)- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي- دار روائع الأثير- الرياض- ط1- 1429هـ/2008م.

68- عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض (ت 544هـ/ 1149م)- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- ضبطه وصحّحه محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1418هـ/1998م.

69- ابن غالب محمد بن أيوب (كان على قيد الحياة سنة 571هـ/1175م)- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس- نشر لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية- القاهرة- المجلد الأول- ج2- ربيع الأول 1375هـ- نوفمبر 1955م.

70- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت 732هـ/1331م)- تقويم البلدان- دار صادر- بيروت- د.ت.

71- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين (ت 799هـ/1397م)- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- دراسة وتحقيق مأمون بن يحيى محي الدين الجنان- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ/1996م.

72- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت403هـ/1013م)- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1427هـ/2006م.

73- ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1025هـ/1616م)- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس- تحقيق وتعليق محمد بن عزوز- مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء- دار ابن حزم- بيروت- ط1- 1435هـ/2014م.

74- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود (682هـ/1283م)- آثار البلاد وأخبار العباد- دار صادر- بيروت- ط3- 2011م.

75- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1 1405هـ/1984م.

76- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك (كان بقيد الحياة سنة 594هـ/1198م)- الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1430هـ/2009م.

77- مارمول كربخال (ت 1009هـ/1600م)- إفريقيا- ترجمة محمد حجي وآخرين- دار النشر المعرفة- الرباط- 1409هـ/1989م.

78- مجهول (كان بقيد الحياة خلال ق7هـ/13م)- أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين- تقديم وتحقيق ومعجمة عبد الغني أبو العزم- مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات- الرباط- ط1- 2003م.

79- مجهول (كان بقيد الحياة في نهاية ق9هـ/15م)- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2007م.

80- مجهول (؟)- تاريخ عبد الرحمن الناصر - قدم له عدنان محمد آل طعمة- دار سعد الدين- دمشق- ط1- 1992.

81- مجهول (كان بقيد الحياة في نهاية ق9هـ/15م)- جغرافية وتاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث- الجزائر- 2013م

82- مجهول (كان بقيد الحياة في نهاية ق9هـ/15م)- ذكر بلاد الأندلس- تحقيق لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد ميغل أسين- مدريد- 1983م.

83- المرواني أبو طالب (ت 516هـ/1122م)- عيون الإمامة ونواظر السياسة- حققه وعلق عليه بشار عوّاد معروف وصلاح محمد جرار- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط1- 1431هـ/2010م

84- المقدسي أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري (ت 387هـ/997م)- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1408هـ/1987م.

85- المقري أبو العباس أحمد بن محمد- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب (ت 1041هـ/1631م)- دراسة وتحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت.

86- المقريزي تقي الدين (ت 845هـ/1441م)- كتاب المقفى الكبير- اختيار وتحقيق محمد اليعلاوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1407هـ/1987م.

87- النباهي المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي (كان بقيد الحياة سنة 793هـ/1391م)- تاريخ قضاة الأندلس- قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ/ 2006م.

88- النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1332م)- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- المغرب- 1985.

89- هذيل الأندلسي علي بن عبد الرحمن- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس (كان بقيد الحياة سنة 763هـ/1361م)- تحقيق عارف أحمد عبد الغني ومحمود خلف البادي- دار سعد الدين ودار كنان- ط1- 1431هـ/ 2010م.

90- الوزان الحسن بن محمد (ت 957هـ/1550م)- وصف إفريقيا - ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 1983م.

91- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ-1228م) - معجم البلدان- دار صادر- دار بيروت- بيروت- 1404هـ/1984م

92- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت 284هـ/879م)- البلدان- وضع حواشيه محمد آمين ضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1422هـ/2002م.

د- **المراجع العربية**:

93- إسماعيل محمود- المُهمَّشون في التاريخ الإسلامي- دار رؤية- القاهرة- 2004م.

94- أمين أحمد- ظهر الإسلام- دار الكتاب العربي- بيروت- د.ت.

95- الصوفي خالد- تاريخ العرب في إسبانيا: عصر المنصور الأندلسي- دار الكاتب العربي- بيروت- 1971م.

96- بالنثيا آنخل جنثالث- تاريخ الفكر الأندلسي- نقله عن الإسبانية حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط2- 1429هـ/2008م.

97- بن عبود امحمد- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري- مطابع الشويخ- تطوان- ط2- 1999م.

98- بن منصور عبد الوهاب- أعلام المغرب العربي- المطبعة الملكية- الرباط- 1406هـ/1986م.

99- بوباية عبد القادر- البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2011م.

100- بوباية عبد القادر وأمحمد بوشريط- مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط- منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية- وهران- 2014م.

101- بوتشيش إبراهيم القادري- أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250- 316هـ)- منشورات عكاظ- الرباط- 1992م.

102- بونار رابح- المغرب العربي تاريخه وثقافته- ش. و. ن. ت- الجزائر- ط2- 1981م.

103- بويكا ك.- المصادر التاريخية العربية في الأندلس- نقله إلى العربية نايف أبو كرم- منشورات دار علاء الدين- دمشق- ط1- 1999م

104- بيريس هنري- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف- ترجمة الطاهر أحمد مكي- دار المعارف- القاهرة- ط1- 1408هـ- 1988م.

105- حناوي محمد- النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط1- 2003م.

106- الدرويش جاسم ياسين- أعلام نساء الأندلس- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1438هـ/2017م.

107- دوزي رينهارت- المسلمون في الأندلس- ترجمة حسن حبشي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1994م.

108- الزركلي خير الدين- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ط8- 1989م.

109- زناتي أنور محمود- حامل لواء التاريخ في الأندلس ابن حيان القرطبي- مرايا للطباعة والنشر والتوزيع- دبي- 2017م.

110- سالم السيد عبد العزيز- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع- الإسكندرية- .1985

111- شعيب عبد الواحد عبد السلام- الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف- دار الأمان- الرباط- المغرب- ط1- 2014م.

112- عامري محمد بشير حسن راضي- تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي- دار الكتب العلمية- بيروت- د.ت.

113- عبادي أحمد مختار- في تاريخ المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- د.ت.

114- عباس إحسان- العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1975م.

115- عباس إحسان- معجم العلماء والشعراء الصقليين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1994م.

116- عبد الحليم رجب محمد- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف- دار الكتب الإسلامية- دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني- القاهرة- بيروت- د. ت.

117- عزاوي أحمد- رسائل ديوانية أندلسية (من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع)- مطابع الرباط- نت- الرباط- ط1- 1434هـ/2013م.

118- عنان محمد عبد الله- دولة الإسلام في الأندلس- دول الطوائف- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4- 1417هـ/1997م.

119- فيرنية خوان- "العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس" ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- تحرير سلمى خضراء الجيوسي- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- 1998.

120- فيلالي عبد العزيز- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر-1982.

121- القحطاني علي أحمد عبد الله- الدولة العامرية في الأندلس (دراسة سياسية وحضارية- 368-399هـ/978-1009م)- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية- 1401هـ/1981م.

122- كحالة عمر رضا- معجم قبائل العرب- دار العلم للملايين- بيروت- 1968.

123- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426ه/2005م.

124- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360ه/1941م)- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424ه/2003م.

125- المنجد في اللغة والأعلام- دار المشرق- بيرون- ط31- 1991م.

126- المنوني محمد وآخرون- التاريخ الأندلسي من خلال النصوص- شركة النشر والتوزيع المدارس- الدار البيضاء- ط1- 1412ه/1991م.

127- المنوني محمد- المصادر العربية لتاريخ المغرب- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- 1404ه/1983م.

128- مؤنس حسين - معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار الرشاد- القاهرة- ط3- 1420ه/1999م.

129- مؤنس حسين- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس- مكتبة مدبولي- القاهرة- ط2- 1406ه/ 1986م.

130- الناصري السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا- تحقيق وتعليق ولدي المؤلف: جعفر الناصري وأحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1373هـ/1954م.

د- **الرسائل الجامعية**:

131- بوشريط أمحمد- آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية في الأندلس- 250- 379ه/864- 989م- مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي غير منشورة- قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران- السنة الجامعية 1425ه/2004م.

132- القعايدة خالد حسن مطر- ابن حيان القرطبي ودوره في كتابة التاريخ الأندلسي(377- 469هـ/987-1076م)- أطروحة دكتوراه- جامعة مؤتة- الأردن- 2006-2007م.

133- وراد طارق- أبو مروان بن حيان القرطبي مؤرخا والمجموع المستدرك من تواريخه- أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط غير منشورة- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس- 1433ه/2012م.

هـ- **المقالات العلمية**:

134- الشكعة مصطفى- أبو مروان ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- صص144- 187.

135- عائشة عبد الرحمن- أبو مروان ابن حيان القرطي وتاريخ الأندلس- قراءة جديدة- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- صص23- 108.

136- عبد الرحمن علي الحجي- ابن حيان القرطبي: مؤلفاته ومنهجيته- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- صص237- 241.

137- الهاشمي التهامي الراجي- نظم إدارة بني أمية بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان- مجلة المناهل- عدد خاص بندوة ابن حيان وتاريخ الأندلس- وزارة الثقافة- الرباط- العدد 29- السنة 11- جمادى الثانية 1404هـ/مارس 1984م- صص356- 417.

و- المراجع الأجنبية:

138- Boigues Francisco Pons- Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores y Geograficos Arabigo Espanoles- Biblioteca Nacional- Ollero y Ramos-Madrid- 1993.

139- Planas Dolores Bramon - Nous Textos d'historiadores Musulmans referents a la Catalunya Medieval- tesis doctoral- departament d'historia medieval paleotologia, diplomatica- Universitat de Barcelona- 1998.

140- Lévi- Provençal E. - Histoire de l'Espagne Musulmane- TII Le Califat Umaiyade de Cordoue (912- 1031)- G.-P. Maisonneuve, Paris- E.J.Brill, Leiden- 1950.

141- Madoz Pascual - Diccionario estadistico- historico de Espana y sus posesiones de ultramar- Madrid- 1846-1847.

ي- المقالات العلمية الأجنبية:

142- Avila Maria Luisa - la proclamacion (bay'a) de Hisam II Ano 976 d.c- Al-Quantara- Madrid- 1980- Vol I- fasc 1 y 2- p.83.

143- Enamorado Virgilio Martinez- Almanzor (938-1002). Aspectos Biograficos- Al-Andalus y el Mediterraneo en torno al-ano 1000- La época de Almanzor- Fundacion Municipal de Cultura- Algeciras- 2002- pp14-23.

144- Paredes Luis Seco de Lucena- Acerca de las campanas militares de Al-Manzor- Miscelanea de estudios Arabes y Hebraicos- XIV-XV- 1- 1965-66- PP. 7- 29.

145- LEÓN Víctor de Castro- IBN AL-JAṬĪB Y EL KITĀB A'MĀL AL-A'LĀM: LA FIGURA DE ALMANZOR- Studios historia, Historia medieval- Ediciones Universidad de Salamanca- 35(2), 2017, pp. 63-85.

146- Molina Luis - Las Campanas de Almanzor a la luz de un nuevo texto- Al-Qantara revista de estudios arabes- Consejo Superior de Investigacion Cientificas- Madrid- 1981-Vol. II- Fascs 1 y 2- pp. 209- 263.

147- Navarro Maria Luisa Avila - La Proclamacion (BAY'A) de Hicham II. Ano 976 d.c- Al-Qantara Revista de Estudios Arabes- Consejo Superior de Investigacions Cientificas- Madrid- 1980- Vol. I- Fasc. 1 y 2.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

ملخص الأطروحة: يتمثل موضوعها في جمع ودراسة وتحقيق كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي الذي يعدّ من الكتب المفقودة، ويعتبر المصدر الرئيس لتأريخ الدولة العامرية التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399هـ/976- 1008م، ويتضمّن الأحداث التي وقعت في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر بالله، واعتلاء ابنه هشام المؤيد بالله سدّة الحكم، وهو لا يزال طفلا، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول بن محمد المنصور- ثاني أبناء الحاجب العامري- سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس، وظهور ما عُرف بممالك الطوائف. تضمن الكتاب معلومات انفرد بها ابن حيان عن غيره من المؤرخين مثل إيراده لأسماء الشهود الذين حضروا بيعة هشام المؤيد بالله: 140 شاهدًا ذكرهم بأسمائهم ووظائفهم وشيوخهم ومؤلفاتهم.كما انفرد بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها، وبدايات المنصور ابن أبي عامر إلى غاية وصوله إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء، وأورد لنا ابن حيان مجموعة من الأخبار الخاصة بالأندلس على عهد العامريين، وقد وُفّق ابن حيان في استخدامه لمختلف المرجعيات، سواء الروايات الشفهية أو المكاتبات الموثوق في مصادرها، أو حتى المؤرخين الذين سبقوه، بالإضافة إلى مشاهداته المباشرة، وهو بهذا حفظ لنا أخبارا قيّمة لم ترد عند غيره من المصادر المعاصرة له، بل وكان مصدرا موثوقا لمن جاؤوا من بعده.

Résumé de la thèse: Le sujet consiste a collecter, et faire une étude critique sur le livre intitulé "Histoire de l'état 'Amiride" d'Ibn Hayyan Al-Qurtubi, qui est considéré comme l'une des sources historiques disparues. Son auteur relate l'histoire de l'Andalousie durant la période allant de la mort d'Al-Hakam Al-Mustansir Billah, et le règne de son fils Hisham Al-Muayyad alors enfant, jusqu'à la prise du pouvoir par Mohamed bin Hisham bin Abdul Jabbar aux dépens d'Abdul Rahman Chanjul bin Muhammad Al-Mansour- le deuxième fils d'Al-Hajib Al-Amiri- en l'année 399 AH /1008g. causant par ce fait une crise politico-militaire qui a été la cause de la désintégration de l'unité Andalouse, et l'émergence des royaumes de Taifas (sectaires).

Le livre contient des informations dont Ibn Hayyan détient l'exclusivité par rapport aux autres historiens, telles que la liste des témoins qui ont assisté à la proclamation (Ba'ya) de Hisham al-Muayyad: 140 témoins mentionnant leurs noms, emplois, Maitres et écrits, ainsi que toutes les Campagnes militaires qu'a mené al-Mansur bin Abi 'amir au cours des vingt cinq années ou il a présidé aux destinées de l'état en tant que Chambellan de Hicham II: leurs destinations et leurs résultats, ainsi que les débuts d'ibn Abi-Amer et son arrivée au Palais du Califat dans la ville d'Al-Zahraa. Ibn Hayan nous a mentionné aussi beaucoup d'autres informations se rapportant à l'Andalousie à l'époque des chambellans 'Amirides. Et ce grâce à ses observations personnelles et les informations qu'il a récolté des témoins oculaires, et grâce à ce livre Ibn Hayyan nous a légué de précieuses nouvelles qui n'ont pas été transmises par les autres historiens contemporains, et de ce fait son livre est une source fiable que tous les historiens des siècles antérieurs ont utilisé.

Thesis Summary: The subject consists in collecting, and doing a critical study on the book entitled "History of the 'Amiride State" written by Ibn Hayyan Al-Qurtubi, who is considered as one of the disappeared historical sources. Its author relates the history of Andalusia during the period from the death of Al-Hakam Al-Mustansir Billah, and the reign of his son Hisham Al-Muayyad while style a child, until the seizure of power by Mohamed bin Hisham bin Abdul Jabbar at the expense of Abdul Rahman Chanjul bin Muhammad Al-Mansour- the second son of Al-Hajib Al-Amiri- in the year 399 AH /1008g. thereby causing a politico-military crisis which was the cause of the disintegration of Andalusian unity, and the emergence of the kingdoms of Taifas (sectarian).

The book contains informations which Ibn Hayyan has exclusivity compared to other historians, such as the list of witnesses who attended the proclamation (Ba'ya) of Hisham al-Muayyad: 140 witnesses mentioning their names, jobs, Masters and writings, as well as all the Military Campaigns that al-Mansur bin Abi 'amir led during the twenty five years in which he presided over the destinies of the state as Chamberlain of Hicham II: their destinations and their results, as well as the beginnings of ibn Abi-Amer and his arrival at the Caliphate Palace in the city of Al-Zahraa. Ibn Hayan also mentioned a lot of other informations related to Andalusia at the time of the chamberlains 'Amirides. And this was thanks to his personal observations and the informations that he collected from eye witnesses, and thanks to this book Ibn Hayyan bequeathed us precious news that were not transmitted by other contemporary historians, and therefore his book is a reliable source that all historians of the previous centuries have used.

-

ملخص

ملخص الأطروحة: يتمثل موضوعها في جمع ودراسة وتحقيق كتاب "أخبار الدولة العامرية" لابن حيان القرطبي الذي يعدّ من الكتب المفقودة، ويعتبر المصدر الرئيس لتأريخ الدولة العامرية التي حكمت الأندلس فيما بين سنتي 366 و399ه/976-1008م، ويتضمّن الأحداث التي وقعت في الفترة الممتدة من وفاة الحكم المستنصر با ، واعتلاء ابنه هشام المؤيد با سدّة الحكم، وهو لا يزال طفلا، إلى غاية قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن شنجول بن محمد المنصور- ثاني أبناء الحاجب العامري- سنة 399هـ/1008م، وهو الحدث الذي سيدخل العدوة الأندلسية في أتون فتنة كانت سببا في تفكك وحدة الأندلس، وظهور ما عُرف بممالك الطوائف، تضمن الكتاب معلومات انفرد بها ابن حيان عن غيره من المؤرخين مثل إيراده لأسماء الشهود الذين حضروا بيعة هشام المؤيد با : 140 شاهدًا ذكرهم بأسمائهم ووظائفهم وشيوخهم ومؤلفاتهم،كما انفرد بذكر غزوات المنصور بن أبي عامر كاملة بسنوات حدوثها ومواطنها ونتائجها، وبدايات المنصور ابن أبي عامر إلى غاية وصوله إلى قصر الخلافة في مدينة الزهراء، وأورد لنا ابن حيان مجموعة من الأخبار الخاصة بالأندلس على عهد العامريين، وقد وُفّق ابن حيان في استخدامه لمختلف المرجعيات، سواء الروايات الشفهية أو المكاتبات الموثوق في مصادرها، أو حتى المؤرخين الذين سبقوه، بالإضافة إلى مشاهداته المباشرة، وهو بهذا حفظ لنا أخبارا قيّمة لم ترد عند غيره من المصادر المعاصرة له، بل وكان مصدرا موثوقا لمن جاؤوا من بعده.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس؛ هشام المؤيد با ؛ محمد المنصور؛ غزوات المنصور؛ قرطبة؛ المغرب الإسلامي؛ المغرب الأقصى؛ ممالك النصارى؛ عبد الملك المظفر؛ عبد الرحمن شنجول؛ البربر.

نوقشت يوم 04 جوان 2020